

وليد الثورة

الاسلاف
الجيش العمالى الفلاحى
السياسة العسكرية وحالة الحرب

★

الجيش يتقوى

استيعاب الخبرة المكدسة
اعادة بناء القوات المسلحة تكنيكيا
فى حراسة الوطن

★

فى الحرب الوطنية

عام ١٩٤١
عشية الاحداث الحاسمة
الانعطاف الجذرى
نهاية الاحتلال الهتلرى
الانتصارات الختامية فى اوروبا
فى الشرق الاقصى
الانتصار العظيم للقوات المسلحة السوفييتية

★

فى حراسة السلام

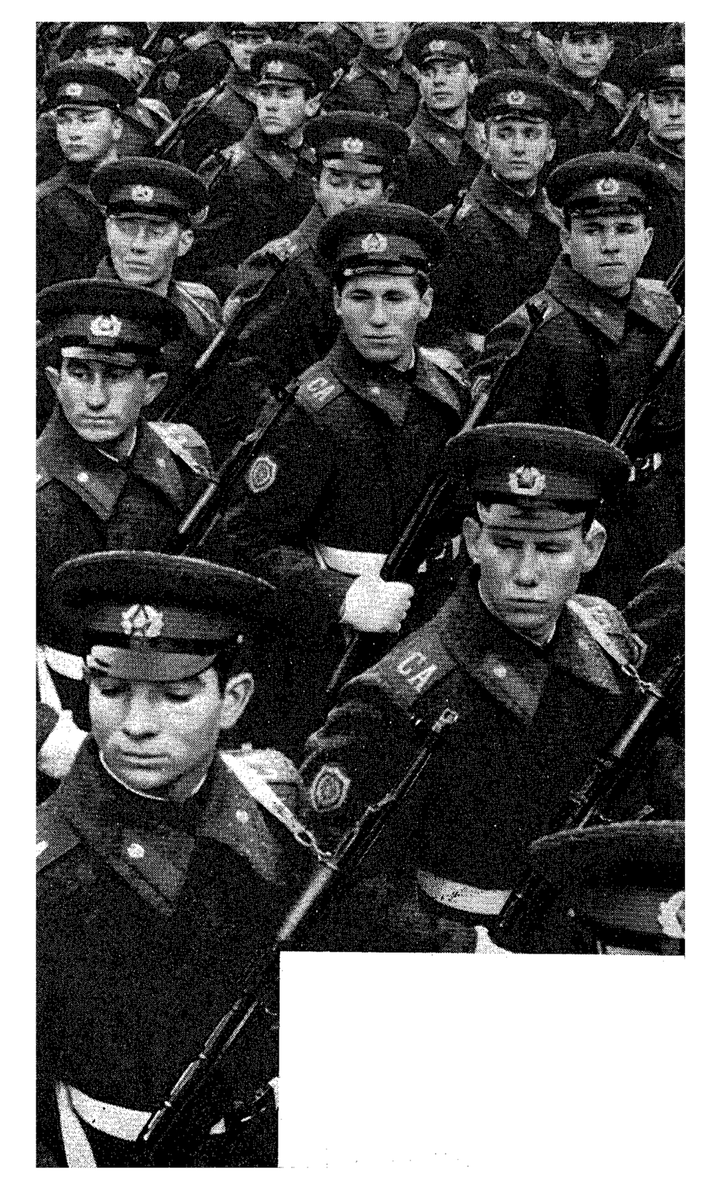
من الحرب الى السلم
ثورة فى الشؤون العسكرية
فيما تكمن قوة الجيش السوفييتى ؟





ف . إ . لينين يتفقد مع مجموعــة من القادة قوات التدريب العسكرى العام . الساحة الحمراء ، عام ١٩١٩ .




СА
СА



دار التقدم

موسكو

ألف الكتاب : لوتوتسكى (رئيسا) ، التغوفزين ، فنوتشينكو ،
ليبيتسكى ، ماترونوف ، مينيايلو ، بانوف ، بلوتنيكوف ،
برويكتور ، فيدورينكو ، شيخوفتسيف

АРМИЯ СОВЕТСКАЯ

На арабском языке

ترجمة خيرى الضامن

كلمة الى القارئ *

بين يديكم كتاب مكرس لتاريخ الجيش السوفييتى ومآثره الكفاحية ونشاطه وحياته فى الظروف الراهنة .

لقد حالفنى الحظ فى الخدمة فى صفوف المحاربين السوفييت الامجاد سنين طويلة حتى ايامنا هذه ، واستطيع القول بكل فخر انه لم يكن ولا يمكن ان يوجد مثل هذا الجيش ابدا فى اى مجتمع مقسم الى طبقات متناحرة . فان جيش بلاد السوفييت يتكون من الشغيلة انفسهم وهو يخدم مصالحهم بكل تفان ويدافع بنكران ذات عـــن حرية واستقلال الوطن وعن الاسرة الاشتراكية بأجمعها .

وعلمنا لينين «بان اية ثورة لا تكون لها قيمة ما الا اذا كانت تجيد الدفاع عن نفسها ...»

وقد طبقت التعاليم اللينينية هذه فى سياق الانتفاضة المسلحة المظفرة فى اكتوبر ١٩١٧ عندما هبت الجماهير الشعبية فى روسيا بقيادة الحزب الشيوعى حاملة السلاح فاطاحت بسيطرة البرجوازية والاقطاعيين وأسست اول دولة اشتراكية فى العالم للعمال والفلاحين

---

* مقدمة الطبعة الروسية الصادرة عام ١٩٦٩ .

واقامت السلطة السوفييتية . وتجسدت هذه التعاليم باسطع شكل في تأسيس الجيش الاحمر ، الجيش الجديد للشعب الثورى . وان تعاليم لينين العظيم هذه هي الان التعاليم الاساسية لاى بلد ولاى شعب احرز او يسعى لاحراز الحرية والاستقلال الوطنى .

ومنذ الايام الاولى لقيام القوات المسلحة السوفييتية اغترفت هذه القوات طاقتها وايمانها الراسخ بالنصر من قيادة الحــــزب الشيوعى ومن القدوة الشخصية للشيوعيين الذين رصوا ورسخوا صفوف افراد الجيش الاحمر والاسطول الاحمر والذين اضفــــوا الايديولوجية السامية والوعى والتنظيم على كافة اعمال افـــــراد الجيش والاسطول ورفعوا معنويتهم القتالية لدحر اى عدو .

وتحضرنى ذكريات الايام الاولى الاكثر عسرا عندما تشكــل الجيش العمالى الفلاحى الاحمر . فلم يكن لدينا آنذاك العدد الكافى من القادة المحنكين والاسلحة والخراطيش والقذائف والمواد الغذائية والالبسة ، بينما كان الاعداء يهاجموننا من كافة الاطراف . وكان المفوضون البلاشفة – القادة السياسيون – والشيوعيون البسطاء فى الصفوف الامامية وفى اصعب المجالات . واضطررنا ونحن شبــه عراة وشبه جيـــاع الى صد هجمات افراد الحـــرس الابيض والمتدخلين ، وبالرغم من ذلك انتصرنا وجعلنا خيرة جيوش العدو المجهزة جيدا والمسلحـــة حتى اخمص القدمين تولّى الادبار . واحرزنا الانتصارات لاننا كنا نعرف من اجل ماذا نحارب . فقد كنا ندافع عن قضية الثورة .

واثناء المعارك الدموية الطاحنة في الحرب الاهلية تفسخت الجيوش البيضاء وقوات المحتلين وفقدت قدرتها القتالية ، ذلك لان الجماهير العمالية الفلاحية المجندة فى تلك الجيوش والقوات اخذت تدرك بانها مرغمة على خنق اشقائها الطبقيين الذين هم كادحون مثلها اطاحوا بسيطرة البرجوازية والاقطاعيين وسلكوا طريق بناء الحياة الجديدة . وعلى مرأى منا انتقل الى جانبنا على نطاق واسع

العمال والفلاحون المجندون فى الجيش الابيض . وازداد فى قوات المتدخلين التذمر من قيادتها ، كما تزايد التعاطف مع الثـــورة الروسية والرغبة الجامحة فى السلام . وانتفض البحارة الفرنسيون فى ميناء اوديسا . وكل ذلك جعل الدول البرجوازية التى هاجمت روسيا السوفييتية تسحب قواتها من اراضينا بعد ان الحق بها الجيش الاحمر هزائم كبيرة . ووصف لينين بداية سحب القوات الاجنبية من روسيا بانها «النصر الرئيسى على دول الوفاق * ... فقد اختطفنا منها جنودها» .

وفى تلك الفترة عندمـــا كان جيش الخيالة الاول يحارب البولونيين البيض سرنى وبوديونى ، كما سر كافة افراد خيالتنا ، خصوصا واقع ان اية قنبلة من التى قذفتها الطائرات العدوة اثناء احدى الغارات علينا لم تنفجر . ويبدو ان عمال المصانع التى اعدت هذه القنابل بذلوا قصارى جهدهم لازالة خطرها . ومن المحتمل ان يكون قد اهتم بهذا الامر اولئك الذين حفظوا القنابل فى المستودعات او الذين نقلوها الى المطارات او الذين علقوها بالطائرات . ففى هذا الحادث الذى يبدو لاول وهلة ضئيلا انعكست بكل جلاء المشاعر الودية العميقة التى يكنها شغيلة البلدان الرأسمالية لثورتنـــا ، والتضامن الاخوى الحقيقى لكافة بروليتاريا العالم معنا .

لقد قطعت القوات المسلحة السوفييتية جنبا الى جنب مـــع الشعب بأسره طريقا بطوليا مجيدا . فقد دحرت كليا جحـــافل افراد الحـــرس الابيض والمتدخلين الاجانب فى سنوات الحـــرب الاهلية وصدت كافة هجمات القوى المعادية فى سنوات فترة راحة سلمية وبذلك أمنت لشعبنا الظروف الملائمة لتحقيق تصنيع البلاد واشاعة الحركة التعاونية فى الزراعة وتحقيق الثورة الثقافية وبناء المجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى .

---

* الحلف الامبريالى لانكلترا وفرنسا وروسيا القيصرية .

ان تحول الاتحاد السوفييتي من بلد زراعى متخلف الى دولة اشتراكية صناعية كولخوزية طليعية وان اعادة البناء التكنيكـــى للاقتصاد الوطنى بأسره ساعدا الشعب السوفييتي فى ان يزيد بدرجة اكبر القدرة الكفاحية للجيش السوفييتي والاسطول البحرى الحربى وان يبنى صناعة دفاعية لا تقل شأنا عن الصناعة الحربية فى الدول الرأسمالية المتقدمة وان يجهز قواته المسلحة بأحدث الاسلحة بالنسبة لذلك الزمان . ومع ان اعادة التسليح التكنيكى لجيشنا لم تكن قد تمت نهائيا حتى بداية الحرب الوطنية العظمى فان المصانع الدفاعية وغيرها من مؤسسات الصناعة الحربية التى كان قد تم بناؤها حتى ذلك الحين هيأت لنا الامكانية لكى نستطيع فيما بعد ، وذلك اثناء المعارك الطاحنة ، ان ننظم بسرعة نسبيا الانتاج الواســـع للانواع الجديدة من التكنيك الحربى — الدبابات والطائرات والسفن الحربية والاسلحة والذخيرة ، وان نؤمن فى آخر المطاف تفـــوق التكنيك الحربى السوفييتي على التكنيك الحربى للعدو .

لقد كانت الحرب الوطنية العظمى اكبر واشد امتحان لمتانة ورسوخ النظام الاشتراكى والوحدة التى لا تنفصم عراها بين الحزب والشعب والتلاحم الاخوى لعائلة شعوب الاتحاد السوفييتي المتعددة القوميات والسمات الكفاحية والمعنوية العالية للجيش السوفييتي ، الجيش المحرر . ان ابناء الشعب السوفييتي البطل وقواته المسلحة صمـــدوا ليس فقط فى اصعب مرحلة من الحرب وهى مرحلـــة بدايتها ، بل واستطاعوا ان يوجهوا للعدو الضربات القاضية قرب موسكو وستالينغراد وكورسك وفى المعارك الكبرى الاخرى وبذلك هيأوا الانعطاف الجذرى فى سير الحرب العالمية الثانية وأمنـــوا الاندحار التام لالمانيا الفاشية .

ولعبت القوات المسلحة السوفييتية دورا حاسما فى تحطيم الغزاة الهتلريين فى الغرب والمعتدين اليابانيين فى الشرق ، وانقذت الحضارة العالمية من الطاعون الفاشى . ونتيجة لذلك تهيأت الظروف

الملائمة لاقامة السلطة الشعبية فى عدد من بلدان اوروبا وآسيا . وتغير بصورة جذرية تناسب القوى على الصعيد الدولى لصالح قوى السلام والتقدم والاشتراكية .

لقد تم تأليف كثير من الكتب الشيقة والمفيدة عن الجيش السوفييتى وعن المآثر التى لا تنسى والتى حققها افراده وقادته العسكريون والسياسيون فى سنوات الحرب العصيبة . ومع ذلك فان هذا الموضوع لم يستنفد بعد ابدا . فالاهتمام بتاريخ الجيش السوفييتى والاسطول البحرى الحربى وحياتهما الراهنة اهتمام لا ينضب حقا .

فعم يتحدث كتاب «الجيش السوفييتى» الذى نقدمه للقراء ؟ انه يستعرض بصورة مبسطة المراحل الاساسية لتطور القوات المسلحة السوفييتية ويبين بكل وضوح الدور التنظيمى والابداعى الهائل الذى اضطلع به لينين والحزب الشيوعى فى تشكيل الجيش والاسطول وفى تزويدهما بكل ما يحتاجان اليه وفى التربية السياسية لافرادهما وفى تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد . ويورد الكتاب كثيرا من الامثلة الرائعة على الصمود الحديدى والبسالة والبطولة الشاملة التى ابداها المحاربون السوفييت فى الدفاع عن الوطن الاشتراكى .

ان المحاربين السوفييت اثبتوا دائما وفى كل مكان ويثبتون بالافعال اخلاصهم للحزب والشعب واخلاصهم للواجب الاممى ولقضية السلام وحرية الشعوب ...

وتحت قيادة الحزب الشيوعى ولجنته المركزية اللينينية استطاع وطننا وشعبنا السوفييتى بأسره ان يضمدا الجراح فى سنوات ما بعد الحرب وان يخطوا خطى لا مثيل لها الى الامام فى التطور الاقتصادى والثقافى ، وليس ذلك وحسب ، بل وامنا متابعة تعزيز قواتهما المسلحة . فتحت تصرف المحاربين السوفييت كافة وسائل الدفاع المضاد للجو والآلات الالكترونية الحاسبة والغواصات

الذرية والطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت وكافة انواع الصواريخ ذات الاغراض التاكتيكية والستراتيجية . ويدير هذه الوسائل اخصائيون ذوو اعداد جيد .

ان الشعب السوفييتى بحاجة الى السلام الوطيد الدائم لكى يبنى المجتمع الشيوعى ويتابع النهوض بالاقتصاد والثقافة وزيادة رفاهية الشغيلة ، وذلك لانه لا يمكن الا فى العمل السلمى المبدع خلق ومضاعفة الخيرات المادية والروحية لسد الحاجات المتزايدة ابدا لدى الجماهير الشعبية .

ان الامبريالية العالمية تسعى الى تعقيد الوضع الدولى على الدوام وتمارس مختلف انواع التخريب الايديولوجى وتدبر الصدامات المسلحة فى مختلف انحاء المعمورة . اما الاتحاد السوفييتى فلا يستطيع التغاضى عن هذا التطور الخطير للاحداث ، فان واجبنا المقدس هو بذل كل ما فى وسعنا للحفاظ على السلام والعمل بلا كلل لتعزيز القدرة الدفاعية لبلادنا وزيادة الاستعداد القتالى لدى القوات المسلحة السوفييتية وتعزيز اخوتنا الكفاحية بكل الوسائل مع جيوش البلدان الاعضاء فى معاهدة وارشو .

وجاء فى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى : ان الحزب ينطلق من ان خطر الحروب العدوانية سيظل قائما ما بقيت الامبريالية . ويعتبر الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الدفاع عن الوطن الاشتراكى وتعزيز دفاع الاتحاد السوفييتى وبأس القوات المسلحة السوفييتية واجبا مقدسا مفروضا على الحزب وعلى الشعب السوفييتى بأسره ، واهم وظيفة من وظائف الدولة الاشتراكية . ويرى الاتحاد السوفييتى واجبه الاممى فى ان يضمن بالتعاون مع البلدان الاشتراكية الاخرى امن المعسكر الاشتراكى باكمله والدفاع عنه دفاعا يركن اليه .

وتدل خبرة التاريخ بكل اقناع على ان الجيش السوفييتى والاسطول البحرى الحربى السوفييتى كانا دائما وفى كافة مراحل

تطور بلادنا على مستوى المهام المطروحة امامهما وحرسا بصلابة وامـــان العمل السلمى الخلاق للشعب السوفييتى وحريـــة الوطن واستقلاله . وكان الامر كذلك فى المـــاضى وهو كذلك فى الحـــاضر وسيظل كذلك ابد الدهر .

ويذكرنـــا بهـــذا الامر مرارا وتكرارا كتـــاب «الجيش السوفييتى» .

ك . فوروشيلوف

وليد الثورة



كان الرصاص لا يزال يلعلع وكان هتاف العمال المنتصرين لا يزال يدوى فى الاروقة الطويلة لقصر الشتاء حيث اعتصمت الحكومة البرجوازية المؤقتة ، عندما بثت اذاعة الثورة نداء «الى الجميع ، الى الجميع ، الى الجميع» فى كافة ارجاء المعمورة . ونقل الاثير نبأ انتصار الثورة البروليتارية ودوت عاليا الكلمات البسيطة والمفهومة لكل شغيل والتى وردت فى المرسوم اللينينى بشأن السلام الذى اقره مؤتمر سوفييتات عموم روسيا : «ان الحكومة العمالية الفلاحية التى شكلتها ثورة ٢٤_٢٥ اكتوبر والتى تستند على سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين تقترح على جميع الشعوب المتحاربة وحكوماتها البدء فورا بمفاوضات الصلح الديمقراطى العادل» .

وهكذا كان العمل الاول للدولة السوفييتية الفتية فى ميدان السياسة الخارجية هو اقتراح بانهاء حرب اقتتال الاخوة التى تستنفد قوى الامم .

ولم يحظ نداء الحكومة السوفييتية بصدى لدى زعماء الدول الرأسمالية ، مع انه وصل عبر رعد المدافع الى اسماع جنود الدول المتحاربة الذين كانوا يتعفنون للعام الرابع فى الخنادق . كانت الحرب الامبريالية مستمرة .

وسعت بلاد السوفييت الفتيـــة الى الخلاص من الحرب ، لكى تشرع ببناء الاشتراكية فى الرحاب المطهرة من انقاض العالم القديم .

الا ان الامبريالية العالمية والثورة المضادة الداخلية اعدتا ضد الجمهورية السوفييتية منذ ايامها الاولى التدخل الاجنبى والحرب الاهلية . وكان على العمال والفلاحين الذين اطاحوا بسلطة الاستغلاليين فى اكتوبر ١٩١٧ ان يؤمنوا سلامة الوطن الاشتراكى وحمايته . ولتنفيذ هذه المهمة كان ينبغى تشكيل جيش من طراز جديد ، وهو اول جيش عمالى فلاحى أحمر فى العالم .

الى السلاح ، ايها الرفاق !

وبديهى انه كان من المستحيل تشكيل الجيش بفترة قصيرة . ولكن الجيش الاحمر لم يتكون من الفراغ ومن لاشىء . فان الاسلاف التاريخيين له هم المقاتلون فى الثورات الروسية الثلاث ـــ افراد مفارز عام ١٩٠٥ وافراد الحرس الاحمر والجنود والبحارة الثوريون .

ان فترة زمنية غير طويلة نسبيا تفصل بين الاحد الدامى ٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٥ والانتفاضة المظفرة فى اكتوبر ١٩١٧. الا ان شغيلة روسيا انصهروا خلال هذه السنوات فى مدرسة ممتازة للمعارك الطبقية ، مدرســـــة الاندحارات والانتصارات واقتنعوا بتجربتهم الخاصة ان الحرية لا تستجدى من اصحاب السلطة ، بل تكتسب فى المعارك . ولكى يمكن تحقيق النصر يجب استيعاب فن النضال المسلح .

ففى اليوم التالى بعد الاحد الدامى دوت كلمـــات البلاشفـــة الغاضبـــة والتى تدعو الى النضال . فقد جاء فى احد المنشـورات : « شاهدتم وحشية الحكومة القيصرية ! وشاهدتم الدمـاء التى غطت الشارع ! .. فمن الذى وجه الجنود والبنادق والرصاص الى صدور العمال ؟ انه القيصر والامراء الكبار والوزراء والجنرالات واوباش الحاشية الانذال .

انهم القتلة ! الموت لهم ! فالى السلاح ايها الرفاق ! »

واصبحت مفارز العمال التى شكلها البلاشفة فى كثير من المناطق الصناعيـــة فى البلاد القوة الكفاحيـــة لثورة عام ١٩٠٥ . وفى ايام الانتفاضة المسلحة فى كانون الاول (ديسمبر) قاتلت المفارز الثورية القوات القيصرية وافراد « المئة السود » ودافعت وراء المتاريس عن حرية الشغيلة حتى آخر قطرة من دمائها . وكان ابطال هذه المعارك المسلحة غير المتكافئة ضد القيصرية يدركون جيدا اهمية وعظمة كفاحهم . فقد جاء فى آخر امر اصدرته هيئة اركان المفارز القتالية فى كراسنايا بريسنا * : « ان المستقبل للطبقة العاملة . وسوف تتعلم الاجيال بعد الاجيال فى كافة البلدان الصمود من تجربة بريسنا » . وليس الصمود وحده ، بل والبسالة والبطولة والثبات والاخـلاص للافكار والتنظيم العالى والانضباط الذاتى . وكل ذلك وضعه افراد المفارز البلشفية منذ عام ١٩٠٥ فى اساس جيش الشغيلة القادم .

ولم تذهب سدى خبرة نضالهم المسلح ضد المضطهدين . ففى الانتفاضة ضد القيصرية فى شبـاط (فبراير) ١٩١٧ بدأ عمـــال بتروغراد وموسكو والاورال والدونباس والمراكز الصناعية الاخرى بتشكيل فصائلهم المسلحـــة . واطلقت على هذه الفصائل اسمـــاء « المليشيا العمالية » ، و « المفارز الكفاحية » و « الحرس العمالى » . وعندما بدأت الحكومة المؤقتة تشكل « المليشيا المدنية » البرجوازية بدلا من البوليس المنحل اطلقت الطبقة العاملـــة فى كل مكان اسم « الحرس الاحمر » على فصائلها الكفاحية . وشكلت اللجان المعملية ــ المصنعية التى يقودها البلاشفة فى المؤسسات الانتاجية هذه الفصائل من طليعيى العمال الاكثر وعيا . وكان افراد الحرس الاحمر يصنعون السلاح بانفسهم او يحصلون عليه من الاستيـلاء على الترسانـــات والمستودعات ، او بواسطة الجنود الذين انتقلوا الى صف الثورة .

---

* منطقة عمالية فى موسكو .

وفى البدايـــة لم يكن لفصائل الحرس الاحمر التى تشكلت فى المؤسسات تركيب تنظيمى متناسق ، وكانت ضعيفة الارتباط فيما بينها . واتخذ الحزب البلشفى التدابير لاضفاء اشكال محددة عليها ولتحسين دربتها العسكرية وتحويلهـــا الى قوة جبارة للثورة البروليتارية .

وانضوى تحت رايـــات الحرس الاحمر اكثر العمـــال نشاطا ووعيا . وجاء فى ميثاق الحرس الاحمر فى موسكو : « ان المراعاة الصارمة للانضبـــاط وتنفيذ اوامر الخدمـــة للقـــادة المنتخبين بحذافيرها ... يستندان ليس على الطاعة العميـاء ، بل على ادراك الاهمية القصوى والمسؤولية الكبرى للمهام التى يجب تنفيذها » . وكانت ربطة عضد افراد الحرس الاحمر بمثابـة اول شـــارة تميز المكافحين من اجل حرية الشغيلة وسعادتهم .

وفى نفس وقت تشكيل فصائل الحرس الاحمر كان الحزب يسعى الى تعزيز وتوسيع نفوذه بين الجنود والبحـــارة . وعمل الدعـــاة البلاشفة فى الجيش والاسطول دون كلل وكانوا يوزعون الصحف والمنشورات واخذت تتشكل الخلايا الحزبية .

وارعبت سرعة تنـــامى نفوذ البلاشفـــة الحكومة البرجوازية المؤقتة التى حاولت فى تموز (يوليو) ١٩١٧ بدعم من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة ان تستخدم القوة المسلحة لوقف تعاظم الثورة وتصفية الحرس الاحمر وتجريد العمال من السلاح . وقدمت الرجعية تحديا سافرا لشغيلة روسيا باطلاق الرصـــاص على مظاهرة تموز (يوليو) واجراء الاعتقالات على نطاق واسع واعادة الحكم بالاعدام فى الجبهة . واقيم فى البلاد نظام العنف والتعسف .

الا ان الحكومة المؤقتة لم تستطع ان تحطم قوى الثورة . فقد استطاع افراد الحرس الاحمر ان يخبئوا اسلحتهم فى اماكن امينة ويتابعوا دراسة الفن العسكرى . وكانت بروليتاريا روسيا تعرف بانه تقترب اللحظة التى عليها ان تقرر المصير التاريخى للبلاد .

وسرعان ما احتاج الشعب العامل الى هذه الاسلحة والخبرة العسكرية . ففى آب (اغسطس) ١٩١٧ سحب القائد العام للجيش الروسى الجنرال كورنيلوف من الجبهـــة القوات «الموثوق بهـــا» لدرجة اكبر ووجهها نحو بتروغراد (لينينغراد اعتبـــارا من عام ١٩٢٤) لكى يقيم الدكتاتورية العسكرية فى البلاد .

وتلبية لنداء البلاشفة هبت كافة القوى الثورية لردع تمرد الثورة المضادة . وانتهز الحرس الاحمر هذه الفرصة الملائمة فخرج من حيز العمل السرى . وتكونت بصورة عاجلـــة فصـــائل جديدة وتشكلت اركانات الحرس الاحمر فى المصانع والاحياء والمدن عموما. وبجهود العمال وافراد الحرس الاحمر والجنود والبحارة الثوريين امكن اخماد تمرد كورنيلوف بسرعة .

وتعزز الحرس الاحمر فى الكفاح ضد تمرد كورنيلوف وتبلور بشكل قوة كفاحية ضاربة تحت تصرف الثورة الاشتراكية . وتفيد المعطيات غير الكاملة انه كان هناك فى اكتوبر ١٩١٧ حوالى ٢٠٠ الف من افراد الحرس الاحمر ـ المناضلين الطليعيين للمعارك الطبقية المرتقبة .

الا ان حزب البلاشفة اذ كان يستعد للمعركة المسلحـــة ضد البرجوازية لم يستطع الا ان يأخذ بنظر الاعتبار واقع ان المناصب القيادية فى الجيش لا تزال فى يد الحكومة المؤقتة . ولذلك مارس البلاشفة بلا كلل العمل الدعائى بين الجنود والبحارة كاشفين امامهم حقيقة اهداف ومهام الثورة البروليتارية القادمة . واسفر هذا العمل عن اروع النتائج .

وليس من قبيل الصدفـة ان ورد فى احدى الاخبـــاريات التى استلمتها اللجنة المركزية للحزب ما يلى : «اجابت سرايا كاملة فى كثير من الوحدات على سؤال : «هل بينكم بلاشفـــة ؟» بالشكل

التالى : «كلنا بلاشفة» . وبهذه الصورة من الحزم وعدم التراجع انتقل بحارة البلطيق الحربيون الى جانب الثورة البروليتارية .

ونضجت الازمة الثورية بسرعة فائقة . وبعد ان عاد لينين الى بتروغراد سرا شرع بوضع خطة محددة للانتفاضة المسلحة . وشكلت اللجنة المركزية للحزب المركز الثورى العسكرى الذى أشرف على مجمل الاعمال فى اعداد وقيادة الانتفاضة . وتوجه ممثلو اللجنة المركزية الى المناطق الصناعية فى البلاد . وشكلت اللجنة التنفيذية لمجلس سوفييت بتروغراد لجنة ثورية عسكرية برئاسة بودفويسكى . وارسلت اللجنة مفوضيها الى كافة الوحدات العسكرية فى حامية العاصمة . وانجزت قوى الثورة التحضير للهجوم على العالم القديم . وفى ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) /٦ تشرين الثانى (نوفمبر)/دعاها لينين الى «تقرير الامر هذا اليوم بالذات مساء او ليلا» .

وكانت ليلة ٢٤ على ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ فى بتروغراد متوترة يسودها القلق ، وهى آخر ليلة لروسيا البرجوازية الاقطاعية . ومرت فى الشوارع بعجالة فصائل الحرس الاحمر والجنود والبحارة وضجت سيارات الشحن وهى تحمل المواطنين المسلحين ، وعبر الظلمة الضبابية كانت تسمع احيانا مقاطع من الاغانى الثورية وأزيز محركات الدراجات النارية ولعلعة الرصاص .

لقد بدأت ثورة اكتوبر !

واخذ افراد الحرس الاحمر والجنود والبحارة الثوريون الذين توجهوا بارادة الحزب الشيوعى ولينين يحتلون بحزم وثبات محطات القطار والجسور ومراكز المواصلات والمحطات الكهربائية والدوائر الحكومية المركزية . ومخر الطراد الثورى «افرورا» وهو فى حالة استعداد حربى تام مياه نهر نيفا وتوقف عند جسر نيكولايفسكى .

وحتى صباح ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) /٧ تشرين الثانى

(نوفمبر)/كانت المدينة الهائلة بأجمعها تقريبـــا فى ايدى الشعب الثائر . واستمرت قوات الثورة المضادة بالاحتفاظ ببضع نقاط الارتكاز فى وسط المدينة بما فيها قصر الشتاء حيث قبع وزراء الحكومة المؤقتة تحت حماية كتيبة طلاب المدارس العسكرية . ولم يبق شك فى مآل الصراع النهائى . وهرب رئيس الحكومة المؤقتـة كيرينسكى من بتروغراد . وصفت الانتفاضة آخر بؤر المقاومـــة الواحدة اثر الاخرى مستفيدة بمهارة من الاضطراب فى معسكر العدو .

وفى نهـــار ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر)/٧ تشرين الثـــانى (نوفمبر)/دوت من على منصة سوفييت بتروغراد الى البلاد كلها والى العالم كله كلمات لينين التاريخية : «ايها الرفاق ! ان الثورة العمالية الفلاحية التى تحدث البلاشفة طوال الوقت عن ضرورتها قد تحققت .

... ومن الآن حلت مرحلة جديدة فى تاريخ روسيـــا ، وان الثورة الروسية الحالية الثالثة يجب ان تؤدى فى آخر المطاف الى انتصار الاشتراكية» .

وبدأت ساعة التاريخ تحسب زمن العصر الجديد . وحتى مساء ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) كان قصر الشتاء محاطا بستار كثيف من العمال افراد الحرس الاحمر والجنود والبحارة . وفى الساعة ٢١ والدقيقة ٤٠ دوت فوق نهر نيفا وبتروغراد والعالم كله الاطلاقـــة التاريخية لمدفع مقدمة الطراد «افرورا» التى كانت اشارة البدء فى الهجوم على قصر الشتاء . وبعد بضع ساعـــات تم احتلال القصر . وتكللت بالنجاح التام الانتفاضة المسلحة التى تمت طبقا للخطـــة اللينينية العبقرية . واخذت راية الاشتراكية الحمراء المظفرة ترفرف فوق عاصمة روسيا .

ان المسألة الجذرية لكل ثورة هى مسألة السلطة . وانتصرت ثورة اكتوبر تحت شعار «كل السلطة للسوفييتات !»

وشكل مؤتمر السوفييتـــات الثانى لعمـــوم روسيا الحكومة

السوفييتيــة ـ مجلس مفوضى الشعب . وتم تعيين لينين رئيســا للحكومة السوفييتية . وانتخب المؤتمر اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا . وانتخب سفيردلوف رئيسا لهذه اللجنة .

ولدى تشكيل الحكومة السوفييتية تم ضمنها تشكيل لجنــة الشؤون العسكرية والبحريــة التى ضمت بمثــابة مفوضى الشعب البلاشفة ذوى الخبرة العسكرية : المناضل النشيط فى المعارك الثورية ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ انطونوف ـ اوفسيينكو العضو فى الحزب الشيوعى منذ عام ١٩٠٤ والملازم الثانى كريلينكو العضو فى الحزب منذ عام ١٩١٢ والبحار ديبينكو رئيس اللجنة المركزية لاسطول البلطيق . وكانت لجنة الشؤون العسكرية والبحرية اول هيئة حكومية سوفييتية للادارة العسكرية . وبعد فترة قصيرة عين فيها اعضاء اضافيون وتحولت الى مفوضية الشعب للشؤون العسكرية والبحرية .

ومنذ الساعات الاولى لقيام الحكومة السوفييتية طرح التاريخ امامها مهاما عسكرية ذات مسؤولية كبرى ، وهى تطوير وترسيخ انتصــار ثورة اكتوبر الاشتراكيــة والخروج بالبلاد من الحرب الامبريالية وتصفيــة الجيش القديم باعتبــاره اهم معقل للنظام البرجوازى الاقطاعى البائد وتشكيل جيش جديد هو جيش العمال والفلاحين .

وكان الحزب يدرك تماما ان اعداء الثورة لن يقر لهم قرار ، وانهم سيحاولون انتزاع السلطة من ايدى الشعب لكى يضعوا النير على رقبته من جديد .

فقد نظم اول هجوم مسلح على سلطة السوفييتات الرئيس السابق للحكومة المؤقتة كيرينسكى الذى قاد مع الجنرال كراسنوف وحدات القوزاق المعادية للثورة من منطقــة مدينة اوستروف نحو بتروغراد . وفى ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) احتل القوزاق غاتشينا كما احتلوا فى اليوم التالى تسارسكويه سيلو . وفى الوقت ذاته حاول الطلاب العسكريون القيام بتمرد فى بتروغراد ذاتها . وهبت بتروغراد الحمراء عن آخرها ضد المتآمرين والمتمردين الرجعيين .

واسترشادا بتوجيهات لينين وجهت اللجنة الثورية العسكرية فصائل الحرس الاحمر ووحدات حامية بتروغراد والمدفعية والمدرعات وسفن اسطول البلطيق الحربية لمواجهة هجوم قوزاق كراسنوف . وفى المعركة الطاحنة التى جرت فى المواقع الدفاعية المعدة بمنطقة بولكوفو اوقف افراد الحرس الاحمر والجنود الثوريون زحف القوزاق ، ومن ثم انتقلوا الى الهجوم الحاسم .

وكان البلاشفة يعرفون بان النصر يمكن احرازه ليس فقط بالسلاح ، بل وبالكلمة الحماسية الصادقة التى تفتح عيون جنود العدو المخدوعين . وعندما اقترح قسم من القوزاق البدء بالمفاوضات توجه ديبينكو ليلة ١ (١٤) تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ برفقة بحار واحد فقط الى غاتشينا حيث استقرت قوات القوزاق الرئيسية ونظم هناك اجتماعا جماهيريا وحدث القوزاق الذين كانوا يتلقفون كل كلمة ينطق بها عن الاهداف الحقيقية للسلطة السوفييتية . وكتب الجنرال كراسنوف عن احداث هذه الليلة يقول ان ديبينكو «سحر فى بضع ساعات ليس القوزاق وحدهم ، بل وكثيرا من الضباط» . ولم ينته هذا الاجتماع غير المعتاد الا عند الصباح حيث اتخذ قرار يطالب بوقف الحرب ضد السوفييتات فورا واعتقال زعيمى التمرد كيرينسكى وكراسنوف وتسليمهما الى الحكومة السوفييتية .

وكان انتصار القوات الثورية انتصارا حاسما تاما . وفى ٢ (١٥) تشرين الثانى (نوفمبر) وضعت اللجنة الثورية العسكرية بلاغا عن العمليات هو اول بلاغ ظافر للجمهورية السوفييتية : «تم دحر قوات كيرينسكى . واعتقل كافة اركان كيرينسكى برئاسة الجنرال كراسنوف وفويتينسكى . وهرب كيرينسكى بعد ان ارتدى بزة بحار . ويبحث القوزاق الذين انتقلوا الى جانب القوات الثورية عن كيرينسكى لكى يسلموه الى اللجنة الثورية العسكرية .

ويمكن اعتبار مغامرة كيرينسكى منتهية . فالثورة تنتصر . ويعود فضل اعتقال اركان كيرينسكى الى البحار ديبينكو » .

وفى تلك الايام التى جرت خلالها معارك طاحنة ضد القوزاق قرب بولكوفو وتسارسكويه سيلو حاولت قوى الثورة المضادة احباط قيام السلطة السوفييتية فى موسكو . واعتبارا من ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) نشبت فى شوارع موسكو مناوشات طاحنة سرعان ما تحولت الى معركة حقيقيـــة . وحاربت فصائل الحرس الاحمر بالاشتراك مع الجنـــود الثوريين ضد قوات الثورة المضـــادة التى استولت على الكريملين وغيره من المواقع الهامة فى المدينة . واسرع لنجدة سكان موسكو المحتاجين اشد الحاجة الى السلاح عمال تولا وفلاديمير وغيرهما من المدن . وترأس فرونزه الفصيلة المؤلفة من عمال مدينتى ايفانوفو وشويـــا . ووصلت من بتروغراد فصـــائل البحارة . واضطر الثوار وافراد الحرس الاحمر عند الهجوم على نقاط ارتكاز العدو الى خوض معارك الشوارع الطاحنة . وتكللت بالنصر الجهود البطولية التى بذلها المحاربون الثوريون .

وفى ٣ تشرين الثانى (نوفمبر) اشعرت اللجنـــة الثوريـــة العسكرية سكان موسكو وسكان البلاد بأسرها بان «اعداء الشعب الذين رفعوا السلاح ضد الثورة تحطموا عن بكرة ابيهم بعد معركة دامية استمرت خمسة ايام . فقد استسلموا وجردوا من السلاح . وتم احراز النصر بدماء المحاربين البواسل ــ الجنود والعمال . ومن الآن فصاعدا تقوم فى موسكو السلطة الشعبية ، سلطة السوفييتات . ان النصر فى موسكو يعزز الانتصار التاريخى العالمى لبروليتاريـا وحامية بتروغراد» .

واستدعى الامر خوض النضال المسلح من اجل اقامة السلطة السوفييتية فى كييف وخاركوف وطشقند وغيرها من المدن . الا ان انتقال السلطة الى السوفييتـــات جرى فى كثير من مناطق البـــلاد بالطريق السلمية ، وذلك لان تفوق القوى الثورية كان واضحا تاما .

جانب السلطة السوفييتية ، بانتصار لا مرد له ، الرحاب الشاسعة للامبراطورية الروسية السابقة . الا ان العالم القديم لم يعتبر هزيمته نهائية ابدا ، فاسرع لمحاربة سلطة الشغيلة بقوة السلاح لكى يحول دون ان تتعزز . وشكل الجنرالات كورنيلوف ودينيكين والكسييف «جيش المتطوعين» من افراد الحرس الابيض . وجمع الاتمان كاليدين من الدون حوالى ٢٠ الف من القوزاق البيض واستولى على روستوف وتاغانروغ واعد حملة على الدونباس . وشكل مجلس «الرادا المركزى» البرجوازى القومى فى اوكرانيا وحداته الحربية من «الغايداماك» ، وانتهج سياسة معادية للسوفييت على المكشوف . وفى جنوب الاورال ترأس الاتمان دوتوف تمرد الكولاك والقوزاق فاحتل مدينة اورينبورغ وقطع الطريق من روسيا السوفييتية الى تركستان .

وكان من الضرورى ان يتم بحزم وبسرعة اطفاء لهيب تمردات الحرس الابيض . ولغرض تنفيذ هذه المهمة امتزجت فصائل الحرس الاحمر فى بتروغراد وموسكو وخاركوف والدونباس وفورونيج وتساريتسين وسامارا وغيرها من المدن مؤلفة تشكيلات مؤقتة سميت بالطوابير التى يتراوح عدد افرادها بين الفين وعشرة آلاف محارب وتوجهت بعجل لقمع التمردات . وكانت لهذه الطوابير قطارات مصفحة وعدة بطاريات مدفعية ، وكان افراد الحرس الاحمر مسلحين بالبنادق والرشاشات . وشنوا الهجوم بمحاذاة سكك الحديد . ولم تكن القطارات العسكرية وسيلة للتنقل فقط ، بل وكانت قاعدة متنقلة لهم . وسمى هذا الاسلوب الفريد لخوض العمليات الحربية «بالحرب من على القطارات» .

وكان اول من احرز نجاحات كبرى فى القتال افراد الحرس الاحمر الذين حاربوا قوزاق بقيادة الاتمان دوتوف . وتحدث

المفوض فوق العادة للحكومة السوفييتية كوبوزيف الذى نظم الهجوم على اورينبورغ عن كيفية احراز هذه الانتصارات فقال باختصار :

« كان عددنا يناهز ٢٠٠٠ شخص . ووصل الينا حوالى ٥٠٠ بحار ومعهم مدافع الهاون . وصنعنا بقوانا الخاصة قطارا مصفحا حيث غلفنا العربات بصفائح الحديد وحشينا ما بينها بالتراب والقطن . ونصبنا على القاطرة مدافع الهاون التى جلبها البحارة . وهكذا كانت لدينا قبضة ضاربة ... واستطعنا تحقيق الهجوم مع بذل جهود بطولية ، فقد حاربنا من اجل كل محطة ، ولولا المساعدة التى حصلنا عليها من عمال السكك الحديدية لكان من المشكوك فيه احراز النصر السريع » .

وفى ١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ هرب الاتمان دوتوف وهيئة اركانه من اورينبورغ . وعلى اثره اختفت فى جهة غير معلومة « لجنة انقاذ الثورة » وهى اللجنة المحلية للاشتراكيين الثوريين والمناشفة . وفى اليوم التالى دخل افراد الحرس الاحمر اورينبورغ .

وكان لدى الثورة المضادة فى اوكرانيا والدون كمية كبيرة من القوات . واحتاجت تصفية هذه البؤر الى جهود لفترة اطول . وفى كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ شنت فصائل الحرس الاحمر هنا ايضا هجوما ناجحا . ورافقت هذا الهجوم انتفاضات العمال الذين هبوا للنضال النشيط ضد النظام المعادى للشعب ، حكم « الرادا المركزى » وضد قوزاق كاليدين البيض و« جيش المتطوعين » . وكان انطونوف-اوفسيينكو قد عين قائدا عاما للقوات التى حاربت قوى الثورة المضادة فى الجنوب . وحتى اواسط شباط (فبراير) ١٩١٨ قامت السلطة السوفييتية من جديد فى اوكرانيا كلها تقريبا . وفى شباط (فبراير) بدأ الهجوم على منطقة الدون . ولم يستطع القوزاق ذوو الخبرة الواسعة فى الشؤون الحربية بقيادة الضباط والجنرالات المحنكين ان يصمدوا امام هجوم افراد الحرس الاحمر والعمال

المدافعين عن مكتسبات ثورة اكتوبر ، فتم دحرهم . وانتحر كاليدين بعد ان اقتنع بانهيار مغامرته كليا . وفى ٢٣ شباط (فبراير) ١٩١٨ بلغت القوات السوفييتية اطراف روستوف ، وفى اليوم التالى حررت المدينة نهائيا . وبعد يوم واحد تم احتلال نوفوتشيركاسك ، فتمت تصفية واحدة من البؤر العسكرية الكبيرة للثورة المضادة فى الجنوب . وهربت فلول القوات القوزاقية البيضاء المندحرة الى سهوب سالسك ، بينما انسحب «جيش المتطوعين» الى منطقة كوبان .

وبهذه الانتصارات المجيدة تجلت مآثر الحرس الاحمر فى محاربة قوات الثورة المضادة ، تلك القوات المحنكة والجيدة التسليح والتنظيم .

واصبح الحرس الاحمر مدرسة لاعداد كوادر جيش الشغيلة المقبل ، وشكلت آلاف افراد الحرس الاحمر النواة الاساسية للجيش الاحمر . وبربطة الحرس الاحمر بدأ طريق الكفاح مارشالات الاتحاد السوفييتى بليوخير وفوروشيلوف وزاخاروف وميريتسكوف وروكوسوفسكى وكذلك القادة البارزون الذين اشتهروا فى الحرب الاهلية بامجاد البطولة التى ليس لها مثيل ــ فوستريتسوف وبريماكوف وتيولينيف واوبوريفيتش وفابريتسيوس وفيدكو وياكير وكثيرون غيرهم .

الجيش العمالى الفلاحى

كان الحرس الاحمر كقوة كفاحية للثورة الاشتراكية قد قام بدوره خير قيام . فبمساعدته تمت الاطاحة بسلطة الطبقات الاستغلالية واخماد اولى الهجمات المتفرقة للثورة المضادة فى الداخل . ولكنه سرعان ما اتضحت بعد ثورة اكتوبر ضرورة تشكيل جيش جماهيرى قوى وقادر على الدفاع عن جمهورية السوفييتات

الفتية دون تزايد خطر هجوم الغزاة الامبرياليين والثورة المضادة في الداخل . وما كان بامكان الحكومة السوفييتية ان تستخدم لهذا الغرض الجيش القديم الهائل الذى كان الاداة القويـــة لسلطـــة الاقطاعيين والرأسماليين . وفضلا عن ذلك فان القوانين الموضوعية للنضال الثورى كانت تتطلب تصفية الجيش القديم بأسرع ما يمكن .

الا ان الظروف الملموسة للثورة الروسية لم تسمح بتصفية الجيش القديم فورا . فحتى ربيع ١٩١٨ كانت البلاد قانونيا وعمليا احدى الدول المساهمة في الحرب العالمية . فان حوالى ١٦٠ فرقة روسية كانت في الجبهة لدى انتصار ثورة اكتوبر . وكانت الحكومة السوفييتية المناضلة بثبات من اجل السلام ذات مصلحة حيوية للغاية في استقرار هذه الجبهة ، لانها تحمى الاراضى السوفييتية من الضوارى الامبريالية . ومع ذلك لم يكن من الجائز ابقاء الجيش تحت سيطرة الجنرالات والضباط الرجعيين . فقد كان من الضرورى تحقيق الثورة في الجبهة ايضا وذلك باشاعة الديمقراطية على الوجه الحاسم في الجيش .

ولذلك دعا المؤتمر الثانى للسوفييتات الجنود والبحارة في كافة الوحدات والتشكيلات والجحافل والسفن والاساطيل لكى ينتخبوا اللجان الثورية ويقيموا انضباطا صارما . والغت الحكومة السوفييتية كافة الرتب والالقاب القديمة وحرمت الجنرالات والضباط مـــن حقوقهم القيادية السابقة وادخلت نظام انتخاب القادة واعتبرت اللجان التى انتخبها الجنود والبحارة هيئات للسلطة كاملة الحقوق في الجيش والاسطول .

واحبطت بكل حزم محاولات جنرالات وضباط الثورة المضادة في عدم الانصياع لاوامر الحكومة السوفييتية . وتم اعتقال هؤلاء الاشخاص من جهاز وزارة الحربية ، وعندما اتضح ان مقر القيادة اصبح مركزا لالتفاف قوى الثورة المضادة حطم الجنود والبحارة الثوريون هذا المقر . وتم تعيين البلشفى كريلينكو قائدا عاما اعلى .

وكان الوضع معقدا ومتناقضا للغاية . فمن ناحيــة كان على البروليتاريا ان تحل الجيش القديم . ومن ناحية اخرى كان هــذا الجيش يحمى جبهة هائلة امتدت على آلاف الكيلومترات ويحمى المراكز الصناعيـــة فى روسيا من قوات الامبراطورية الالمانيـــة وحلفائها . وكانت تصفية الجيش فى هذه الظروف تعنى فى الواقـــع تسليم قسم هائل من الاراضى الروسية الى الامبريالية الالمانية . الا ان الجنود المرهقين من الحرب التى امتدت لفترة طويلة صـــاروا يغادرون الخنادق بجماعات كبيرة ويتوجهون الى ديارهم والى العمل السلمى . واعلنت ثورة اكتوبر فى واحد من مراسيمها الاولى ان الارض هى ملك للفلاحين من الآن فصاعدا . ومن المعروف ان اغلبية الجيش تتكون من الفلاحين . واسرع هؤلاء الفلاحون عائدين مـــن الجبهة وخنادقها الى قراهم خشيـــة ان لا يفوتهم اقتسام اراضى الاقطاعيين . ولم يكن بالامكان وقف عملية التسريح العفوى هذا ، وكان من الاجرام التباطؤ بتشكيل الجيش الجديد ، جيش الشغيلة . وليس من قبيل الصدفة ان اعلن لينين فى ١١ كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ الى مؤتمر السوفييتات الثالث لعموم روسيا ان الجيش القديم قد تهشم ولم يبق منه حجر على حجر .

مراسيم لينين

ان فكرة الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى صيغت وطورت فى مؤلفات فلاديمير ايليتش لينين الخالدة . فقد حرر لينين بقلمه «اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» ، ذلك الاعلان الذى اقر يوم ٣ (١٦) كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ فى جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيـــا واعلنت فيـــه الجمهوريـــة السوفييتية لاول مرة رسميا المبادئ والاهداف الاساسية للجيش الجديد . وجاء فى الاعلان : «لاجل تأمين كامل السلطـــة للجماهير

الكادحة وازالة كل امكانية لعودة سلطة المستثمرين ، يُرسم تسليح الشغيلة ، وتأليف جيش احمر اشتراكى من العمال والفــلاحين ، ونزع سلاح الطبقات المالكة نزعا تاما » .

وكان البحث عن وسائل بناء الجيش الجديد قد بدأ فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ عندما اصبح واضحا ان الجيش القديم عاجز عن حماية البلاد . وعالج هذه المسألة بالتشاور المستمر مع لينين العاملون فى المنظمة العسكرية لدى اللجنة المركزية للحزب وفى مجلس مفوضى الشعب للشؤون العسكرية والبحرية ومقــــر القيادة وهيئة الاركان العامة للحرس الاحمر . وايد المؤتمر العام للجيش الذى افتتح فى اواخر كانون الاول (ديسمبر) بخصوص حل الجيش القديم اقتراح البلاشفــــة وابدى رأيه فى ضرورة تشكيل الجيش الجديد الاشتراكى ، ولغرض المساهمة النشيطة فى هــــذا العمل انتخب المؤتمر هيئة للدعاية مكونة من ٤٦ شخصا .

وبالجهود المشتركة لهذه المنظمات وكذلك المندوبين العسكريين من الجبهة فى مؤتمر السوفييتات الثالث لعموم روسيا امكن اعداد مشروع مرسوم بشأن تأسيس الجيش الجديد . ومن المهم ان نذكر بان لينين بالذات هو الذى قدم لاول مرة تسميـــــة هذا الجيش الدقيقة التى حددت رسالته وتركيبه الطبقى . ففى ٧ كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ دعا لينين الى تأسيس قاعدة اقتصادية متينـــة «للجيش العمالى الفلاحى الاحمر الجبار» . واستخدمت هذه التسمية رسميا فى النصف الاول من كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ عندما وضعت هيئة الدعاية «لائحة الى المنظمين الدعائيين بشأن تنظيم الجيش العمالى الفلاحى الاحمر» .

وفى مساء ١٥ (٢٨) كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ عقدت الجلســـة السابعـــة والاربعون لمجلس مفوضى الشعب . ومن بين المسائل الهامة التى تضمنها جدول الاعمال مسألة «مرسوم حول الجيش الاحمر» تلك المسألة التى حظيت باهتمام كبير خاص .

واليكم الاحكام الرئيسية لهذه الوثيقة التاريخية :

«... قرر مجلس مفوضى الشعب : تنظيم جيش جديد باسم «الجيش العمالى الفلاحى الاحمر» على الاسس التالية :

١ . يتشكل الجيش العمالى الفلاحى الاحمر من اكثر عناصر طبقات الشغيلة وعيا وتنظيما .

٢ . يفتتح باب الالتحاق بصفوفه امام كافة مواطنى الجمهورية الروسية . وينخرط فى الجيش الاحمر كل من له استعداد لتقديم طاقاته وحياته للدفاع عن مكتسبات ثورة اكتوبر وسلطة السوفييتات والاشتراكية» .

ثم اشار المرسوم الى ان الانخراط فى صفوف الجيش الاحمر يتطلب تزكية من المنظمات الحزبية او النقابية او الاجتماعية .

وحدد القسم الثانى من المرسوم ، وهو يتكون من بندين ، نظام الضمان المادى لافراد الجيش الاحمر وافراد عوائلهم العاجزين عن العمل . وجاء فى القسم الثالث «ان الهيئة القيادية العليا للجيش العمالى الفلاحى الاحمر هى مجلس مفوضى الشعب» . وكلفت بالادارة المباشرة للجيش مفوضية الشعب للشؤون العسكرية والبحرية . وقرر مجلس مفوضى الشعب تشكيل هيئة لعموم روسيا خاصة بتنظيم الجيش الاحمر وخصص لبناء الجيش ٢٠ مليون روبل .

وكانت مسائل تشكيل وتعزيز الجيش الاحمر تحظى على الدوام بجل اهتمام الحكومة السوفييتية ، وكانت تحل دون ابطاء . وفى ٢١ كانون الثانى (يناير) /٣ شباط (فبراير)/ ١٩١٨ عين مجلس مفوضى الشعب للعمل القيادى فى هيئة عموم روسيا الخاصة بتنظيم الجيش ثلاثة اشخاص من مفوضية الشعب للشؤون العسكرية (وهم ميخونوشين وبودفويسكى وكريلينكو) واثنين من الاركان العامة للحرس الاحمر (وهما تريفونوف ويورينيف) . وكان هؤلاء القادة الخمسة شخصيات عسكرية نشيطة فى الحزب . وفى اليوم التالى باشرت الهيئة بالعمل . وفى ٢٩ كانون الثانى (يناير)/١١ شباط

(فبراير)/١٩١٨ اقر مجلس مفوضى الشعب المرسوم الذى وقعه لينين حول تأسيس الاسطول العمالى الفلاحى الاحمر .

عندما شرعت الجمهورية السوفييتية ببناء قواتها المسلحة لم يكن يوجد لديها قانون بشأن الخدمة العسكرية الالزامية ولا هيئات جرد وتجنيد المكلفين بالخدمة العسكرية . فالاسلوب الوحيد الممكن للتجنيد فى تلك الظروف هو التطوع . وقامت الاقسام العسكرية للسوفييتات واركانات الحرس الاحمر بتسجيل المنخرطين فى صفوف الجيش الاحمر وتشكيل فصائله وافواجه الاولى . وقامت لجان الجنود والبحارة البلشفية بانتقاء المتطوعين وتنظيم القطعات والوحدات منهم فى الجيش القديم الذى تحلل بسرعة .

ان الجيش الاحمر منذ ميلاده بنى وترعرع وتعلم وقاتل تحت قيادة حزب البلاشفة . وكان اول من وقف تحت راية الجيش الذى هو الاول من نوعه فى التاريخ اعضاء الحزب والعمال من افراد الحرس الاحمر والاجراء الزراعيون المعدمون والفلاحون الفقراء والجنود والبحارة الثوريون . وكان التسجيل فى الجيش يجرى على انفراد وبشكل جماعات ، بل واحيانا بشكل فصائل كاملة وحتى افواج كاملة . ففى ٣١ كانون الثانى (يناير)/١٣ شباط (فبراير)/ عام ١٩١٨ مثلا قرر جنود فوج حرس القناصة الانضمام الى الجيش الاحمر بكامل فوجهم .

٢٣ شباط (فبراير) ١٩١٨

كانت حالة بلاد السوفييت فى الفترة التى بدأ بها بناء الجيش الاحمر معقدة وعسيرة للغاية . فحليفات روسيا سابقا ـ انكلترا وفرنسا والبلدان الاخرى ، اى ما سمى بدول الوفاق ، لم ترغب فى الاعتراف بالحكومة السوفييتية وواجهت على أسنّة الحراب طموح الحكومة السوفييتية للسلام وحاكت شبكات المؤامرات ضد بلاد

السوفييت . اما المانيا التى خاضت دول الوفاق مع روسيا الحرب ضدها فقد ردت على الاقتراحات السلميــــة من قبل الجمهوريــــة السوفييتية بتقديم شروط جائرة للصلح .

وبعد ان قيم لينين الوضع الدولى والداخلى خرج بالاستنتـــاج الصائب الوحيد القائل بضرورة عقد الصلح حتى طبقـــا للشروط المجحفة جدا التى طرحها العسكريون الالمان ، وذلك لكى يمكن كسب الوقت لترسيخ سلطة السوفييتات وتشكيل الجيش الاحمر .

ولكنه كان هناك اناس فى بلادنا لم يرغبوا او لم يستطيعوا ان يفهموا مرونة السياسة اللينينية وبعد نظرها . فقد اخذت الفئات البرجوازية وحماتهـــا المناشفـــة والاشتراكيـــون الثوريـــون يزعقون بشأن خيانة المصالح الوطنية . وحتى داخل حزب البلاشفة عارضت عقد الصلح جماعة من يسمون « بالشيوعيين اليساريين » .

وخلافا لتوجيهات لينين المباشرة رفض رئيس الوفد المفاوض السوفييتى تروتسكى توقيع شروط الصلح التى طرحها الوفد الالمانى بشكل انذار ، كما قطع تروتسكى المفاوضات . وانتهز العسكريون الالمان هذه الفرصة فخرقوا الهدنة وبدأوا فى ١٨ شباط (فبراير) ١٩١٨ الهجوم على طول الجبهة الممتدة من بحر البلطيق الى البحر الاسود . ولم تستطع بقايا الجيش القديم ان تقاوم العدو الذى كان متفوقا عليه كثيرا . واسرعت جحافل المحتلين الالمان نحو الشرق آملة بتحطيم الجمهورية السوفييتية .

ودعا الحزب الشغيلة الى النضال النشيط ضد العدو . وفى الوقت ذاته اشعرت الحكومة السوفييتية المانيا من جديد باستعدادهـــا لتوقيع الصلح فورا . الا ان الغزاة الالمان لم يسرعوا بتقديم الجواب وتابعوا هجومهم . وفى ٢١ شباط (فبراير) اقر مجلس مفـوضى الشعب مرسوما ــ نداءا بعنوان «الوطن الاشتراكى فى خطر !» . وكرست كافة قوى وامكانيات البلاد لتنظيم ردع العدو .

واستنهض نداء الحكومة السوفييتية البلاد بأسرهـا . فاعلن

مجلس سوفييت بتروغراد ان يوم ٢٣ شباط (فبراير) هو « يوم الدفاع عن الوطن الاشتراكى » . وفى هذا اليوم انخرطت آلاف مؤلفة من عمال بتروغراد فى صفوف الجيش الاحمر . وتكونت فى كل مكان ، وخصوصا فى المنطقة المتاخمة للجبهة ، فصائل وافواج توجهت فورا الى الجبهة . وسرعان ما تحسس العدو شدة غضبة الشعب . وفى اواخر شباط (فبراير) واجهت القوات الالمانية مقاومة متزايدة عند اعتاب مدن ريفيل وغدوف وبسكوف وبولوتسك وفيتيبسك وموغيليف وغوميل وجيتومير وكييف وفى الاقسام الاخرى من الجبهة .

كانت هذه الاحداث التاريخية الهامة بالذات هى تباشير ميلاد الجيش الاحمر باعتباره قوة كفاحية فعلية هبت لمحاربة الغزاة الامبرياليين . ولذلك جرى الاحتفال بالذكرى الاولى السنوية لتأسيس الجيش الاحمر عام ١٩١٩ فى يوم ٢٣ شباط (فبراير) بالذات . ومنذ ذلك الحين تحول يوم ٢٣ شباط (فبراير) الى عيد تقليدى ليس فقط لافراد القوات المسلحة السوفييتية ، بل وللشعب السوفييتى بأسره .

وساعد ما ابداه شغيلة البلاد من تصميم على الدفاع عن مكتسبات ثورة اكتوبر مهما كلف الامر ، على وقف العمليات الحربية بأسرع وقت . وفى يوم ٣ آذار (مارس) ١٩١٨ تم فى بريست توقيع معاهدة الصلح .

الخطوات الاولى

وبعد ان تخلصت بلاد السوفييت من براثن الحرب العالمية الاولى استخدمت فترة الراحة السلمية لبناء اسس الاقتصاد الاشتراكى ومتابعة ترسيخ جهاز الدولة ومنه القوات المسلحة . وكان من غير الجائز التباطؤ فى ذلك ، لان الامبرياليين قاموا بمحاولات عدوانية جديدة لغرض بعث النظام البرجوازى فى روسيا .

ولذلك ظلت مسألة بناء الجيش الاحمر فى ظروف فترة الراحة ربيع عام ١٩١٨ واحدة من المهام الرئيسيـــة للحزب البلشفى والشعب الثورى . لقد كان الهدف واضحا ، ولكن احدا ما لم يكن يعرف اسلوب تحقيق النجاح وبلوغ هذا الهدف . وكما كان الحال فى مجالات البناء الاشتراكى الاخرى سارت الجمهورية السوفييتية الفتية فى طرق غير مطروقة لبناء جيش من طراز جديد .

وقال لينين «ان مسألة بناء الجيش الاحمر كانت مسألة جديدة كليا ولم تكن قد طرحت ابدا حتى بصورة نظرية ... وكان علينا ان نسير على الدوام متحسسين الطريق» . ولكى يمكن بناء جيش قوى كان يجب ان تحل فى فترة قصيرة مسائل نظرية وعملية معقدة مثل تعيين وسيلة التجنيد وتكوين ملاك القيادة ووضع التركيب التنظيمى ووضع طرق التدريب القتالى والتربيـــة للمحـــاربين وتنظيم ادارة القوات والتأمين المادى والخ .

وسرعان ما بينت تجربة تجنيد القوات عن طريق التطوع انه لا يمكن عن هذا الطريق تكوين جيش كبير . فحتى اواخر نيســـان (ابريل) ١٩١٨ كان الجيش الاحمر يضم ١٩٦ الف متطوع . وكان واضحا ان هذه الكمية من القوات غير كافية لنجاح مكافحة المتدخلين وافراد الحرس الابيض .

ولقهر مقاومة الثورة المضادة الداخليـة نهائيـا وصد زحف المتدخلين الاجانب كان من الضرورى وجود جيش لجب وكميـــات كبيرة من الاحتياطيات الستراتيجيـــة . ولذلك نفذت الحكومـــة السوفييتية فى ربيع ١٩١٨ جملة من الاجراءات الهامة بغية اجتذاب اوسع فئات الشغيلة للمساهمة مباشرة فى الدفاع عن الوطن الاشتراكى. ففى اوائل نيسان (ابريل) اقر مجلس مفوضى الشعب مرسومـا بتأسيس المفوضيات العسكرية فى الاقضية والنواحى والمحافظـات والاقاليم ، وهى عبارة عن هيئـــات تمارس جرد واعداد وتعبئـــة المكلفين بالخدمة العسكرية .

وفى ٢٢ نيسان (ابريل) قررت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا تطبيق التدريب العسكرى الالزامى الشامل فى الجمهورية السوفييتية . وكان يجب ان يمارس هذا التدريب بدون الانقطاع عن العمل كافة الذكور الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٤٠ عاما . اما النساء فكان باستطاعتهن ممارسة التدريب العسكرى بمحض ارادتهن .

ولدى اقامة نظام التدريب العسكرى الالزامى الشامل طبق تطبيقا دقيقا المبدأ الطبقى للبناء العسكرى السوفييتى . فقد جاء فى قرار اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا «... ان التدريب العسكرى وتسليح الشعب فى الفترة الانتقالية القريبة القادمة سيشملان فقط العمال واولائك الفلاحين الذين لا يستغلون عمل الغير» . وكان التدريب الالزامى الشامل مصدرا هاما للاحتياطيات بالنسبة للجيش الاحمر . ومع استخدام التدريب العسكرى الالزامى الشامل اقر نص «الوعد المهيب» (اليمين) بالنسبة لكافة المنخرطين فى الجيش الاحمر .

وفى اواخر ايار (مايو) اتخذت اللجنة التنفيذية المركزية اول قرار بشأن التجنيد الالزامى للجيش الاحمر فى بعض المراكز الصناعية وفى المناطق التى بدأت تشتعل فيها المعارك مع الثورة المضادة . واشار القرار الى ان «الانتقال من جيش المتطوعين الى التعبئة العامة للعمال والفلاحين الفقراء يستدعيه بكل الحاح وضع البلاد عموما وذلك للنضال من اجل توفير الخبز كما لردع الثورة المضادة الوقحة الداخلية والخارجية على حد سواء» .

وفى صيف ١٩١٨ عندما اشتعل لهيب الحرب الاهلية فى كثير من مناطق الجمهورية السوفييتية تم تطبيق الانتقال التام الى نظام الخدمة العسكرية الالزامية الشاملة . الا ان هذا الانتقال لم يكن يعنى التخلى نهائيا عن قبول المتطوعين فى الجيش الاحمر . وكان يستطيع ان يكون محاربا فى الجيش الاحمر كل من يرغب فى القتال بتفان

ونزاهة من اجل حرية واستقلال بلاد السوفييت ومن اجل سعادة جماهير الشغيلة وفى سبيل الاشتراكية .

وجرى بناء الجيش الاحمر على مبادئ التكافؤ والصداقة بين الشعوب ، باعتباره جيش التحرير المناضل ضد اى شكل من اشكال العبودية والاضطهاد والاستغلال . ورأى كافة شغيلة بلادنا المتعددة القوميات فى هذا الجيش حاميا لمصالحهم الطبقيـــة . وانخرط فى صفوف الجيش الاحمر بمثـــابة متطوعين ليس فقط المواطنـــون السوفييت ، بل وآلاف من المجر والتشيكيين والسلوفاكيين والصربيين والصينيين وابناء كثير من الشعوب الاخرى وقاتلوا القوى السوداء للرجعية العالمية والامبريالية على رحاب روسيا جنبا الى جنب مع ابناء الوطن السوفييتى ، وقد وحدتهم المشاعر الساميـة للامميـــة البروليتارية .

ان اســـاس اى جيش وهيكله ونواتـــه تتكون من الملاكات القيادية . فهى التى تجسد التشكيلة الدقيقة للتنظيم والانضبـــاط العسكرى ، وهى حاملة المعارف العسكرية والخبرة والتقاليد الكفاحية . ولذلك كان بناء اول جيش فى العالم من طراز جديـد يتطلب تأمين الملاكات القيادية الجديدة لهذا الجيش فورا .

ولم يكن قادة الفصائل والوحدات الاولى للجيش الاحمر يعينون تعيينـــا ، بل كان افراد الجيش الاحمر ينتخبـون بأنفسهم هؤلاء القادة . وكان افراد الجيش يرشحون للمناصب القيـــادية فى فترة التطوع بالدرجة الاولى البلاشفة الذين تمرسوا فى الحرب العالمية الاولى ومناضلى الحزب العسكريين وكذلك الجنود والبحارة وضباط الصف والضباط الذين انتقلوا الى جانب الثورة . الا ان بناء الجيش الاحمر الكبير كان يتطلب عددا كبيرا جدا من القادة العسكريين الصغار والمتوسطين والكبار الذين يتحلون بمستوى المعـــارف العسكرية اللازم . وكان اعداد قادة الجيش الاحمر يشكل جزءا هاما من العمل

النشيط العام للحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية فى مجال بناء الجيش العمالى الفلاحى الاحمر .

وافتتحت فى بتروغراد وموسكو وقازان وتفير وريازان وغيرها من المدن على جناح السرعة دورات القادة حيث كان يجرى فى غضون ٤ ـ ٦ اشهر من الدراسة الدائبة اعداد قادة الفصـائل والسرايـا والبطاريات من بين افضل المحاربين والعمال . وبدأت عدة دورات من هذا النوع عملهـا فى شبـاط (فبراير) ١٩١٨ ، وحتى اوائل ١٩١٩ بلغ عددها اكثر من خمسين ودرس فيها اكثر من ١٣ الفا من الذين اصبحوا فيما بعد قادة للجيش الاحمر .

وطبقا لتوجيـه لينين افتتحت عام ١٩١٨ اول اكاديميـة عسكرية سوفييتية ، وهى الاكاديميـة العسكريـة التى تحمل اسم فرونزه حاليا .

والى جانب الاهتمام باعداد الملاكات القيادية قررت الجمهورية السوفييتية ان تستخدم على نطاق واسع معارف وخبرة الاخصائيين العسكريين والضباط والجنرالات من الجيش القديم المنحل .

فقد طبقت قرارات مؤتمر السوفييتات الخامس لعموم روسيا بشأن «وجوب جرد كافة ضبـاط الجيش السـابق الذين يجب ان يشغلوا المناصب التى تعينها لهم السلطة السوفييتية» .

وخلال الاعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ استدعى للخدمة فى الجيش الاحمر اكثر من ٤٨ الفا من الضبـاط السـابقين . وخدم هؤلاء فى مختلف مناصب القيادة والاركان تحت اشراف المفوضين الشيوعيين . ونفذت اغلبية هؤلاء الضباط واجباتها فى الخدمة بنزاهـة وبحسن نية . وقال لينين فيما بعد «لو اننا لم نستدعيهم للخدمة ولم نجبرهم على خدمتنا لما استطعنا بناء الجيش» .

لعب المفوضون ـ رسل الحزب الشيوعى الابطال ـ دورا هاما للغاية فى بناء وتعزيز الجيش الاحمر وتربية المحاربين وتأمين النصر. فعن طريق المفوضين نفذ الحزب قيـادة وتوجيه حياة قطعـات

وتشكيلات الجيش ونشاطها القتالى . وتم تجنيد ملاكات المفوضين والعاملين السيـــاسيين الحزبيين عن طريق ترشيح اكثر الشيوعيين خبرة وثباتـــا لهذه المنــاصب . وحذا افراد الجيش الاحمر حذو الشيوعيين وقدوتهم الشخصية فهبوا لتحمل كافة المصاعب والحرمان وللقتال فى سبيل حرية الشعب وسعادته ولتحقيق المآثر البطولية .

وتكونت المنظمات الحزبية والاقسام السياسية فى القطعـات والتشكيلات . وفى ربيع عام ١٩١٨ تم تشكيل مكتب المفـــوضين العسكريين لعموم روسيا وذلك لغرض تنظيم مجمل العمل الحزبى والسياسى فى القوات المسلحة .

وحتى لحظة توقيع صلح برســـت كان الجيش الاحمر يتكون من فصائل متنوعة تديرها «مجالس» و«لجان» مختلفة ويديرها القادة المنتخبون من قبل افراد الجيش الاحمر . وبهذا الشكل من التنظيم والادارة لم يكن بالامكان تحقيق قدرة قتالية عالية ولا تأمين الحفاظ على الانضباط العسكرى والنظام الدقيق . ولذلك صدر فى ٤ آذار (مارس) ١٩١٨ قــرار الحكومـــة السوفييتية بتأسيس المجلس العسكرى الاعلى الذى انيطت به مهمة قيادة كافة عمليات ومؤسسات الجيش الاحمر . واصبح الرئيس السابق لمقر القيادة العامة الجنرال م . بونتش - برويبيفيتش قائدا عسكريا للمجلس العسكرى الاعلى .

وفى اليوم التالى لتشكيل المجلس العسكرى الاعلى اصدر هذا المجلس توجيها بحماية الحدود الغربية للجمهورية السوفييتية عن طريق وضع ما يسمى «بالستار» على طول خط الحدود . وهذا «الستار» يتكون من فصائـــل الجيش الاحمر . وفيما بعد قســـم «الستار» الى عدة اقسام واصبحت فصائله اساسا لتشكيل الافواج والفرق . وفى نيسان (ابريـل) ١٩١٨ حددت اللجنة التنفيذيـــة المركزية لعموم روسيا نظاما دقيقا لتعيين كافة القادة فى المناصب .

واستنادا الى توجيهات الحزب والحكومة تشكلت طوال عام

١٩١٨ المفوضيات العسكرية التى باشرت اعمالها بنشاط . ولعب المفوضون العسكريون دورا هاما فى تنظيم عمل التعبئة . وقال لينين «لولا المفوض العسكرى لما كان لدينا الجيش الاحمر» .

وفى اوائل ايار (مايو) ١٩١٨ تأسست الاركان العامة لعموم روسيا بشكل هيئة تترأس وتنظم مباشرة اعمال التجنيد والتدريب فى الجيش الاحمر . وكانت كافة المفوضيات العسكرية المحلية خاضعة للاركان العامة لعموم روسيا .

وفى وقت المباشرة ببناء القوات البرية كانت الحكومة السوفييتية تسعى الى بناء القوات البحرية والقوات الجوية . وفى ربيع ١٩١٨ حاول الامبرياليون الالمان الاستيلاء على سفن اسطول البلطيق التى كانت آنذاك فى غيلسينغفورس . الا ان بحارة البلطيق الابطال استطاعوا فى آذار ـ نيسان (مارس ـ ابريل) ان يقوموا برحلة موفقة لم يعرف لها تاريخ الفن البحرى الحربى مثيلا ، حيث قادوا عبر البحر المغطى بالجليد ٢٣٣ سفينة الى كرونشتادت ، بما فيها ٦ بوارج و٥ طرادات و٥٤ مدمرة و١٢ غواصة . وبناء على امر الحكومة السوفييتية اغرق قسم كبير من سفن اسطول البحر الاسود بسبب خطر الاستيلاء عليها من قبل القوات الالمانية .

وتكونت الفصائل الجوية الاولى التى كان يطلق عليها عادة اسم الفصائل «الاشتراكية» من بقايا سلاح الجو الحربى للجيش الروسى القديم . وجرى تكوين الفصائل الجوية السوفييتية فى البداية تحت اشراف مكتب المفوضين الجويين والهيئة الجوية لعموم روسيا . وفى ايار (مايو) ١٩١٨ تم ، بناء على قرار من الحكومة السوفييتية ، تشكيل الادارة الرئيسية للاسطول الجوى العمالى الفلاحى الاحمر ، وانيطت بهذه الادارة مهام متابعة بناء سلاح الجو الحربى .

وهكذا ، اخذت الجمهورية السوفييتية فى النصف الاول من عام ١٩١٨ تنتقل من نظام فصائل المتطوعين وهيئات الادارة

المنتخبة الجماعية تشكيل الجيش الكبير الدائم بأشكاله التنظيمية الدقيقة وانضباطه الثورى الصلب ونظام ادارته المركزى . وكان على الشعب السوفييتى ان ينفذ هذه المهمة التاريخية المعقدة للغاية اثناء الصراع الطاحن مع القوى الموحدة للامبريالية العالمية والثورة المضادة الداخلية . وكانت فترة الراحة قصيرة للغاية - ففى صيف ١٩١٨ دخلت الجمهورية السوفييتية مرحلة من تاريخها حيث انحصرت كل مسألة الثورة الاشتراكية الروسية فى المسألة الحربية ، على حد تعبير لينين .

ترعرعنا بين السنة اللهيب

كان قد تحدد فورا طابع العلاقات بين الجمهورية السوفييتية التى ولدت فى اكتوبر ١٩١٧ وبين البلدان الرأسمالية . فقد فجر انتصار الثورة الاشتراكية الحقد والغضب فى معسكر الامبريالية . واثار هذا الانتصار القلق خصوصا لدى امبرياليى الولايات المتحدة الاميركية وانجلترا وفرنسا ودول الوفاق الاخرى التى كانت روسيا القديمة بالنسبة لهم ليس فقط حليفا ومصدرا لا ينضب من الاحتياطيات البشرية ، بل وافضل سوق ومادة للاستغلال الضارى .

وكانت الاوساط الحاكمة فى دول الوفاق تعتقد بانه لا يمكن الكلام مع الحكومة الجديدة فى روسيا الا بلغة المدافع . فبعد بضعة ايام من انتصار ثورة اكتوبر تفاضت الصحف الانجليزية بكل الوسائل عن اقتراحات الحكومة السوفييتية السلمية واسرعت للاعلان بان البلاشفة «هم اعداء سافرون لدول الوفاق ...» . وانتهجت مثل هذا الخط برجوازية البلدان الاخرى التى طرحت حالا مطلب استخدام «سياسة الحديد والنار» ازاء روسيا السوفييتية . ولم تستطع دول الوفاق آنذاك ان توجه جيوشها ضد البلاشفة ، لان هذه الجيوش كانت مقيدة فى الجبهات . ولذلك جرى فى البداية

تجريب طرائق التدخل الاخرى : تدبير المؤامرات والتمردات والاستفزازات وتحويض الامبرياليين الالمان وهلمجرا . ولكنه اتضح ان السلطة السوفييتية فى روسيا صامدة وهى تتعزز من يوم لآخر . ولم يكن الامبرياليون يرغبون فى قبول هذا الواقع . ومنذ عام ١٩١٧ شرع المجلس الحربى الاعلى لدول الوفاق بوضع خطط التدخل العسكرى لغرض خنق الجمهورية السوفييتية سريعا وتقسيم اراضيها .

وشرع الامبرياليون يتقاسمون فروة الدب الروسى الذى لم يقتل بعد . وابرق السفير الامیركى فى روسيا الى وزير الخارجية الامیركى من بتروغراد يقول : «... الح بكل جدية على ضرورة وضع فلاديفوستوك تحت سيطرتنا ، وعلى وضع مورمانسك وارخانجلسك تحت سيطرة بريطانيا العظمى وفرنسا ... لقد حان وقت العمل الآن بالنسبة للحلفاء ...» .

وحدد مؤتمر رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وايطاليا الذى عقد فى آذار (مارس) ١٩١٨ جوهر هذه الاعمال . واحيطت الحكومة الامیركية علما فى اليوم التالى بأهم قرارات المؤتمر بشأن «المسألة الروسية» . وجاء فى هذه القرارات خصوصا : «يعتقد المؤتمر ان هناك وسيلة واحدة فقط هى تدخل الحلفاء ... ويعتقد المؤتمر ان من الضرورى الطلب الى اليابان بان تساعد روسيا فى حالتها البائسة الراهنة ... وفى رأى المؤتمر انه لا يمكن اتخاذ اية خطوات بشأن تنفيذ هذا البرنامج بدون دعم نشيط من قبل الولايات المتحدة الاميركية» .

وهكذا اتخذ الامبرياليون حتى ربيع ١٩١٨ قرارا نهائيا بالتدخل العسكرى ضد روسيا السوفييتية . واعدوا مصائب ومحنا جديدة لشغيلة روسيا التى خرجت لتوها من الحرب وحصلت نتيجة لصلح بريست على فرصة قصيرة لالتقاط انفاسها . وان ما كان يدفع رؤساء دول الوفاق وما جعلهم يعجلون بالتدخل هو رغبتهم

فى عدم السماح لروسيا السوفييتية بان تقف على قدمها وان تضمد جراحها التى انزلتها بها المجزرة الامبريالية طوال اربعة اعوام وان ترتب اقتصادها الوطنى وتشكل جيشها . وقد حدد وزير الحربية البريطانى آنذاك ونستون شرشل بكل وقاحة مهمة المتدخلين الرئيسية « بخنق الوليد البلشفى فى مهده » . ولا يسعنا الا الاعتراف ببعد نظر الساسة البرجوازيين ، او الاذكياء منهم على كل حال : فقد كانوا يدركون بانه اذا ترعرع هذا « الوليد » وتصلب عوده فسوف يخطو خطوات واسعة على سطح الارض ، وسوف يصبح قدوة لبلدان وشعوب اخرى تحذو حذوه . ولذلك بالذات اسرعوا للقضاء على الجمهورية السوفييتية .

فى طوق النيران

وبدأ الامبرياليون التدخل العسكرى حيلة وغدرا ، متسترين بالعبارات عن « تقديم المساعدة لروسيا » وعن « حماية ارواح وممتلكات مواطنيهم » . ومنذ كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ كانت تقف متأهبة عند فلاديفوستوك الطرادتان اليابانيتان « افامى » و« اساهى » . وانضمت اليهما فيما بعد الطرادة البريطانية « سوفولك » والطرادة الاميركية « بروكلين » . ولم تتدخل هذه السفن فى الشؤون الروسية الى حين ، مع ان مدافعها كانت موجهة نحو المدينة .

وقد بدأ غزو المتدخلين المباشر على الاراضى السوفييتية من الشمال حيث يقع الميناءان الكبيران مورمانسك وارخانجلسك ، وحيث يسهل نسبيا الوصول من هناك الى المراكز الهامة فى روسيا السوفييتية ومنها بتروغراد وموسكو .

وفى ٩ آذار (مارس) ١٩١٨ نزلت فى مورمانسك اول فصيلة عسكرية من الطرادة البريطانية « غلورى » . وتبعته فصائل

جديدة من المتدخلين الذين وصلوا على السفن الحربية الاميركية والفرنسية .

وانتقل الى العمليات المباشرة ضد روسيا السوفييتية العسكريون اليابانيون الذين شجعهم ودعمهم «الحلفاء» . فبعد تنظيم مقتل اثنين من اليابانيين فى فلاديفوستوك بصورة استفزازية فى ٤ نيسان (ابريل) ١٩١٨ بدأت القيادة اليابانية فى اليوم التالى انزال قواتها هناك . والتحق بها حالا جنود الانزال البريطانيون . وعلى هذه الصورة بدأ هجوم المتدخلين على اراضى الشرق الاقصى السوفييتى .

ولم تكن الفصائل التى نزلت فى مورمانسك وفلاديفوستوك قوية لدرجة تمكنها من شن العمليات الحربية الواسعة ضد الجمهورية السوفييتية فورا . ولكن حكام دول الوفاق كانوا يريدون القضاء على السلطة السوفييتية بأسرع ما يمكن . ولذلك قرروا ان يستخدموا ما يسمى «بالفيلق التشيكوسلوفاكى» بمثابة قوة ضاربة ضد بلاد السوفييت .

واليكم قصة هذا الفيلق . لقد كان كثير من الاراضى السلافية بما فيها بلاد التشيك والسلوفاك قبل عام ١٩١٨ تحت سيطرة النمسا ــ المجر . وخلال الحرب العالمية الاولى لم يكن التشيك والسلوفاك الذين تجندوا فى الجيش النمساوى المجرى راغبين فى القتال من اجل مصالح مضطهديهم ، وكانوا يستسلمون بشكل اسرى للروس كلما سنحت الفرصة . واعرب الكثيرون منهم عن رغبتهم فى المساهمة فى النضال من اجل بعث استقلال وطنهم . وشكلت حكومة روسيا باستحسان ودعم من قبل حلفائها الغربيين الفيلق التشيكوسلوفاكى . وبعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سمحت الحكومة السوفييتية لافراد الفيلق بالهجرة الى فرنسا عن طريق فلاديفوستوك . الا ان زعماء دول الوفاق قرروا استخدام هذا الفيلق لتحقيق هجوم مباغت دنىء على الجمهورية السوفييتية من الداخل .

ولم يبخلوا بالاموال لتنظيم التمرد ضد الجمهورية السوفييتية . فقد استلم قادة الفيلق الرجعيون حوالى ١٥ مليون روبل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، بالاضافة الى ٨ ملايين دولار بعث بها اليهم الرئيس الاميركى فودرو ولسون . وانجرت آلاف من الجنود التشيكوسلوفاكيين المخدوعين الى التمرد ضد الجمهورية السوفييتية الذى بدأ فى اواخر ايار (مايو) ١٩١٨ حيث اتجهت آلقطارات التى تحمل وحدات الفيلق نحو فلاديفوستوك وامتدت على طول سكة حديد سيبيريا من منطقة الفولغا حتى سواحل المحيط الهادى . وخلال بضعة ايام استولى المتمردون على بينزا وسامارا وتشيليابينسك واومسك وكثير من المدن الاخرى . وكانت الضربة التى وجهها هؤلاء آلمتمردون خطيرة خصوصا لانه لم تكن لدى الجمهورية السوفييتية اية قوات مسلحة نظامية فى الشرق . وكانت الجمهورية قد وجهت كل جهودها فى تلك الفترة لتنظيم الدفاع عن حدودها الغربية والشمالية والجنوبية .

واتسعت انتفاضة التشيكيين البيض المدعومين من قبل عناصر الثورة المضادة المحلية اتساعا سريعا فشملت خلال فترة قصيرة مناطق الفولغا الوسطى والاورال وسيبيريا والشرق الاقصى . وتشكلت «حكومات» الردة المحلية فى سامارا واومسك وغيرهما من المدن . وتكونت هذه «الحكومات» بمساهمة المناشفة والاشتراكيين الثوريين . ومن البديهى ان المتدخلين هم الذين كانوا اسياد هذه «الحكومات» الحقيقيين .

ولم يساهم كافة الجنود التشيكوسلوفاكيين ابدا فى التمرد على السلطة السوفييتية . فقد ادرك الكثيرون منهم المغزى الحقيقى للاحداث وهبوا للدفاع عن الجمهورية السوفييتية . فقد انضوت الآلاف من آلتشيكيين والسلوفاكيين تحت رايات الجيش الاحمر وحاربوا ببطولة جنبا الى جنب مع العمال والفلاحين الروس .

وكانت النجاحات الاولى للثورة المضادة فى الاقسام الشرقية

من الجمهورية السوفييتية حافزا للامبرياليين لمتابعة تشديد التدخل العسكرى . وقرر المجلس الحربى الاعلى لدول الوفاق توسيع مناطق التدخل . وكتب مندوب الولايات المتحدة الاميركية فى هذا المجلس يوم ٢ تموز (يوليو) ١٩١٨ يقول : اذا كان الحلفاء يريدون فعلا تقديم مساعدة مجدية لروسيا الليبيرالية فعليهم ان يحتلوا ليس فقط مورمانسك وارخانجلسك بشكل رأس جسر شمالى يمكن بواسطته تحقيق الهجوم السريع على وسط روسيا ، بل وعليهم ان يسيطروا دون اى ابطاء على سيبيريا حتى الاورال . . .

واخذت موجات المتدخلين الجديدة المتتابعة تجتاح الاراضى السوفييتية من كافة الانحاء . وفى صيف ١٩١٨ دبر عملاء دول الوفاق سلسلة من انتفاضات الودة فى تركستان وفى ما وراء القفقاس واستدعوا القوات البريطانية الى هناك . واستولى افراد الحرس الابيض والمتدخلون الاجانب على عشق آباد وباكو وغيرهما من المناطق الهامة . وفى الشمال دخلت قوات دول الوفاق ارخانجلسك ، وفى الجنوب خرق المحتلون الالمان والاتراك شروط صلح بريست بفظاظة فدخلوا القرم وجورجيا وارمينيا . واحاط طوق الجبهات النارى بالجمهورية السوفييتية . وزاد فى الطين بلة الحصار الاقتصادى والعسكرى التام الذى فرضه الامبرياليون .

وفى معرض تقييم الموقف فى صيف ١٩١٨ كتب لينين يقول : «والآن ، وقد اتضحت لنا هذه الحلقات المتفرقة ، تحددت كليا معالم وضع جمهوريتنا الحالى ، الحربى والستراتيجى العام . مورمانسك فى الشمال ، الجبهة التشيكوسلوفاكية فى الشرق ، تركستان وباكو واستراخان فى الجنوب الشرقى ، — اننا نرى ان حلقات الطوق الذى صنعته الامبريالية الانجلو-فرنسية موصولة جميعها تقريبا بعضها ببعض» .

ولم يكن الوضع العسكرى وحده فى الجمهورية السوفييتية

عسيرا ومعقدا للغاية ، فقد كان ذلك شأن الحالة الاقتصادية ايضا . اذ انه وقعت فى ايدى الحرس الابيض والمتدخلين اغلبية المناطق التى كانت تزود مراكز البلاد الصناعية بالفحم والبترول وخامات المعادن والقطن والمواد الغذائية . وتوقفت عن العمل المصانع والمعامل التى حرمت من الوقود والخامات ، وكانت النقليات تعمل بصعوبة وبفترات توقف ، وكان سكان موسكو وبتروغراد والمدن الاخرى يعانون من الجوع الممض . ولكن ارادة المواطنين السوفييت لم تقهرها لا حراب المتدخلين ولا طوق الحصار ولا الجوع. فقد هب شغيلة الجمهورية السوفييتية تلبية لنداء حزب البلاشفة للدفاع عن الحرية التى اكتسبوها .

قازان ــ الاورال ــ سامارا

لقد نشب التدخل العسكرى فى الوقت الذى بدأ فيه توا الانتقال من تشكيلات المتطوعين الى بناء الجيش الاحمر النظامى . وبينت اولى المعارك الجدية مع التشيكيين البيض ان الفصائل المتفرقة والتى ليس لها نظام ادارة متناسق لا تستطيع ان تصمد امام القوات المحنكة والمجهزة جيدا بالرغم من بطولة افراد الجيش الاحمر .

ولم تكن كمية القوات الموجودة لدى الجمهورية السوفييتية آنذاك تناسب النطاق الهائل للصراع المسلح . وحتى بداية صيف ١٩١٨ كان يخدم فى الجيش الاحمر ما يزيد قليلا عن ٣٠٠ الف محارب . وقبل قيام الجبهة الهائلة فى شرق البلاد كان كبار الاخصائيين العسكريين يعتقدون بان تأمين سلامة الجمهورية السوفييتية يتطلب جيشا اكبر من ذلك بكثير .

ووضع المجلس العسكرى الاعلى خطة توسيع الجيش الاحمر النظامى بحيث يبلغ تعداد افراده مليون شخص .

واقرت الحكومة السوفييتية هذه الخطة ، ولكنه لم يتسع الوقت لانجازها عمليا فى حالة السلم . فقد انهالت الحرب على البلاد كحمم ملتهبة ، وترتب بناء الجيش العمالى الفلاحى الاحمر النظامى اثناء المعارك الحامية مباشرة .

وكانت انتفاضة التشيكيين البيض تشكل خطرا مميتا حقا بالنسبة للجمهورية السوفييتية . وكان زعماء ومشجعو التمرد يعتقدون بانهم سيستطيعون بواسطة الانتصارات السريعة والارهاب الابيض ان يثيروا لدى المواطنين السوفييت مشاعر الرعب والحيرة ويفتوا فى عضدهم . واتضح ان حسابات العدو كانت خاطئة .

وقدر الحزب الشيوعى بصورة واعية وفى الوقت المناسب مدى الخطر ودعا الشعب العامل الى ردع الغزاة الوقحين . ففى ٢٩ ايار (مايو) ١٩١٨ اصدر لينين الاوامر اللازمة بشأن تنظيم المقاومة ضد التشيك البيض . وكتب لينين يقول : «. . . لا ينبغى الاستسلام للذعر . . . فالنجاح حليفنا اذا لم نبق مكتوفى الايدى» . وفى ذلك اليوم اتخذت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا اول قرار بشأن التجنيد الالزامى لشغيلة بعض المراكز الصناعية وكذلك المحافظات التى شملتها التمردات للخدمة فى الجيش الاحمر . وتشكلت بصورة عاجلة فى المدن والاماكن التى يتهددها خطر زحف المتدخلين والتشيك البيض الاركانات الحربية الثورية ، كما تشكلت من الشيوعيين والعمال الفصائل الحربية التى توجهت فورا لمقاتلة العدو . وفى بعض الاحيان كانت تتكون من بضعة فصائل من هذا النوع لحماية الاتجاهات الهامة «جيوش» ارتجالية مؤقتة فى كل منها ما لا يزيد على ٤ــ٦ آلاف مقاتل ، ومن ثم اخذت تتكون «الجبهات» المحلية .

فى ١٣ حزيران (يونيو) ١٩١٨ شكل مجلس مفوضى الشعب المجلس العسكرى الثورى لقيادة عمليات القوات السوفييتية ضد التشيكوسلوفاكيين وافراد الحرس الابيض فى شرق البلاد .

وكان هذا المجلس يتكون من القائد العـــام مورافييف وهو عقيـد سابق واشتراكى ثورى يسارى ، والمفوضين العسكريين البلشفيين بلاغونرافوف وكوبوزيف . وكان تشكيل المجلس العسكرى الثورى بداية لتنظيم الجبهة الشرقيـــة وهى اول جبهة نظامية للجمهوريـة السوفييتية . ولكن بناء وتعزيز هذه الجبهة لم يتم رأسـا . ففى البداية جرى بصورة غير نشيطة لدرجة كافية تحويل الفصائل الى كتائب وافواج وفرق ، فلـم تكن لدى الاركانــات الخبرة اللازمـة والعاملون الكفوءون ، ولم تكن امور التموين قد رتبت بعد .

وفى اوائل تموز (يوليو) ١٩١٨ عندما اعلن الاشتراكيون الثوريون اليساريون التمرد على الجمهورية السوفييتية خان قائد الجبهة مورافييف السلطـة السوفييتيـة وحاول توجيـه القوات للهجوم على موسكو . وقمعت القوات المخلصـة للثورة مغامـرة مورافييف بسرعة وحزم ، وقتل مورافييف اثناء ذلك .

وبناء على قرار الحكومة استلم قيادة القوات المقاتلة ضد التشيكيين البيض العقيد السابق فاتسيتيس الذى ابدى بطولة فى المعارك من اجل ترسيخ السلطة السوفييتية . وجرى اثنـاء سير المعارك مباشرة تحويل الفصائل الى وحدات وقطعـات وتشكيلات للجيش الاحمر منظمة بكل دقة . وفى تموز (يوليو) ١٩١٨ بدأ تشكيل الجيش الاول . ان قصة هذا التشكيل النظامى الاول ذات دلالة . فقد تشكـل من الفصائل القتالية لشيوعيى وعمـال بينزا وسيمبيرسك وسامارا وغيرها من مدن منطقة الفولغا . فقد توحدت هذه الفصائل بعد فترة قصيرة فى ثلاث فرق سميت بفرق « بينزا » و« اينزا » و« سيمبيرسك » . وقاد الجيش الاول الضابط السابق فى الجيش الروسى والموظف فى القسم العسكرى لدى اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا وعضـو الحزب البلشفى توخاتشيفسكى . وكان فى الخامسة والعشريـن من العمر عندمـا عين لهـذا المنصب الكبير . ولكنه كان قد شارك فى معارك الحرب العالمية الاولى وأسر

ثم هرب من الاسر عام ١٩١٧ وتطـوع للخدمة فى الجيش الاحمر وتدرب تحـت اشراف سفيردلوف مباشرة على العمـل التنظيمى العسكرى السوفييتى . وقـدم لينين الى القائد الشاب التوجيهـات والنصائح اللازمة قبيل ان يرسل الى الجبهة .

وكان البلشفيان كويبيشيف وكالنين المفوضين السيـاسيين للجيش الاول . وقاد بطل الحرب الاهلية المعروف هاى افواج فرقة سيمبيرسك «الحديدية» الشهيرة فى المعارك .

وفى اواخر حزيران (يونيو) ١٩١٨ تم تشكيل الجيش الثانى من فصائل عمال الاورال التى كانت تدافع عن مناطق تشيليابينسك واوفا وسامارا . ولعب دورا هاما بخاصة من بين منظمى هذا الجيش مبعوثا الحزب غوسيف والبروفسور الفلكى شتيرنبيرغ الذى شارك فى ثورة ١٩٠٥ .

وتكونت نواة الجيش الثالث من فصائل العمـال فى شمـال الاورال والتى كانت سابقا ملتحقـة بما يسمى بالجبهة الاوراليـة الشمالية السيبيرية . واصبح الشيوعى بيرزين الذى قاد قوات هذه الجبهة اول قائد للجيش المذكور .

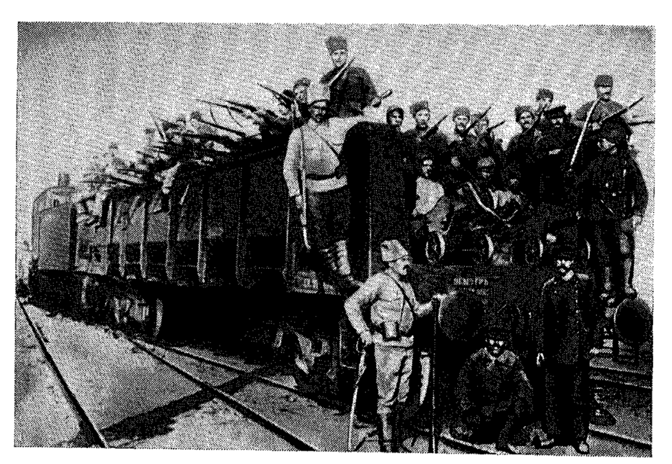
وانضم عمال ساراتـوف وجنوب الاورال والفلاحون الفقراء من منطقة الفولغا فى البداية الى فصائل الجيش الرابع ، ومن ثم الى افواجه وفرقه . وخلال تشكيل هذا الجيش اثناء المعارك الطاحنة مع القوزاق البيض تجلت المواهب الرائعة للمنظم والقائد العسكرى الشيوعى تشابايف الذى كان سابقـا ملازما ثانيـا غير معروف فى الجيش القديم .

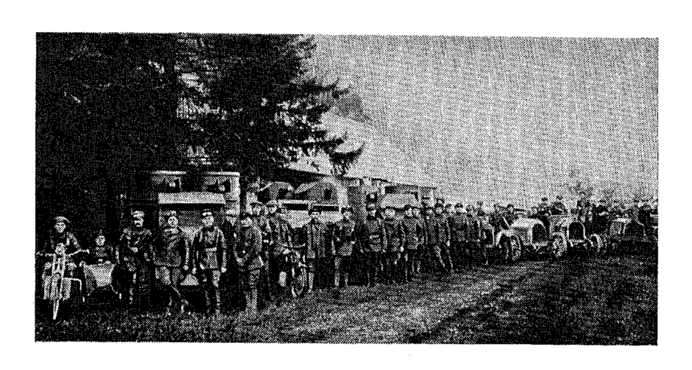
وبعد قليل بدأ تشكيل الجيش الخامس من القوات السوفييتية التى حاربت قرب قازان فى النصف الاول من آب (اغسطس) ، اى بعد ان احتل التشيك البيض مدينة قازان .

وكانت هذه الجيوش النظامية الخمسة الاولى للجيش الاحمر التى تشكلت فى شرق البلاد فى تموز–آب (يوليو–اغسطس) قليلة العدد وكان

وصول قطار الدعاية الى الجبهة الشرقية . ١٩١٨ .

فوج عمالى يتوجه الى الجبهة الشرقية .

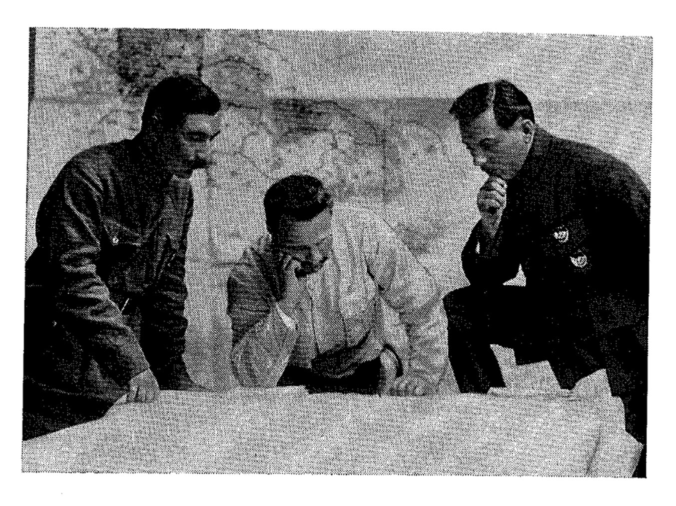




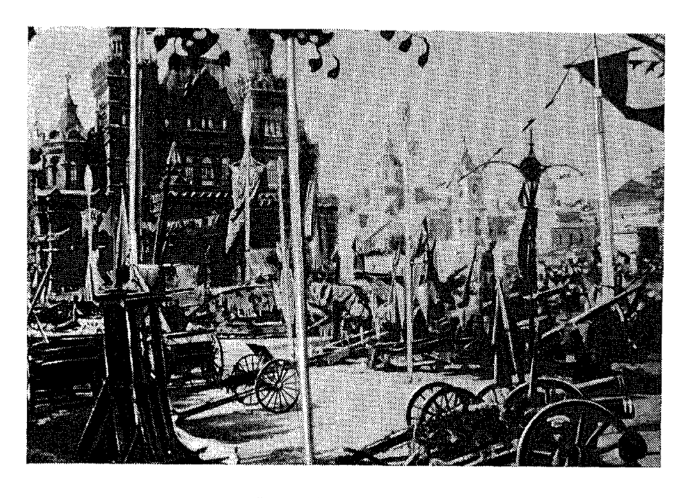
فصيلة سيارات مدرعة تابعة للجيش الاحمر قرب يامبورغ
(كينغيسيب) . ١٩١٩ .

قطعات جيش الخيالة الاول اثناء الحملة . عام ١٩٢٠ .





فوروشيلوف وفرونزه وبوديونى فى الجبهة الجنوبية .

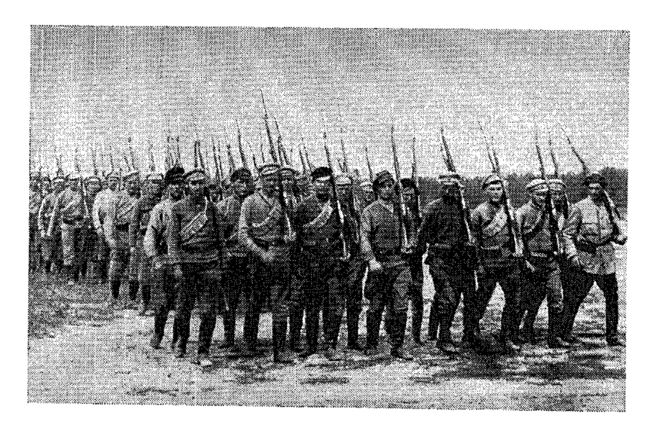


غنائم الجيش الاحمر معروضة فى الساحة الحمراء بموسكو بعد
دحر المتدخلين وافراد الحرس الابيض عام ١٩٢١ .



فصيلة الحرس الاحمر لمصنع «نوفى ليسنير» .

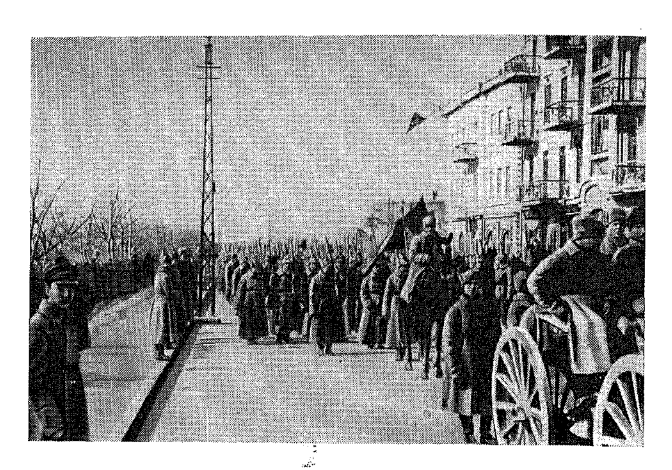
واحد من اولى افواج الجيش الاحمر قبيل توجهه الى الجبهة .





فصيلة الخيالة الحمراء .

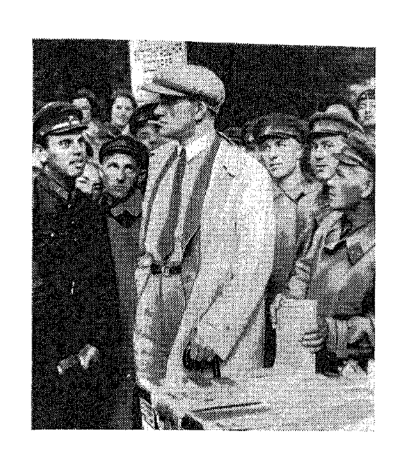
مدفعية احدى قطعات الجبهة الشرقية .



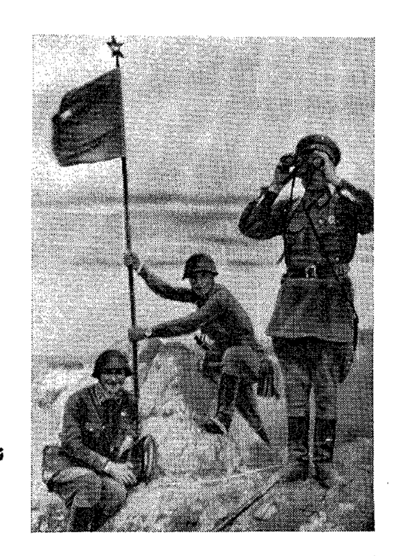
دخول قطعات الجيش الشعبي الثوري الى فلاديفوستوك .
٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ .

مجموعة من قادة الجيش الاحمر . الصف الامامي (من اليسار الى اليمين) : بازيليفيتش ، ليفاندوفسكي ، توخاتشيفسكي ، فوروشيلوف ، بيتنين ، كورك ، اورلوف . الصف الخلفي : بافلوف ، فيكتوروف ، شابوشنيكوف ، فيكمان ، اوبوريفيتش ، افكسينتيفسكي . عام ١٩٢٧ .





الشاعر فلاديمير ماياكوفسكى
بين جنود وقادة
الجيش الاحمر .



نصب الراية الحمراء على مرتفع
زاوزيرنايا (قرب بحيرة
خاسان) .

يعوزها التنظيم . وكانت هذه الجيوش الخمسة تضم فقط حوالى ٤٥ الفا من المحاربين . واستوعبت هذه الجيوش الفن الحربى اثناء المعارك ، وليس نادرا ان كانت هذه الجيوش مضطرة للتراجع خائضة المعارك ، الا ان قوة وقابلية هذه الجيوش على المقاومة كانتا فى ازدياد من يوم لآخر .

فى اواخر تموز (يوليو) ١٩١٨ وبعد ان درست اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) مسألة سير القتال ضد المتدخلين وافراد الحرس الابيض توصلت الى استنتاج بان مصير الثورة يتقرر فى منطقة الفولغا والاورال . وطالبت اللجنة المركزية بان تتوجه الى الشرق القوات الاساسية للجيش الاحمر واعلنت عن التعبئة العامة للشيوعيين . وفى الاول من آب (اغسطس) كتب لينين يقول : «ان مصير الثورة **كله** هو فى كفة **واحدة** الآن : الانتصار السريع على التشيكوسلوفاكيين فى جبهة قازان ــ الاورال ــ سامارا .

فكل شىء متوقف على ذلك» .

وتلبية لنداء الحزب تحركت من بتروغراد وموسكو والمناطق الغربية والوسطى نحو الشرق الامدادات الحربية والشيوعيون المجندون . ووصلت الى الفولغا من البلطيق ثلاث مدمرات عززت كثيرا اسيطيل الفولغا الحربى ، وكان البحار البلشفى ماركين منظما نشيطا لهذا الاسيطيل . ووصلت الى منطقة قازان المجموعة الجوية السوفييتية الاولى بقيادة الطيار الشهير بافلوف .

وهكذا تم تعزيز الجبهة الشرقية . الا ان المتدخلين كانوا يهجمون فى الاتجاهات الاخرى ايضا . وحاولت الثورة المضادة كذلك ان تنسف روسيا السوفييتية من الداخل بتدبير المؤامرات والتمردات ضد السلطة السوفييتية والاعمال الارهابية . واغتيل غدرا بطلقات الخونة المناضلان النشيطان فى الحزب الشيوعى فولودارسكى واوريتسكى . وفى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩١٨ اصابت

الارهابية كابلان التي ارسلها الاشتراكيون الثوريون لينين بجراح بليغة . واثار الاعتداء الشرير على قائد الشغيلة العظيم عاصفة من الغضب والسخط اجتاحت البلاد بأسرها . ورد العمال والفلاحون على دسائس الثورة المضادة والارهاب الابيض بالالتفاف الاوثق حول الحزب اللينيني وبتعبئة كافة القوى لردع المتدخلين وافراد الحرس الابيض .

وحتى السادس من ايلول (سبتمبر) انجز تشكيل المجلس العسكرى الثورى للجمهورية ، وهو الهيئة المركزية للادارة العسكرية والذى كانت خاضعة له هيئات مفوضية الشعب للشؤون العسكرية والاركان العامة لعموم روسيا التى كانت قد تشكلت سابقا . وكان المجلس العسكرى الثورى للجمهورية يضم : القائد العام للقوات المسلحة فى الجمهورية فاتسيتيس ودانيشيفسكى وكوبوزيف وميخونوشين وراسكولنيكوف وروزينهولتس وسميرنوف وتروتسكى (رئيسا) * . وبعد فترة قصيرة التحق بالمجلس ارالوف وبودفويسكى وسكليانسكى (نائبا للرئيس) ويورينيف . ونظرا لتشكيل هذا المجلس حل المجلس العسكرى الاعلى .

وكان المجلس العسكرى الثورى للجمهورية والقائد العام يمارسان قيادة الجبهات والجيش المقاتل كله بواسطة الاركان الميدانية التى تشكلت فى اوائل تشرين الاول (اكتوبر) . وكلفت الاركان العامة لعموم روسيا بمهام التجنيد وتدريب الاحتياط ووضع الانظمة وادارة المؤسسات العسكرية التعليمية .

واتاحت الاجراءات التى اتخذها الحزب والحكومة لتعزيز

---

* تروتسكى هو منشفى وخصم للينينية . وفى آب (اغسطس) عام ١٩١٧ قبل لعضوية حزب البلاشفة ، وفى عام ١٩١٨ عين لمنصب مفوض الشعب للشؤون الحربية والبحرية . وبسبب نشاطه المعادى للحزب والسلطة السوفييتية فصل من الحزب عام ١٩٢٧ ، ونفى من الاتحاد السوفييتى عام ١٩٢٩ .

الجيش الاحمر وبالدرجة الاولى الجبهة الشرقية ـ الفرصة فى اواسط آب (اغسطس) لوقف العدو عند الفولغا الاوسط وعلى الانتقال الى الهجوم . وتم عن طريق الضربات المشتركة للجيشين الخامس والثانى واسيطيل الفولغا والفصائل الجوية السوفييتية الحاق هزائم كبرى بمجموعة قازان للحرس الابيض ، وفى ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ تم تحرير قازان . وبعد يوم واحد طرد محاربو الجيش الاول افراد الحرس الابيض من سيمبيرسك . واتسمت الانتصارات الاولى لجيوش الجبهة الشرقية بأهمية كبرى . فقد اشار لينين الى ان تحرير قازان كان يعنى « انعطافا فى معنويات جيشنا وانتقاله الى العمليات الحازمة الفاصلة المظفرة » . وابدت قوات الجبهة الشرقية التى كانت الجبهة الرئيسية فى تلك الفترة آيات البطولة فحررت فى غضون شهر واحد شواطئ الفولغا واخذت تزيح العدو الى الشرق نحو الاورال .

الابطال بالآلاف

ليست نادرة فى تاريخ الحروب الاعمال البطولية المتفرقة ومظاهر الشجاعة والبسالة واداء الواجب العسكرى بصورة ممتازة . وكان الابطال المنفردون موجودين فى كافة الجيوش ، وحقق العسكريون المآثر القتالية فى اية حروب .

ولكن الفرق الجوهرى الذى ميز الجيش الاحمر منذ الايام الاولى لتأسيسه هو فى ان مقاتليه ابدوا آيات البطولة والتفانى والصمود والبسالة على نطاق واسع . ومما له دلالته ان النوع الاول من المكافآت الحربية الذى استحدث فى صيف ١٩١٨ وهو ـ راية الشرف الثورية الحمراء ـ كان مخصصا لمكافأة قطعات وتشكيلات كاملة ابدت بسالة فى المعارك ضد العدو . ومنحت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا راية الشرف الثورية الحمراء الاولى الى فوج المشاة اللاتفى الخامس وذلك تقديرا لاعماله البطولية فى المعارك

قرب قازان ، ومنحت الراية الثانية الى فوج نيكولايفسكى من فرقة تشابايف .

ولقد تكونت تقاليد البطولات الجماهيرية فى ايام اكتوبر ١٩١٧ التاريخية ، وترسخت فى فترة دحر البؤر الاولى للثورة المضادة ، وتقبل هذه التقاليد متطوعو الجيش الاحمر الذين هبوا للدفاع عن الوطن الاشتراكى . وكانت البطولة من السمات الطبيعية لسلوك العمال وشغيلة الريف الواعين والجنود والبحارة الثوريين الذين ساروا تحت راية الحزب البلشفى فدكوا قلاع العالم القديم .

ومن البديهى ان المحاربين لم يصبحوا جميعا ابطالا بين يوم وليلة . فقد سبق زيادة البطولة الواعية عمل تربوى هائل مارسه الحزب بين افراد الجيش الاحمر . فعندما طبقت الحكومة السوفييتية صيف ١٩١٨ الخدمة العسكرية الالزامية الشاملة لم يدرك كافة المجندين الرسالة التاريخية للجيش الاحمر والغاية منه . فالشبان الاميون الجهلة من ابناء الفلاحين وكثير من الجنود السابقين فى الجيش القديم لم يكونوا مطلعين على وضع البلاد ولا على الاهداف التى كان ينبغى عليهم القتال من اجلها . بل انهم كانوا يتصورون بان البلاشفة قد «خدعوهم» : فقد وعدوا فى البداية بالسلم وسمحوا بالعودة من الجبهة ، واذا بهم الآن يجعلون هؤلاء الجنود يحاربون من جديد . وفى هذه الظروف تحولت كلمة الحقيقة البلشفية وقدوة الشيوعيين الشخصية الى وسيلة حاسمة لتعزيزالجيش الاحمر . وكانت القدرة القتالية للافواج والفرق الجديدة تعتمد لدرجة كبيرة على عدد الشيوعيين الموجودين فيها وعلى نوعية عمل المفوضين والقادة السياسيين والمنظمات الحزبية . ولذلك فليس نادرا ان يطلب العاملون فى الجبهة تزويد القوات قبل كل شىء بمفوضين نشيطين ودعاة شيوعيين محنكين وبالكتب والصحف والمنشورات ، ومن ثم فقط كانوا يطلبون ارسال التعزيزات والقذائف والبنادق والخراطيش .

وبذل الحزب الشيوعي قصارى جهده لكي يحول في اقصر ما يمكن اولئك الجنــود المظلومين والمحرومين بالامس الى محاربين واعين في الجيش الاحمر وابطال للحرب التحررية الثورية . وكان محاربو الجيش الاحمر الذين ادركوا من اجل ماذا يقاتلون ـ كانوا يتحلون بروح معنوية قتالية تفوق بما لا يقاس الروح المعنوية لجنود العدو الذين ارغموا على القتال من اجل مصالح الاقطاعيين والرأسماليين الغربية عليهم . فالمتدخلون الاجانب وافراد الحرس الابيض الروس كانوا يثيرون لدى افراد الجيش الاحمر ليس الشعور بالخوف ، بل شعور الاحتقار والكراهية . فجندي الجيش الاحمر كان يعرف بانه هو حامي جماهير الشغيلة والمناضل من اجل قضية عادلــة وفارس الثورة . ولذلك ، فمن البديهي ان الجمهوريـــة السوفييتيـــة كانت الى جانب ممارستهــا للعمل السياسي والتربوي الواسع تسعى الى تقديم شارات لحماتها يساعدهم حملها في التفريق بين المجندين والمسرحين والسكان المدنيين . فالجيش الاحمر آنذاك لم تكن لديه بعد بزة عسكرية موحدة . وكان افراد الجيش الاحمر يرتدون الملابس العسكرية المتبقية من الجيش القديم او يرتدون الملابس المدنية العادية .

وحتى صيف ١٩١٨ كان افراد الجيش الاحمر يحملون شارة صدرية بشكل نجمـــة حمراء محاطة باكليل من اوراق الغـــار والبلوط . وفي وسط النجمة صورة محراث ومطرقة وهما رمـــز تحالف الطبقة العاملة والفلاحين .

وبعد ذلك اصبحت شارة محاربي الجيش الاحمر هي نجمة حمراء معدنيـــة صغيرة مطلية بالميناء وعليهـــا صورة محراث ومطرقة ، وهي تثبت الى قبعة الجندي .

وتحولت النجمة المتواضعة لدى افراد الجيش الاحمر خلال سنوات الحرب الاهلية الى شارة محاطة بهالة من اشعة الامجاد

اللماعة وهى شارة الاخلاص للواجب والبسالة الحربية والصمود الذى لا يتزعزع والبطولة السامية .

واتخذت الاجراءات لوضع تصاميم بزة عسكرية موحدة .

وكان وضع البزة العسكرية الموحدة واحدة من درجات الانتقال الى الجيش الاحمر النظامى . فقد ادى تعزيز التنظيم والانتظام الى زيادة القدرة القتالية لدى القوات وتزايد المهارة العسكرية . فقد اقتنع افراد الجيش الاحمر بتجربتهم الشخصية بان الانضباط الثورى الحديدى وقيادة القوات قيادة حازمة يساعدانهم فى حل اعقد المهام الحربية وفى دحر العدو بصورة اكثر توفيقا .

ومما له دلالته بهذا الخصوص المأثرة البارزة التى حققتها عدة فصائل فى جنوب الاورال . ففى صيف ۱۹۱۸ وجدت هذه الفصائل نفسها فى مركز التمردات المضادة للثورة . وتقرر ان تشق هذه الفصائل طريقا للالتحاق بوحدات الجيش الاحمر . وترأس الفصائل المنفردة اناس مخلصون بتفان للسلطة السوفييتية ومحنكون فى الشؤون الحربية : بلوخير ، احد نشطاء المساهمين فى قمع تمردات القوزاق البيض ، والبلشفى ن . كاشيرين ، وهو ضابط قوزاقى سابق ، واخوه إ . كاشيرين ، والرقيب القوزاقى السابق تومين وآخرون . ومما له دلالته ان بلوخير والاخوين كاشيرين وتومين اصبحوا فيما بعد قادة عسكريين كبارا فى الجيش الاحمر .

ويشهد تاريخ الحرب الاهلية المجيد على ان المآثر البطولية التى حققتها افواج وفرق وجيوش كاملة لم تكن ظاهرة استثنائية منفردة .

ففى آب (اغسطس) ۱۹۱۸ قطع افراد الحرس الابيض فى شبه جزيرة تامان الطريق على مجموعة من القوات السوفييتية . فقررت الافواج والفصائل السوفييتية المتفرقة ان تتوحد وتشق طريقا للاتصال بالقوات الرئيسية للجيش الاحمر فى شمال القفقاس . واتخذ اجتماع القادة والمنظمين السياسيين بمشاركة ممثلى

المنظمات البلشفية المحلية قرارا بجمع كافة القوات الحمراء فى هذه المنطقة فى جيش واحد اطلق عليه اسم جيش تامان . وانتخب لقيادة الجيش البحارالبلشفى ماتفييف وانتخب لمنصب نائب القائد النقيب السابق والمحارب النشيط من اجل اقامة السلطة السوفييتية كوفتيوخ وانتخب لرئاسة الاركان الضابط السابق باتورين الذى شارك فى ثورة ١٩٠٥ . واجتذب جيش تامان السكان الفقراء المحليين والنازحين الكثيرين الذين لم يرغبوا فى البقاء تحت رحمة افراد الحرس الابيض وتحرك بمحاذاة ساحل البحر الاسود نحو توابسيه . وعبثا حاول البيض مرارا ان يوقفوا زحف الجيش . وسارت الى الامام كالحمم الهائجة طوابير افراد جيش تامان بلا ذخيرة ولا مواد غذائية ، وهى تدافع عن نفسها بالحراب واخمص البنادق من هجمات القوزاق البيض الذين حاصروها . واتم جيش تامان مسيرته البطولية بان حطم مجموعة كبيرة للعدو فى منطقة بيلوريتشينسكايا وحرر مدينة ارمافير .

وجها لوجه مع دول الوفاق

كان النصف الثانى من عام ١٩١٨ فترة النمو العاصف للجيش الاحمر . وحلت بنجاح المهمة التى حددت سابقا ، الا وهى مهمة الوصول بتعداد افراد الجيش الاحمر الى مليون شخص .

الا ان الجيش البالغ تعداده مليون شخص لم يعد كافيا للنضال المسلح ضد افراد الحرس الابيض على جبهات طولها آلاف الكيلومترات ولصد المتدخلين . واستنادا الى التحليل العميق للوضع الدولى ولحالة الجبهات توصل لينين فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ الى استنتاج بشأن ضرورة متابعة زيادة الجيش الاحمر . وكتب يقول «نحن الآن محتاجون الى جيش تعداده ثلاثة ملايين شخص . ونستطيع ان نمتلك مثل هذا الجيش **وسيكون لنا مثله**» .

ولم تكن هذه المهمة من المهام اليسيرة البسيطة . الا ان اقوال البلاشفـــة لا تتعارض وافعالهـــم ، واخذت افكار لينين تستنهض المواطنين وتساعد في تحقيق معجزات كان تحقيقها يبدو مستحيلا . وفي أشهر معدودة : من حزيران (يونيو) حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ انخرط في صفوف الجيش الاحمر ١١٤٠ الف شخص .

ومع نمو الجيش كميا ، اخذ تركيبـــه التنظيمي يصبح اكثر استقامة . واتقن التدريب القتالي والعمل الحزبي السياسي في القوات المسلحة .

الا ان تطور وتعزيز الجيش الاحمر لم يتمـــا في وضع سلمي مستقر ، بل اثناء الحرب الطاحنة ضد عدو جبار لا يرحـــم . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ وضعت الحرب العالمية اوزارهـــا وتهيأت للامبرياليين امكانية توجيه قواتهم المسلحة ضد الجمهورية السوفييتية . ففي اليوم التالي لاستسلام المانيا وضعت القيـــادة الحليفـــة لدول الوفاق خطة العمليـــات النشيطة ضد الجمهوريـــة السوفييتية . وجاء في هذه الخطة :

« بعد توقيع الهدنة مع المانيا في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) لم ينته دور الجيوش المتحالفة ... فمن الضروري القضـــاء على البلشفية وتشجيع احلال النظام في روسيـــا ... ومن المهـــم كذلك الحصول على ضمانة اكيدة لقاء الديون التي اقترضتها روسيـــا من دول الوفاق » .

وحددت هذه الوثيقة التي لم تكن طبعا مخصصة للنشر – حددت بكل وقاحة وصراحة الاهداف الاغتصابية للمتدخلين . وقرر زعماء دول الوفاق توجيه الضربة الرئيسية من الجنوب عبر البحر الاسود مـــع استخدام القوات الكبيرة للاسطول البحري الحربي واكثر من عشرين فرقة من القوات البرية . وكان الاتجاه الذي اختاروه يؤملهم بفوائـــد كبيرة : ففي الجنوب تمركزت قوات الجنـــرال دينيكين

والجنرال كراسنوف ، وهناك كذلك اغنى مناطق استخراج البترول والفحم وخامات الحديد والمنغنيز ، وكذلك اهم مناطق الانتاج الزراعى . ومن هناك تؤدى افضل واقصر الطرق الى مركز البلاد ، الى موسكو .

وكان ستراتيجيو دول الوفاق يتوقعون بانهم سيستطيعون «القضاء على البلشفية» فى «حملة واحدة» . وحاولوا غزو بلاد السوفييت بغتة وعلى حين غرة . ففى تشرين الثانى (نوفمبر) ظهرت على البحر الاسود قرب السواحل السوفييتية العمارات الحربية البريطانية والفرنسية . وسرعان ما استولى المتدخلون على نوفوروسيسك واوديسا وسيباستوبول وغيرها من الموانئ وبدأوا انزال قواتهم على نطاق واسع . وفى الوقت نفسه احتلت القوات البريطانية مدينة باكو .

ومهما استعجل المتدخلون فانهم لم يحققوا عنصر المباغتة . فان ستراتيجى الثورة العظيم لينين كان قد ادرك نواياهم فى الوقت المناسب . ففى ۲۲ تشرين الاول (اكتوبر) كان لينين قد القى خطابا فى الجلسة المشتركة للجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا ومجلس بلدية موسكو ولجان المعامل والمصانع والنقابات فدعا الشعب السوفييتى الى اليقظة وقال ان الامبرياليين البريطانيين والفرنسيين يستعدون خلسة للهجوم على روسيا من الجنوب ، اما عن طريق البحر الاسود واما عن طريق بلغاريا ورومانيا . واكد القرار الذى اتخذ بشأن تقرير لينين بانه «... يجرى وراء الثورة المضادة التى يشنها اتباع كراسنوف وافراد الحرس الابيض اعداد هجوم علينا من قبل قوة اكثر خطرا بما لا يقاس ، وهى قوة البرجوازية العالمية المعادية للثورة ، وهى البرجوازية الانكلواميركية والفرنسية بالدرجة الاولى . وعلينا ان ننقل ادراك هذا الامر الى الجماهير بلا كلل . ومن الضرورى توجيه اكبر الاهتمام الى تعزيز

الجبهة الجنوبية وتشكيل وتسليح جيش احمر اقوى بما لا يقاس مما هو الآن» *.

ان قلق لينين على الجبهة الجنوبية واهتمامه بتعزيزها لم يكن سببهما فقط تكون اخطر مجموعة للمتدخلين وافراد الحرس الابيض هناك، بل وكون تشكل الفرق والجيوش النظامية في الجبهة الجنوبية قد بدأ بسبب ظروف خاصة في فترة اكثر تأخرا مما في الجبهة الشرقية، وكان مصحوبا بصعوبات وتعقيدات كبيرة. ولذلك منيت قوات الجبهة الجنوبية بعدة اخفاقات كبيرة في المعارك مع افراد الحرس الابيض. وحاول القوزاق البيض من قوات الجنرال كراسنوف احتلال مدينة تساريتسين مرتين، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك. ومارس قيادة القوات السوفييتية في الجنوب المجلس العسكري لمنطقة شمال القفقاس العسكرية وهو يضم فوروشيلوف ومينين وستالين.

وفي خريف ١٩١٨ اضطرت اللجنة المركزية الى توجيه رسالة الى كافة الشيوعيين والمفوضين والقادة وافراد الحرس الاحمر جاء فيها:

«ان على جيشنا في الاسابيع القريبة القادمة بالذات ان يشن اشد هجوم على كافة الجبهات وعلى الجبهة الجنوبية قبل كل شيء... وتأمر اللجنة المركزية بصورة قاطعة كافة اعضاء الحزب: المفوضين والقادة وافراد الجيش الاحمر بالعمل بجهود متضافرة نشيطة لخلق الانعطاف الضروري السريع في معنويات وسلوك الوحدات.

... ويجب عدم التردد في تقديم اية تضحية لتحقيق المهام السامية المطروحة الآن على عاتق الجيش الاحمر وخصوصا في الجبهة الجنوبية».

وردا على الهجوم الواسع لقوات دول الوفاق شدد الحزب

---

* لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٧، ص ١٢٧.

الشيوعى العمل فى تعزيز الجيش الاحمر واتخذ الاجراءات اللازمة لتحويل البلاد الى معسكر قتالى موحد . وفى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨ اتخذت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا قرارا بتأسيس مجلس الدفاع العمالى الفلاحى وخولته كامل الصلاحيات فى مجال تعبئة قوى وموارد البلاد لصالح الدفاع عن الوطن الاشتراكى . واكد موسوم اللجنة «ان مقررات مجلس الدفاع الزامية كليا لكافة الدوائر والمؤسسات المركزية والمحلية ولكافة المواطنين ...» وعين لينين رئيسا لمجلس الدفاع .

وضم مجلس الدفاع قادة الفروع الاساسية للاقتصاد وهيئات التموين والمديرية العسكرية . ولم يتشكل جهاز خاص من المستخدمين فى المجلس . وكانت كافة المسائل تحل بسرعة ونشاط ، ولكن بدون استعجال ولا ضجيج . وكان موظفو مجلس مفوضى الشعب يقومون بمسك الدفاتر وكتابة المحاضر وجمع المعطيات اللازمة وايصال القرارات الى منفذيها .

وكان مجلس الدفاع يقوم بتنظيم وتنسيق وتوجيه العمل فى المؤخرة والجبهة ، ويعبئ ويوزع الموارد البشرية والمادية فى الجمهورية حسب الوضع الستراتيجى . واتسم نشاط مجلس الدفاع بأهمية هائلة . واشار فرونزه فى احدى خطبه الى انه «كان من المشكوك فيه خروجنا مظفرين من المناوشة التى طرحها امامنا سير ثورتنا» لولا مجلس الدفاع الذى تناول فى ظروف الحرب الاهلية كافة جوانب الحياة السوفييتية .

وفى خريف ١٩١٨ ، عندما تأسس مجلس الدفاع انتقل المجهود الحربى الاساسى للجمهورية السوفييتية الى الجنوب . فهناك على سواحل البحر الاسود كان يجرى انزال قوات جديدة متزايدة للمتدخلين . وبمساعدة هذه القوات ازاح «جيش المتطوعين» بقيادة دينيكين فى شمال القفقاس قوات الجيش الاحمر التى كانت غير منظمة لدرجة كافية . واحتل الجيش القوزاقى الابيض بقيادة

عميل الامبرياليين الالمان الجنرال كراسنوف منطقة الدون وبدأ الهجوم فى اتجاهات تساريتسين وبوفورينو وفورونيج .

وبالجهود البطولية والتضحيات الجسيمة استطـاع افراد الجيش العاشر ان يصدوا الهجمات المسعورة لقوات كراسنوف على تساريتسين وان يحولوا دون الاتصال بين قوات الثورة المضادة فى الدون والاورال ويحافظوا على طريق الفولغا الكبير وهو الطريق الذى يؤمن ايصال المواد الغذائية والوقود الى المناطق المركزية فى البلاد كما يؤمن تحركات القوات . وابدى عمال مصانـع ومعامل تساريتسين آيات البسالة والصمود لدى الدفاع عن مدينتهم . وتم وقف هجوم قوات كراسنوف كذلك فى الاتجاهـات الاخرى حيث حاربت قوات الجيشين الثامن والتاسع .

وبناء على توجيه اللجنة المركزيـة للحزب قصد الجبهـة الجنوبية عدد كبير من الشيوعيين المجندين ومن الامدادات وكمية كبيرة من السلاح والذخيرة . وجرى عمل واسع لتقوية الانضباط . وفى اوائل ١٩١٩ انتقلت جيوش الجبهة الجنوبية الى الهجوم بعد ان تصلب عودهـا . والحقت هذه الجيوش هزيمة كبيرة بقوزاق كراسنوف البيض .

ومع الاجراءات الحازمة لتعزيز الجبهة الجنوبية ومتابعـة العمليات النشيطة فى الجبهة الشرقية كان يجرى بنجاح حل مهمة عسكرية وسياسية كبيرة هى مهمة تحرير اوكرانيا وبيلوروسيـا ومناطق البلطيق . واتاحت هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى فرصة الغاء شروط صلح بريست المجحفة والشروع بطرد الغزاة الالمان . ودعت الحاجة الى تشكيل الافواج والفرق والجيوش فى هذه الاتجاهات خلال الهجوم واثناء المعارك مع القوات الالمانية المنسحبة وقوات الثورة المضادة المحلية .

وحتى اواخر عام ١٩١٨ كان لدى الجمهورية السوفييتية ثلاثة عشر جيشا ميدانيا ، التحق اثنا عشر منها بالجبهـات الشرقيـة

والشمالية والجنوبية والقفقاسيـــة القزوينية وكان الجيش الآخر خاضعا للقائد العام مباشرة . وكانت هذه الجيوش على مراحل مختلفة من تطورها ، ولم تكن متماثلة ابدا قواماتها ودرجة تنظيمها وقدرتها القتالية .

وسرعان ما اسفرت عن اروع النتائج الاجراءات التى اتخذها الحزب لتعزيز الجيش الاحمر وخصوصا القوات المحاربة فى جنوب البلاد . وكانت الجبهة الاوكرانية التى تشكلت فى كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ تتابع الهجوم بسرعة محررة الاراضى الاوكرانية الغنية من المحتلين الالمان . وحاربت بنجاح قوات الجبهة الجنوبيـــة ضد كراسنوف . واضطر الغزاة تحت ضربات الجيش الاحمر والانصار الى التراجع على عجل فى بيلوروسيا ومناطق البلطيق .

ولم يكن تطور الاحداث على هذه الصورة يعجب زعماء دول الوفاق الذين فرضوا على المانيا «الحفاظ على النظام» فى المناطـق التى تحتلها ، ومن ثم تسليم هذه المناطق الى قوات المتدخلين التى اقتربت منها . ولكى تنفذ دول الوفاق خططها ضد بلاد السوفييت اخذت تزيد من تعداد قواتها . فحتى بداية عام ١٩١٩ بلغ عدد هذه القوات على سواحـل البحر الاســود ١٣٠ الفـا وفى ما وراء القفقاس اكثر من ٢٠ الفـا وفى منطقتى مورمانسك وارخانجلســك اكثر من ٣٠ الف جندى وضابط اجنبى . وكانت تحارب فى البحر الاسود وبحر البلطيق عمارات كبيرة للمتدخلين . وكان يحارب فى مناطق الشرق الاقصى وسيبيريا حوالى ٢٠٠ الف من الجنود الاجانب (التشيكيين البيض واليابانيين والاميركان والكنديين وغيرهم) وقوات بحرية كبيرة . ونصب المتدخلون على رأس قوات الثورة المضادة الروسية هناك الاميرال القيصرى كولتشاك الذى اسرع للاعلان بانه «الحاكم الاعلى لروسيا» .

ولغرض خنق اول دولة اشتراكية فى العالم ارسلت دول الوفاق كمية هائلة من القوات المسلحة افضل تسليـــح . ولم يرغب حكام

دول الوفاق ولم يستطيعوا ان يوضحوا لجنودهم وبحارتهم الهدف من ارسالهم الى روسيا واجبارهم على القتال هناك . وحاولوا ان يخفوا اهداف التدخل الحقيقية وراء ستارة من ضباب العبارات الفارغة حول «النضال ضد البلاشفة ــ مغتصبى السلطة» و«الدفاع عن الديمقراطية» و«اعادة النظام والقانون» وهلمجرا . الا ان خبرة الحرب الامبريالية التى استمرت اربعة اعوام علمت العمال والفلاحين المرتدين البزات العسكرية عدم الثقة بالعبارات الرنانة الفارغة . وكانوا يريدون معرفة الحقيقة ، وسرعان ما عرفوها .

فقد بين تطور الاحداث على الجبهات بكل وضوح لجنود دول الوفاق انهم ارسلوا ليس لمقاتلة «حفنة من مغتصبى السلطة» ، بل لمقاتلة جماهير الشغيلة التى تدافع بثبات عن ارضها وحريتها واستقلالها وعن الديمقراطية الحقيقية . فالجماهير لا يمكن ان تحارب بهذه الصورة وتصمد حتى الرمق الاخير من اجل «مغتصبى السلطة» . واصبحت هزائم المتدخلين فى الاورال وقرب مدينة شينكورسك وفى اوكرانيا والبلطيق درسا لا ينسى .

وكانت الجمهورية السوفييتية تملك بالاضافة الى حراب ومدافع وبطولة حماتها سلاحا جبارا آخر هو كلمة الحق عن اهداف الثورة الاشتراكية وافكار الاممية البروليتارية الجذابة . وقد استخدم هذا السلاح على اكمل وجه .

ومارس البلاشفة عملهم البطولى النبيل سرا فى الشمال والجنوب ، فى مورمانسك وارخانجلسك ، فى اوديسا وسيباستوبول ، فى الموانئ التى انزل فيها المتدخلون قواتهم وفى المناطق التى احتلوها . وشكلت اللجنة الحزبية السرية فى اوديسا هيئة اجنبية خاصة قامت بالدعاية الواسعة بين جنود وبحارة دول الوفاق . وترأس هذه الهيئة البلشفى الروسى إ . سميرنوف والشيوعية الفرنسية جان ليابورب . وكان البلاشفة العاملون سرا يستهينون

بخطر الموت ويخاطرون بحياتهم فى كل ساعة فيطبعون الصحف والمنشورات باللغات الاجنبية ويوزعونها على افراد قوات الاحتلال ويتحادثون مع الجنود والبحارة الاجانب .

وكانت اجهزة أمن العدو تلاحقهم بكل اصرار وتنكل تنكيلا وحشيا بكل من تستطيع القبض عليه . وقتل فى غياهب السجون زعيما الهيئة الاجنبية الخاصة وكثير من بلاشفة ارخانجلسك والمدن الاخرى . الا ان هذه الضحايا لم تذهب سدى . فقد عرف جنود وبحارة دول الوفاق الاهداف الحقيقية للاحتلال وعرفوا ماهية السلطة السوفييتية .

واخذ جنود الجيوش الاجنبية يرفضون رفضا باتا خنق روسيا الحرة . وكان اول من اعلن عن ذلك جهارا بحارة الطرادة البلغارية «ناديجدا» الذين اعلنوا الانتفاضة وارغموا القيادة على اعادة الطرادة من سيباستوبول الى بلغاريا . وفى اوائل ١٩١٩ اخذت افواج الجنود الفرنسيين والبريطانيين ترفض الواحد تلو الآخر الذهاب الى الجبهة واطلاق الرصاص على افراد الجيش الاحمر . واخذت الماكنة الحربية لدول الوفاق تراوح فى مكانها . وكتب ونستون شرشل ، وهو احد منظمى التدخل ضد بلاد السوفييت ، كتب عن قوات الحلفاء يقول : «ان الاداة الطيعة التى عملت بدون اى خلل تقريبا فى كافة المناوشات الطاحنة بين الامم المتحاربة تعطلت الآن فجأة فى ايدى الذين وجهوها الى معركة جديدة» .

واتضح ان افكار ثورة اكتوبر وتضامن الشغيلة العالمى اقوى من التدريب والانتظام المعهود لدى الجيوش الغربية . فقد رفضت حامية المتدخلين فى مدينة خيرسون مقاتلة الجيش الاحمر وسلمت المدينة بدون معركة . وحدث ما يماثل ذلك فى نيكولايف واوديسا وغيرهما من المدن التى احتلها الغزاة . ورفع بحارة العمارة الفرنسية فى سيباستوبول على سفنهم الاعلام الحمراء وانضموا الى مظاهرة عمال المدينة منشدين نشيد «الاممية» .

ورفعت الطبقة العاملة والمثقفون التقدميون فى كثير من البلدان صوت الاحتجاج على تدخل الدول الاجنبية فى الشؤون الداخلية لروسيا . فاعلنت الاضرابات فى المصانع والمعامل وتجمدت عند مراسى الموانئ السفن المحملة بالاسلحة والقوات المنوى توجيهها الى روسيا . وقامت فى الشوارع مظاهرات غفيرة تنادى بشعارات «فليسقط التدخل !» و«ارفعوا ايديكم عن روسيا !» وكانت ثورة اكتوبر بالنسبة للبروليتاريا العالمية نجم الهداية الذى يشير الى الطريق الصائب نحو الحرية والسعادة .

وفى هذا الوضع شرعت قيادة قوات دول الوفاق فى ربيع ١٩١٩ بسحب قواتها على عجل من الجنوب ومن المناطق الشمالية فى الجمهورية السوفييتية . ولم ينسحب الغزاة بمحض ارادتهم : فقد كان انسحابهم نتيجة للهزيمة السياسية وتراجعا امام هجوم الجيش الاحمر المظفر .

السياسة العسكرية وحالة الحرب

فى اواخر شتاء ١٩١٨-١٩١٩ احتفل الشعب السوفييتى بالذكرى السنوية الاولى لتأسيس جيشه . وكان الوضع حسب الظاهر غير احتفالى ابدا : فالبلاد التى نهشتها الحرب كانت تقاتل على جبهات هائلة ضد الاعداء الذين طوقوها من كافة الانحاء . ومع ذلك ارادت الجمهورية السوفييتية ان تهنئ كل واحد من حماتها وان تقدم له ولو اكثر الهدايا تواضعا . وفى ١٧ شباط (فبراير) ١٩١٩ عقدت الجلسة الدورية لمجلس الدفاع . وكانت من بين مسائل جدول الاعمال مسألة «مضاعفة ارزاق افراد الجيش الاحمر فى يوم الاحتفال بالذكرى السنوية لتاسيسه» . واتضح ان البلاد لم تستطع ان تقدم هذه الكمية الاضافية من المواد الغذائية . ولذلك قرر مجلس الدفاع «تحسين التغذية فى هذا اليوم للجيش الاحمر بزيادة الارزاق المطبوخة والسكر بنسبة ٥٠٪ على قدر الامكان» .

كان الوضع مقلقا ، ومع ذلك جرت الاحتفالات . بل واجريت استعراضات عسكرية فى بعض المناطق .

ودشن الجيش الفتى للجمهورية السوفييتية عامه الثانى وهو فى ساحة المعركة .

وحتى ربيع ١٩١٩ حاربت ضد الغزاة الاجانب وافراد الحرس الابيض خمس جبهــات و١٩ جيشا ميدانيــا واسطول البلطيــق واسيطيــل استراخان ــ قزويــن وعدد من اسيطيلات الانهــار والبحيرات . وكان يجرى تشكيل الاسطول الجوى الاحمر (اكثر من ستين فصيلة فى كل منها ٤ ــ ٦ طائرات) والقوات المدرعة التى كانت تحت تصرفها السيارات المدرعة والقطارات المصفحة .

الا ان بناء الجيش الاحمر لم يكن قد انجز ابدا . فلم تكن قد تكونت نهائيا حتى المبادئ التنظيمية الاساسية لهذا البناء . وطبقا لتوجيهات اللجنة المركزية للحــزب الشيوعى الروسى (البلشفى) ولينين تم تطبيق اجراءات هامة مثل بناء النظام المركزى المتناسق لادارة القوات واستخدام القوانين العسكرية ونشر العمــل الحزبى السياسى وتقوية الانضباط الثورى الواعى . الا ان بعض المسؤولين العسكريين اعتبروا كــل هذه الاجراءات غير لازمة بــل وضارة . وكانت مثل هذه الاعتبارات والآراء الخاطئة تظهر احيانا بسبب كون رئيس المجلس العسكرى الثــورى للجمهوريــة تروتسكى يعترف اخطاء غير قليلة فى عمله ويلجأ الى الطرق الادارية الفظة والى تدابير القمع . وكان انعدام وحدة الآراء بشأن المسائل الهامة فى البنــاء العسكرى يعرقل متابعة تعزيز القدرة الدفاعية لبلاد السوفييت .

برنامج دقيق واضح

ولغرض تطبيق الخطة اللينينية الخاصة ببناء جيش من ثلاثة ملايين كان ينبغى ان تتحدد بدقــة وبصورة نهائيــة المبــادئ السياسية والتنظيمية للبنــاء العسكرى السوفييتى . وحــل الحزب

الشيوعى هذه المهمة الكبيرة والمعقدة للغاية فى مؤتمره الثامن الذى عقد فى آذار (مارس) ١٩١٩ .

ان المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) يشكل صفحة بارزة وهامة للغاية فى تاريخ الوطن وفى حياة الحزب والشعب السوفييتى وقواته المسلحة . فقد ناقش المؤتمر واقر البرنامج الحزبى الجديد – برنامج بناء الاشتراكية – واعلن عن الانتقال من سياسة تحييد الفلاح المتوسط الى سياسة التحالف المتين بين الطبقة العاملة والفلاحين المتوسطين . وكان تعزيز التحالف الاخوى بين العمال والفلاحين اساسا لمتابعة تنامى قوى الجمهورية السوفييتية فى كافة المجالات ، ومنها المجال العسكرى .

واولى المؤتمر الحزبى الثامن اهتماما كبيرا لحل قضايا البناء العسكرى . فقد احتوى البرنامج الجديد الذى اقره المؤتمر على فصل يحدد مهمات الحزب فى المجال العسكرى والمبادئ الجذرية لبناء القوات المسلحة للدولة السوفييتية . واكد البرنامج « ان الجيش الاحمر ، كأداة للديكتاتورية البروليتارية يجب ان يتسم حسب الضرورة بطابع طبقى سافر ، اى يجب ان يتشكل فقط من البروليتاريا وفئات الفلاحين شبه البروليتارية والقريبة من البروليتاريا » .

واعتبر برنامج الحزب اعداد القيادة العسكرية الجديدة من العمال والفلاحين مهمة كبيرة . والى جانب ذلك جرى التأكيد على ضرورة الاجتذاب الواسع « للاخصائيين العسكريين الذى تمرسوا فى الجيش القديم الى مجال تنظيم الجيش وقيادته عسكريا » . مع العلم بأن الحزب ركز فى يديه القيادة السياسية للجيش ونفذ المراقبة الشاملة لنشاط هؤلاء الاخصائيين العسكريين .

واتخذ المؤتمر قرارا ضافيا بشأن ضرورة متابعة بناء الجيش الاحمر باعتباره جيشا نظاميا ذا انضباط وقيادة مركزية صلبة . وكلف المؤتمر اللجنة المركزية للحزب باتخاذ الاجراءات

الحازمة لتحسين عمل المجلس العسكرى الثورى للجمهورية وهيئة الاركان الميدانية وهيئة الاركان العامة . وحدد المؤتمر كذلك طرق متابعة النهوض بالعمل الحزبى السياسى والتربوى فى القوات المسلحة . ولهذا الغرض حل مكتب المفوضين العسكريين لعموم روسيا وتم بناء على قرار المؤتمر تشكيل القسم السياسى لدى المجلس العسكرى الثورى للجمهورية وانيطت بهذا القسم قيادة العمل الحزبى السياسى فى الجيش . وبعد فترة قصيرة تحول هذا القسم السياسى الى الادارة السياسية .

وقدر المؤتمر الثامن للحزب تقديرا كبيرا دور المفوضين العسكريين : «فالحزب يلتفت بكل ارتياح الى العمل البطولى لمفوضيه الذين شكلوا فى فترة قصيرة وبالعمل جنبا الى جنب مع افضل العناصر القيادية العسكرية جيشا قادرا على القتال» . ووجهت قرارات المؤتمر الشيوعيين فى الجيش الى تشكيل الخلايا الحزبية فى كل وحدة عسكرية .

واصبح المؤتمر الثامن للحزب خاتمة لمرحلة البحث وتحسس الطريق فى مجال البناء العسكرى . فالحزب الشيوعى اذ عمم الخبرة المتكدسة وضع برنامجا دقيقا واضحا حوّل تنفيذه الجيش الاحمر الى قوة جبارة قادرة على حماية مكتسبات ثورة اكتوبر بكل امان .

عشية المعارك الحاسمة

دشن الجيش الاحمر عام ١٩١٩ الرهيب بانتصارات فى جبهات كثيرة . فالجيش السادس المقاتل فى الشمال وجه فى كانون الثانى (يناير) ضربة قاضية الى المتدخلين قرب مدينة شينكورسك . وحررت قوات الجبهة الغربية التى تكونت فى ١٨ شباط (فبراير) ١٩١٩ بيلوروسيا وقسما كبيرا من منطقة البلطيق . ونتيجة للهجوم الموفق الذى قامت به قوات الجبهة الاوكرانية (تكونت

في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩) اعيد قيام السلطة السوفييتية في القسم الاكبر من اوكرانيا . ودحرت جيوش الجبهة الجنوبية جيش القوزاق البيض بقيادة كراسنوف .

وتعزز الوضع الداخلي للجمهورية السوفييتية وازدادت سمعتها الدولية . واثبتت بلاد السوفييت وجيشها الاحمر الذي تعزز بسرعة ـ اثبتا عمليا القدرة على دحر قوات الحرس الابيض والغزاة الاجانب .

ولم يستطع منظمو التدخل ضد بلاد السوفييت ان يستخلصوا من هذه التجربة استنتاجات واعية . فقد وضعوا بصورة محمومة خطط المغامرات الحربية الجديدة وجندوا المرتزقة واعدوا ضربات اكثر قوة . وفقدت الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا والدول الامبريالية الاخرى املها بقواتها الخاصة فقررت متابعة القتال ضد الجيش الاحمر بايدي جيوش الحرس الابيض التابعة لكولتشاك ودينيكين ويودينيتش وغيرهم من العملاء . وكان من البديهي ان الدول الغربية هي التي قامت بتزويد هذه الجيوش بالسلاح والذخيرة والمعدات و«المدربين» والمستشارين كما قامت بالقيادة الفعلية للعمليات الحربية .

وهكذا استمر التدخل ضد بلاد السوفييت على نطاقات اوسع ، ولكن طرقه فقط هي التي تغيرت قليلا . وحاول الامبرياليون كذلك ان يجروا بكل الوسائل الى الحملة المسلحة على روسيا السوفييتية الجيوش كان التفوق العددي والتكنيكي الذي لا شك فيه الى جانب فنلندة واستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولونيا ورومانيا وغيرها . وكانت هذه المحاولات تمنى بالفشل عادة . ولكنه حتى بدون هذه الجيوش كان التفوق العددي والتكنيكي الذي لا شك فيه الى جانب خصوم الجمهورية السوفييتية . وبذلت بلاد السوفييت كل ما في وسعها لكي تعزز وتضاعف قواتها المسلحة . وحتى ربيع ١٩١٩ بلغ تعداد الجيش الاحمر حوالي ١٨٠٠ الف شخص .

ولكنه ليس من الصحيح الظن بان هذا العدد الهائل من الناس يمكن توجيهه الى الجبهة رأسا . فلكى يمكن تحويل العمال والفلاحين المجندين الى محاربين حقيقيين كان ينبغى تقديم البزة العسكرية لهم وتسليمهم السلاح وتدريبهم على اسس الشؤون العسكريـــة . ولكى يتم تشكيل الافواج والالوية والفرق القادرة على القتال كان ينبغـــى وجود القـــادة الواسعـــى الاطلاع والمنظمين السياسيين والمفوضين الجيدين . وكان من الضرورى طبعا صرف وقت كبير على هذا العمل المعقد وذى المسؤولية الكبيرة .

وحث الحزب البلشفى الطبقة العاملة البطلة والجماهير الفلاحية لتحقيق المآثر فى العمل وذلك لغرض تقديم الســـلاح والمعدات والملابس والمواد الغذائية الى حماة الوطن . وكان المبدأ الاساسى لحياة البلاد بأسرها هو «كل شيء للجبهة ، كل شيء للنصر» . وقد نفذت هذا المبدأ بثبات الهيئة الاستثنائية لسلطة الدولة ، مجلس الدفاع العمالى الفلاحى .

وكانت البلاد مدمرة معدمة ، ولكنه كان للجيش الاحمر الوثيق الارتباط مع شعبه مؤخرة ستراتيجية اكثر متانة وامانا بما لا يقاس من مؤخرة اى جيش امبريالى غاصب . فبالرغم من النقص الشديد فى الخامات والوقود وانقطاعات عمل النقليات أمن الشعب السوفييتى تلبية الحاجات المادية الملحة للقوات المسلحة .

وجرى بدأب كذلك اعداد قادة الجيش الاحمر وتعبئـــة الاخصائيين العسكريين السابقين ، كما جرى على نطاق واسع تشكيل وتدريب القطعات والتشكيلات الجديدة .

وكانت احداث الحرب الاهلية تتطور بسرعة كبيرة لدرجة لم يكون هناك معها وقت كاف لبناء الجيش النظامى الكبير للجمهورية السوفييتية بناء منتظما .

وفى ربيع ١٩١٩ كانت مئات الآلاف من المجندين لا تزال فى المرحلة الاولية للتدريب العسكرى ، وكانت قطعـــات وتشكيلات

كثيرة لا تزال فى مرحلــــة التأليف . وفضــــلا عن ذلك اضطرت الجمهورية السوفييتية الى تخصيص قوات عسكرية كبيرة لمكافحة الثورة المضـــادة داخل البلاد ولحمايـــة سكك الحديد والمصانع والموانئ والمستودعات وغيرها من المشاريع الهامة . ولذلك كان الجيش المقاتل يضم ٧٠٠ الف شخص فقط ، مع العلم بان كثيرا من افراده كانوا يخدمون فى وحدات ومؤسسات المؤخرة .

وبلغ امتداد خط الجبهـــة آنذاك اكثر من ثمانيـــــة آلاف كيلومتر . وعلى هذه المسافات الهائلة قاتلت افواج وفرق الجيش الاحمر التى كانت تضم ٣٨٢ الف حربة وسيف* .

بينمـــا بلغ تعداد محاربى قوات الحرس الابيض والقوات الاجنبية فى ربيع عام ١٩١٩ حتى ٥١١ الف حربة وسيف . مع العلم بان قوات العدو كانت جيدة التسليح ومزودة تزويدا كاملا بالذخيرة والمعدات وكان لديها قادة محنكون .

وكان منظمو التدخل يسعون الى الاستفادة من التفوق العددى لقواتهم ووضعها الافضل . وبذلت القيادة العليا لقوات دول الوفاق قصارى جهدها لوضع خطة موحدة والقيام بهجوم منســـــق على الجمهورية السوفييتية من كافـــة الاتجاهات فى وقت واحد . وفى كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ عين الجنرال الفرنسى جانين ، بالاتفاق مع الاميرال كولتشاك ، قائدا عاما لكافة قوات الحلفاء المقاتلة فى شرق روسيا وفى سيبيريا غربى بحيرة البايكال . ووضعت آنذاك فى باريس حيث كان يقع المجلس الاعلى لدول الوفــــاق الخطط الستراتيجية لدحر روسيا السوفييتية . وكانت منطلقات هذه الخطط تتلخص فى التالى : « ... ان تدخل دول الوفاق ضد النظام البلشفى هو ضرورة لا تقبل التأجيل ...

---

* كان قوام القوات المقاتلة يحسب بالحراب والسيوف ، اى انه كان يحسب فقط المقاتلون الذين يشاركون فى المعارك فعلا ويحملون البنادق ذات الحراب او سيوف الخيالة .

وبالاضافة الى الاعمال السياسية التى لا تضعف والتى يتضمنها هذا التدخل ، يجب ان يتجسد هذا التدخل فى تنسيق العمليات الحربية للقوات الروسية المعادية للبلشفيـــة مع جيوش الدول الحليفة المجاورة ...»

وفى اوائل آذار (مارس) ١٩١٩ انجزت القيادة العامـــة لقوات دول الوفاق وضع الوثيقة التى تتضمن جرد وحساب القوات العسكرية المعادية للسلطة السوفييتية كما وضعت خطـــة العمل التالية :

« ١ . تقديم ضمانات الامن للدول الصغيرة المحاذية لروسيا وذلك لكى تستطيع فيما بعد توجيه جهودها نحو الشرق .

٢ . تنظيم قيادة موحدة مشتركة للحلفاء تشمل اوامرها كافة القوات الحليفة والروسية بلا استثناء ولا تمييز فى الجبهـــات فى روسيا ...

٣ . تقديم القادة العسكريين اللازمين لمختلف الجيوش لغرض تنظيم القوات واجراء العمليات بصورة جيدة ... وتقديم المساعدة المالية والاقتصادية والمادية التى ستحتاجها هذه الجيوش لتجهيزها بالاسلحة الحديثة تجهيزا كافيا .

واذا نفذ هذا الشرط الثلاثى فعند ذلك فقط تستطيع القوات التى تقرر استخدامها ان تقوم بهجوم شامل يبدأ من كافة حدود روسيا ويوجه نحو المركز ، نحو قلب البلشفية ــ موسكو» . وكان على جيش دينيكين وكولتشاك ان يصبحا القوة الضاربة الرئيسية فى هذا الهجوم «نحو المركز» .

ولم يستطع الغزاة ابدا ان ينفذوا الشروط التى وضعوها ولا ان يحققوا الوحدة التامة بالرغم من كافة جهود منظمى التدخل . ففى معسكر اعداء السلطة السوفييتيـــة المتباين كانت تسيطر التناقضات الامبريالية والمنافسة والعداء . فجنرالات الحرس الابيض قاتلوا تحت شعار «روسيا الموحدة غير المجزأة» . وهذا الشعار

لم يكن مقبولا بالنسبة للحكومات البرجوازية القوميـــة فى فنلندة وبولونيا والبلدان الصغيرة الاخرى التى قامت فى عام ١٩١٧ على انقاض الامبراطورية الروسية السابقة .

ولذلك بالذات تحاشت البلدان الصغيرة بكل اصرار وبالرغم من ضغط الدول الغربية القاسى المشاركة المباشرة فى الحرب ضد الدولة السوفييتيـــة التى اعترفت بحقوق هذه البلدان فى الوجود المستقل .

والى جانب ذلك ينبغى ان تشير الى انـــه كان لدى اعداء الجمهورية السوفييتية بالرغم من تناقضاتهم العميقـــة مصالح مشتركة ، حيث كان تربطهم بالدرجة الاولى الرغبة فى القضاء على مكتسبات ثورة اكتوبر الاشتراكية . ولم يستطع اعداء الجيش الاحمر ان ينفذوا فى عام ١٩١٩ الهجوم الشامل تحت قيـــادة موحدة . فان القسم الاساسى من خططهم الستراتيجية لم يكن واقعيا . ومع ذلك فان جهود افراد الحرس الابيض والغزاة كانت تستجيب لدرجة ما الى الخطة العامة التى وضعتها القيادة العليا لدول الوفاق . وقد ذكر هذا الامر صراحة المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) فى ندائه الى كافة المنظمات الحزبيـــة . فقد جاء فى «النداء» : « بينت جملة من المعطيات التى استلمناها وجمعناها بان اعداء السلطة السوفييتية يبذلون قصارى جهدهم لتوجيه ضربة قاضية الى البروليتاريا . فقد اعد كولتشاك ودينيكين واشيـــاع بيتلورا وافراد الحرس الابيض فى الغرب هجوما شاملا على كافة الجبهات فى آذار (مارس) .

وكانت خطتهم تتلخص فى اشعال عدة انتفاضات داخل البلاد فى نفس وقت الهجوم الشامل ... » .

وكان قائد الدفاع عن الجمهورية السوفييتية لينين عارفـــا بوجود خطة عامة لدى الغزاة وافراد الحرس الابيض وقد فضح جوهر هذه الخطة . وفى الوقت ذاته اخذ لينين بنظر الاعتبـــار

واستخدم على افضل صورة التناقضات العميقة فى معسكر القوى المعادية للسلطة السوفييتية . واستطـــاع الجيش الاحمر الذى استرشد بتوجيهات اللجنة المركزيـــة للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) ان يحقق فى عام ١٩١٩ انتصارات حاسمة محشـــدا قواه على التوالى ضد مجموعات قوات العدو التى كانت تشكل الخطر الرئيسى على البلاد .

دحر جيوش «الحاكم الاعلى»

فى اوائل ربيع ١٩١٩ ، وعندما كان ستراتيجيو دول الوفاق لا يزالون يتابعون فى باريس تنسيق وتدقيق خطة الهجوم الشامل كان «الحاكم الاعلى» لروسيا الاميرال كولتشـــاك اول من حرك قواته ضد الجبهة السوفييتية الشرقية . وكان يأمل فى الاستفادة من التفوق العددى لكى يبعد الجيش الاحمر عن الاورال قبـــل تفتح الربيع ويهيئ الظروف الملائمة لمتابعة الهجوم نحو الفولغا ومن ثم على موسكو .

وكانت لدى كولتشاك قوات كبيرة . فقد جمع اكثر من ٣٠٠ الف جندى وضابط . وقدمت له الدول الغربية كمية هائلة من السلاح والمعدات الحربية . وكان حوالى ١٥٠ الفـــا من الجنود اليابانيين والاميركان والبريطانيين والتشيكيين والفرنسيين وغيرهم من الاجانب «يحرسون النظام» فى الشرق الاقصى وفى سيبيريا حامين بحرابهم دكتاتورية كولتشاك العسكرية الدمويـــة . وبلغ تعداد جيوش كولتشاك المقاتلة فى الجبهة مباشرة ١٣٠ــ١٤٥ الف حربة وسيف .

وواجهت قوات كولتشاك جيوش الجبهة السوفييتية الشرقية التى يزيد عددها قليلا على ١٠٠ الف حربـــة وسيف والتى امتدت بشكل خط رفيع على طول ١٨٠٠ كيلومتر . وكان كامينيف قائدا لقوات الجبهة الشرقية .

وبدأ هجـوم قوات كولتشـاك فى ٤ـ٦ آذار (مارس) ١٩١٩ . وفى الجناح الشمالى للجبهة ازاح الجيش السيبيرى المعادى قوات الجيشين السوفييتيين الثانى والثالث التى دافعت عن نفسها بصمود حتى خط نهر فياتكا حيث امكن وقف هجوم العدو نهائيا . واحرز افراد الحرس الابيض نجاحا كبيرا خصوصا فى وسط الجبهة باتجاه مدينة اوفا . فهناك وجه جيش كولتشاك الغربى ضربة الى جناح الجيش السوفييتى الخامس للجبهة الشرقية . وكانت قوات العدو فى هذا الاتجاه تتفوق عدديا باكثر من اربع مرات على القوات السوفييتية ، الامر الذى ساعده فى الاستيلاء على مدينة اوفا فى الرابع عشر من آذار (مارس) ، ولكنه لم يستطع ان يواصـل انتصاره هذا رأسا . فطوال اسبوعين كان المحاربون البواسل من فرقتى المشاة السادسة والعشرين والسابعة والعشرين والفوج الذى تشكل من عمال اوفا يصدون الهجمات العنيدة التى كان يقوم بها البيض جنوبى اوفا . الا ان القوى لم تكن متعادلة ابدا ، مما اضطر الجيش الخامس الى الانسحاب فى اتجاهات متباعدة . وفتحت ثغرة فى وسط الجبهة الشرقية فأسرعت قوات كولتشاك نحو الفولغا . واسكر هذا الانتصار ليس فقط افراد الحرس الابيض بل وكذلك اسيادهم الامبرياليين . وفى اواسط نيسان (ابريل) كتب رئيس وزراء فرنسا كليمانصو الى الجنرال جانين رئيس قيادة القوات الاجنبية فى شرق روسيا يقول : «اذا ظلت باقية الظروف الراهنة الملائمة ، فأنا اعتقد بامكانية زحف قواتكم الاساسية فى الاتجاه الرئيسى الى موسكو ، فى الوقت الذى يؤمن الجناح الايسر الاتصال مع دينيكين لغرض تشكيل جبهة روسية مستمرة ...» .

وهكذا ، اصبحت الجبهة الشرقية فى ربيع عام ١٩١٩ من جديد الاتجاه الرئيسى الذى كان يتقرر فيه مصير الثورة . وقدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) تقديرا صائبا

مدى الخطر الداهم واتخذت الاجراءات اللازمة لتعزيز الجيش الاحمر وخصوصا الجبهة الشرقية .

وفى ١٠ نيسان (ابريل) اقر مجلس مفوضى الشعب مرسوما بشأن تجنيد سبعة مواليد من العمال والفلاحين فى المحافظات الوسطى . وفى اليوم ذاته وجه لينين رسالة الى عمال بتروغراد دعاهم فيها الى « انهاض كل شيء وتعبئة كافة القوى لنجدة الجبهة الشرقية » .

وتجلت بسرعة نتائج العمل الذى جرى على نطاق واسع فى كافة ارجاء البلاد لتعزيز الجيش الاحمر . وكانت تتوجه الى الجبهة الشرقية بكميات متزايدة على الدوام التعزيزات والاسلحة والذخيرة . ففى الفترة من نيسان (ابريل) الى حزيران (يونيو) استلمت جيوش هذه الجبهة امدادات يبلغ تعدادها حوالى ١١٠ آلاف شخص بمن فيهم ١٥ الف شيوعى و٣ آلاف من اعضاء اتحاد الشبيبة الشيوعى اللينينى (الكومسومول) و٢٥ الفا من العمال الطليعيين واعضاء النقابات . وبمساعدة الدعم الجبار الذى قدمته البلاد بأسرها انتقلت القوات السوفييتية المقاتلة ضد جيوش كولتشاك فى اواخر نيسان (ابريل) من الدفاع الى الهجوم .

وحتى ذلك الحين كان قد تم لغرض تسهيل القيادة تقسيم قوات الجبهة الشرقية الى مجموعتين عملياتيتين مؤقتتين هما المجموعة الشمالية والمجموعة الجنوبية . وشكل الجيشان الثانى والثالث المقاتلان شمالى نهر كاما المجموعة الشمالية التى قاد قواتها شورين . وتكونت المجموعة الجنوبية من الجيشين الرابع والاول والجيش التركستانى والجيش الخامس . وعين فرونزه قائدا لهذه المجموعة ، كما عين كويبيشيف ونوفيتسكى عضوين للمجلس العسكرى الثورى للمجموعة .

ووضعت قيادة الجبهة الشرقية خطة الهجوم المضاد على قوات الحرس الابيض المنطلقة نحو الفولغا . وكان على قوات المجموعة

الجنوبية ان توجه الضربة الرئيسية للعدو . واختار فرونزه بصورة صائبة اتجاه الضربة الى جناح جيش كولتشاك الغربى الممتد على مسافة كبيرة . وعندما كانت الوحدات الاماميـــة لقوات الحرس الابيض المندفعة والواثقة كليا من النصر على بعد ٨٠ـ٥٠ كيلومترا من الفولغا تلقت الضربة الجناحية التى وجهتها القوات السوفييتية ، وكانت هذه الضربة اشد ارعابا بالنسبة للعدو لانها كانت مفاجئة .

وبدأ الهجوم السوفييتى المضاد فى الجبهة الشرقية يوم ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩١٩ .

وزحفت الى الامام بحزم وبمسيل لا يمكن ان يعوقه عائق فرق والوية الجيش الخامس والجيش التركستانى . ولم تقف فى وجه هجومها الحماسى لا هجمات قوات كولتشاك المضادة اليائسة ولا اوحال الربيع ولا فيضان الانهار . وحارب بصلابة وصمود مقاتلو الجيشين الاول والرابع اللذين دعما الهجوم بقسم من قواتهما وصدا ببطولـــة فى الوقت ذاتـــه هجوم القـــوزاق البيض قرب مدينتى اورينبورغ واورالسك .

وتطور واتسع هجوم القوات السوفييتية المضاد . فقد تحطم الجناح الايسر لجيش العدو الغربى ، واخذ هذا الجيش ينسحب على عجل . وانتزعت قوات الجبهة الشرقيـة المبادرة من ايدى قوات كولتشاك وزادت من قوة ضرباتها على الدوام .

وكان العدو الذى يتشبث بكل خط ملائم له ينسحب الى سفوح الجبال الاورالية وهو يتابع القتال . وكان ينوى وقف هجوم القوات الحمراء عند مشارف اوفا محتميا بحاجز طبيعى قوى هو نهـــر بيلايـــا .

وكان الموقف الستراتيجى العام للجمهورية السوفييتية آنذاك لا يزال معقدا جدا . ففى الجنـــوب اجتاحت قـــوات دينيكين الدونباس ، وقامت فى منطقة الدون واوكرانيا تمردات ضد السلطة السوفييتية ، وكانت قوات يودينيتش تهاجم بتروغراد . وفى هذه

الظروف غدا تحرير الاورال وتصفية الخطر من الشرق مهمة حيوية للغاية بالنسبة لبلاد السوفييت بأسرها .

وفى اوائل حزيران (يونيو) وصلت قوات المجموعة السوفييتية الجنوبية الى نهر بيلايا . وخلال الانسحاب نسف العدو الجسور وحطم المعابر . الا ان مقاتلى الفرق ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ استخدموا ما كان فى متناول ايديهم من وسائل فعبروا النهر الى الشاطئ الآخر واستولوا هناك على رؤوس جسور غير كبيرة .

وقلق العدو خصوصا من انتصار الفرقة الخامسة والعشرين التى كانت تهاجم فى الجناح الايسر للجيش التركستانى وشكلت رأس جسر فى منطقة كراسنى يار مهددة اوفا تهديدا مباشرا . وحاولت قوات كولتشاك بكل الوسائل ان تلقى بافواج الجيش الاحمر الى النهر . ونشبت معارك طاحنة . واستطاع قائد الفرقة الخامسة والعشرين تشابايف ان يعزز مواقعه فى شاطئ العدو وان ينظم متابعة عبور الافواج بالرغم من انعدام وسائل العبور انعداما يكاد يكون تاما .

ومع ذلك كان العدو متفوقا كثيرا من حيث العدد . فقد وجه وحداته المختارة ضد فرقة تشابايف . وقصفت طائرات العدو منطقة العبور والقوات المدافعة عن رأس الجسر . وفى احرج لحظة من المعركة حيث استطاع البيض ان يزيحوا حماة رأس الجسر عبر فرونزه الى الشاطئ الشرقى من نهر بيلايا وقاد بنفسه فى الهجوم المضاد فوج ايفانوفو-فوزنيسينسك الـ ٢٢٠ وفوج بوغاتشيف الـ ٢١٧ . وعزز الطيارون السوفييت تعزيزا نشيطا العمليات الحاسمة التى كانت تقوم بها افواج فرقة تشابايف . وكان هؤلاء الطيارون قد قاموا بما يقارب الـ٥٠ طلعة فى ايام المعارك من اجل اوفا . وصد ابطال فرقة تشابايف كافة هجمات العدو وحرروا اوفا فى ٩ حزيران (يونيو) وهربت القوات البيضاء على عجل نحو الشرق آملة بالتحصن عند خط سلسلة جبال الاورال .

وخلال المعارك قرب اوفا اصيب فرونزه برضوض كما اصيب

تشابايف بجرح خطير . ومنح كلا القائدين وسامى الراية الحمراء تقديرا لمهارتهما الحربية الرائعة وبسالتهما التى ابدياها شخصيا فى عملية اوفا .

وكان دحر قوات كولتشاك عند خط نهر بيلايا بداية للهجوم الشامل لقوات الجبهة الشرقية . وحاول الغزاة وافراد الحرس الابيض الذين ارعبتهم انتصارات الجيش الاحمر فى الشرق ان يلهوا قوات هذا الجيش فى اتجاهات اخرى . ففى ايار (مايو) ١٩١٩ شنت هجوما على بتروغراد قوات الجنرال يودينيتش المعززة من قبل الاستونيين البيض والفنلنديين البيض وعمارة السفن البريطانية . ورافقت هذا الهجوم سلسلة من التمردات والمؤامرات التى نظمها عملاء دول الوفاق فى مؤخرة القوات السوفييتية . ونشأ وضع خطير فى شمال غربى الجمهورية السوفييتية . ولغرض تصفية الخطر الجديد اخذت اللجنة المركزية للحزب ومجلس الدفاع يشرفان مباشرة على الدفاع عن بتروغراد . واقرت اللجنة المركزية للحزب نداء الى كافة المنظمات الحزبية جاء فيه : «ان جبهة بتروغراد اصبحت واحدة من اهم جبهات الجمهورية» . وارسلت اليها التعزيزات العسكرية والشيوعيون المجندون بصورة عاجلة . وصد الغزاة بكل حزم بحارة اسطول البلطيق البواسل وعمال بتروغراد ومحاربو الجيش السابع . وتم دحر المتمردين بضربة منسقة من قبل القوات البرية وسفن اسطول البلطيق وسلاح الجو . ومنيت القوات البيضاء التى هجمت على بتروغراد بهزيمة كبرى فتراجعت الى الخطوط التى انطلقت منها .

وهكذا انتهت بالفشل التام المحاولة التى قام بها الغزاة وافراد الحرس الابيض لغرض الهاء قوات الجمهورية السوفييتية عن المهمة الرئيسية ، الا وهى مهمة دحر كولتشاك .

وفى ربيع وصيف ١٩١٩ ، والى جانب خوض النضال المرهق العسير على الجبهات ، نفذ الشعب السوفييتى مقررات المؤتمر الثامن

للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) وتابع بناء وتعزيز جيشه الاحمر . واتسمت بأهمية كبيرة للغاية الاجراءات التى نفذت فى تلك الفترة لاقامة الوحدة العسكرية للجمهوريات السوفييتية . ونشأت ضرورة هذه الاجراءات بسبب قيام الحكومات السوفييتية ، بعد طرد المحتلين الالمان ، فى اوكرنيا وبيلوروسيا وليتوانيا ولاتفيا واستونيا ، تلك الحكومات التى بدأت بتأليف قطعاتها وتشكيلاتها القومية للجيش الاحمر ، كما شكلت هيئات الادارة الحكومية العسكرية المختصة . وتكونت الجبهة الاوكرانية (التى ضمت ثلاثة جيوش اوكرانية) ، وتكون الجيش البيلوروسى ــ الليتوانى وجيش لاتفيا السوفييتية .

وفى الاول من حزيران (يونيو) ١٩١٩ اقرت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا مرسوما بشأن « توحيد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية : روسيا واوكرانيا ولاتفيا وليتوانيا وبيلوروسيا للنضال ضد الامبريالية العالمية » .

واعيد تنظيم قوات كافة الجمهوريات السوفييتية حسب النظام الموحد للجيش الاحمر بأسره . وتم تشكيل الجيشين ١٢ و١٤ من قوات الجبهة الاوكرانية بعد حلها ، وتحول جيش لاتفيا السوفييتية الى الجيش الخامس عشر ، كما تحول الجيش البيلوروسى ــ الليتوانى الى الجيش السادس عشر . وكانت هذه الجيوش جميعا خاضعة كليا للقيادة العامة للجيش الاحمر .

وساعد قيام الوحدة العسكرية كثيرا على تنامى قوات الجيش الاحمر وقدرته القتالية فى احلك فترة من فترات الحرب الاهلية ، عندما بدأ الهجوم المضاد فى الشرق وعندما كانت تجرى المعارك الدفاعية الصعبة فى الشمال الغربى والجنوب . وكان تحرير الاورال ودحر جيوش كولتشاك نهائيا هما واحدة من المهام الرئيسية فى هذا الوضع الستراتيجى .

وفى ١٩ حزيران (يونيو) كانت قد انجزت عملية اوفا .

ونشبت المعارك الحاسمة من اجل الاورال فى حزيران ـ تموز (يونيو ـ يوليو) ١٩١٩ . وطبقا لخطة القيادة السوفييتية وجه الجيش الخامس بقيادة توخاتشيفسكى الضربة الرئيسية فى اتجاه زلاتوأوست وتشيليابينسك . وكان على هذا الجيش ان يعبر نهر اوفا وسلسلة جبال آلا-تاو وان يصل مركز الاورال ، بينما كانت قوات كولتشاك المتحصنة وراء حواجز ملائمة للدفاع قد سيطرت على كافة الممرات الجبلية والطرق ومناطق العبور . وكان دفاع العدو قويا ، وكان يبدو وكأنه دفاع لا يقهر . ومع ذلك استطاع محاربو الجيش الاحمر ان يشقوا هذا الدفاع بسرعة . فقد عبرت المجموعة الضاربة للجيش الخامس والمكونة من الفرقتين ال٢٦ وال٢٧ نهر اوفا واحتلت رأس جسر على شاطئه الشرقى . وتحرك لواءان من الفرقة السادسة والعشرين وهما بقيادة ايخيه تحركا خفية عن انظار العدو عبر سلسلة جبال آلا-تاو عن طريق وادى نهر يوريوزان الوعر الذى كان يعتبر غير قابل لسير القوات ابدا . واستغرقت هذه المسيرة البطولية ثلاثة ايام بلياليها . وكان افراد الجيش الاحمر يتابعون السير ليل نهار ساحبين مدافعهم بايديهم عبر العوائق التى لا تعد ولا تحصى ، ويخترقون الاحراش ويذللون الشعاب والانهار الجبلية . وكانت وتيرة المسيرة عالية للغاية : فخلال ثلاثة ايام قطعت الفرقة السادسة والعشرون ١٢٠ كيلومترا . وكان ظهور القوات الحمراء على مشارف زلاتوأوست امرا مباغتا تماما بالنسبة للعدو . وزج العدو ضد هذه القوات بكافة احتياطياته الموجودة لديه وذلك لكى يدمر فرق الجيش الخامس الزاحفة الى الامام . ودارت فى وسط الاورال المعارك الطاحنة التى انتهت بهزيمة كبيرة اخرى لقوات الحرس الابيض : فقد تم تحرير زلاتوأوست فى ١٣ تموز (يوليو) . وتراجعت قوات كولتشاك على عجل نحو تشيليابينسك .

وتطور بنجاح فى شمال الاورال هجوم الجيشين الثانى والثالث

اللذين استطاعا بمساعدة اسيطيل الفولغا ان يقهرا مقاومة العدو الضارية على خط نهر كاما وان يدمرا اسيطيل البيض النهرى القوى وان يحررا فى الاول من تموز (يوليو) مركزين هامين فى الاورال وهما كونغور وبيرم .

وساعدت على نجاح هجوم الجبهة الشرقية لدرجة كبيرة جدا جهود عمال الاورال الذين قاموا بالانتفاضات فى مؤخرات قوات كولتشاك وشكلوا فصائل الانصار ، وانخرطوا باعداد كبيرة فى صفوف الجيش الاحمر لدى وصوله . فبدعم نشيط من هؤلاء العمال تطور هجوم الجيش الاحمر بوتائر متصاعـــدة . وفى ١٤ تموز (يوليو) حررت قوات الجيش الثانى بقيـــادة شورين مدينـــة يكاتيرينبورغ (سفيردلوفسك حاليا) . وكانت اول من دخل المدينة افواج فرقة المشاة الثامنة والعشرين التى قادها آزين ، وهو من ابرز ابطال الحرب الاهلية .

واخذت اخبار النصر تتوارد على موسكو من الشرق الواحد تلو الآخر . وفى ١٧ تموز (يوليو) افاد المجلس العسكرى الثورى للجبهة الشرقية : «ان قوات الجيش الخامس الباسلة بقيادة القائد المحنك توخاتشيفسكى عبرت الاورال بعد معارك طاحنة حطمت فيها قوات العدو البشرية» . وبدعم نشيط من عمال تشيليابينسك الثائرين حرر الجيش الخامس مدينة تشيليابينسك يوم ٢٤ تموز (يوليو) . ووجهت المجموعتان الضاربتـــان القويتـــان من قوات كولتشاك الضربة الى الجناحين المكشوفين للجيش الخامس الذى تقدم الى امام كثيرا . واستمرت المعركة الطاحنـــة عند جدران تشيليابينسك سبعة ايام كاملة . واستطاع محاربو الفرق الـ ٢٦ و٢٧ و٣٥ بدفاعهم الصامد ان يوقفوا هجوم العدو اليائس ، ومن ثم ردوا عليه بضربة قاضية . وكان النصر تاما . فقد اسر حوالى ١٥ الف من جنود كولتشاك فى منطقة تشيليابينسك وحدها . وولت

قوات «الحاكم الاعلى» المقهورة الادبار الى ما وراء نهر توبول على عجل .

وكتب محاربو الجبهة الشرقية فى اوائل آب (اغسطس) ١٩١٩ الى لينين ما يلى : «رفيقنـــا العزيز وقائدنـــا المخلص المجرب ! امرت باحتلال الاورال حتى حلول الشتاء . لقد نفذنا امرك الحربى ، فاحتللنا الاورال ، وها نحن نسير الى سيبيريا ...» .

ولأن قوات كولتشاك تجزأت وانسحبت باتجاهات متباعدة ، فقد شكلت القيادة العامة للجيش الاحمر فى اواسط آب (اغسطس) الجبهة التركستانية المكونة من الجيوش الاول والرابع والحادى عشر وذلك لاتمام دحر الثورة المضادة فى جنوب الاورال والسهوب المحاذية لقزوين . وعين فرونزه قائدا لقوات هذه الجبهة .

وفى خريف وشتاء ١٩١٩ انجزت قوات الجبهة الشرقيـــة والجبهة التركستانية نهائيا دحر وتصفية قوات كولتشاك المسلحة . وقدم الانصار الابطال فى سيبيريا والشرق الاقصى مساعدة غير قليلة فى تنفيذ هذه المهمة . فحركة الانصار فى هاتين المنطقتين اتسعت على نطاق هائل ، وذلك لان اوسع فئات جماهير الشغيلـــة هبت لمكافحة المتدخلين الاجانب ودكتاتورية كولتشاك الرجعية . وبعث الانصار فى كثير من المناطق السلطة السوفييتية لفترة طويلة قبل وصول وحدات الجيش الاحمر الى تلك المناطق .

وفى اوائل ١٩٢٠ سيطر العمال الثائرون فى اركوتسك على هذه المدينة واقاموا فيها سلطة اللجنة العسكرية الثورية التى قادها الشيوعيون . وقطع الطريق على قوات الغزاة المذعورة والهاربة الى الشرق . ولكى يحصل المتدخلون على امكانية الانسحـــاب بلا عوائق سلموا الى اللجنة الثورية فى اركوتسك «حاكم روسيـــا الاعلى» كولتشاك مع القطار الذى كان ينقل احتياطى ذهب الجمهورية الذى استولى عليه افراد الحرس الابيض فى قازان . واعدم كولتشاك رميا بالرصاص حسب حكم اللجنة الثورية فى اركوتسك .

وبدعم من الشعب بأسره صفى محاربو الجيش الاحمر واحدة من اقوى مجموعات الغزاة والحرس الابيض بتمامها واعادوا الى الجمهورية السوفييتية رحاب منطقة ما وراء الفولغا والمنطقة المحاذية لبحر قزوين والاورال وسيبيريا .

فلنهب جميعا لمحاربة دينيكين !

كان المتدخلون الاجانب الذين اضطروا فى ربيع ١٩١٩ الى سحب قواتهم من اوكرانيا والقرم لا يريدون ابدا ان يتخلوا عن فكرة دحر الجمهورية السوفييتية من الجنوب . وكانت القيادة العليا لدول الوفاق تعتقد انه بالاضافة الى تشكيل جيوش كولتشاك بدأب فى سيبيريا «... يجب ان يتكون فى جنوب روسيا للهجوم على موسكو القسم الاساسى من القوات القومية بمساعدة جيوش دينيكين وكراسنوف والقوات المحلية التى جمعت فى اوكرانيا والاسرى الروس الذين ينبغى ان يعودوا ...» .

وبمساعدة الغزاة الاجانب ثبت الجنرال دينيكين اقدامه فى شمال القفقاس ووحد قوى الثورة المضادة فى الجنوب تحت قيادته . فقد تشكلت هناك ثلاثة جيوش للحرس الابيض : جيش المتطوعين وجيش الدون وجيش القفقاس . وكانت لدى هذه الجيوش ملاكات قيادية محنكة وخيالة كثيرة العدد ، وكانت تستلم من الدول الغربية كميات غير محدودة من السلاح والذخيرة والعتاد الحربى . وكان اسطول الغزاة يسيطر على البحر الاسود بلا منازع .

وكانت تقاتل ضد المتدخلين وقوات الحرس الابيض فى الجنوب صيف ١٩١٩ الجبهة الجنوبية التى حاربت آنذاك على مساحة هائلة من اسفل نهر الفولغا الى مصب نهر الدنيبر . وقاد قوات هذه الجبهة غيتيس . وقد اضعفت هذه القوات الخسائر التى لحقت بها وكذلك وباء التيفوس الذى فتك بافرادها . وانشغلت قوات كثيرة باخماد الانتفاضات التى نشبت ضد السلطة السوفييتية فى اوكرانيا والدون .

وانتهزت جيوش دينيكين هذه الفرصة الملائمة فانتقلت الى الهجوم فى ايار ـ حزيران (مايو ـ يونيو) والحقت هزيمة كبيرة بقوات الجبهة الجنوبية واحتلت قسما كبيرا من منطقة الفولغا الاسفل ومنطقة الدون والدونباس واوكرانيا الشاطئ الايسر .

واستولت الجيوش البيضاء على تساريتسين وبوفورينو وليسكى وخاركوف ووصلت الى حدود المحافظات الوسطى فى روسيا السوفييتية . ووجه الجنرال دينيكين الذى اسكرته هذه الانتصارات فى اوائل تموز (يوليو) الى جيوشه امرا بالهجوم على موسكو . وصارت الدول الغربية التى فقدت ثقتها بكولتشاك تعلق جل آمالها الآن على قوات الثورة المضادة فى الجنوب .

وكانت تتوهم بان الجيش الاحمر سيتحطم نهائيا فى القريب العاجل وان الاستيلاء على موسكو ودحر البلاشفة كليا يحتاجان الى وقت وجهود ليست كبيرة . ولم يبخل السادة الامبرياليون بالاموال والسلاح لتحقيق هذا الهدف المنشود .

وهكذا ، ففى الوقت الذى شرع فيه الجيش الاحمر بتحرير الاورال فى الشرق ، احاق بالجمهورية السوفييتية خطر جديد من الجنوب . وتغير الموقف الستراتيجى فجأة ، وكان ينبغى العمل بصورة عاجلة لصد الخطر الداهم . واقترح القائد العام للجيش الاحمر فاتسيتيس وقف الهجوم فى الشرق وارسال القوات من هناك لمحاربة دينيكين . ووافق على هذا الرأى كذلك رئيس المجلس العسكرى الثورى للجمهورية تروتسكى . الا ان وقف هجوم الجبهة الشرقية كان من شأنه ان يترك الاورال فى ايدى قوات كولتشاك التى كان باستطاعتها ان تضمد جراحها بسرعة وتنتقل الى العمليات النشيطة من جديد . وكان من شأن ذلك ان يجعل روسيا السوفييتية المحرومة من المناطق الصناعية فى الاورال والدونباس واوكرانيا والمنقطعة عن مصادر الوقود والمناطق الزراعية الاساسية تفقد امكانية متابعة النضال المسلح .

ولغرض حل اهم المسائل العسكرية والسياسية ووضع برنامج للاعمال عقد فى ٣ تموز (يوليو) ١٩١٩ الاجتماع الكامل للجنة المركزيـــة للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) . وفى هذه الايام العصيبة المعقدة تجلت خصوصا السمات المميزة لعبقرية لينين . فقد صاغ لينين المهمة الستراتيجية باقصى حد من الوضوح والدقة : « يجب ان تبذل كافة قوى العمال والفلاحين وكافة قوى الجمهورية السوفييتية لصد غزو دينيكين والانتصار عليـــه دون ان يتوقف هجوم الجيش الاحمر المظفر على الاورال وسيبيريا » * .

ولغرض انهاء التردد والخلافات فى الهيئات العليـــا للادارة العسكرية قرر الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) اعفاء فاتسيتيس من مسؤوليات القائد العام للجيش الاحمر وتعيين كامينيف لهذا المنصب ؛ واعادة تنظيـــم المجلس العسكرى الثورى للجمهورية بصورة جذرية وذلك بتقليص عدد اعضائه الى ستة اشخاص ؛ وتقوية قيادة الجبهات ، وارسال اكبر عدد ممكن من الشيوعيين الى الجيش المقاتل ، وتقوية العمل السياسى والتربوى فيه كثيرا ، وتنظيم العمل فى المؤخرة بصورة افضل ، وذلك لكى يمكن تقديم كل ما تحتاجه الجبهـــة لتحقيق النصر . ونقل قائد الجبهة الجنوبية غيتيس الى منصب قائد الجبهة الغربية . وعين لمنصب قائد الجبهة الجنوبية يغوريبف . وانيطت بفرونزه قيادة قوات الجبهة الشرقية .

واطلع الحزب جماهير الشغيلة بشجاعة وصراحة على مدى الخطر الداهم وطرح شعـــارا كفاحيـــا جديدا يعبئ المواطنين السوفييت لصد افراد الحرس الابيض السفلة الزاحفين من الجنوب ، « فلنهب جميعا لمحاربة دينيكين ! » ــ ذلك هو عنوان رسالـــة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) التى حررها

---

* لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٤٥ .

لينين الى كافة منظمات الحزب . وتبدأ هذه الرسالة بالتقييم الدقيق الصريح للموقف : «ايها الرفاق ! حلت واحدة من اكثر اللحظات حراجة ، بل ، وعلى كل احتمال ، اكثر اللحظات حراجة فى الثورة الاشتراكية» . وقدمت الرسالة الى الحزب والشعب السوفييتى بأسره برنامج عمل مفصلا ومحددا للغاية ، وقد بين الطريق الى الانتصارات الحاسمة .

وتنفيذا لقرارات الاجتماع الكامل الذى عقدته فى تموز (يوليو) اللجنة المركزية للحزب اعلنت المنظمات الحزبية فى المناطق المحاذية للجبهات انها فى حالة حرب . وتوجه الى الجبهة كافة الشيوعيين القادرين على حمل السلاح ، اما الباقون فكانوا ينفذون مهام تعزيز المؤخرة والنهوض بالانتاج الحربى . وجرت تعبئة الشيوعيين فى كافة انحاء البلاد .

وحذا اتحاد الشبيبة الشيوعى اللينينى (الكومسومول) حذو الحزب . ففى حزيران (يونيو) حيث بدأ هجوم دينيكين فى اوكرانيا قرر اعضاء اتحاد الشبيبة فى كييف «اعتبار الاتحاد كله جزءا من الجيش الاحمر المقاتل ... ولا يقبل اى عذر لعدم الحضور فى مركز التجنيد .

ويستطيع العمال الشباب – من غير اعضاء الاتحاد – ان يحضروا بمحض اختيارهم حاملين هويات احدى لجان المصانع والمعامل وهويات النقابة وتزكية من عضو فى الحزب او الاتحاد .

فالى السلاح جميعا فى هذه الفترة العصيبة !» .

واجريت مثل هذه التدابير فى كثير من المدن والمناطق الاخرى . فقد اعلنت لجنة الكومسومول فى محافظة كورسك فى تموز (يوليو) ١٩١٩ ان كافة منظمات الكومسومول فى المحافظة تنتقل الى حالة الحرب وان كافة اعضاء الاتحاد يعتبرون مجندين ابتداء من سن السادسة عشرة .

وفى هذه الايام المقلقة بالذات ظهرت على ابواب لجان

الكومسومول اعلانات كتبت باليد وبكل استعجال : «اللجنة المنطقية مغلقة ، حيث توجه الجميع الى الجبهة» . كان من الصعب على اعضاء الكومسومول فى تلك السنوات التى لا تنسى ان يتصوروا ان هذه الكلمات ستصبح مثلا سائرا وان تصدح بالنسبة للاحفاد كنغم بطولى فخور .

ومع اعضاء الكومسومول انخرطت فى صفوف الجيش الاحمر آلاف مؤلفة من العمال والفلاحين الشباب .

وبذل مجلس الدفاع والقيادة العامة للجيش الاحمر جهودا كثيرة لكى يؤمنا تزويد الجبهات على الدوام بالاحتياطيات والاسلحة والذخيرة . وكان تدريب الاحتياط يجرى فى وحدات الاحتياط التابعة للمناطق العسكرية والجبهات والجيوش ، وكذلك فى شبكة التدريب العسكرى العام . وخلال الفترة من ايار (مايو) الى كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ وحدها قدمت وحدات الاحتياط التابعة للمناطق العسكرية الى الجبهات امدادات بلغت حوالى ٧٦٠ الف شخص . وحصل على التدريب العسكرى الابتدائى فى شبكة التدريب العسكرى العام حوالى ٨٠٠ الف من الشغيلة .

وفى صيف ١٩١٩ تم تشكيل جيش الاحتياط للجمهورية الذى تحول سريعا الى المركز الرئيسى لاعداد قوات الاحتياط العملياتية الستراتيجية . وخلال الاشهر العشرة الاولى من عمل جيش الاحتياط اعد هذا الجيش وشكل وارسل الى الجبهات وحدات وقطعات وتشكيلات يتجاوز تعدادها الاجمالى ١٣٠ الف شخص .

وتحسن كذلك عمل هيئات الادارة العسكرية العليا التى تم تجديدها . وكان يتزايد على الدوام مسيل الامدادات المتجهة الى الجنوب . ففى اواسط تموز (يوليو) بلغ تعداد افراد جيوش الجبهة الجنوبية ١٧٠ الف حربة وسيف مقابل ١٥٢ الفا لدى دينيكين . وبتناسب القوى هذا صدت الجبهة الجنوبية فى الاتجاهات الحاسمة محاولات قوات دينيكين التوغل فى المناطق الوسطى فى

البلاد . ووضعت قيادة الجيش الاحمر خطة الهجوم المضاد ، الا ان التحضير لها استطال امده ، ولم يتم تحقيق عنصر المباغتة ، كما لم يتم تحقيق التعاون بين المجموعات التى وجهت الى العدو الضربة الرئيسية والضربـــة المساعدة . ولذلك لم يتم تحقيـــق النتائج المنشودة .

ففى اواخر آب (اغسطس) واوائل ايلول (سبتمبر) اخذت قوات دينيكين المبادرة من جديد نتيجة للمناورة الواسعة بخيالتها الغفيرة . واضطرت قوات الجيوش الـ ١٤ و١٣ و٨ على الانسحاب الى الشمال فى معارك طاحنة تكبدت خلالها بخسائر كبيرة . وفى ٢٠ ايلول (سبتمبر) سقطت مدينة كورسك ، وفى ٦ تشرين الاول (اكتوبر) سقطت فورونيج . ولاول مرة فى الحرب الاهلية كلها صار العدو يهدد موسكو مباشرة .

وكان يجب اتخاذ اجراءات استثنائية ، وتطلب الامر اقصى حد من توتر قوى الشعب بأسره وجيشه لغرض وقف العدو الوقح وابعاده . وحدد اهم الاجراءات العاجلة الاجتماع الكامل الذى عقدته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) فى ٢١ و٢٦ ايلول (سبتمبر) وكذلك مجلس الدفاع . وقرر الاجتماع الكامل للجنة المركزية : تحويل اكبر عدد ممكن من افضـــل الوحدات العسكرية وافضل القادة ومناضلى الحزب المسؤولين الى الجبهـــة الجنوبية واجراء تعبئة جديدة للشيوعيين للخدمة العسكريـــة واستبدال قائد الجبهة الجنوبية وتأسيس مجلس منطقة موسكو المحصنة .

وازدادت المقاومة ضد قوات دينيكين بسرعـــة فى كافـــة الاتجاهات . ولأن المعركة على الخط البادئ من كورســك حتى فورونيج اتسمت بأهمية حاسمة فى خريف ١٩١٩ جعل المجلس العسكرى الثورى للجمهورية الجيوش الـ ١٤ و١٣ و٨ المقاتلة هناك تحارب بشكل جبهة مستقلة مع الاحتفاظ باسم الجبهة الجنوبية لها.

وعين قائدا لقوات هذه الجبهة يغوروف ـ وهو ضابط سابق فى الجيش الروسى وقد ابدى مرارا فى المعارك من اجل السلطة السوفييتية بسالة رائعة ومهارة قيادية عالية . كما ضم الى المجلس العسكرى الثورى للجبهة ستالين وذلك بناء على قرار اللجنة المركزية للحزب .

وانضمت قوات الجيشين التاسع والعاشر ، وفيما بعد الحادى عشر الى الجبهة الجنوبية الشرقية الجديدة التى قادها شورين .

وبعد ان عززت جيوش الجبهة الجنوبية وقوت صفوفها اثناء المعارك الدفاعية المستمرة ، انتقلت بدون توقف ودون ان تلتقط انفاسها فى اواسط تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ الى الهجوم المضاد بصورة مباغتة تماما للعدو . وكانت بداية هذا الهجوم تلك الضربة المركزة التى وجهتها الى تشكيلات العدو المختارة الفرقة اللاتفية ولواء بافلوف والقوزاق الحمر بقيادة بريماكوف جنوب غربى اوريل وكذلك الهجمات الجسورة لخيالة بوديونى التى حطمت وحدات الفرسان البيض فى منطقة فورونيج . وانتقلت الى العمليات الهجومية كذلك فرق الجيوش ال ١٣ و١٤ و٨ . ولم يتم احراز هذا الانعطاف التام رأسا . فقد قاتلت قوات دينيكين ببأس المحكوم عليهم بالفناء . بل استطاعت ان تدخل مدينة اوريل . ولكن ذلك كان آخر انتصار للعدو ، وهو انتصار قصير الامد . فبعد بضعة ايام احاطت القوات السوفييتية من ثلاث جهات بمجموعة قوات العدو المرابطة فى اوريل وحطمتها فى ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) . وكان اول من شق خط العدو الى شوارع اوريل افراد فرقة المشاة التاسعة فى الجيش الاحمر والتى قادها الشيوعى سولودوخين وهو عامل من بتروغراد . وحققت المآثر فى المعارك من اجل تحرير مدينة اوريل افواج الفرقة الاستونية وفوج عمال اوريل .

وعندما كان المحاربون يحررون اراضى منطقة اوريل علموا بملابسات استشهاد الجنرال السابق فى الجيش الروسى ستانكيفيتش الذى خدم فى مختلف المناصب القيادية فى الجيش الاحمر. فقد اسره افراد الحرس الابيض لدى هجومهم على اوريل . وكانوا يعرفون خدماته الجلى وخبرته الحربية الكبيرة واقترحوا عليه الخدمة فى الجيش الابيض ووعدوه بان تعاد اليه رتبة الجنرال واوسمته الكثيرة . الا ان هذا المحارب القديم والوطنى المخلص لروسيا الجديدة رفض هذه الاقتراحات بكل ازدراء . وعذب الجلادون البيض البطل فقصوا من لحم جسده نجمة خماسية ثم شنقوه . وبعد دحر قوات دينيكين نقل جثمان ستانكيفيتش الى موسكو حيث دفن فى الساحة الحمراء بعد اجراء مراسم التأبين .

وفى فترة اشد المعارك ضراوة قرب اوريل وفورونيج حاول افراد الحرس الابيض مساعدة دينيكين بكل الوسائل حيث كان معرضا للهزيمة ، فوجهوا الى بتروغراد من جديد هجوما قام به جيش يودينيتش المعزز والمسلح افضل تسليح . واوقف حماة بتروغراد جيش يودينيتش عند مرتفعات بولكوفو ، ومن ثم دمروه عن بكرة ابيه بضربة منسقة من قبل الجيشين السابع والخامس عشر .

ولم يستطع الامبرياليون ان يحبطوا الهجوم المضاد فى الجنوب . وتطور هذا الهجوم بوتائر متصاعدة وسرعان ما تحول الى هجوم شامل لكافة جيوش الجبهة الجنوبية .

واخذت جيوش دينيكين تتراجع بعد ان اضعفتها الخسائر الجسيمة والتحلل الذى بدأ فيها . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٩ تم تشكيل جيش الخيالة الاول لغرض مطاردة العدو وتوجيه ضربة جبارة قاطعة فى اتجاه خاركوف ــ الدونباس ــ روستوف . وعين بوديونى قائدا لهذا الجيش ، كما عين فوروشيلوف وشادينكو عضوين للمجلس العسكرى الثورى للجيش .

وساعدت الخطة الستراتيجية لتوجيه الضربة الرئيسية الى قوات العدو فى الدونباس وروستوف والعمليات الناجحة التى اجراها جيش الخيالة الاول والجيوش الاخرى للجبهة الجنوبية على شطر قوات العدو والبدء بتحرير اوكرانيا والدونباس . وسرعان ما انتقلت الى الهجوم كذلك الجبهة الجنوبية الشرقية .

واستقبل شغيلة المناطق الجنوبية الذين ارهقتهم اعمال الارهاب والنهب والعنف التى مارسها اتباع دينيكين ـ استقبلوا المحررين بكل ترحاب واعجاب . وبدأت فورا على الاراضى المحررة اعمال الترميم . ودشن الجيش الاحمر العام الجديد ، ١٩٢٠ ، تحوطه هالة من مجد الانتصارات الحاسمة على القوات الموحدة للامبريالية العالمية والثورة المضادة الروسية . وكلفت الجبهة القفقاسية والجبهة الجنوبية الغربية اللتان تشكلتا فى اوائل عام ١٩٢٠ باتمام دحر قوات دينيكين التى هربت الى جنوب اوكرانيا والى القرم وشمال القفقاس . وتم تنفيذ هذه المهمة بنجاح . ولكنه لم يتسن تحرير القرم حيث تحصنت مجموعة القوات البيضاء بقيادة البارون فرانغيل وذلك بمساعدة اسطول الدول الغربية .

ومع دحر الثورة المضادة فى الجنوب كليا اتم الجيش الاحمر تصفية جيوش كولتشاك فى الشرق وطرد المتدخلين وافراد الحرس الابيض من الشمال . وهكذا ، اصبحت الفترة من ربيع ١٩١٩ حتى ربيع ١٩٢٠ فى تاريخ الشعب السوفييتى فترة الانتصارات الحاسمة والانعطاف الجذرى فى مجمل سير الحرب الاهلية . والى جانب ذلك كانت تلك فترة تحقيق تحويل الجيش الاحمر الى جيش نظامى كبير استنادا الى مقررات المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) . واكدت المحن الحربية القاسية تأكيدا لا يدحض بان النهج الذى اشار اليه لينين واختاره الحزب الشيوعى فى مجال البناء العسكرى كان هو النهج الصائب الوحيد .

عام ١٩٢٠

قال لينين فى آذار (مارس) ١٩٢٠ «ان الوضع الدولى للجمهورية السوفييتية لم يكن ملائما ومظفرا ابدا مثل ما هو عليه الآن» . فقد حطم الشعب السوفييتى وجيشه تحطيما طوق الجبهات الذى ضربته دول الوفاق ، وخرجا من حالة العزلة السياسية الخارجية . فقد تم توقيع معاهدة الصلح مع استونيا وجرت مفاوضات مع فنلندة وليتوانيا ولاتفيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا . وتوجهت الحكومة السوفييتية بالحاح ولعدة مرات باقتراحات سلمية الى البلدان الاخرى كذلك ، ومنها بولونيا التى استولت قواتها فى عام ١٩١٩ على جزء كبير من بيلوروسيا وكامل غرب اوكرانيا . واعتبر امبرياليو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية خطوات الحكومة السوفييتية السلمية واستعدادها للقيام بتنازلات كبيرة من اجل ازالة حالة الحرب بأسرع ما يمكن مظهرا من مظاهر الضعف . وخيل اليهم ان الجمهورية السوفييتية اصابها الهزال لدرجة انها لن تقوى على صد هجوم جديد .

وكان الدور الرئيسى فى هذا الهجوم حسب خطة الاوساط الحاكمة فى دول الوفاق مناطا بجيش بولونيا ، وكان على قوات فرانغيل المتحصنة فى القرم ان توجه الضربة المساعدة .

وحتى ربيع ١٩٢٠ كانت الحكومة البولونية الرجعية برئاسة بيلسودسكى قد شكلت بمساعدة ودعم حاسم من قبل الدول الغربية قوات مسلحة حسنة التجهيز تكنيكيا ويبلغ تعدادها ٧٣٨ الف جندى وضابط . وحتى ذلك الحين كان تحت قيادة فرانغيل اكثر من ١٢٥ الف شخص .

فما هى القوات المتوفرة لدى بلاد السوفييت آنذاك لصد الهجوم الذى يجرى التحضير له ؟ كان العدد الاجمالى لافراد الجيش الاحمر فى شباط (فبراير) ١٩٢٠ قد تجاوز ثلاثة ملايين .

وكان قد تم بنجاح تنفيذ الخطة اللينينية بشأن تشكيل جيش من ثلاثة ملايين . وكانت القوات المسلحة للجمهورية السوفييتية تضم القوات البرية والاسطول البحرى الحربى والاسطول الجوى .

فى ربيع ١٩٢٠ كانت هناك اربع جبهات (الغربية والجنوبية الغربية والقفقاسية والتركستانية) وكانت تضم جيشا واحدا للخيالة وتسعة جيوش مختلفة الاصناف ، وفضلا عن ذلك كان يخضع للقيادة العامة مباشرة جيشان مختلفا الاصناف يحميان الحدود السوفييتية فى الشرق (الجيش الخامس) وفى الشمال الغربى (الجيش السابع) .

بعد تصفية بؤر الحرب فى الشرق والشمال وفى المناطق الاخرى اصبح فى استطاعة الجمهورية تسريح قسم من القوات وتقليص تعداد الجيش الاحمر . ولكن الحكومة السوفييتية لم تقلص القوات المسلحة آخذة بنظر الاعتبار ان الامبرياليين رفضوا الاقتراحات السلمية وكانوا يستعدون بعناد للقيام بمغامرات حربية جديدة . وفى هذا الوضع الخاص حيث كان الامر يستدعى البدء فورا باعادة بناء الاقتصاد الوطنى الذى دمرته الحرب والحفاظ فى الوقت ذاته على الاستعداد القتالى العالى تم العثور على حل حكيم لتحويل القطعات والتشكيلات التى انتهت من تنفيذ مهامها الحربية الى جيوش للعمل .

فاستنادا الى الوضع الجديد تم فى نيسان (ابريل) ١٩٢٠ تحويل مجلس الدفاع العمالى الفلاحى الى مجلس العمل والدفاع . وترأس لينين هذا المجلس كالسابق . وتنفيذا لتوجيهات لينين كانت جيوش العمل تنفذ اكثر الاعمال الهامة الحاحا وحيوية فى بعث النقليات وتخزين الوقود والخامات والمواد الغذائية .

واذ كان الحزب يعبئ الشعب السوفييتى لجبهة العمل ، كان يتابع بكل يقظة دسائس الامبريالية ، ومن ذلك النوايا العدوانية للرجعيين البولونيين واسيادهم الغربيين . ففى شباط (فبراير) ١٩٢٠ نبه لينين المجلس العسكرى الثورى للجمهورية الى ان حكام

بولونيا يطرحون شروطا وقحة وغير مقبولة ابدا . واقترح لينين «توجيه الاهتمام كليـــا الى اعداد وتقوية الجبهة الغربية» . وفى آذار (مارس) نبه لينين من جديد المجالس العسكرية الثوريـــة للجبهات الغربية والجنوبية الغربية والقفقاسيـــة الى خطر هجوم بولونيا . الا ان خراب النقليـــات وعدم النشاط الكافى فى اعمـــال القيادة العامة اصبحا سببا للتأخر فى نقل قوات كبيرة الى الحدود الغربية .

كانت الاوساط الحاكمة فى بولونيا التى شنت الحرب ترمى قبل كل شيء الى احتلال اوكرانيا . وحشدت قوات كبيرة هنـــاك فاحرزت تفوقا عدديا غالبا على قوات الجيشين الثانى عشر والرابـع عشر للجبهـــة الجنوبية الغربيـــة . ولم يكن تفوق العـــدو كبيرا فى بيلوروسيا حيث كان يواجهه الجيشان الخامس عشر والسادس عشر للجبهة الغربية .

بلغ مجموع ما حشدتـه القيـــادة البولونيـــة للهجوم على الجمهوريـــة السوفييتية حوالى ١٤٨ الف حربـــة وسيف وحوالى ١٢٠٠ مدفع ومدفع هاون و٤١٦٠ رشاشا .

واجهت هذه الجيوش قوات الجبهة الغربية والجبهة الجنوبية الغربية التى كان لديها ٦٥ الف حربة وسيف و٦٦٦ مدفعا و٣٢٠٨ رشاشات .

بدأ هجوم الجيوش البولونيـــة فى ٢٥ نيســـان (ابريـــل) ١٩٢٠ . واستطاعت ان تبعد قوات الجيش الثانى عشر حتى الدنيبر وتزيح الجيش الرابـــع عشر وتحتل كييف . وحـــاول البولونيون البيض متابعة هذا النصر ، ولكنهم سرعان ما واجهوا مقاومة عنيدة .

وكان ابنـــاء الشعب السوفييتى ومحاربو الجيش الاحمر قـــد اتقنوا جيدا فن النضال المسلح ضد الغزاة الوقحين . واحتاج الامر لوقت غير كثير لتبديد آمال الامبرياليين فى النصر اليسير . وتلبية لنداء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) وطبقا

لتوجيه لينين توجـه الى الجبهة البولونية افضـل اعضاء الحزب وكذلك القوات التى صهرتها المعارك . ولغرض الهاء جزء من قوات العدو من اوكرانيا وكسب الوقت لاعداد الهجوم المضـاد وجهت جيوش الجبهـة الغربيـة فى اواسط ايـار (مايو) الى العدو فى بيلوروسيـا ضربة قصيرة الامد ولكن شديدة . وفى الوقت ذاتـه توجه عدوا وبعجالة جيش الخيالة الاول من القفقاس الى اوكرانيا ، وتوجهت من الشرق قطارات تقل فرقة تشابايف الخامسة والعشرين وغيرها من التشكيـلات الحربية . وجرى بنشـاط اعداد الهجوم المضاد من قبل الجبهة الجنوبية الغربية التى كان يقودها يغوروف ، وكان بيرزين وستالين عضوين فى مجلسها العسكرى الثورى . وشارك فى الهجوم المضاد الجيش الثانى عشر ومجموعة فاستوف العملياتية بقيادة ياكير (فرقتا مشاة ولواء خيالة بقيادة كوتوفسكى) وجيش الخيالة الاول والجيش الرابع عشر واسيطيل الدنيبر الحربى . وبدأ الهجوم المضاد فى ٢٦ ايار (مايو) ١٩٢٠ . ولعب جيش الخيالة الاول دورا هامـا فى تأمين نجاحه . ففى الوقت الذى التفت فيـه تشكيلات الجيش الثانى عشر ومجموعة فاستوف من الجناحين حول مجموعة العدو فى كييف وجهت فرق بوديونى ضربة سريعة دخلت على اثرها الى مؤخرة العدو فاحتلت بيرديتشيف وجيتومير وشكلت خطر التطويق التام للعدو . وغـادر العدو كييف فاضطر الى الهرب بعجالـة نحو الغرب وهو يتلقى ضربات غير منقطعة توجههـا الى جناحيه القوات السوفييتية . وكان دحر مجموعة البولونيين البيض فى كييف بداية اندحارهم كليا فى اوكرانيا .

وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٠ عندما كانت الجبهة الجنوبيـة الغربية تطرد الغزاة من الاراضى الاوكرانية اعدت القيادة العامـة للجيش الاحمر فى بيلوروسيا ضربة قاضية اكثر قوة . وكان يجب ان توجه هذه الضربة قوات الجبهة الغربية التى انضم اليها الجيش الثالث والجيش الرابع وفيلق الخيالة الثالث وغيرها من التشكيلات

العسكريـــة الجديدة التى تألفت حديثـــا . وقـــاد قوات الجبهـــة توخاتشيفسكى . وكان اونشليخت وسميلغا عضوين فى مجلسهـــا العسكرى الثورى . وبلغ تعداد محـــاربى الجبهة ٩٢ الف مقاتل . وكان لدى الجيوش البولونية المحاربة فى بيلوروسيا حوالى ٧٢ الف حربة وسيف .

بعد ان جمع قائد الجبهة القوات الاساسية فى قبضة جبارة واحدة امن التفوق التـــام على العدو فى الاتجـــاه المختار للضربـــة الرئيسية . وبدأ هجوم الجبهة الغربية فى ٤ تموز (يوليو) وتطور بوتائر عالية . وفى ١١ تموز (يوليو) حررت القوات السوفييتية مينسك ، وفى ١٤ منه حررت فيلنو (فيلنوس حاليا) . وساعدت على سير الهجوم بنجاح لدرجة كبيرة العمليات الجسورة السريعـة التى قام بها فيلق الخيالة الثالث بقيادة هاى .

وانسحبت الجيوش البولونية الى ما وراء نهر بوغ والى نهر فستـــول ، مكتسحة الاراضى ومدمرة الطرق والجســـور وخطوط المواصلات . وارتعب الامبرياليون من تطور الاحداث وتحولهـــا بهذه الصورة ، فبذلوا كـــل الجهود لانقاذ قوات بيلسودسكى من الاندحار التام . وطالبت الحكومة البريطانية بشكـل انذارى وقف هجوم الجيش الاحمر . ولغرض تعزيز القـــوات البولونية ارسلت فورا مجموعة كبيرة من الاخصائيين العسكريين الفرنسيين بقيـــادة الجنرال فيغان . وارسلت الى بولونيا الاسلحة والمعدات والذخيرة . وحاول فرانغيل ايضا ان يساعـد البولونيين البيض . فقد خرجت قواته من القرم الى رحاب جنوب اوكرانيا وشكلت خطرا مباشرا على الدونباس . واستطاعـت القيادة البولونيـــة بمساعـــدة الدول الغربية ان تعزز جيوشها وتشكل مجموعة قوية من القوات جنوبى وارشو ، بينما كانت القوات السوفييتية تتكبد خسائر جسيمـــة ، ولم تكن لديها امكانيـــة الحصول على امدادات . وفضـــلا عن ذلك خالفت الجبهة الجنوبية الغربية الخطة الستراتيجية العامة ، وبدلا

من التحرك نحو بريست شنت الهجوم على لفوف حيث انشغلت جيوشها بمعارك طويلة الامد مع البولونيين البيض . اما الجبهة الغربية فقد اخذت تلتف حول وارشو من الشمال . واتضح ان الجناحين المشتركين لكلتا الجبهتين غير مغطيين تقريبا ، واختل التعاون فيما بينهما ، كما فقد التفوق العددى الذى تكون فى بداية الهجوم .

كل ذلك ساعد القوات البولونية على الانتقال الى الهجوم المضاد وعلى ابعاد قوات الجبهة الغربية والجبهة الجنوبية الغربية عن وارشو ولفوف . وفى خريف ١٩٢٠ ، وبعد ان انسحب الجيش الاحمر من اراضى غرب بيلوروسيا وغرب اوكرانيا استعد لهجوم جديد . وكتب لينين فى ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ يقول «لقد خيبنا بكل شدة آمال الدبلوماسيين بضعفنا ، واثبتنا بان بولونيا لا تستطيع الانتصار علينا ، ولم نكن ولسنا الآن بعيدين عن النصر على بولونيا» . ووافقت الحكومة البولونية التى لم تكن لديها قوات كافية لمتابعة الحرب على شروط الصلح الذى نص على تعيين الحدود بين الدولتين لمسافة تبعد بـ ١٠٠ــ٢٠٠ كيلومتر غربى الخط الذى كانت الحكومة السوفييتية قد اقترحته قبيل بدء الحرب .

وكانت حصيلة جهود وضحايا الجيش الاحمر فى الحرب السوفييتية ــ البولونية تحرير اراض سوفييتية على مساحة ٦٠ الف كيلومتر مربع وكان يعيش فيها حتى ٤,٥ ملايين شخص . وكانت فى المنطقة المحررة مدينة مينسك التى اصبحت عاصمة جمهورية بيلوروسيا السوفييتية .

وبعد ان انهت بلاد السوفييت الحرب مع بولونيا استطاعت ان توجه جهودها لتصفية جيش فرانغيل . وكلفت بهذه المهمة الجبهة الجنوبية التى تشكلت من جديد والتى ضمت الجيوش مختلفة الاصناف الـ٦ و١٣ و٤ وجيشى الخيالة الاول والثانى . وكان تحشد القوات هذا الذى يهيء تفوقا كبيرا على العدو امرا ضروريا للقضاء

على فرانغيل قبل حلول الشتاء . وبناء على اقتراح لينين عين فرونزه قائدا لقوات الجبهة الجنوبية ، وعين غوسيف وبيلا كون لعضوية مجلسها العسكرى الثورى .

فى اوائل تشرين الاول (اكتوبر) صدت قوات الجبهة الجنوبية بنجاح هجوم قوات فرانغيل التى حاولت التوغل فى اوكرانيا الضفة اليمنى لكى تشكل جبهة مشتركة مع قوات بيتليورا وتحول دون توقيع معاهدة الصلح السوفييتية البولونية .

بدأت القوات السوفييتية هجومها الحازم على فرانغيل فى اواخر تشرين الاول (اكتوبر) . فقد شكلت الضربات الجناحية للجيشين السادس والثالث عشر وهجوم تشكيلات جيش الخيالة الاول على مؤخرة المجموعة الاساسية لقوات العدو خطر تطويقها تطويقا تاما . وانسحبت قوات فرانغيل الى القرم بعد ان تكبدت خسائر كبيرة تاركة قوافل الاحمال والآلات الحربية ، وشغلت المواقع الدفاعية فى برزخى بيريكوب وتشونغار وهى مواقع كانت تعتبر منيعة يستحيل اختراقها . وكان افراد الحرس الابيض قد جهزوا هذه المواقع الملائمة للدفاع كل الملاءمة بالكثير من التحصينات والعوائق الهندسية . وكانت كل المداخل الى هذه المواقع محمية بنيران المدفعية والرشاشات الكثيفة . وكان على محاربى وقادة الجبهة الجنوبية ان ينفذوا واحدة من اصعب المهمات الحربية ، وهى مهمة اختراق الدفاع الحصين الجبار . وكان يجب حل هذه المهمة بسرعة .

صرفت القوات بضعة ايام فقط على اعداد العملية . وبعد ان اجرى قائد الجبهة فرونزه استطلاعا شخصيا دقيقا اتخذ قرارا اصيلا وجسورا يتلخص فى هجوم جزء من القوات على تحصينات العدو وتوجيه القوات الرئيسية فى الوقت ذاته لكى تعبر خوضا خليج سيفاش الذى يفصل بين القرم والقسم القارى . وبدأت عملية بيريكوب ــ تشونغار الشهيرة فى ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٠

عندما كان الشعب السوفييتي يحتفل بالذكرى السنوية الثالثة لثورة اكتوبر . ووجهت الضربة الرئيسية قوات الجيش السادس بقيادة كورك . وفي تلك الليلة حيث اشتد البرد والريح قطع محاربو فرقتي المشاة الخامسة عشرة والثانية والخمسين واللواء ال١٥٣ التابع للفرقة الحادية والخمسين ٧ كيلومترات خائضين المياه الباردة التي يصل عمقها الى خواصرهم واحيانا الى اعناقهم . وتوغلوا في شبه جزيرة ليتوفسكى حيث نشبت معارك ضارية لم يسبقها مثيل .

في هذا الوقت هاجمت الفرقة الحادية والخمسون بقيادة بلوخير تحصينات العدو القوية في بيريكوب . وتم بالجهود البطولية التي بذلها محاربو الجيش السادس فصم دفاع قوات الحرس الابيض عند بيريكوب . وحاولت قوات فرانغيل هذه ان توقف القوات السوفييتية عند مواقع ايشون المعدة سابقا ، الا ان فرقة المشاة الثلاثين بقيادة غريازنوف دخلت القرم بهجوم عاصف عبر برزخ تشونغار ودارت حول مواقع ايشون من الجناح . واندفعت عبر الفجوة التي شقتها المشاة فرق جيش الخيالة الاول بقيادة بوديوني وجيش الخيالة الثاني بقيادة ميرونوف . ولم يبق لوجود قوات فرانغيل الا ايام معدودة . وهربت فلول جيش «البارون الاسود» فرانغيل المحطم الى موانىء القرم بعجالة . وقد لحق قسم منها بالسفن الاجنبية التي كانت على استعداد للاقلاع فسافر الى السواحل التركية . اما الباقون فقد استسلموا للأسر باعداد كبيرة .

لقد تمت تصفية آخر رأس جسر للثورة المضادة الروسية . وانتهت فترة الحرب الاهلية باروع انتصار حاسم للجيش الاحمر .

وابدى الجيش الاحمر آيات البطولة والمهارة الحربية كذلك في تصفية القوى المضادة للثورة في ما وراء القفقاس وآسيا الوسطى والشرق الاقصى . ونفذ افراد الجيش الاحمر واجبهم الاممي في مساعدة شغيلة اذربيجان وارمينيا وجورجيا خلال ١٩٢٠ ـ

١٩٢١ لكنس «حكومات» القوميين البرجوازيين التى تشكلت بمساعدة الغزاة الاجانب ولبعث السلطة السوفييتية .

فى خريف ١٩٢٠ استطاعت الفصائل الثورية فى بخارى بمساعدة حاسمة من قوات الجبهة التركستانية ان تصفى نظام امير بخارى الرجعى وتنجز بذلك تحرير آسيا الوسطى .

واتسم القتال ضد الغزاة وافراد الحرس الابيض فى الشرق الاقصى بطابع عنيد طويل الامد . ففى ربيع ١٩٢٠ وصل الجيش الاحمر الى البايكال . ولغرض تحاشى الحرب مع اليابان وتعرية اعمالها الاغتصابية تم فى اراضى الشرق الاقصى السوفييتية طبقا لتوجيه اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) تأسيس دولة ديموقراطية مستقلة هى جمهورية الشرق الاقصى . وتم من وحدات الجيش الاحمر وفصائل الانصار هناك تشكيل الجيش الشعبى الثورى . وكان ايخيه اول قائد عام لهذا الجيش . وطرد الجيش الشعبى الثورى عصابات الحرس الابيض والقوات اليابانية من اراضى ما وراء البايكال . وفى عام ١٩٢٢ نشبت المعارك الحاسمة من اجل تحرير منطقة آمور ومنطقة بريموريه .

واصبحت صفحات رائعة فى تاريخ الامجاد الكفاحية لوطننا تلك المآثر الاسطورية التى حققها افراد الجيش الشعبى الثورى والانصار فى الشرق الاقصى الذين هاجموا وحطموا تحصينات العدو الجبارة فى منطقتى فولوتشايفكا وسباسك ، فدحروا قوات الحرس الابيض وطردوا الغزاة اليابانيين .

* * *

خلال ثلاث سنوات من الكفاح والبحث والابداع الثورى شكل الحزب الشيوعى والشعب السوفييتى اول جيش اشتراكى الطراز فى العالم . وفى اواخر الحرب الاهلية خدم تحت رايات هذا الجيش ٥ر٥ ملايين شخص . وكان الجيش الاحمر المرتبط ارتباطا لا

ينفصم مع الشعب بأسره يتكون من ابناء الطبقـــة العاملة (١٥٪) والفلاحين الشغيلة (٧٧٪) وممثلى الفئات الاجتماعية الاخرى . وخلال فترة لا مثيل لها من حيث القصر استطاع حزبنا وحكومتنا ، بالجمع بين خبرة ومعـــارف الاخصائيين العسكريين السابقين وبين الحماس الثورى لدى قادة الجيش الاحمر الجدد ، ان يعدا العدد اللازم من ملاكات القادة المخلصين للوطن السوفييتى والذين صهرتهم المعارك . وحتى اواخر ١٩٢٠ بلغ عدد القادة فى الجيش الاحمر اكثر من ٢٠٠ الف شخص ، وكان ثلثا هذا العدد من العمال والفلاحين . ان الجيش العمالى الفلاحى الاحمر ، جيش الثورة وجيش الشغيلة كان قد ولد فى المعارك ضد الغزاة الاجانب وقوات الحرس الابيض فى لهيب الحرب الاهلية .

الجيش يتقوى



استيعاب الخبرة المكدسة

لم تتحقق آمال الامبرياليين فى خنق «الوليـــد البلشفى فى المهد» . فقد ذادت الجمهورية السوفييتية فى المعارك الضارية عن حريتها واستقلالها .

وفى ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ اعلن مجلس العمل والدفاع برئاسة لينين للعالم عن خبر النصر : «بالبسالة المتفانية لقوات الجبهة الجنوبية تم تحرير جمهورية روسيا الاتحاديـــة الاشتراكية السوفييتية من آخر معاقل الثورة المضادة الروسية . فبجهود هذه القوات البطولية تم تحرير القرم وقذف فرانغيل الى البحر وتشتيت قواته نهائيا» .

وحل السلام الذى طال انتظاره . وتهيأت للشعب السوفييتى امكانية الشروع بالبناء الاشتراكى .

فمن اين نبدأ ؟ وبم ينبغى الشروع ؟

ان اية دولة اخرى لم تعان فى هذه السنوات من مثل هذا الانهيار فى الاقتصاد الوطنى . وكانت البلاد انقاضا . وكان الاعداء

خلال انسحابهم يدمرون المعامل والمصانع . واغرقت المناجم بالمياه وامتلأت الحقول بالاعشاب الضارة ، وتوقف العمل فى كافة سكك الحديد تقريبا ، وانطفأت النيران فى افران مارتين والافران العالية . وتأخرت البلاد من حيث صهر المعادن الى ما قبل مائتى عام . وبلغ منتوج الصناعة الكبيرة فى عام ١٩٢٠ حوالى ١٥٪ مما كان عليه فى روسيا قبل الحرب .

ولم يكن الحال فى الريف افضل من ذلك . فقد تضررت استثمارات الفلاحين من الحرب اعظم الضرر . وتقلصت الى حد كبير جدا مساحات الاراضى المزروعة وهبط المردود واشتد نقص الايدى العاملة والادوات الزراعية والبذور . وكان محصول القمح فى عام ١٩٢٠ اقل بحوالى المرتين مما قبل الحرب . وفى عام ١٩٢١ اجتاح الجمهورية عدو جديد هو الجوع وذلك بسبب الجفاف الذى لم يسبقه مثيل . وبذلت الحكومة السوفييتية قصارى جهدها لانقاذ ملايين المواطنين من الموت جوعا . وبيع فى الخارج ما كان ضروريا للبلاد ، وذلك فقط لكى يمكن شراء القمح الضرورى للمواطنين ضرورة قصوى .

فى مثل هذا الوضع كان على الحزب الشيوعى ان يبدأ اعادة بناء الاقتصاد الوطنى ونقله من اقتصاد الحرب الى المجرى السلمى .

فى عام ١٩٢٠ ، فى خضم الحرب الاهلية ، كان العلماء برئاسة كرجيجانوفسكى قد وضعوا بمبادرة من لينين خطة الدولة لكهربة روسيا .

ووضعت هذه الخطة بداية تطوير الاقتصاد تطويرا مجموعيا ومعللا من الناحية العلمية . وكانت الافكار اللينينية بشأن بعث واعادة بناء الاقتصاد الوطنى تؤكد على بناء صناعة جبارة فى البلاد واشاعة التعاونيات الاشتراكية فى الزراعة .

وفى الظروف التاريخية الجديدة طرح الحزب شعار «كل شىء للاقتصاد الوطنى !» بدلا من شعار «كل شىء للجبهة !» .

واصبح الامر الرئيسى هو بعث الصناعة الكبيرة والزراعة والنقليات . وانتفت الحاجة الى جيش هائل يستجيب لمتطلبات زمن الحرب .

واستندت اعادة تنظيم القوات المسلحة على توجيهات لينين .

واستنادا الى قرار الحزب والحكومة بدأ فى عام ١٩٢١ تسريح افراد الجيش على نطاق واسع . وعادت الى العمل السلمى مئات الآلاف من العمال والفلاحين المرتدين المعاطف العسكرية .

لقد تابع لينين بكل اهتمام عملية تسريح افراد الجيش . وطالب بان يكون طريق افراد الجيش الاحمر المسرحين لاجل غير مسمى والعائدين الى ديارهم بعد اعمال مرهقة وحرمانات فى جبهات القتال ـ افضل طريق فى اكثر الظروف ملاءمة بحيث ينخرط هؤلاء الافراد سريعا فى اعمال بعث الاقتصاد الوطنى الذى دمرته الحرب .

وحتى خريف ١٩٢٣ انجزت بصورة رئيسية اعمال نقل الجيش الاحمر الى حالة السلم . وتقلص عدد افراد الجيش حتى خريف ١٩٢٣ من ٥,٥ ملايين الى ٥١٦ الف شخص .

لقد خرج الاسطول البحرى من الحرب منهكا للغاية . وبالرغم من الصعوبات الاقتصادية اتخذت الحكومة السوفييتية الاجراءات لتعزيز الحدود البحرية .

وبدأت فى هذه السنوات على نطاق واسع الاعمال العلمية العسكرية . وشارك فى وضع النظرية العسكرية السوفييتية قادة عسكريون بارزون من امثال فاتسيتيس ويغوروف وكامينيف وتوخاتشيفسكى واوبوريفيتش وفرونزه وغيرهم . وتشكلت الجمعيات العلمية العسكرية فى المدارس والمعاهد العسكرية والمناطق العسكرية والاساطيل .

وفى ايار (مايو) ١٩٢٣ دعا امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا الى القيام بحملة عسكرية جديدة على

بلاد السوفييت . ورد المواطنون السوفييت على « انذار كيرزون » *
بحركة جبارة لمعونة الجيش الاحمر .

ولغرض التعجيل فى ازالة النواقص وتعزيز قـدرة القوات المسلحة اجرى الحزب والحكومة السوفييتية الاصلاح العسكرى فى عامى ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ . واعيد بناء كافـة جوانب حياة الجيش الاحمر حيث اصبحت تستجيب للمهمات الجديدة ، مهمات الدفاع عن عمل الشعب السلمى ضد النوايا العدوانية لاعدائه . واعيد تنظيم هيئات ادارة القوات المسلحة وطبق الانتقال الى النظام المختلط فى بناء الجيش واستخدم نظام الرئاسة الاحادية ، كما اعيد تنظيم القطعات والتشكيلات واجرى تحسين نظام تدريب وتربية افراد الجيش .

لقد انتهج الحزب الشيوعى بثبـات مبدأ التكافؤ التـام بين الشعوب السوفييتية فى بناء القوات المسلحة كما فى كافة جوانب الحياة السياسية والثقافية للبلاد . وبناء على قرار المؤتمر الثانى عشر للحزب بدأ تشكيل الفرق العسكرية القومية فى الجمهوريات المتحدة . واعتبر الحـزب القوات القوميـة جـزءا عضويـا لا يتجـزأ مـن الجيش الاحمـر . وكانت تطـرح امـام هذه القوات نفس المتطلبات التى تطرح امام كافة التشكيلات الاخرى . وقال فرونزه « ان التشكيلات القومية ليست بالنسبـة لنا لهوا فارغا ، ولا لعبة للتفاخر القومى لـدى بعض شعـوب الاتحاد السوفييتى . فتلك هى مهمة جدية تنبع من مجمل طابع دولتنـا وتحددها المبادئ الاساسية لسياستنا الوطنية الداخلية والدولية . ولا يمكننا ان نبنى الجيش على غير هذه الصورة » .

---

* كيرزون هو وزير خارجية بريطانيا آنذاك . وبمبادرة منه تسلمت الحكومة السوفييتية بتاريخ ٨ ايار (مايو) ١٩٢٣ مذكرة من الحكومة البريطانية تحتوى على اتهامات افترائية ضد الاتحاد السوفييتى وتدخل فظ فى شؤونه الداخلية .

وطالب الحزب بادراج حتى اصغر قوميات الاتحاد السوفييتي ضمن التشكيلات العسكرية . وتكونت من ممثلى هذه القوميات السرايا والكتائب . وساعد ذلك فى رفـــع المستوى الثقافى لافراد الجيش الاحمر من غير الروس ، وساعد على تذليل عدم الثقة بين الشعوب واجتثاث العداء القومى الذى كان قائما طوال القرون والذى كان يزرع فى جيش روسيا القيصرية .

ومارست المنظمات الحزبية عملا كبيرا لتوضيح سياسة الحزب القومية ولتذليل شوفينية الدولة الكبرى والقومية المحلية الضيقة فى القوات والسفن العسكرية ، ولعبت دورا هاما فى تشكيل القطعات والتشكيلات القومية وامنت اقامة العلاقات المتبادلة السليمة بين القطعات العسكرية وبين السكان فى المناطق القومية . واستحســن شغيلة كافة قوميات الاتحاد السوفييتى استحسانا تاما سياســة الحزب فى مجال البناء العسكرى .

لقد اثبت النشاط العملى كليا صواب نهج الحزب فى التعزيز الشامل للقوات النظامية وفى تأسيس التشكيلات العسكرية المرابطة . وساعد النظام المختلط لبناء القوات المسلحة الدولة السوفييتية فى جعل التدريب العسكرى يشمل عددا كبيرا من العمال والفلاحين مع انفاق قليـــل من اموال الدولـــة للصرف على هذا العدد من التشكيلات الذى يؤمن كليا حماية البلاد من خطر الهجوم الخارجى .

واتسم بأهمية سياسية كبيرة قانون الخدمة العسكريـــة الالزامية الذى صدر فى عام ١٩٢٥ . فقد ثبت هذا القانون المبدأ الطبقى فى تجنيد القوات وحدد التركيب التنظيمى للقوات المسلحة وعين الآجال المحددة لمدة الخدمة العسكرية بالنسبة للمواطنين السوفييت .

فى تشرين الاول (اكتوبــر) ١٩٢٥ استخدمت فى الجيش الاحمر الملاكات الموحدة لتشكيلات المشاة . واعتبر الفيلق اعلى تشكيل تاكتيكى للقوات البرية ، كما اعتبرت الفرقة هى التشكيل

التاكتيكى الاساسى . والغيت حلقة الالوية فى تنظيم فرقة المشاة . وظلت ضمن الفرقة ثلاثة افواج للمشاة وفوج مدفعية واحـــد ، وسرية خيالة وسرية هندسة ورحبة هندسية وسريـة مواصلات وغير ذلك من الوحدات . وتقلص تعداد افراد الفرقة ، وازدادت قليلا كمية الرشاشات وقاذفات القنابل اليدوية ، الامر الذى زاد من قدراتها النارية .

وظلت الخيالـــة السوفييتيـــة التى اشتهرت فى معارك الحرب الاهلية واحدا من اهم اصناف القـــوات . وكانت تتميز بالقدرة العالية على المناروة ، وتعتبر وسيلة هامة لمواصلة الانتصار فى المعركة وفى العملية . وكانت فيالق وفرق وافواج وسرايا الخيالة مسلحة بالرشاشات والمدفعية ، وكان باستطاعتها ان تقوم بكافة انواع الاعمال القتالية مع المشاة والدبابات والمدفعية وسلاح الجو .

وتطورت المدفعية لدرجة كبيرة . وكانت تقسم الى قسمين : مدفعية القوات ومدفعية خاصة . وتكونت المدفعيـــة للافواج . وبظهور فيالق المشاة ضمت اليها كتائب المدفعية الثقيلة المسلحة بمدافع من عيار ١٠٧ ملم وبمدافع الهاوتزر من عيار ١٥٢ ملم ، وبعد فترة اخذت تتكون افواج المدفعية الثقيلة . وظهرت وحدات الدفاع الجوى لحماية القوات من ضربات سلاح جو العدو .

وكانت القوات المدرعة ، تضم فصائل المدرعات والدبابات . وفى عام ١٩٢٤ تم تشكيل اول فوج للدبابات .

وفى هذه السنوات نظمت تنظيما ادق قوات الهندسة وقوات المواصلات ووحدات السكك الحديدية .

واتخذ الحزب والحكومة اجراءات فعالة لتطوير سلاح الجو واعادة تنظيم تركيب القوات الجوية . وتكونت فى سلاح الجـــو الاسراب التى يضم كل منها ثلاث فصائل (١٨ طائرة) . وبالرغم من صعوبات فترة الانبعاث شرع مصممو الطائرات السوفييت بتصميم النماذج الجديدة للطائرات والمحركات السوفييتية .

وكانت من اهم مسائل الاصلاح العسكرى مسألـة تحسين اعداد الملاكات العسكريـة . ففى عامى ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ اعدت اكاديمية الاركان العامة التى تحولت الى اكاديمية فرونزه العسكرية التابعة للجيش الاحمر العدد اللازم من كبار الضباط والرؤساء لكافة اصناف القوات .

وتحسن كثيرا الوضع الداخلى للدولة السوفييتية . فالصناعة الكبيرة قدمت فى عام ١٩٢٥ حوالى ثلاثة ارباع منتوج ما قبـل الحرب ، وقدمت الزراعة ٨٧٪ منه . وهيأ تعزيز القاعدة الاقتصادية امكانية زيادة القدرة القتالية للجيش والاسطول بصورة اكبر .

وكان قائد القوات المسلحة فرونزه واثقا كل الثقة بالقوى الخلاقـة لدى الشعب السوفييتى ، وكان يحلـم بان يرى الوطن السوفييتى اقوى واعز دولة فى العالم . وقال فرونزه : «اننا لا نشك باننا سنستطيع تحويل اتحادنا السوفييتى الى قلعة تتحطـم على صخرتها كافة جهود العالم البرجوازى . وعندمـا ستحين اللحظـة الحاسمة فاننا واثقون من ان النصر سيكون حليف الرايات الحمراء المسقية بدماء الشغيلة» . وفى ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٥ اختطف الموت ميخائيل فاسيليفيتش فرونزه فى الاربعين من العمر وهو فى اوج نشاطه . . .

وبعد ان عين الحزب فوروشيلوف لرئاسة المجلس العسكرى الثورى للاتحاد السوفييتى تابع العمل فى التعزيز اللاحق للجيش والاسطول واعادة تسليحهما بالتكنيك الحربى الجديد .

اعادة بناء القوات المسلحة تكنيكيا

كان المؤتمر الرابع عشر للحزب الذى عقد فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٥ قد حدد نهج تحقيق التصنيع الاشتراكى للبلاد .

واستقبل الشعب السوفييتى مقررات المؤتمر باعتبارها دعوة للعمل . وافتتحت المناجم والمصانع الجديدة ، وظهرت على الخرائط

الجغرافية اسماء المدن الفتية . وتصاعد فى سفوح الاورال وسهوب سيبيريا الغربيـــــة دخان الافران العاليـــــة فى ماغنيتوغورسك وكوزنيتسـك ، ودوى هدير تراكتورات خاركوف فى حقـــول الكولخوزات ، واسرعت تجوب الطرق السيارات المصنوعة فى موسكو ونيجنى توفغورود (غوركى حاليا) وبدأت العمل مصانع الكيمياء فى بيريوزنيكى وفى فوسكريسينسك ، ولمعت كالنجوم الساطعة مصابيح محطة لينين الكهرومائية على الدنيبر . وبدأ يعمل الواحد تلو الآخر المصانع والكومبينات والمحطات الكهربائية . ففى سنوات الخطة الخماسية الاولى وحدها انشىء فى الاتحاد السوفييتى ١٥٠٠ مؤسسة صناعية كبرى . وعلى اساس الكهربة ظهرت فروع صناعية جديدة تماما ، مثل الصناعة الكيمياوية وصناعة الطائرات وصناعة السيارات وصناعة التراكتورات . ونهضت بلاد السوفييت بكل ثقة بالرغـم من الصعوبات الجمة التى واجهتها فى طريقها .

ورفع تنفيذ الخطة الخماسية الثانيـــــة القدرة الاقتصادية للاتحاد السوفييتى الى درجة اعلى . ففى عام ١٩٣٧ ازداد المنتوج الاجمالى لصناعة البلاد كلها بمرتين بالمقارنـــة مع عام ١٩٣٢ . وازداد حجم انتاج الصناعة السوفييتية بست مرات بالمقارنة مع عام ١٩١٣ .

وحدثت تحولات كبيرة فى الزراعة . فحتى نهاية الخطـــة الخماسية الاولى انجزت بصورة رئيسية عملية التشريك فى الريف وتحولت البلاد السوفييتية من بلد زراعى متخلف الى بلد صناعى كولخوزى جبار . وعمل فى حقول السوفخوزات والكولخوزات حتى عام ١٩٣٧ اكثر من ٥٠٠ الف تراكتور ، و ١٢٣٥٠٠ حاصدة دارسة واكثر من ١٤٢ الف سيارة شحن .

وتغير بصورة جذرية التركيب الطبقى للمجتمع السوفييتى . فقد زالت الطبقات الاستغلالية . وكانت الطبقة العاملة والفلاحون الكولخوزيون والمثقفون السوفييت متراصو الصفوف وملتفون حول

الحزب الشيوعى . وكان دستور الاتحاد السوفييتى الذى اقر عام ١٩٣٦ قد ثبت تشريعيا انتصار الاشتراكية فى البلاد ، ورفع عاليا لقب المحارب السوفييتى ، حامى الوطن الاشتراكى ، وزاد من مسؤوليته امام الوطن والشعب .

واصبحت الوحدة الاجتماعية ـ السياسية والفكرية للشعب السوفييتى ، ووحدة الجيش والشعب ، اهم عامل لتعزيز القدرة الدفاعية للدولة السوفييتية .

كانت النزاعات الحربية فى الثلاثينيات تنشب تارة فى هذه المنطقة وتارة فى تلك من مناطق الكرة الارضية . ففى عام ١٩٣١ هجم العسكريون اليابانيون على الصين واحتلوا منشوريا واقتربوا من حدود الاتحاد السوفييتى . وبعد استلام الفاشيين السلطة فى المانيا عام ١٩٣٣ تكونت وسط اوروبا بؤرة جديدة لخطر الحرب . وداس جيش موسولينى الايطالى بكل وقاحة حرية الدولة الافريقية المستقلة الحبشة (اثيوبيا) . وخنق الجنرال فرانكو بمساعدة ايطاليا والمانيا حرية شعب اسبانيا الجمهورية . واستعد جيش هتلر لافناء شعوب ودول بكاملها . وفى ١٩٣٦ عقدت المانيا واليابان «حلفا ضد الشيوعية» ، انضمت اليه ايطاليا بعد عام واحد . وكان العسكريون اليابانيون يعيثون فسادا فى الشرق الاقصى . وفى صيف ١٩٣٧ شنوا العمليات الحربية الشديدة ضد الصين على جبهة واسعة .

وتظاهرت الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا وكأنه لم يحدث شىء فوق العادة . ولم تقاوم المعتدين مقاومة جازمة حتى فى عصبة الامم ، حيث اكتفت بتوجيه اللوم «الاخوى» الى الغزاة . وبتغاضى البلدان الغربية دفعت الدول الفاشية الشعوب الى حرب عالمية جديدة .

ولم يشجب العدوان الفاشى بحزم الا الاتحاد السوفييتى . فقد قامت الحكومة السوفييتية باجراءات نشيطة للحيلولة دون

نشوب الحرب الداهمة . وكان الاتحاد السوفييتى اول دولة مدت يد المساعدة الاخوية الى شعبى الصين واسبانيا فى ساعة المحنة .

ان النجاحات التى تم احرازها فى تصنيع البلاد وتشريك الزراعة والتحولات الاجتماعية ووحدة الشعب السوفييتى ـ كل ذلك اصبح اساس القدرة السياسية والاقتصادية والعسكرية للدولة ، وهيأ القاعدة المادية التكنيكية لتعزيز دفاع البلاد واعادة تسليح الجيش والاسطول . وكانت المصانع الحربية تزيد وتائر انتاج التكنيك الحربى من عام لآخر . وازداد المعدل السنوى لصنع الدبابات والطائرات خلال سبع سنوات (من ١٩٣٠ الى ١٩٣٧) باكثر من اربع مرات . وازداد انتاج مختلف انواع المدافع لهذه الفترة من ١٩١١ الى ٥٠٢٠ مدفعا فى العام .

وساعد توسيع نطاق الانتاج الحربى على البدء بتجهيز الجيش باحدث انواع الاسلحة والتكنيك الحربى ، وذلك لتحويل هذا الجيش المتأخر تكنيكيا حتى عام ١٩٢٨ الى جيش طليعى .

وخلال سنوات الخطط الخماسية الاولى وضع مصممونا ومهندسونا وصنع عمالنا افضل نماذج الاسلحة والمعدات الحربية السوفييتية .

وكانت قوات المشاة حتى عام ١٩٢٨ مسلحة بصورة رئيسية بأسلحة قديمة التصميم . وكانت البندقية من طراز عام ١٨٩١ هى السلاح الاساسى للمشاة فى تلك الفترة . وفى بداية الثلاثينيات صارت وحدات المشاة تستلم رشاشات يدوية من صنع وطنى . وحتى عام ١٩٢٩ لم تكن لدى الجيش الاحمر رشاشات جوية ورشاشات مضادة للجو ورشاشات الدبابات . وكان لدينا عدد قليل جدا آنذاك من مصانع الاسلحة . ولكن الوضع تغير حتى اواخر الخطة الخماسية الاولى . فقد اعيد بناء مصانع الاسلحة القديمة . وتم فى الوقت ذاته تدشين مصانع حربية جديدة لصنع الاسلحة الصغيرة .

ووضـــع المصممـــون السوفييت ديغتياريف وسيمونـــوف وتوكاريف وشبيتالنى فى مؤسسات البحوث العلمية نماذج جديدة للاسلحة الصغيرة . وظهرت لدى الجيش الاحمر الرشاشات الممتازة لوحدات المشاة والدبابات والوحدات الجوية . واخذت تتوارد على القوات الرشاشات من عيار ٧ر١٢ ملم التى ابتكرها مصمـــم الاسلحـــة السوفييتى الموهـــوب ديغتياريف . وفى عـــام ١٩٣٦ استخدمت بندقية سيمونوف الاوتوماتيكية . وكانت تلك سلاحا وطنيا مكتملا تماما يفوق فى كثير من النواحى الاسلحة الصغيرة فى الجيوش البرجوازية .

وفى الثلاثينيات عملت بنشاط مجموعـــة كبيرة من مصممى سلاح المدفعية الرائعين الذين اخترعوا نماذج من المدافع ومدافع الهاون اكثر كمالا من السابق .

وفى اعوام ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨ جرى تجهيز وحدات المدفعية بالمدافع الفرقية الجديدة من عيار ٧٦ ملم ، ومدافع الهاوتزر من عيار ١٢٢ ملم ، والمدافع المائلة من عيار ١٥٢ ملم ومدافع المورتر من عيار ٢٨٠ ملم . وسلحت الوحدات المضادة للدبابات بمدفع جديد من عيار ٤٥ ملم وهو من طراز عام ١٩٣٧ . وتسلحت قوات المشاة بمدافع الهاون الكتائبيـــة من عيار ٨٢ ملم ومدافع الهاون الجبلية المحمولة على الدواب من عيار ١٠٧ ملم ومدافع الهاون الفوجية من عيار ١٢٠ ملم . وتسلحت المدفعية المضادة للجو بالمدافع الاوتوماتيكية من عيار ٣٧ ملم والمدافع من عيار ٨٥ ملم ، وكذلك باجهزة اكثر اتقانا لادارة النيران . وعلى قاعدة الدبابات الموجودة جرى تصميم نماذج تجريبية من المدافع الذاتية الحركة .

وكان فضلا كبيرا للمهندسين السوفييت ان صنعوا النماذج التجريبية من السلاح الصاروخى . ففى بداية الثلاثينيات صنـــع العلماء والمصممـــون تسانديـــر وكوندراتيـــوك وتيخوميروف

وتيخونرافوف وميركولوف وكوروليف وكورنييف وغيرهم نماذج الصواريخ الاولى وسبقوا بذلك كثيرا الفكر التصميمى الاجنبى . وفى عام ١٩٣٨ اخترعت مجموعـــة من المصممين جهاز اطلاق الصواريخ الذى اشتهر فيما بعد باسم «كاتوشا» .

وتميزت الثلاثينيات كذلك بالنمو الكمى للمدفعية . فقد تم فى هذه الفترة من جديد فى الواقع بناء انواع جديدة من المدفعية ، مثل المدفعية المضادة للجو والمدفعية المضادة للدبابات والمدفعية الملساء . ويدل على نوعية المدفعية السوفييتية واقع ان المصمم بتروف صمم فى عام ١٩٣٨ مدفع الهاوتزر من عيار ١٢٢ ملم الذى وصل الى برلين فى سنوات الحرب الوطنية العظمى . ولا يزال هذا المدفع حتى الآن يستخدم فى تسليح جيشنا .

ولوحظ فى تلك الفترة نمو كمى ونوعى لقوات الدبابـــات والمدرعات . واستخدم صانعو الدبابات التصفيح المقاوم للقذائف وزادوا من القدرة النارية للدبابات ومن امكانياتها فى المناورة . وبدأ على نطاق واسع صنع الدبابات الخفيفة والمتوسطة والثقيلة .

وادى النمو الكمى والنوعى لتكنيـــك الدبابات والمدرعات واتساع نطاق مكننة الجيش الى تحويل القوات المدرعة فى بداية الثلاثينيات الى صنف مستقل من القوات اطلق عليه اسم «القوات المدرعة والميكانيكية» . وتم وضع التركيب التنظيمى لهذه القوات واسس استخدامها فى القتال . وفى عام ١٩٣٠ تشكل اول لواء ميكانيكى سوفييتى ، اطلق عليه فى عام ١٩٣١ اسم بطـــل الحرب الاهلية واحد قادة الدبابات البارزين كالينوفسكى .

وعلى اساس هذا اللـــواء تم فى عام ١٩٣٢ ولاول مرة فى التطبيق العسكرى العالمى تشكيل الفيلق الميكانيكى ، وفى السنوات التاليـــة ظهرت فيالق الدبابات . والى جانب ذلك كانت فى الجيش كتائب وافواج والوية مستقلة للدبابات .

وكانت بلاد السوفييت وطن قوات الانزال الجوى . فمنذ

١٩٢٩ ظهرت فى الجيش اولى فصائـــــل المظليين . وفى ٢ آب (اغسطس) ١٩٣٠ تم فى ضواحى فورونيج انزال ١٢ مظليا وكذلك اسلحة وذخيرة فى التدريبات التجريبية الاستعراضية للقوات الجوية التابعة لمنطقة موسكو العسكرية . وعندهـــا بدأ تشكيل كتائب الانزال المظلى . وفى عام ١٩٣٣ ساهم فى مناورات منطقـــــة بيلوروسيا العسكريـــــة ٩٠٠ مظلى ، وفى عام ١٩٣٥ جرى فى مناورات منطقة كييف العسكرية انزال كبير تعداده ١٢٠٠ مظلى كما استخدم انزال الهبوط وتعداده ٢٥٠٠ شخص مع المعدات الحربية . وعلى اثر ذلك تم فى مناورات منطقة بيلوروسيا العسكرية هبوط ١٨٠٠ مظلى وانزال ٥٧٠٠ شخص مع الاسلحة والمعدات الحربية . وساعدت هذه التجربة على متابعة تطوير قوات الانزال الجوى . وفى عام ١٩٣٦ بدأ تشكيل آلوية الانزال الجوى ومن ثم فيالق هذا الانزال . وكانت هذه القوات مخصصة للعمل فى اعماق مؤخرة العدو وذلك بالتعاون مع تشكيلات الدبابات وسلاح الجو .

وصارت قوات الهندسة والقوات الكيمياوية ، وكذلك قوات الاتصال ووحدات السكك الحديدية تجهز بتكنيك واسلحة ووسائل مواصلات افضل واكثر كمالا .

واستلمت وحدات الهندسة آلات لمكننة الاعمال ورحبات البنتون للعبور والالغام والمفرقعات .

وجهزت قوات الاتصال بوسائل لاسلكية لمختلف الاغراض ومحطات رادارية لاستكشاف طائرات العدو . وفى الوقت ذاتـــه صنعت اجهزة تلغرافية وآلات كاتبة سريعة العمل ، وتم التخلص من تعدد انواع الاجهزة التلفونية .

وتطورت القوات الجوية بسرعة حثيثة . وفى سنوات الخطة الخماسية الاولى استلمت هذه القوات طائرة مقاتلة من تصميـــــم غريغوروفيتش . ثم ظهرت انواع جديدة من طائرات سلاح الجو البعيد المدي ، وهي من تصميم توبوليف . وفى الخطة الخماسية

الثانية ظهرت مقاتلات من تصميم مكتب آلتصاميم باشراف بوليكاربوف . وفى عام ١٩٣٥ استخدمت قاذفة القنابل السريعة « س ب » من تصميم ارخانجلسكى . وفي الوقت ذاته ظهرت طائرة جديدة لسلاح الجو البعيد المدى وهى من تصميم ايليوشين . وكان صنع هذه آلطائرات انجازا كبيرا فى تطوير صناعة الطائرات . وكانت الطائرات الجديدة من حيث خصائصها التاكتيكية التكنيكية (السرعة والمدى والحمولة والتسليح) افضل بما يزيد على المرتين من الطائرات المستخدمة فى عام ١٩٢٩ .

وفى سنوات الخطط الخماسية لما قبل الحرب تم فى آلقوات الجوية تشكيل سلاح جوى قوى من المقاتلات وقاذفات القنابل لمحاربة العدو فى الجو وتوجيه الضربات القاضية الى اهدافه الارضية . وفى عام ١٩٣٨ اخذت تتكون التشكيلات الكبيرة للمقاتلات وقاذفات القنابل ، الامر الذى كان خطوة هامة فى تطوير القوات الجوية . وكان فى امكان هذه آلتشكيلات ان توجه الضربات الشديدة الى قوات العدو والى اهم اهداف مؤخرته ، وان تقاتل بكل شدة طائرات العدو فى الاجواء والمطارات .

وتطورت كثيرا قوات الدفاع آلجوى للبلاد . وادرجت فى الفيالق والفرق كافة اصناف قوات الدفاع الجوى : بطاريات وافواج المدفعية المضادة للجو ، ووحدات آلمراقبة الجوية والانذار والاتصال والمناطيد الحاجبة وكذلك سرايا الرشاشات المضادة للجو وسرايا الانوار الكاشفة .

وبقدر اشاعة تصنيع آلبلاد صار الاسطول البحرى الحربى يستلم مزيدا من مختلف السفن الحربية (الطرادات والمدمرات والغواصات وسفن الحراسة وكاسحات الالغام والزوارق آلنسافة والقوارب المصفحة) ومدفعية الدفاع الساحلى وآلطائرات . واعتبارا من ١٩٣٠ الى ١٩٣٩ ازدادت حمولة الاسطول بنسبة ١٣٠٪ . وساعد ذلك ليس فقط على تقوية اسطول البلطيق واسطول

البحر الاسود واسيطيل آمور واسيطيل قزوين ، بل وساعد فى بناء اساطيل واسيطيلات جديدة .

فبناء على قرار اللجنة المركزية للحزب والحكومة السوفييتية تم فى عام ١٩٣٢ تأسيس اسطول المحيط الهادى ومن ثم الاسطول الشمالى . وفى الوقت ذاته اتخذت الاجراءات لتعزيز الدفاع الساحلى ، حيث جرت عصرنة وتجديد المنشآت الهندسية واستخدمت انواع المدفعية الساحلية الاكثر كمالا . وساعد ذلك كله على زيادة القدرة القتالية للاسطول وعزز الدفاع عن الحدود البحرية للاتحاد السوفييتى .

وبسبب اعادة البناء التكنيكى للقوات المسلحة طرحت بكل الحاح مسألة توسيع نطاق اعداد الكوادر العسكرية واستيعاب هذه الكوادر للتكنيك الحربى الجديد الذى استلمه الجيش .

وتوسعت شبكة المؤسسات التعليمية العسكرية . وحتى نهاية الخطة الخماسية الثانية كانت هناك ٧٥ مدرسة عسكرية تعد الضباط والرؤساء المتوسطين . وفى النصف الاول من الثلاثينيات تم بالاضافة الى الاكاديميات الموجودة تأسيس الاكاديمية العسكرية لمكننة الجيش الاحمر والاكاديمية العسكرية الكهروتكنيكية والاكاديمية العسكرية للنقليات واكاديمية الاركان العامة . وخلال ١٢ عاما قبل الحرب تخرج من المدارس والاكاديميات ١٤٨ الف قائد عسكرى وسياسى واخصائى هندسى وتكنيكى عسكرى . وكان يطلب من كل عسكرى ان يلم بصورة ممتازة بالخواص التاكتيكية والتكنيكية للاسلحة والمعدات .

وفى عامى ١٩٣٥-١٩٣٦ اجريت مناورات قوات منطقة كييف العسكرية ومنطقة بيلوروسيا العسكرية وغيرهما من المناطق . وتميزت بدلالة كبيرة خصوصا مناورات منطقة كييف العسكرية حيث شاركت فيها اكثر من ١٠٠٠ دبابة وكثير من المدافع والطائرات وجرى انزال جوى كبير . وعملت القوات بمهارة باذلة

اقصى جهودها . وعرضت اعدادها التاكتيكى العالى وتحملها البدنى الجيد .

وتم احراز نجاحات كبيرة ايضا فى مجال الفكر العسكرى السوفييتى . ولدى التمعن فى اهم قضايا بناء القوات المسلحة ووسائل استخدامها فى القتال استندت نظريتنا على متطلبات المذهب العسكرى الذى تحددت سماته الاساسية فى مؤلفات لينين وفى مقررات المؤتمرات الحزبية والكونفرنسات واجتماعات اللجنة المركزية للحزب .

واستمرت مجموعة كبيرة من القادة العسكريين المساهمين النشيطين فى الحرب الاهلية على دراسة القضايا الجذرية فى النظرية العسكرية دراسة مثمرة . وصدرت مؤلفات قيمة احتوت على تحليل عميق لخبر الحروب الماضية ورسمت طرق متابعة تطوير الجيش الاحمر والفن العسكرى السوفييتى .

ويمكن القول بدون مبالغة ان اى جيش فى العالم لم تكن له فى تلك السنوات نظرية عسكرية عميقة شاملة كما كانت نظرية الجيش الاحمر . وكان العلم السوفييتى ينتقد بالحجج الدامغة اقوال الباحثين العسكريين الاجانب من اصحاب نظريات «الجيوش الصغيرة» و«الحرب الجوية» و«القوة البحرية» . وكان النظريون البرجوازيون ينيطون الدور الرئيسى بوسيلة تكنيكية حربية واحدة ما فقط، وكانوا فى تلك الظروف يعلقون الآمال على «الحرب الخاطفة» . اما ستراتيجيتنا فقد شملت جملة واسعة من قضايا خوض الحرب . وقيمت تقييما صائبا طابع الصراع المسلح وكذلك الوسائل الاساسية لتحقيق النصر على العدو القوى والحسن التجهيز تكنيكيا .

وكانت كبيرة كذلك منجزات الفن العملياتى السوفييتى . فقد وضعت لدى الجيش الاحمر نظرية جديدة مبدئيا ومعللة علميا لاعداد واجراء عمليات الجبهات والجيوش . وشغلت مكانة خاصة فى هذه النظرية مسائل الهجوم والمعارك التصادمية وتطويق وتحطيم

العدو والتعاون بين اصناف وانواع القوات المسلحة وكذلك مسائل عمل مؤسسات المؤخرة . كما اجريت تعميمات واستنتاجات هامة فى مسائل التاكتيك ايضا .

وفى بداية الثلاثينيــــات صدرت لدى الجيش الاحمر كتب تدريب وتعليمات وانظمة جديدة .

فى حراسة الوطن

ان الامبرياليين الذين احبطت فى اعـــوام ١٩١٨ـ١٩٢٢ محاولاتهم للاستيلاء على الشرق الاقصى السوفييتى لم يتخلوا عن مطامعهم آملين بتحقيقها عن طريق الحرب العدوانية ضد الاتحاد السوفييتى .

ففى صيف ١٩٢٩ استولى العسكريون الصينيون بتحريض من الدول الغربية على سكة الحديد الصينية الشرقية العائدة للاتحاد السوفييتى . وحشدوا عند حدود الاتحاد السوفييتى جيشا يتكون من ٣٧٠ الفا وشكلوا خطرا جديا على سلامة بلاد السوفييت فى الشرق الاقصى . واضطرت اعمال الغزاة الوقحة الحكومة السوفييتية على استخدام القوة المسلحة للدفاع عن مصالح الدولة . ورد جيش الشرق الاقصى الخاص بقيادة البطل الهمام بلوخير الغزاة ردا حاسما . وقد خفف ذلك لمدة عشر سنوات تقريبا غلواء هواة الاغتناء على حساب الاتحاد السوفييتى .

وفى ليلــــة ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٣٨ توغل العسكريون اليابانيون فى الاراضى السوفييتية فى منطقة بحيرة خاسان على بعد ١٣٠ كيلومترا جنوبى فلاديفوستوك ، وذلك بعد سلسلة كاملة من الاشتباكات والاستفزازات على الحدود . وواجه جنود الحدود السوفييت هؤلاء الغزاة ببسالة وصمود . فقد حارب العدو عشرة جنود سوفييت برئاســـة الملازم تيريشكين طوال يومين . الا ان التفوق العددى هيأ للعدو امكانية احتلال مرتفع بزيميانايا . ولكنه

سرعان ما وصلت الامدادات من مفرزة الحدود فطهرت المرتفع من الغزاة اليابانيين .

وكانت الحكومة السوفييتية تدرك بان الامبرياليين بودهم لو جروا البلاد الى صدام حربى من شأنه ان يتحول الى حرب ، ولذلك فلم تزج الحكومة وحدات الجيش الاحمر فى المعركـــة . الا ان العسكريين اليابانيين لم يهدأوا بعد ان ردعهم جنود مفرزة الحدود فى بوسييت . وارسل اليابانيون وحدات المشاة والمدفعية والدبابات والوحدات الجوية سعيا منهم الى تحطيم حاجز الحدود . وفى الاول من آب (اغسطس) استولى اليابانيون على مرتفع زاأوزيرنايـــا ومرتفع بيزيميانايا . وعند ذلك فقط حركت القيـــادة بأمر من الحكومة قواتها لردع الغزاة . واستمرت المعارك الدامية حتى ١١ آب (اغسطس) وانتهت بالنصر التـــام للسلاح السوفييتى . وتلقى العسكريون اليابانيون درسا لا ينسى .

ولكنه لم يمض عام على احداث بحيرة خاســـان حتى بدأ الامبرياليون اليابانيون من جديد استفزازاتهم الحربية . فقد خططوا هذه المرة للتوغل فى الاراضى السوفييتية عبر اراضى جمهوريـــة منغوليا الشعبية .

ففى فجر ١١ ايـــار (مايو) ١٩٣٩ هجم اليابانيون على مخفر للحدود تابع للجيش المنغولى شرقى نهر خالخين ــ غول . وفى اواخر ايار انتقلوا الى الهجوم بقوات كبيرة .

وحالما خرق العسكريون اليابانيون حدود جمهورية منغوليا الشعبية اعلنت الحكومة السوفييتية عن اننا استنادا الى معاهدة الصداقة والمساعدة المتبادلة سندافع عن حدود جمهورية منغوليا الشعبية بنفس الحزم الذى ندافع به عن حدودنا . وهبت القوات السوفييتية لنجدة الشعب المنغولى الشقيق .

واعتبارا من صبـــاح ٢٨ ايار (مايو) اندفـــع الغزاة فى هجومهم . وكانوا ينوون قطع الطريق امام الوحدات السوفييتيـــة

المنغولية عند معابر نهر خالخين ــ غول وتحطيمهـــا شمالى نهـر خيلاستين ــ غول . وواجه المحاربون السوفييت اليابانيين بنيران المدفعية الشديدة . وحطم المدفعيون والمشاة فى اشتباك حامى الوطيس مع العدو وحداته الامامية .

وفى صبـــاح ٢٩ آيار (مايو) شبت بقوة متزايدة نيران المعـــارك قرب خالخين ــ غول . وانتقلت القوات السوفييتيـــة والمنغولية الى الهجوم المضـــاد وازاحت الغزاة الى الحدود . وفى غضون يومين فقد العدو عدة آلاف من الجنود والضباط القتلى . وصمت هدير المدافع وحل الهدوء لفترة شهر كامل . الا ان القيادة اليابانية لم ترضخ للهزيمة . فارسلت الى منطقة العمليات الحربية فرقة مشاة ولواء خيالة وفوجين للمشـــاة وفوجين للدبابـــات والمدفعية وغيرها من الوحدات . وكان الجنرال اليابانى كاماتسوبارا ينوى تطويق وتدمير القوات السوفييتية والمنغولية على الضفـــة اليمنى لنهر خالخين ــ غول . وقرر الالتفاف حول الجناح الايسر لهذه القوات وعبور نهر خالخين ــ غول فى الخفاء والاستيلاء على جبل باين ــ تساغان الذى يشرف على المنطقة . ومن على قمة هذا الجبل كانت المنطقة المحاذية له مرئية بوضوح على مسافة ١٠ كيلومترات .

الا ان القيادة السوفييتية ادركت نوايا الجنرال اليابـــانى واتخذت الاجراءات اللازمة لاحباط خططه . وتم تعزيز القوات المنغولية المدافعة على الضفة اليمنى لنهر خالخين ــ غول بوحدات الدبابات السوفييتية . وعسكرت هذه الوحدات وراء القطعـــات المنغولية متأهبة لتوجيه الضربة القاضية الى العدو .

وفى ٢ تموز (يوليو) عبرت القوات اليابانيـــة تحت جنح الظلام نهر خالخين ــ غول وبعد معركة طاحنة احتلت جبل باين ــ تساغـــان . وفى ٤ تموز (يوليو) قامت القوات السوفييتيـــة والمنغولية بهجوم حازم على هذا المرتفع . ولم يصمد اليابانيون امام

هذا الهجوم واخذوا ينسحبون بلا انتظام الى الضفة اليمنى لنهر خالخين ـ غول . وفى تلك الاثناء كان سلاح الجو السوفييتى قد حطم الجسر الوحيد على هذا النهر . والقى الجنود والضباط اليابانيون المذعورون بأنفسهم الى مياه النهر مباشرة . ولم يستطع عبور النهر سباحة الا عدد قليل منهم .

واثارت هزيمة القوات اليابانية عند جبل باين ـ تساغان الذعر والاضطراب فى اليابان . وكتب مستشار امبراطور اليابان كيدو فى مذكراته آنذاك ما يلى : «الجيش فى اضطراب ، وقد ضاع كل شىء» .

واضطرت القوات اليابانية التى تكبدت خسائر فادحة الى الانتقال الى الدفاع شرقى نهر خيلاستين ـ غول .

وفى ٢٠ آب (اغسطس) وجهت قوات مجموعة الجيوش الاولى بقيادة قائد الفيلق جوكوف الضربة الى العدو من ثلاثة اتجاهات . وكانت المجموعة الجنوبية بقيادة العقيد بوتابوف التى كان عليها ان توجه الضربة الرئيسة ـ تلتف حول العدو من الجنوب الغربى ، بينما كانت المجموعة الشمالية بقيادة العقيد شيفنيكوف تلتف حوله من الشمال الغربى . وهاجمت قوات المجموعة الوسطى بقيادة بتروف القوات اليابانية من الامام . وكانت المدفعية تهدر على طول ٧٠ كيلومترا ، وهو طول خط الجبهة . وقاوم اليابانيون القوات السوفييتية مقاومة عنيدة فى منطقة مرتفعات زيليونايا وبيسشانايا وريميزوف . وابدى جنود المشاة والدبابات والمدفعيون والطيارون السوفييت آيات المهارة العسكرية والبسالة والصمود والبطولة .

وفى ٢٣ آب (اغسطس) تم القضاء على مقاومة العدو وتم تطويق قواته ، وفى ٣١ منه تعرضت هذه القوات الى التدمير التام .

وامن الانتصار قرب خالخين ـ غول سلامة حدود الاتحاد السوفييتى فى الشرق الاقصى . ومنيت بالفشل محاولة الامبرياليين اليابانيين لاشعال لهيب الحرب فى الشرق الاقصى .

اتاح دحر الغزاة اليابانيين قرب نهر خالخين ــ غول الفرصة للشعب السوفييتي لكي يركز جهوده بصورة اكبر على تنفيذ برنامج الخطة الخماسية الثالثة ومتابعة البناء الاشتراكي .

ولكن الوضع العالمي كان مقلقا . وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ اشعلت المانيا الهتلرية لهيب الحرب العالمية الثانية . وسقطت بولونيا البرجوازية تحت ضربات القوات الفاشية . واسرعت الجحافل المدرعة للجيوش الالمانية الفاشية نحو نهر بوغ فاقتربت من الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي . وتطلب تغلغل القوات الهتلرية الى اعماق الاراضي البولونية اهتماما خاصا بسلامة اشقائنا الاوكرانيين والبيلوروسيين القاطنين في بولونيا والذين تركتهم الحكومة البولونية في كف القدر .

وفي ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ اتخذت الحكومة السوفييتية قرارا بارسال قوات الجبهتين البيلوروسية والاوكرانية بقيادة تيموشينكو وكوفاليف الى حدود اوكرانيا الغربية وبيلوروسيا الغربية لحماية ارواح السكان المحليين . وعبرت القوات السوفييتية الحدود على جبهة واسعة وبدأت حملتها التحريرية وتحركت بسرعة في اراضي الاوكرانيين والبيلوروسيين وقابلها السكان المحليون في كل مكان بالترحاب والسرور . وخلال ١٢ يوما حررت القوات السوفييتية اراضي تجاوزت مساحتها ١٩٠ الف كيلومتر مربع وتجاوز عدد سكانها ١٢ مليون نسمة . وتم وقف زحف الالمان نحو الشرق . وتم انقاذ الاوكرانيين والبيلوروسيين في المناطق الغربية من خطر الاحتلال الفاشي .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٩ اقر مجلس الشعب في كل من اوكرانيا الغربية وبيلوروسيا الغربية بالاجماع بيانا اعلن عن قيام السلطة السوفييتية على الاراضي المحررة . وفي ذلك الوقت عقدت استونيا ولاتفيا وليتوانيا معاهدات المساعدة المتبادلة مع الاتحاد السوفييتي . والتزم الاتحاد السوفييتي بان يقدم الى

جمهوريات البلطيق مختلف انواع المساعدة ، بما فيها العسكرية ، وحصل على حق مرابطة الحاميـــات العسكريـــة فى اراضى هذه الجمهوريات ، وكذلك بناء قواعد بحرية وجوية . واستقبل شغيلة جمهوريات البلطيق بكل سرور هذه المعاهدات التى ساعدت على تعزيز الصداقة مع الشعب السوفييتى ، وطالبوا حكوماتهم بكل اصرار بالكف عن انتهاج السياسة المعاديـــة للشعب . واضطرت هذه الحكومات البرجوازية التى لم تكن تحظى بتأييد الجماهير لها الى الاستقالة . ونتيجة لذلك تشكلت فى ليتوانيا ولاتفيا واستونيـــا حكومات الجبهة الشعبية . وفى تموز (يوليو) ١٩٤٠ اتخذت فى دورات الهيئات التشريعية العليا لهذه الجمهوريات قرارات باقامة السلطة السوفييتية والانضمام الى الاتحاد السوفييتى .

ولغرض تأمين سلامة جمهوريات البلطيق انشأت الحكومـــة السوفييتية منطقة البلطيق العسكرية التى ضمت كذلك قوات هذه الجمهوريات ، بينما اصبحت قواتها البحرية جزءا لا يتجزأ من اسطول البلطيق حامل وسام الراية الحمراء .

ولقد اتسم تحرير شعبى اوكرانيا الغربية وبيلوروسيا الغربية وكذلك انضمام جمهوريات البلطيق الى الاتحاد السوفييتى بأهمية كبرى للغاية بالنسبة لتعزيز سلامة الحدود الغربيـــة للدولـــة السوفييتية .

وفى ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ واستنادا الى الاتفاقية السوفييتية الرومانية عبرت قوات الجيش الاحمر نهر الدنيستر ووصلت الى نهر بروت فى ٣٠ منـــه . وكان سكان بيساراببيـــا وبوكوفينا الشمالية يرزحون منذ ٢٢ عاما تحت نير الاعيـــان الرومانيين . ففى عام ١٩١٨ كانت حكومة رومانيا الملكيـــة قد انتهزت فرصة ضعف الجمهورية السوفييتية الفتية فانتزعت من بلاد السوفييت بيسارابيا التى يسكنها المولدافيون . ولكنه بوصول الجيش الاحمر الى بيسارابيا وبوكوفينا الشمالية عاد الحق الى

نصابه . وتم تعديل حدود الاتحاد السوفييتى الجنوبية الغربيـــة بحيث امتدت نحو الغرب لمسافة ١٧٠ـ١٨٠ كيلومترا . وفى ٢ آب (اغسطس) ١٩٤٠ توحدت بيسارابيا مع مولدافيــــا السوفييتية والتحقت بوكوفينا الشمالية بجمهورية اوكرانيــــا الاشتراكية السوفييتية .

ولكنه فى الوقت الذى تم فيه توسيع حدود الدولة فى الغرب الى مسافة ٢٠٠ـ٢٥٠ كيلومترا عن المراكز الحيوية فى البلاد ، كانت الحدود الشمالية ، بما فيها مهد الثورة ـ مدينة لينين لا تزال عرضة لخطر كبير .

وفى خريف ١٩٣٩ قام صدام حربى مع فنلندة نتيجة للاعمال الاستفزازية التى مارستها الامبريالية العالمية . فقد سعت الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا الى توجيه حربة العدوان نحو الاتحاد السوفييتى . وبسبب ذلك اضطر الشعب السوفييتى الى اتخاذ عدة اجراءات لتأمين سلامة حدوده الشمالية الغربية .

واجرت الحكومة السوفييتية مفاوضات مع زعماء فنلندة بشأن تعديل الحدود قليلا فى برزخ كاريليا حيث كانت تمر على مقربة ٣٢ كيلومترا من لينينغراد . وعرضنا على فنلندة مقابل ذلك مساحات من اراضينـــا اكبر بكثير من تلك فى مكان آخر من كاريليا . الا ان الرجعيين الفنلنديين الذين حرضتهم الدول الامبريالية الغربية رفضـــوا هذه الاقتراحات . وبعد ان استلموا مساعدة عسكرية كبيرة شددوا من نشاطهم العدائى ، وبلغ بهم ذلك الى حد اطلاق نيران المدفعية على الوحدات العسكرية السوفييتية المرابطة قرب لينينغراد .

ولغرض تأمين سلامة مدينـة لينينغراد والحدود الشماليـــة الغربية للبلاد اضطرت الحكومة السوفييتية الى ان تأمر قوات منطقة لينينغراد العسكريـــة بان توجه ضربة حازمـــة الى الاستفزازيين

الفنلنديين . وفى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) هجمت فى جبهة طولها ١٥٠٠ كيلومتر من بحر بارينتس الى الخليج الفنلنــــدى اربعـــة جيوش ، وفيما بعد جيشان آخران واسطول البلطيق السوفييتى .

وكانت اصعب منطقة فى الجبهة هى برزخ كاريليـا حيث اقام العدو دفاعا قويا اطلق عليه اسم خط مانيرهايم الذى كان يتكون من عدة خطوط ومواقع ، وكان يشكل مع قلعة فيبورغ منطقة محصنة جبارة . ويستند هذا الخط على ٢٩٦ منشأة من الخرسانة و ٨٩٧ منشأة من الغرانيت . ومن حيث كثافة وسائل الرمى ودرجة التجهيز الهندسى كان هذا الخط يفوق خط ماجينو الفرنسى وخط زيغفريد الالمانى .

وفى ١١ شباط (فبراير) وبعد التحضير اللازم بدأ الهجوم على خط مانيرهايم . وابدى المحاربون والقادة السوفييت الذين قاتلوا بمهارة وحزم وقهروا مقاومة العدو فى كل خطوة يخطونها ــ ابدوا آيات البسالة والبطولة والمهارة الحربية .

وزحفت القوات السوفييتيـــة خطوة اثر خطوة فى المعـــارك الطاحنة ، وفى اوائل آذار (مارس) شقت دفاع الفنلنديين البيض المحصن والمنسق عميقـــا . وخضع خط مانيرهـــايم المنيع لارادة المواطنين السوفييت ، واتضح ان الخرســـانة المسلحـــة واحدث التجهيزات الحربية فى هذه التحصينات هى اضعف من ارادتهم فى النصر . وفى ١١ آذار (مارس) بدأت قوات الجيش السابع بمساعدة اسطول البلطيق المعركة من اجل فيبورغ واحتلت هذه المدينة بعد معارك طاحنة .

وفى ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٠ اعترفت الحكومة الفنلندية بهزيمتها وطلبت الصلح . واستنادا الى معاهدة الصلح ابعدت الحدود فى برزخ كاريليا الى مســـافة ١٥٠ كيلومترا عن لينينغراد . وفى الوقت ذاته تحسن الوضع فى بحر البلطيق .

لقد كانت الحرب السوفييتية الفنلندية امتحانا جديا للقدرة

القتالية للقوات المسلحة السوفييتية ونظريتها العسكرية وتدريب القوات . وكانت الخبرة القتالية التى اكتسبتها القوات السوفييتية على الحقول الفنلندية المغطاة بالثلوج تعنى درجة فى تطوير الفن العسكرى السوفييتى .

قبيل المحنة القاسية

فى خريف ١٩٣٩ تردى الوضع الدولى لدرجة كبيرة . ففى اوروبا كانت تتعالى ألسنة نيران الحرب العالمية الثانية . وتم جر عدة بلدان الى فلك هذه الحرب . وكانت الفاشية الالمانية تبذل قصارى جهدها للسيطرة على العالم .

وقد شعر الشعب السوفييتى بخطر الحرب . وطبق الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية النهج الذى خطه المؤتمر السابع عشر للحزب ، واتخذا الاجراءات لمتابعة النهوض بالاقتصاد وتطوير الصناعة الثقيلة والصناعة الدفاعية بوتائر متسارعة . وبنيت قاعدة صناعية جبارة فى شرق البلاد .

ففى عام ١٩٤٠ استخرجت بلادنا ١٦٥,٩ مليون طن من الفحم و ٣١,١ مليون طن من البترول وصهرت ١٤,٩ مليون طن من الحديد الصب و ١٨,٣ مليون طن من الفولاذ . وخلال السنوات الثلاث والنصف قبيل الحرب كان قد تم فى الاتحاد السوفييتى تشغيل ٣٠٠٠ مؤسسة كبرى جديدة .

وبناء على قرار لجنة الدفاع تحول مصنعا التراكتورات فى ستالينغراد وتشيليابينسك الى صنع الدبابات . وتوسعت مصانع الاسلحة الصغيرة والمدفعية والذخيرة والبارود . واعتبارا من عام ١٩٤٠ اخذت صناعة الدبابات والطائرات تصنع بوتائر اعلى احدث الدبابات والطائرات الحربية . وحظى باهتمام كبير تكوين الاحتياطيات الحكومية الكبيرة من المواد الغذائية والوقود والطاقة الكهربائية والاسلحة .

وبذلت الحكومة السوفيتية جهودا كبيرة لتكوين نظام الامن الجماعى فى اوروبا ، وذلك لقطع الطريق على الحرب . واصطدمت هذه الجهود بمقاومة من الدول الغربية التى كانت تسعى الى توجيه العدوان الفاشى نحو الاتحاد السوفييتى . وفى ذلك الظرف المعقد للغاية اضطر الاتحاد السوفييتى الى عقد معاهدة عدم اعتداء مع المانيا . واخلت هذه المعاهدة بخطط الامبرياليين وساعدت على كسب الوقت لمتابعة تعزيز دفاع الاتحاد السوفييتى .

وفى عام ١٩٣٩ اصبح كل الجيش نظاميا وازداد تعداده بالمقارنة مع عام ١٩٣٠ بأكثر من ثلاث مرات .

وفى العام ذاته اقر نص جديد لليمين العسكرية وذلك طبقا لدستور الاتحاد السوفييتى الذى اقر فى عام ١٩٣٦ . وكانت تأدية افراد القوات المسلحة السوفييتية لليمين عملا ذا اهمية سياسية كبيرة . وفى خريف العام ذاته صدر قانون الخدمة العسكرية الالزامية العامة طبقا للدستور الذى ينص على ان الخدمة العسكرية واجب مشرف لكافة مواطنى الاتحاد السوفييتى بغض النظر عن انتمائهم الطبقى . وحدد القانون الجديد نظاما موحدا للخدمة العسكرية فى القوات المسلحة .

وطبقا لهذا القانون كلف بالخدمة العسكرية مواطنو الاتحاد السوفييتى البالغون من العمر ١٩ عاما (و ١٨ عاما بالنسبة لخريجى المدارس الثانوية) . وبسبب ضرورة دراسة التكنيك الحربى المعقد فى الجيش مددت فترة الخدمة الفعلية لصغار ضباط القوات البرية والقوات الجوية من عامين الى ثلاثة اعوام ، ولكافة جنود سلاح الجو وقوات الحدود الى ثلاثة اعوام ، ولبحارة سفن قوات الحدود الى اربعة اعوام ، ولبحارة سفن ووحدات الاسطول الى خمسة اعوام . وطبق فى المدارس الثانوية (المدارس المهنية والكليات العمالية والمدارس العادية) نظام التدريب ما قبل التجنيد، وذلك عن طريق دراسة اسس الشؤون العسكرية لتسهيل الدراسة

على المكلفين بعد التحاقهم بالجيش . وكل ذلك هيأ الظروف الملائمة لزيادة تعداد الجيش ورفع مستوى التدريب العسكرى والاستعداد القتالى لدى القوات . وجرت فى المدن والارياف حملة واسعة للاعمال الدفاعية . ودربت جمعية الشغيلة الطوعية فى سنوات ما قبل الحرب ١٠ ملايين من الرماة وعشرات الآلاف من الطيارين والمظليين والسواق وجنود المواصلات والموظفين الصحيين .

وفى ربيع ١٩٤٠ استحدثت فى الجيش الاحمر رتب الجنرالات والاميرالات . وكان اول من حصل على رتبة الجنرال ورتبة الاميرال مئات من افضل القادة الذين يتحلون بخبرة عسكرية كبيرة والذين اثبتوا عمليا اخلاصهم للوطن الاشتراكى .

وفى ظروف الخطر الداهم ، خطر الهجوم العسكرى من قبل المانيا الهتلرية على وطننا دعت اللجنة المركزية للحزب الشعب السوفييتى ومحاربيه الى زيادة اليقظة والاستعداد للقتال على الدوام.

واتخذت الحكومة التدابير لاعداد الصناعة للحرب الداهمة . وطبق من جديد يوم العمل من ثمانى ساعات ، واضطرت البلاد الى التخلى عن اسبوع العمل من ستة ايام والانتقال الى اسبوع العمل من سبعة ايام ، وتكوين احتياطيات ايد عاملة حكومية من الشبيبة واقرار قوانين صارمة تحدد النظام والانضباط فى المؤسسات . وكان ذلك كله امرا ضروريا للغاية فى تلك الظروف حيث كانت الحرب على الابواب .

وعشية الحرب الوطنية العظمى بدأ التجديد الثانى فى تاريخ القوات المسلحة السوفييتية لتكنيك الجيش .

وجهزت قواة المشاة بسلاح اتوماتيكى جديد . وفى عام ١٩٤١ استلمت وحدات المشاة المسدسات الرشاشة وبنادق ذاتية التعمير والبنادق القصيرة . ونتيجة لذلك ازدادت الامكانيات النارية لدى الكتيبة بمرتين بالمقارنة مع عام ١٩٢٩ ، وحتى صيف عام ١٩٤١ بلغت هذه الامكانيات ٢١٦٠٠ اطلاقة فى الدقيقة الواحدة .

وتطور كثيرا التسلح بالمدافع ومدافع الهـاون . وكان من خدمات المصممين السوفييت الكبيرة صنع المدفعية النفاثة . ففى ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٤١ اتخذ قرار بصنع عربات القتـال « بم ـ ١٣ » على نطاق واسع وتسليح الجيش الاحمر بها . واعتبارا من عام ١٩٣٩ بدأ فى البلاد صنع الدبابـات الثقيلـة « ك ف » من تصميم مكتب التصاميم باشراف كوتين . وفى عام ١٩٤٠ بدأ صنع الدبابات المتوسطة « ت ـ ٣٤ » من تصميـم كوشكين وموروزوف وكوتشيرينكو . وكان لكلا الطرازين محركات ديزيل ودرع قوى ، ويتسمان بقدرة اجتياز جيدة وسرعة كبيرة .

وكان صنع الطائرات السريعة من تصميم لافوتشكين وميكويان وياكوفليف مساهمة كبيرة فى تطوير الطيران المقاتل .

وتطورت كثيرا قوات الانزال الجوى والدفاع الجوى والاسطول الحربى البحرى حيث قدمت لها معدات حربية واسلحة اكثر اتقانا .

وفى عام ١٩٣٩ كان تعداد التسليحات الموجودة تحت تصرف الجيش الاحمر قد ازداد بالمقارنة مع عام ١٩٣٠ من حيث الدبابات بـ ٤٣ مرة والطـائرات بـ ٦,٥ مرات والمدفعيـة بحوالى ٧ مرات والمدفعية صغيرة العيار المضادة للدبابات بـ ٧٠ مرة والرشاشات بحوالى ٥,٥ مرات . وازدادت حمولـة الاسطول البحرى الحربى بنسبة ١٣٠٪ .

وتحسن كذلك التركيب التنظيمى للجيش الاحمر .

ويعتبر الجيش مختلف الاصناف اكبر جحفل فى القوات البرية . وكان الجيش يضم فيلقين او ثلاثة فيالق للمشاة (وفضلا عن ذلك كان لجيوش المناطق العسكرية المتاخمة للحدود فيلق ميكانيكى) ، وفرقة جوية واحدة وغير ذلك من الوحدات والقطعات . وكان الفيلق (فيلق المشاة او الفيلق الميكانيكى) اعلى تشكيل تاكتيكى . وكانت الجيوش مختلفة الاصناف تتوحد فى مناطق عسكرية ، كما تم فى الشرق الاقصى تشكيل جبهة الشرق الاقصى .

وحتى بداية الحرب كانت القوات البرية تضم ٣٠٣ فرق وهى للمشاة والخيالة والدبابات وفرق آلية . وكانت ٨١ فرقة منها فى طور التكوين . وكانت فى المناطق العسكرية الخمس المتاخمة للحدود الغربية ١٧٠ فرقة ولواءان . وكانت هذه تشكل اول نسق ستراتيجى .

الا انه ينبغى ان نشير الى اننا لم نستطع بسبب ضيق الوقت ان نتلافى كليا النواقص التى ظهرت فى معارك برزخ كاريليا وان نتعمق فى التمعن بخبرة الحرب العالمية الثانية التى كانت قد بدأت لتوها . فقد كانت اغلبية فرق المناطق العسكرية الداخلية حسب متطلبات زمن السلم ، ولم يتحول الا بعضها الى التعداد الكامل . وكانت من نقاط ضعف فرق مشاتنا عدم وجود الدبابات فيها وكذلك عدم التجهز الكامل بالمدفعية المضادة للدبابات وبوسائل الدفاع الجوى والسيارات .

وكانت عسيرة ايضا حالة القوات المدرعة . ونتيجة للتقييم الوحيد الجانب لخبرة الحروب المحلية تم فى عام ١٩٣٩ حل الفيالق الميكانيكية وفيالق الدبابات التى كانت قد شكلت فى الثلاثينيات . ولكنه اتضح فى اواسط عام ١٩٤٠ خطأ هذه الخطوة . ولذلك تم فى عام ١٩٤٠ تشكيل ٩ فيالق ميكانيكية وبدأ فى شباط ــ آذار (فبراير ــ مارس) ١٩٤١ تشكيل ٢٠ فيلقا آخر . الا ان تجهيز هذا العدد الكبير من التشكيلات لم يكن يتناسب مع عدد الدبابات الموجودة والتى ينتظر الحصول عليها . ولذلك فان اغلبية هذه التشكيلات ظلت بدون التجهيز الكامل . وكانت الدبابات العتيقة تشكل القسم الاكبر فى هذه التشكيلات ، الامر الذى ترك اثرا معينا على قدرتها القتالية . وفضلا عن ذلك كانت هذه الفيالق من حيث قوامها ضخمة للغاية وعسيرة الادارة فى حالة الحرب المتحركة المعقدة .

وكان ضمن مدفعية الجيش الاحمر حتى بداية الحرب الوطنية

العظمى ٦٧٣٣٥ مدفعا ومدفع هاون (ما عدا مدافع الهاون من عيار ٥٠ ملم) كانت تحت تصرف القوات مباشرة ، و ٧٤ فوجا مدفعيا هى احتياطى القيادة العامة . ولكنه كان لا يزال قليلا تعداد المدفعية المضـــادة للجو ، مما خلق صعوبات ، طبعـــا ، امام تنظيم الدفاع الجوى فى القوات .

وفى نيسان (ابريل) ١٩٤١ بدأ تشكيل فيالق الانزال الجوى الخمسة . ولكنه لم يكن هناك متسع من الوقت لتجهيزها بالتكنيك الحربى وخصوصا بطائرات النقل الثقيلة .

وكانت فى القوات الجوية قاذفات القنابل والمقاتلات وطائرات الهجوم وطائرات الاستطلاع والوحدات الجوية ذات المهام الخاصة . وحتى حزيـــران (يونيو) ١٩٤١ ازداد العدد الاجمالى للافواج الجوية بالمقارنة مع مستهل عام ١٩٣٩ بأكثر من ٨٠٪ وكانت تلك الافواج تشكل قوة كبيرة . الا انه كانت لدى الاغلبية الساحقة من الوحدات الجوية طائرات عتيقة الطراز . وكان عدد الطائرات الجديدة قليلا للغاية . وكان عدد المطارات غير كاف ، مما حدد من امكانيات المناورة الجورية .

وكانت فى قوات الدفـــاع الجوى تشكيلات ضخمـــة (فيالق وفرق) . وكانت القوات الاساسية للدفاع الجوى محشدة لحماية اهم المراكز الادارية والسياسية والمناطق الصناعية والاقتصاديـة الواقعة فى متناول قاذفـات قنابل للعـــدو المحتمل . وكانت لدى قوات الدفاع الجوى التى تحمى موسكو ولينينغراد وباكو اكثر من ٤٠٪ من كافة سرايا المدفعية المضادة للجو ذات العيار المتوسط ومحطـات الرادار من طراز «روس ـ ١» و «روس ـ ٢» . وكان هذا النظام للدفاع الجوى وتنظيم القوات يستجيب لمتطلبـات ذلك الزمان . ولكن المقاتلات ظلت خاضعة لقـــادة القوات الجويـة فى المناطق العسكرية .

وتألفت القوات البحرية الحربية من اربعة اساطيل وخمسة

اسيطيلات ومدفعيـة الدفاع السـاحلى وسلاح جوى . وكانت كافة اساطيلنا حتى بداية الحرب تضم ثلاث بوارج و ٧ طرادات و ٥٩ مدمرة و ٢١٨ غواصة و ٢٦٩ زورقا نسافا و ٢٥٨١ طائرة . الا ان الاسطول كان بحاجة ملحة الى سفن الحراسة وكاسحات الالغام والرادارات والوسائـل الصوتيـة المائيـة وكذلك وسائـل الدفاع الجوى لحماية القواعد البحرية دون ضربات العدو من الجو . وكان الاسطول عموما على استعداد لحماية الحدود البحرية للاتحاد السوفييتى .

وكان الحل الصائب للمسائل المتعلقة باعداد القوات المسلحة لحماية وطننا امرا ممكنا لدى توفر التعليل العلمى لكافة الفعاليات التى اجريت . ولذلك اولى الحزب الشيوعى الاهتمام اللازم لتطوير العلم العسكرى .

وطبقا لقرار اللجنة المركزية للحزب تمت بصورة جذرية اعادة بناء نظام اعداد القوات عملياتيا وقتاليا لغرض الاقتراب الى اقصى حد من ظروف ومتطلبات الحرب . وصار التدريب الحربى يجرى حسب مبدأ القيام بكل شىء كما فى الحرب .

وفى عام ١٩٤٠ اجريت تدريبات الفرق مع اطلاق النـار فى منـاطق لينينيغراد وبيلوروسيـا وكييف وغيرها من المنـاطق العسكرية . وتدربت القوات على القيام بالاعمال الحاسمـة فى اى طقس وفى اى فصل من فصول السنة .

وقد جرت اعادة بناء نظام الاعداد الحربى والسياسى بنشاط كبير ، ولكنه لم يكن بالامكان انجازها ، فلم يكن لذلك متسع كاف من الوقت . وكانت اغلبية الملاكات القيادية من الشباب الذين قطعوا طوال عامين او ثلاثة اعوام عدة مراحل فى الخدمة ولم يكن قد مر وقت طويل على اشغالهم مناصبهم . وترك ذلك اثرا سلبيـا على التدريب القتالى لدى القوات وعلى آجال اعادة البناء طبقا لمتطلبات الحرب الجديدة .

الا ان كل ما تم عمله عشية الحرب كانت له اهمية ايجابية . فان الدربة القتالية والتمرس والتحمل لدى افراد الفرق النظامية بالاضافة الى المعنويات العالية لدى المحاربين السوفييت ــ كل ذلك لعب دورا هاما في المعارك الطاحنة ضد العدو في بداية الحرب الوطنية العظمى .

واعير اهتمام كبير باعداد الملاكات العسكرية . فبسبب زيادة تعداد الجيش والاسطول اشتدت كثيرا الحاجة الى الملاكات القيادية والسياسية والفنية . ولهذا الغرض افتتحت مؤسسات تعليمية عسكرية جديدة . وفي عشية الحرب الوطنية العظمى كان اعداد الملاكات العسكرية من مختلف الاختصاصات يجرى في ١٩ اكاديمية عسكرية وفي ١٠ كليات عسكرية تابعة للمعاهد المدنية وفي ٧ مدارس بحرية عليا وفي دورات اعداد الاخصائيين العسكريين واعادة تدريبهم . وقبيل الحرب وجهت اللجنة المركزية للحزب ١٥٠٠ شيوعي لممارسة العمل الحزبي والسياسي في الجيش والاسطول . وفي الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٤١ كان الشيوعيون واعضاء الكومسومول يشكلون ٧٩,٩٪ من العدد الاجمالي للقادة العسكريين .

الا ان الجيش الاحمر كان يلاقي صعوبات كبيرة في مجال الملاكات العسكرية . وكنا نعاني من هذه الصعوبات ليس فقط بنتيجة الملاحقات التي لا مبرر لها في عامي ١٩٣٧ ــ ١٩٣٨ ، بل وبصورة رئيسية نتيجة لتشكيل ١٢٥ فرقة جديدة وعدد كبير من الفيالق الميكانيكية التي تطلب تشكيلها آلافا من القادة العسكريين والسياسيين . وكانت حاجة الجيش الى الملاكات تزداد باسرع من اتساع شبكة المؤسسات التعليمية العسكرية ومن عدد خريجيها .

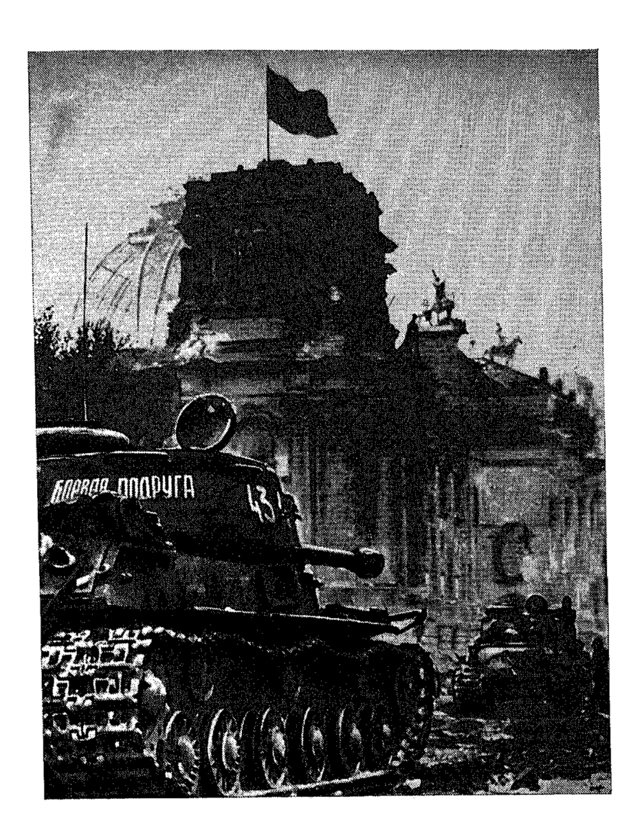
وقبيل الحرب اتخذت جملة اجراءات لمتابعة تعزيز القيادة الاحادية في الجيش وتخويل القادة العسكريين كامل الحقوق والمسؤولية عن الاستعداد القتالي وتقوية الانضباط .

ودعا الحزب الشيـــوعى افراد الجيش والاسطـــول الى ترك التماهل والى التأهب والاستعداد ، واعير الاهتمـــام اللازم بتلك الاخباريات المقلقة التى كانت تقدمهـــا هيئات الاستطلاع وقوات الحدود . وفى ربيع ١٩٤١ جرت فعاليات تعبوية كبرى فى الاركان العامة وفى المناطق العسكرية وفى هيئات اركان القوات . ووضعت هيئة الاركان العامة خطة تغطية حدود الدولة وحددت نظام توزيع القوات المسلحة فى حالة قيام الحرب . وارسلت من اواسط البلاد الى الحدود الغربية خمســـة جيوش واتخذت اجراءات للتعجيل فى انشاء المناطق المحصنة . وفى اوائل حزيران (يونيو) التحق اكثر من ٧٥٠ الف من العسكريين الاحتياطيين بفرقهم ، كما توجه ٤٠ الف شخص الى المناطق المحصنة .

وهكـــذا تم فى الاتحاد السوفييتى خلال سنـــوات الخطط الخماسية قبل الحرب انشاء قاعدة اقتصادية ـ عسكرية جبـــارة لعبت دورا هاما فى تعزيز دفاع البلاد وزيادة القدرة القتالية لـــدى القوات المسلحة قبيل وخلال الحرب الوطنية العظمى .

ان ضيق الوقت لم يتح لشعبنا امكانية حل كافة المسائل التى كان يعتمد عليها ضمان سلامة الدولـــة بصورة أمينة . وقد ظلت دون حل تدابير هامة كثيرة . الا انه تم القيام بالامر الرئيسى ، الا وهو تحويل الاتحاد السوفييتى من بلد زراعى متخلف الى دولـــة اشتراكية صناعية جبارة قادرة على الوقوف فى وجه كافة النوائب والنكبات .

فى الحرب الوطنية


ПОДРУГА
43

عام ١٩٤١

ربيع القلق

كانت اوروبـــا قلقـة . فمنذ عامين تلتهب نيران الحـــرب العالمية . وداست اقدام الجنود الهتلريين شوارع باريس وبروكسل وكوبنهاجن واوسلو ووارشو وبراغ .

واقتربت الحرب مباشرة من حدود الاتحاد السوفييتي . وكان واضحا ان الامبريالية الالمانية تعد هجوما على الاتحاد السوفييتي . وكانت المانيا الهتلرية تدفعها الى هذه الخطوة خططها الرامية الى السيطرة على العالم وحقدها الطبقي على دولة الشغيلـــة وطمعها فى امتلاك موارد هذه الدولة الغنية جدا .

ولم يكن يساور هتلر وجنرالاته اى شك فى ان المانيا ستنتصر على الدولة السوفييتية بسرعة ، اى فى غضون شهرين او ثلاثة . واجرى هؤلاء تحضيرا شاملا طويل الامد وحشدوا على الحـــدود جيشا لجبا لم يعرف الهزائم طوال عامين من الحرب وقد امتحن فى سوح المعـــارك فى اوروبا مبدأه الخاص « بالحرب الخاطفـــة » . ووضعوا بالتفصيل خطة الحرب (« خطـــة بارباروسا ») مؤملين القضاء على القوات الاساسية للجيش الاحمر فى عملية هائلة واحدة واحتلال الاراضى السوفييتية حتى الفولغا قبل حلول خريف عـــام ١٩٤١ . وكانت القيادة العليا الالمانية واثقة من ان القوات الفاشية

ستستطيع بعد ضربة قاضية خاطفة ان تدحر وتحطم القوات السوفييتية فى منطقة الحدود ، وان الاخفاقات الاولى فى الجبهة ستولد الاضطراب التام فى مؤخرة الاتحاد السوفييتى .

وكانت هذه الثقة بالنفس مستندة على المبالغة فى تقدير قوى الفاشست وعلى التصور التقليدى القديم بشأن «تخلف روسيا الازلى» . فالزمرة القيادية الفاشية السياسية والعسكرية لم تدرك جوهر التحولات الاشتراكية الثورية التى جرت فى الاتحاد السوفييتى خلال عشرين عاما قبل الحرب العالمية الثانية ، ولذلك استصغرت تقدير امكانيات البلاد السوفييتية وقواتها المسلحة .

واقترف مثل هذا الخطأ كذلك فى تقييم القدرة العسكرية السوفييتية وفى تحديد امكانيات وآجال اعادة بناء الاقتصاد الوطنى وتحويله الى اقتصاد الحرب ، وكذلك وتائر تعبئة وفتح الاحتياطيات الستراتيجية . وكانت الاركان العامة الالمانية متوهمة ايضا فى كونها قد اخذت بنظر الاعتبار تعداد قواتها والقوات السوفييتية فقط ، ونسيت ان الحرب ستكتسب بالنسبة للاتحاد السوفييتى طابعا شعبيا شاملا ، وان النظام الاشتراكى السوفييتى سيساعد على تعبئة موارد لا تنضب لخوض الحرب .

ولكنه من الخطأ الظن بان القيادة الفاشية الالمانية اذ اقترفت هذه الاخطاء السياسية العسكرية لم تستعد كما يجب للحرب ضد الاتحاد السوفييتى . كلا ، ابدا . فقد كانت القيادة الهتلرية تدرك بان قواتها ستقاتل فى رحاب شاسعة لبلاد هائلة . فروسيا تعنى جيشا لجبا وجنودا صامدين بواسل ، وتعنى ملايين الكيلومترات المربعة ، وتعنى الغابات والمستنقعات والسهوب وعشرات الانهار العميقة الزاخرة . واخيرا ، فان الشعب السوفييتى اثبت فى منطقة خاسان وخالخين ــ غول وبرزخ كاريليا بانه يجيد القتال ببطولة .

ولذلك ، فالقيادة الفاشية الالمانية التى اعدت العدوان على الاتحاد السوفييتى عبأت موارد كبيرة .

لقد عززت المانيا الفاشية قاعدتها الاقتصادية العسكرية لدرجة كبيرة نتيجة لاستيلائها فى المرحلة الاولى من الحرب العالمية الثانية على اغلبية البلدان الاوروبية التى كانت تمتلك قدرة عسكرية وصناعية كبيرة وموارد غنية للخامات الستراتيجية الحربية والمواد الغذائية . فقد عملت لصالح المانيا وجيشها المصانع الحربية فى فرنسا وبلجيكا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، والصناعة البترولية فى رومانيا وهنغاريا ومناجم النرويج . وهيأ استخدام القوة العاملة من البلدان المحتلة فى الاقتصاد الالمانى بالاكراه امكانية تحرير ملايين الالمان من الصناعة والزراعة واستخدامهم فى زيادة تعداد القوات المسلحة .

وعن طريق الضغط والوعيد والتهديد حصل الهتلريون على موافقة الحكومات الرجعية فى فنلندة ورومانيا والمجر المعادية للاتحاد السوفييتى على استخدام اراضيها ومواردها الاقتصادية وقواتها المسلحة فى الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ، وعقد الهتلريون حلف صداقة مع تركيا . وحاولوا تكوين ائتلاف شامل ضد الاتحاد السوفييتى وتنظيم «حملة صليبية على الشيوعية» .

واستعدت اليابان الامبريالية ايضا استعدادا نشيطا للحرب ضد الاتحاد السوفييتى .

وبدأ التحضير المباشر للهجوم على الاتحاد السوفييتى اعتبارا من صيف ١٩٤٠ بعد الحاق الهزيمة بفرنسا . وكان اعداد العدوان يتكون من جملة من التدابير المتنوعة للغاية . وكرست الاركان العامة الفاشية الالمانية لهذا الغرض كامل خبرتها الهائلة التى حصلت عليها طوال العامين الاولين من الحرب .

ولغرض اخافة الاعداء ورفع معنوية الجنود نشرت القيادة الالمانية اسطورة بأن الجيش الالمانى الفاشى «لا يقهر» . وساعدت على ذلك بافضل شكل الانتصارات السهلة التى احرزها هذا الجيش فى ساحات المعارك فى اوروبا الغربية خلال ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ . وان

الجنود والضباط الالمان المضللين بالدعاية النازية والمتربين بروح الحقد العنصرى على الشعوب الاخرى والذين اسكرتهم الانتصارات السهلة كانوا انفسهم يؤمنون بان جيشهم «لا يقهر» وكانوا مستعدين للقتال ضد اى كان من اجل الاغتناء والنهب وما وعدوا به من «سيطرة العرق الالمانى على العالم» .

وكانت القيادة الهتلرية الآملة باحراز النصر الحاسم عن طريق الضربة القاضية الاولى قد وضعت هدفا ستراتيجيا هاما لها فى القريب العاجل وهو تحطيم القوات الاساسية للجيش الاحمر الواقعة ، حسب تقديرات هذه القيادة ، فى المنطقة المتاخمة للحدود الغربية والحيلولة دون انسحاب القوات السوفييتية القادرة على خوض المعارك الى ما وراء خط نهرى الدنيبر ودفينا الغربى .

وكان من المفترض تحطيم ثلثى كافة قوات الجيش الاحمر فى منطقة الحدود ، اما القوات الباقية فستبقى مقيدة عند حدود فنلندة وتركيا وفى الشرق الاقصى . واستنادا الى هذه التقديرات توصلت الاركان العامة الالمانية الى استنتاج يقول بان الالمان سيواجهون داخل الاتحاد السوفييتى بعد احتلال منطقة الحدود ما لا يزيد على ٥٠ فرقة سوفييتية لن تستطيع ان تبدى اية مقاومة جدية . ولذلك تقرر استخدام القسم الاكبر من القوات لتوجيه الضربة الاولى واعداد هجوم مباغت ذى قوة فائقة .

وحتى ربيع ١٩٤١ كان لدى الجيش الالمانى ٢١٤ فرقة بما فيها ٢١ فرقة للدبابات و ١٤ فرقة آلية . وكانت تشكيلاته مجهزة كليا بالافراد والتكنيك الحربى . ومن هذه الفرق الـ ٢١٤ المجربة والمحنكة فى الحروب توجهت نحو الشرق ، الى حدود الاتحاد السوفييتى ١٥٣ فرقة بما فيها ١٩ فرقة للدبابات و ١٤ فرقة آلية . وفضلا عن ذلك كانت تحضر للحرب ضد الاتحاد السوفييتى ٢٩ فرقة و ١٦ لواء من قوات البلدان التابعة الالمانيا . وبصورة عامة واجه الجيش الاحمر ١٩٠ فرقة بلغ تعدادها ٥,٥ ملايين

شخص وكانت على استعداد تام ومسلحة باكثر من ٣٧٠٠ دبابة و ٤٩٥٠ طائرة و ٤٨ الف مدفع ومدفع هاون . وبهذه القبضة الهائلة كان الفاشست يأملون فى تدمير بلادنا خلال بضعة أسابيع .

وكان الهتلريون يولون اهمية حاسمة للاستيلاء السريع على لينينغراد وموسكو واوكرانيا . وكانوا يعتقدون بان الاستيلاء على هذه المناطق الستراتيجية الهامة جدا من شأنه ان تحرم الاتحاد السوفييتى من امكانية الاستمرار فى المقاومة .

ونصت «خطة باربا روسا» ، خطة الحرب ضد الاتحاد السوفييتى على توجيه ثلاث ضربات رئيسية وهى : ضربة المجموعة الاولى من بروسيا الشرقية نحو بسكوف ولينينغراد ، والمجموعة الثانية من منطقة شرقى وارشو نحو مينسك وسمولينسك ، والمجموعة الثالثة من منطقة لوبلين نحو جيتومير وكييف . وفضلا عن ذلك كان من المقرر توجيه ضربتين ثانويتين : من اراضى فنلندة نحو لينينغراد ومورمانسك ، ومن اراضى رومانيا نحو موغيليف-بودولسكى وجميرينكا وعلى طول ساحل البحر الاسود . وكان الهدف النهائى لعمليات «خطة باربا روسا» هو وصول القوات الالمانية الى خط ارخانجلسك ، نهر الفولغا ، الساحل الغربى لبحر قزوين ، اى الى مسافة ٢٠٠٠ كيلومتر فى اعماق البلاد . وكان من المقرر تنفيذ هذه المهمة فى غضون شهر ونصف او شهرين بعد بدء الحرب .

وتم الفتح الستراتيجى لتحقيق المباغتة حسب جدول دقيق بغية انجاز تحشد القوات قبيل بداية الزحف والهجوم . ومارس الهتلريون حملة واسعة من الاعمال التضليلية سعيا منهم الى خلق انطباع لدى القيادة السوفييتية بان الالمان يعدون الهجوم ليس على الاتحاد السوفييتى بل على بريطانيا .

وهكذا ، اعدت اعدادا دقيقا المانيا الهتلرية للهجوم على الاتحاد السوفييتى جيشا مسلحا تسليحا جيدا ومشبعا بسم

الشوفينية والعنصرية ، وهو اقوى جيش من بين كافة الجيوش التى شكلها العالم الرأسمالى فى اى زمن كان .

الا ان الحزب الشيوعى توقع امكانية الاشتباك الحربى مع قوى الامبريالية واعد البلاد للدفاع .

تقوية الاستعداد الحربى لدى الجيش

استنـــادا الى المعلومات الواردة بشأن العدوان الذى كانت المانيـــا الفاشية تعده آنذاك اتخذت اللجنـــة المركزية للحزب والحكومة السوفييتية ومفوضية الشعب لشؤون الدفاع اجراءات عاجلة لزيادة الاستعداد الحربى للقوات المسلحة . ففى اواخر عام ١٩٤٠ نوقشت واقرت الخطـــة الجديدة للفتح الستراتيجى . وفى مستهل عام ١٩٤١ عجلت القيادة السوفييتيـــة بتأليف عدد من التشكيلات المتنقلة الكبيرة هى الفيالق الميكانيكية . وجرى بوتائر متسارعة بناء المناطق المحصنة والمطارات فى منطقة الحدود .

وفى ربيع ١٩٤١ اجريت «الدورات التدريبية الكبرى» التى دعيت اليها من الاحتياط عدة مئات الآلاف من الاشخاص لغرض انخراطهم فى التشكيلات والقطعات العسكرية . وفى الوقت ذاتـــه وضعت الاركان العامة واركانات المناطق العسكريـــة خطة جديدة لتغطية حدود الدولـــة . وفى بداية حزيران (يونيو) ١٩٤١ بدأ تحريك قسم من قوات المناطق العسكريـــة الداخلية نحو الغرب . وكان مقررا فتح ما سمى بالجبهة الاحتياطية بمثابة نسق ستراتيجى ثان على خط نهرى دفينا الغربى والدنيبر . وارسلت الى هذا الخط ٣٢ فرقة . واعتبارا من ١٧ حزيران (يونيو) بدأت اعادة توزيع القوات داخل المناطق العسكرية المتاخمة للحدود الغربية ، وذلك لغرض تحشيد الفرق قريبا من الحدود .

الا ان الكثير مما تقرر تنفيذه ، بل وممـا نفذ فعلا لم يتـــم تحقيقه لدرجة كاملـــة ، وذلك لانه لم يكن لدينا الا وقت قصير

للغاية . واثر تأثيرا سيئا على التحضير لصد العدوان الخطأ فى تحديد الموعد المحتمل لهجوم المانيا الهتلرية . ولذلك فلم تتخذ كافة الاجراءات لجعل القوات فى المناطق العسكرية المتاخمة للحدود وخصوصا جيوش التغطية وحاميات المناطق المحصنة على اهبة الاستعداد الحربى التام فى الوقت اللازم . وكان العدو الذى اعد فى وقت ملائم مجموعة القوات الكثيفة والمستعدة للهجوم كليا قد حقق تفوقا كبيرا منذ بداية العدوان .

وحتى بداية الحرب كانت لدينا على المسرح الغربى للعمليات الحربية خمس مناطق عسكرية متاخمة للحدود ، وكانت تضم ١٧٠ فرقة ولوائين فيها جميعا ٢,٩ مليون شخص . وكان لدى هذه القوات ٣٤٦٩٥ مدفعا وعدد كبير من الدبابات والطائرات ، ولكن اغلبية هذه الآليات من طرازات عتيقة . ولم تكن للفرق الكفاية من وسائل النقل والمواصلات ، كما لم يكن قد انجز تشكيلها بعد . وقبل لحظة هجوم المانيا الفاشية على الاتحاد السوفييتى كانت قوات التغطية السوفييتية لا تزال فى طور الفتح . وفى لحظة الهجوم لم يواجه صدمة الدبابات الجبارة وحشود مشاة ومدفعية العدو الكثيفة عند الحدود الا جنود الحدود وقسم من قوات التغطية التى استطاعت ان تصل الى هنا بعد اشارة النفير . وكان على هذه القوات ان تواجه الضربة الاولى لكامل جيش الهجوم الهتلرى المتمرس فى القتال والمعد والمجهز بكل دقة .

بداية الحرب

فى فجر ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ اجتاحت المانيا الهتلرية حدود الاتحاد السوفييتى . وكان هجوم القوات الالمانية الفاشية مباغتا للشعب السوفييتى ولقوات الجيش الاحمر .

واليكم صورة لانطباعات قائد فيلق المشاة السوفييتى الخامس عشر الجنرال فيديونينسكى الذى كان مقر قيادته فى مدينة كوفيل

(اوكرانيا الغربيـــة) . وكان هذا الفيلق من ضمن الجيش الخامس الذى قاده الجنرال بوتابوف . وكتب الجنرال فيديونينسكى واصفا بداية الحرب :

«... ومع ذلك كانت تخاطر النفس فى تلك الليلة التى هى آخر ليلة سلمية فكرة انه لا داعى للقلق ، وانه قد يمكن تلافى وقوع الحرب . وفكرت عن غير قصد بان اعمال تحصين الحدود لم تكن قد انجزت بعد ، وان لدى قطعات الفيلق قليلا من المدفعية المضادة للدبابات والمضادة للجو ، وانه ستصل فى الايام القريبة القادمة مجموعة كبيرة من قادة الفصائل الشباب الذين ليست لهم ، طبعا ، لا معارف ولا خبرة كافية ...

... وعكر علىّ صفو افكارى جرس التلفون الذى بدا لى شديد الرنين هذه المرة . وكان المتكلم قائد الجيش الجنرال بوتابوف الذى سألنى :

ـ اين انت الآن يا ايفان ايفانوفيتش ؟

ـ فى شقتى .

ـ توجه فورا الى المقر الى جهاز التلفون عالى التردد . وكانت فى صوت الجنرال رنة قلق .

ووضعت على كتفى معطفى الجلدى وتوجهت الى هناك سيرا على الاقدام دون ان انتظر سيارة . وكانت الطريق ليست طويلة ...

وامر الجنرال بوتابوف باقتضاب بان تستعد الفرق حسب الانذار ، وبجعل الذخيرة جاهزة لدى القوات ، ولكن بدون تسليمها الى افراد القوات وبعدم الانجرار وراء الاستفزازات .

وكان واضحا ان هيئة اركان الجيش لا تزال غير واثقة تماما من نوايا الهتلريين فى بدء العمليات الحربية الواسعة ...

وسرعان ما اصاب الخلل كليا الاتصال مع الجيش . وظهرت طائرات المانية فى اجواء المدينة . وسمع من جهة الحدود الهدير الثقيل لاطلاق المدافع .

ولاحت من نوافذ بناية البلدية الالسنة الحمر القانية للحرائق الاولى وقد اخترقت ضباب الفجر الابيض . وجاب الشوارع اناس شبه عراة .

واصدرت امرى الى قادة الفرق بالخروج بالافواج الى الحدود وتسليم الذخيرة لافرادها . وامرت المدفعية المضادة للجو بفتح النار . وبالرغم من ان جنود الدفاع الجوى كانوا يطلقون النار فى اول يوم للحرب بصورة غير جيدة تماما ، فانه امكن مع ذلك اسقاط خمس اوست طائرات هتلرية » .

وكان الوضع مماثلا لذلك تقريبا فى قوات التغطية التابعة للجيش الاحمر والمرابطة فى المناطق الاخرى من الحدود السوفييتية الالمانية . واضطرت القوات السوفييتية الى دخول الحرب فى الظروف العسيرة جدا للموقف الستراتيجى والعملياتى .

واستفادت الجيوش الهتلرية من تفوقها الكبير فى القوات فى اتجاهات الضربات الرئيسية ، وخصوصا فى الدبابات والطائرات ، فشقت طريقها الى اعماق الاراضى السوفييتية سعيا منها لتطويق وتحطيم مجموعات كبيرة من القوات السوفييتية والحيلولة دون انسحاب قوات الجيش الاحمر القادرة على القتال الى الشرق ، اى الى ما وراء الدنيبر ودفينا الغربى .

وكانت الاوامر الاولى للقيادة السوفييتية ترمى الى جعل قوات التغطية تصد هجوم الالمان فى منطقة الحدود وتدفعهم الى ما وراء الحدود ، وجعل القوات الجوية توجه الضربات الجوابية .

الا ان الظروف التى بدأت فيها العمليات الحربية لم تساعد على حل هذه المهمة . فان المعتدى الذى استخدم عنصر المباغتة اخذ بيده المبادرة الستراتيجية على الفور ، ولم يكن بالامكان انتزاع هذه المبادرة منه فورا فى تلك الظروف . واستخدم العدو انساقه القوية الاولى فكون لنفسه فى الاقسام الضيقة من الجبهة حيث وجهت الضربات الرئيسية تفوقا غالبا من حيث الدبابات والمشاة وسلاح

الجو ، مما ساعد الجيش الالماني على توجيه ضربة اولية شديدة بواسطـــة قواته المتفوقة كثيرا واخذ المبادرة ومهاجمة قوات جبهات الحدود حالما كانت تصل من اواسط البلاد ...

وفي الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ ادلى مولوتوف من الراديو ببيان باسم الحكومة السوفييتية بشأن بداية الحرب . وانهى بيانه بالعبارات التالية : «ان قضيتنا عادلة . وسنحطم العدو . والنصر سيكون لنا» .

وتلقى الشعب السوفييتي النبأ الهائل بأشد الاستنكار والغضب . وهب الشعب كرجل واحد لمحاربة الغزاة . وفي ذلك اليوم نفسه اعلنت هيئة رئاســـة مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتي التعبئة في اراضي ١٤ منطقة عسكرية اعتبارا من يوم ٢٣ حزيران (يونيو) وحالـــة الحرب في عدد من الجمهوريات والمقاطعـــات السوفييتية .

وكان القتال الطاحن الذي نشب في المناطق المحاذية لحدود الاتحاد السوفييتي الغربية قد اكتسب منذ اليوم الاول نطاقا هائلا واستمر بضراوة لا مثيل لها . وحاولت قوات الجبهة الشماليـــة الغربية والجبهة الغربية والجبهة الجنوبية الغربية بقيادة الجنرالات كوزنيتسوف وبافلوف وكيربونوس وقف الضربة ووقف مجموعات الدبابات والمشاة الهائلـــة للقوات المسلحة الالمانيـــة ، تلك المجموعـــات التي هي جزء من مجموعات جيوش «الشمـــال» و«المركز» و«الجنوب» التي قادها الفيلدمارشالات ليبب وبوك وروندشتيدت .

وبالرغم من ان القوات السوفييتية اخذت على حين غرة ، فان التي قدر لها ان تتلقى الضربة قبل غيرها قاومت العدو مقاومة بطولية. فطوال ١١ يوما حارب جنود حدود المخفر قرب مدينـــة سوكال في اوكرانيا الغربية بقيادة الملازم لوباتين حتى نفدت آخر خرطوشة لديهم . لقد كانوا فئة صغيرة ولكنهم وقفوا في وجـــه

الكتائب الفاشية ولم يكن لديهم غير البنادق والرشاشات . وطوال ايام عديدة استمرت القطعات السوفييتية فى الدفاع عن مدينة بيرميشيل على الحدود وعن ميناء ليبايا فى البلطيق . وكان حماة قلعة بريست على الحدود بقيادة الرائد غافريلوف قد حاربوا ببسالة منذ الساعات الاولى للحرب حتى النصف الثانى من تموز (يوليو) ١٩٤١ ضد قوات المانية تفوقهم كثيرا وكانوا مطوقين كليا . وكانوا يعانون من آلام تفوق طاقة البشر ، ولكنهم تابعوا القتال حتى عندما ابتعدت الجبهة عنهم مئات الكيلومترات الى الشرق ، وحتى عندما تقلص عدد المحاربين الى بضع عشرات من الاشخاص .

ولا تزال محفوظة على انقاض جدران تحصينات ومعاقل قلعة بريست كتابات لا تحتاج الى تعليق . فقد كتب احد المحاربين يقول : «اموت ولن اسلم . وداعا يا وطنى ! ١٩٤١/٧/٢٠» . وكان بطل بريست وقائد فوج المشاة الرابع والاربعين الرائد غافريلوف الذى ارهقه القتال المرير الطويل الامد والجوع والعطش قد تابع القتال حتى الرمق الاخير . وتحمل قلعة بريست الآن اللقب الفخرى المشرف وهو القلعة ــ البطلة .

والى غربى مدينة لوتسك فى اوكرانيا قاتل بنجاح ضد الدبابات الالمانية لواء المدفعية الاول بقيادة الجنرال موسكالينكو . وكان جنود هذا اللواء قد عطبوا خلال ساعة واحدة من المعركة ١٥ دبابة من مجموعة الدبابات الاولى بقيادة الجنرال كليست . واحرز مأثرة مدهشة ــ فى صدام طائرات العدو ــ خلال اليوم الاول من الحرب الطيارون السوفييت ايفانوف وبوتيلين وكوكوريف وريابتسيف وموكلياك ودانيلوف . ولم يبخل المحاربون السوفييت فى البر والبحر والجو بارواحهم لوقف العدو .

ولغرض محاولة انتزاع المبادرة الستراتيجية من ايدى العدو اصدر المجلس العسكرى الرئيسي للجيش الاحمر فى مساء ٢٢ تموز

(يوليو) توجيها الى قوات الجبهات الشمالية الغربية والغربية والجنوبية الغربية بالانتقال الى الهجوم بواسطة قوات الفيالق الميكانيكية وبدعم من سلاح الجو باتجاهى سوفالكى ولوبلين ، ودحر العدو وطرده الى خارج الحدود .

ومع ان القوات لم تكن معدة للعمليات الهجومية ومع ان العدو كان مسيطرا على الجو وجهت الفيالق الميكانيكية التابعة لهذه الجبهات الثلاث فى الفترة من ٢٣ تموز (يوليو) الى ٢٧ منه فى مختلف الاقسام سبع ضربات مضادة شديدة تحولت الى معارك ضارية مقابلة للدبابات .

ففى منطقة شاولياى شنت فرقتا الدبابات ال٢٣ وال٢٨ التابعتان للفيلق الميكانيكى الثانى عشر هجوما مضادا على العدو فالحقتا به خسائر جسيمة . وحطم جنود الدبابات وحدات فرقة الدبابات السادسة المعادية وارغموها فى بعض المناطق على الانسحاب الى الغرب . الا ان الموقف المعقد العام جعل الفيلق يمنى باخفاق ، فلم يستطع ان ينفذ مهماته حتى النهاية . وفى اتجاه غرودنو استطاع الفيلق الميكانيكى الحادى عشر ان يقوم بهجوم مضاد ارغم العدو على الانسحاب الى الحدود . ولكن هذا الفيلق لم يستطع كذلك ان يتابع انتصاره .

وجرت معركة دبابات متقابلة كبرى فى المنطقة الواقعة بين مدينتى برودى ودوبنو فى اوكرانيا الغربية . فقد وجهت هنا اربعة فيالق ميكانيكية ضربة مضادة الى مجموعة الدبابات الاولى المعادية . واستطاع فيلقنا الميكانيكى الثامن الذى قام قبل ذلك بمسيرة طولها ٤٠٠ كيلومتر ، ان يتغلغل نتيجة الهجمة الحازمة فى مؤخرة مجموعة دبابات الهتلريين ويلحق بها خسائر ويوقف زحفها . ولكنه بسبب عدم تنسيق العمليات وضعف ادارة القوات وانعدام الدعم الجوى انتهت هذه الضربة المضادة مثلها مثل الضربات الاخرى بنجاح ضئيل .

ان محاولة تحطيم العدو بواسطة العمليات النشيطة للتشكيلات الميكانيكية لم تتكلل بالنجاح . ولكن العدو تكبد خسائر ملموسة فى سياق الهجمات المضادة .

وكانت امرا مفاجئا بالنسبة للغزاة الهتلريين فى بداية هجومهم اعمال الدبابات السوفييتية من طراز «ت ــ ٣٤» و«ك ف» . فقد ورد فى تقرير احدى الفرق الالمانية الى مقر الفيلق ان المدفعيـــة الميدانية المضادة للدبابات واسلحـــة مدمرى الدبابات المشـــاة والمدافـــع المضادة للدبابات لا تستطيـــع اختراق درع الدبابات السوفييتية .

ان هذه المعارك الاولى لم تستطع ان تغير الموقف غير الملائم الذى تكون آنذاك ولكنها بينت للقيادة الهتلرية مدى صمود القوات السوفييتية فى المعارك حتى فى مثل هذا الموقف العسير للغايـــة . وكتب رئيس الاركان العامة للقوات البرية الالمانية الفاشية هالدير فى يومياتـــه يقول : «تجدر الاشارة الى صمود بعض التشكيلات الروسية فى المعركة . فقد حدث ان فجرت حاميات الاستحكامات انفسها مع الاستحكامات تخلصا من الأسر» . وكتب يقول : «ان الروس فى كل مكان يحاربون حتى النفس الاخير» .

ان كثرة هذه الامثلة من الصمود والبطولـــة بينت للقوات الهتلرية منذ بداية الحرب واقع انها ستواجه قتالا مريرا . الا ان بسالة افراد الجيش الاحمر والصمود والبطولة الفائقة لدى الوحدات السوفييتية فى المرحلة الاولى من الحرب لم تستطع طبعا ان تغير التطور العام للموقف الستراتيجى غير الملائم للجيش الاحمر ابدا . فالقوات المسلحة الالمانية كانت تندفع الى الامام . وكانت جحافل الدبابات الجبارة والمدعومة بقوات جويـــة كبيرة تشق خطوط الدفاع السوفييتية وتتغلغل عميقا فى حالات غير نادرة الى مؤخرة بعض مجموعات القوات السوفييتية التى كانت مضطرة والحال هذه الى القتال فى ظروف التطويق .

وكان الوضع عسيرا خصوصـــا فى الاتجـــاه الغربى ، اى فى بيلوروسيا . فقد استطاعت مجموعة جيوش «المركز» ان تطوق قرب بيلوستوك القوات الاساسية للجيش الثالث والجيش العاشر من جبهتنا الغربية وان تخترق بمجموعتى الدبابات الثانية والثالثة بقيادة الجنرال غودريان والجنرال غوت نحو مينسك التى احتلتها بعد ان دمرها سلاح الجو لدرجة كبيرة فى البداية ، ومن ثم بدأت الزحف نحو الدنيبر . وكانت هناك ثغرات واسعة فى الجبهة الغربية حتى بداية تموز (يوليو) تغلغلت خلالها طوابير الدبابات الهتلرية متابعة زحفها نحو الشرق . وحتى ١٠ تموز (يوليو) قامت مجموعة جيوش «الشمال» فى الوقت ذاته باختراق عميق الى مسافة ٤٥٠ كم داخل البلطيق ، بينما هاجمت مجموعـــة جيوش «الجنوب» بقواتها الاساسية باتجاه كييف .

وكان الموقف بالنسبة للاتحاد السوفييتى عسيرا للغاية ومليئا بالمصائب والنكبات .

وكان جو النصر مخيما على مقر قيادة هتلر «فولفشانتس» الواقع فى مخابىء الخرسانة المسلحة المنيعة وسط غابات بروسيا الشرقية بالقرب من مدينة راستينبورغ .

وخرج الجنرال هالدير اثناء التقرير الذى قدمه الى هتلر فى ٣ تموز (يوليو) باستنتاج يؤكد : بانه «من الممكن القول عموما الآن ان مهمة تحطيم القوات الرئيسية للجيش الروسى امام نهرى دفينا الغربى والدنيبر قد نفذت ... ولن نواجه شرقى نهرى دفينا الغربى والدنيبر الا مقاومة مجموعات متفرقة لن تستطيع كل منها على انفراد ان تعرقل من حيث عددهـــا بصورة جديـــة هجوم القوات الالمانية» . وقد ختم تقريره كما يلى : «ولذلك فلن ابالغ اذا قلت باننا ربحنا الحملة على روسيا فى غضون ١٤ يوما» .

وقد اتفق هتلر كليا مع هذا التقييم لسير الحرب . فتوجه برحلة قصيرة الى الجبهة الشرقية . وفى اجتماع مع الفيلدمارشال

ليبيب يوم ٤ تموز (يوليو) قال هتلر : « اننى منذ فترة طويلة احاول التمعن فى حالة العدو . فهو قد خسر هذه الحرب فى الواقع » .

وطالب هتلر قائلا : « كونوا صارمين واعملوا بلا هوادة وبأقسى من الآخرين . ويجب ان لا يكون هناك تسامح لا مع النساء ولا مع الاطفال » . واكد قائلا : « يجب علينا ان نبيد السكان ، وسيتعين علينا ان نطور اساليب ابادة السكان . ولو سئلت عما اعنيه بابادة السكان لاجبت بانى اعنى افناء وحدات عرقية بكاملها » .

ولكى تحقق الفاشية هدفها اللانسانى هذا ، ولكى تتهيأ لها امكانية القيام بهذا العمل الاجرامى دون ان ينالها العقاب ، كانت بحاجة قبل كل شىء الى قهر مقاومة الجيش الاحمر ودحره . وكانت احداث الايام العشرة الاولى من الحرب قد بعثت لدى العسكريين الألمان املا قويا بان كل شىء يجرى حسب الخطة المرسومة .

وكانت الاركان العامة للقوات البرية قد شرعت على عجل بوضع خطة اعادة القوات الى المانيا بعد الانتصار على الاتحاد السوفييتى ، وحساب القوات اللازمة لاحتلاله عسكريا . وكان معتقدا بانه يكفى ابقاء ٥٦ فرقة لحراسة « الرحاب الروسية المحتلة » . وكان مقررا اعداد القوات الباقية « لاستئناف حصار بريطانيا » ولغزو الشرق الاوسط وتطبيق الجوانب الاخرى من برنامج النازية الاحتلالى .

ولكن الصراع على الجبهة السوفييتية الالمانية لم ينته فى الواقع ، بل كان فى بدايته فقط .

هبى ، ايتها البلاد الفسيحة !

وقامت اللجنة المركزية للحزب والحكومة السوفييتية والقيادة العسكرية العليا بعمل واسع لتعبئة قوى وموارد البلاد لمكافحة الغزاة . ولعب دورا كبيرا فى تعبئة جهود الشعب السوفييتى لصد

العدو توجيه الحزب والحكومـــة الصادر فى ٢٩ حزيران (يونيو) والذى عرض مضمونه ستالين فى خطاب القاه بالراديو يوم ٣ تموز (يوليو) . وجاء فى التوجيه ان خطرا هائلا يتهدد بلادنـا . ولذلك «فعلينا ان نعيد تنظيم عملنا بسرعة وحزم طبقا لمتطلبات الحرب» . وطلب الحزب والحكومة من كافة المنظمات الحزبية والسوفييتية والنقابية والكومسومولية ان تترك الاهمال والاتكالية و«ان تعبأ كافة منظماتنا وكافة قوى الشعب لدحر العدو وللتنكيل دون رحمة بجحافل الفاشية الالمانية التى هجمت علينا» . وكان توجيه ٢٩ حزيران (يونيو) اول خطة سياسية عسكرية جرت على اساسهـا تعبئة قوى الدولة لصد العدو .

ومنذ الساعات الاولى للحرب وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى توجيها عميقا شاملا بناء الجيش الاحمر ونشاطه . وفى ٣٠ حزيران (يونيو) تم تشكيل لجنة الدولة للدفاع والتى تركزت فى ايديها كامل السلطة فى البلاد . وبدأت بوتائر مشددة اعادة بناء الاقتصاد الوطنى لتلبية متطلبات الحرب . وبدأ تنفيذ «الخطـــة الاقتصادية التعبوية للربع الثالث من عام ١٩٤١» والتى نصت على تحقيق زيادة كبيرة فى صنع المعدات الحربية . وتحولت المصانع والمؤسسات المدنية الى صنع السلاح والمعدات . وبدأ نقل اكثر من ١٥٠٠ مؤسسة مع ما يتبعها من تجهيزات ومع من فيها من شغيلة من المناطق الغربية المعرضة للغزو الى المناطق الشرقية . وكان ذلك عملا هائلا ومعقدا لدرجة تفوق التصور . وعلى الدوام كانت القطـــارات فى صيف وخريف ١٩٤١ تجوب كافـــة السكك الحديدية حاملة مختلف مكائن وتجهيزات المصانـــع . ومـع هذه القطارات كانت العربات العادية والعربات المكشوفة تقل المهندسين والعمال مع عوائلهم وممتلكاتهم . وبدا الامر وكأن مدنا كاملة قامت من اماكنها وتحركت في هجرة عظمي الي اراضٍ جديدة . وتوجهت

فى اتجاه معاكس ، نحو الجبهـــة ، مسيلات من القطارات التى تقل القوات والدبابات والمدافع والذخيرة . وكانت حركة المرور الثنائية هذه منظمة وموجهة بكل صرامة وحدة عن طريق خطة واحدة وفكرة واحدة .

وبعد الانتقال الى المناطق الجديدة فى الاورال وسيبيريـــا وآسيا الوسطى سرعان ما شرعت المصانع الحربية بصنع منتوجها . وليس نادرا ان اضطر العمال والمهندسون الى العمل فى العراء وتحت المطر ، فى ظروف الطقس الردىء .

واعيد تنظيم ادارة القوات المسلحة وذلك لتكييفها للظروف العسيرة التى بدأت فيها الحرب .

وبناء على قرار لجنة الدولة للدفاع تم فى ١٠ تموز (يوليو) تحول مقر القيادة العامة الى مقر القيادة العامة العليا . واصبح مقر القيادة يضم ستالين (رئيســـا) ومولوتوف وتيموشينكو وبوديونى وفوروشيلوف وشابوشينكوف وجوكوف .

وبدأت فى الوقت ذاته عملية اعادة تنظيم عدة هيئات للادارة العليا للقوات المسلحة . ففى تموز (يوليو) والشهور القليلة التى اعقبته تم اقرار مناصب رئيس الادارة الرئيسية للاتصـــال لدى الجيش الاحمر ورئيس المدفعية وقائد قوات الانزال الجوى ورئيس قوات الهندسة وقائد قوات الدفاع الجوى . ولغرض تنسيق عمليات الجبهات فى الاتجاهات الستراتيجية الاساسية تم تأليف القيادات العامة للاتجاه الشمالى الغربى والاتجاه الغربى والاتجـــاه الجنوبى الغربى .

وكانت الخسائر الفادحة فى الاسابيع الاولى من الحرب وعدم كفاية عدد القادة وقلة وسائل الاتصال قد تطلبت حل حلقة الفيالق فى ادارة قوات المشاة والخيالة والقوات الميكانيكية وسلاح الجو . واصبحت الجيوش مختلفة الاصناف تضم خمس او ست فرق بدون حلقة الفيالق . وانتقلت الى الجيوش فرق الدبابات التى كانت تابعة

للفيالق المحلولة ، كما تحولت الفرق الآلية الى فرق مشاة . وفى آب (اغسطس) ١٩٤١ تحولت فرق الدبابات الى الوية وكتائب الدبابات وذلك بسبب عدم كفاية التكنيك .

وتطلب الامر جهودا استثنائية من الشعب السوفييتى لتذليل الصعوبات التى ولدتها بداية الحرب ولاعداد انتقال الجيش الاحمر فى المستقبل من الدفاع والتراجع الى الهجوم .

وبدأ مقر القيادة العامة العليا للجيش الاحمر عملا واسعا لتكوين احتياطات جديدة . فطوال صيف ١٩٤١ وجهت القيادة العليا الى الجبهة اكثر من ٣٢٤ فرقة زجت فيما بعد فى الاتجاهات الحاسمة للجبهة . ومما يستحق الاشارة ان القيادة الالمانية كانت تعتقد قبل الهجوم ان الاتحاد السوفييتى لن يستطيع اثناء سير الحرب ان يعبىء اكثر من ١٥٠ تشكيلا على اكبر تقدير .

وفى صيف ١٩٤١ سعت القيادة السوفييتية الى استنزاف وارهاق العدو بالدفاع الصامد ووقف زحفه وتهيئة الظروف للانتقال الى الهجوم المضاد . واعتبر مقر القيادة الاتجاه الغربى هو الاتجاه الرئيسى فوجه اليه بالذات القسم الاساسى من الاحتياطات .

وكانت القيادة الهتلرية تعتقد بان قوات الجيش الاحمر الاساسية قد تحطمت بعد وصول القوات الالمانية الى الدنيبر وان المهام الرئيسية للحرب ضد الاتحاد السوفييتى قد نفذت . وانطلاقا من هذا التقييم للموقف حددت قيادة هتلر العليا المهام التالية لمجموعات الجيوش . على مجموعة جيوش «الشمال» ان تتابع الهجوم على لينينغراد . وعلى مجموعة جيوش «المركز» ان تطوق وتحطم القوات السوفييتية فى منطقة سمولينسك . وعلى مجموعة جيوش «الجنوب» ان تطوق بقواتها الاساسية القوات السوفييتية فى اوكرانيا الضفة اليمنى وان تتابع بقسم من قواتها الهجوم على كييف .

كانت العمليات الحربية على الجبهة السوفييتية الالمانية فى تموز ـ ايلول (يوليو ـ سبتمبر) ١٩٤١ قد جرت فى ثلاثة اتجاهات ستراتيجية هى الشمالى الغربى والغربى والجنوبى الغربى . واتسمت بأهمية حاسمة الاحداث التى جرت فى الاتجاه الغربى ، اى باتجاه سمولينسك وموسكو . فمن ١٠ تموز (يوليو) حتى ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ جرت هنا معركة سمولينسك الدفاعية التى شاركت فيها القوات السوفييتية التابعة للجبهة الغربية والجبهة المركزية تحت القيادة العامة للاتجاه الغربى برئاسة مارشال الاتحاد السوفييتى تيموشينكو . وكانت هذه القوات تصد هجوم مجموعة جيوش «المركز» .

وفى بداية المعركة كانت القوات الالمانية تفوق القوات السوفييتية فى الاتجاه الغربى من حيث عدد افرادها بضعفين تقريبا ، ومن حيث المدافع ومدافع الهاون بـ ٢,٤ ضعف ومن حيث الطائرات باربعة اضعاف . ولم تستطع الاحتياطات الجديدة التى وصلت من داخل البلاد ان تستخدم كليا قبل بداية المعركة . وكانت بداية المعركة الهائلة فى هذه الظروف موفقة بالنسبة للعدو .

وعن طريق مجموعات الدبابات الجبارة المتحشدة فى الاقسام الضيقة من الجبهة وبتعزيز كثيف من قبل سلاح الجو استطاع الهتلريون ان يقوموا بعدة اختراقات عميقة فى مناطق بولوتسك وفيتيبسك وموغيليف . واستطاعت مجموعة الدبابات الثالثة بقيادة غوت ان تخترق الى منطقة مدينة يارتسيفو وان تقطع اهم طريق للسيارات فى الجبهة الغربية وهى طريق مينسك ـ موسكو . اما مجموعة الدبابات الثانية بقيادة غوديريان فقد وصلت الى ضواحى سمولينسك . وفى الجناح الايمن للجبهة الغربية اضطر الالمان القوات السوفييتية على التراجع الى فيليكيه لوكى ونيفيل»

واستولوا فى الجناح الايسر على مدينة يلنيا . وبعد ان كونت القيادة الهتلرية رأس جسر هنـــا ممتدا بعيدا الى الشرق اخذت تعتبره منطقة انطلاق للهجوم اللاحق على موسكو .

وقاومت القوات السوفييتية مقاومة بطولية . فقد عرقلت ، خطوة اثر خطوة ، هجوم مجموعة جيوش «المركز» ووجهت اليها الضربات المضادة بلا انقطاع . ولغرض اشغال القوات الالمانية عن اتجاه سمولينسك اجريت عملية هجومية قام بها الجيش الحادى والعشرون بقيادة الجنرال كوزنيتسوف وذلك فى اتجاه بوبرويسك . وقيد الجيش العشرون بقيادة الجنرال كوروتشكين والذى كان مطوقا تطويقـــا عميقـــا من كلا الجناحين قرب سمولينسك ـ قيد عدة تشكيلات المانية لفترة طويلة . وفى الفترة من ١٠ الى ١٥ تموز (يوليو) وحدها قام هذا الجيش بـ٢٢ هجمة مضادة وذلك بقوات تبلغ فرقة او فيلقا . وفى احدى هذه الهجمات حطمت فرقة الدبابات السابعة والخمسون بقيـــادة العقيد ميشولين قرب مدينة كراسنى جزءا من قوات فيلق الدبابات التابع لمجموعـــــة غودريان اثناء هجوم الفيلق باتجاه سمولينسك . وبعد ذلك لم يترك ميشولين الذى اصيب بجرح فى رأسه ساحة المعركة ، بل صد مع قطعاته طوال سبعة ايام هجمات العدو الضارية .

وفى الفترة بين ٢١ تموز (يوليـــو) و٧ آب (اغسطس) بلغ القتال قرب سمولينسك اوجه . وخلال سير القتال كون مقر القيادة العامة العليـا للجيش الاحمر بضع عشرات من التشكيلات الجديدة الاضافية فى ثلاثة انساق فى الاتجاه الغربى وشكل فى مؤخرة الجبهة الغربية جبهة جديدة هى الجبهة الاحتياطية . وفى ٢٠ تموز (يوليو) طرح مقر القيادة مهمة على قوات الاتجاه الغربى هى الانتقال الى الهجوم وتحطيم العدو والاستيلاء على منطقة سمولينسك وابعاد الالمان الى ما وراء مدينة اورشـــا . واثناء المعارك الطاحنة فى الجبهة الغربية تكونت بضع بؤر رئيسية للصراع هى : سمولينسك



فى مركز التجنيد .

يمين الانصار .

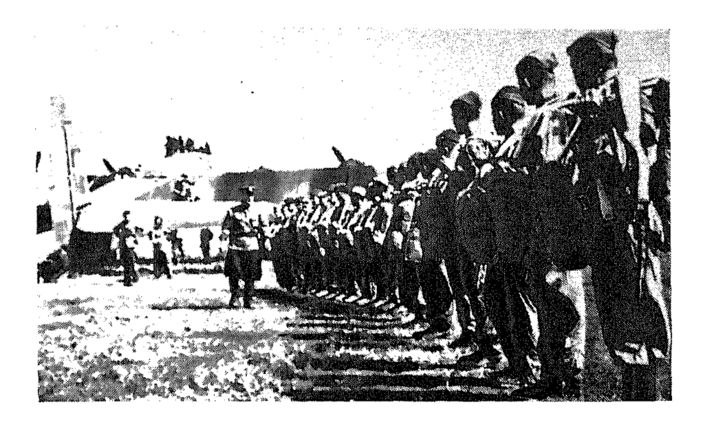
قسم افراد الحرس .

الدبابات تتحرك لتوجيه الضربة المضادة .



اولى صليات مدافع هاون الحرس .

العرض العسكرى فى الساحة الحمراء ٧ تشرين
الثانى (نوفمبر) عام ١٩٤١ .



المظليون قبيل التحليق الى مؤخرة العدو .

المعارك في ستالينغراد .



لقاء محاربى الجيشين الثانى والستين والحادى والعشرين على تلة ماماى .

تم طرد العدو من ستالينغراد . عام ١٩٤٣ .

الكاتب الكسي تولستوى يتحدث الى الطيارين .

تم تحرير مدينة اخرى .



على المعبر قرب كييف .

سكان المناطق المحررة فى اوكرانيا ينخرطون فى صفوف الجيش الاحمر .

فك الحصار عن لينينغراد .

فى لحظات الاستراحة .

ويلنيا ويارتسيفو . وحاربت بصمود فى سمولينسك عدة ايـــام متتالية القوات التى قادهـــا قائد الجيش السادس عشر الجنرال لوكين . وكان الهجوم الذى قامت بـــه على سمولينسك مجموعات القوات التى تشكلت خصيصا بقيادة الجنرالات خومينكو وكالينين وكاتشالوف قد احبط زحف مجموعة الدبابات الالمانية الثالثـــة باتجاه مرتفع فالداى ، وساعد على استقرار الوضع فى كلا جناحى الجبهة الغربية . وطوال عدة اسابيع متتالية جرت معارك حامية الوطيس قرب يلنيا . وتكبد الهتلريون هنا خسائر فادحة جعلتهم يسمون هذه المنطقة « بالأتون الدموى » . وانتهت معارك يلنيـــا بانتصار القوات السوفييتية التى طردت العدو من هذه المدينـــة ودخلتها .

واوقفت القوات السوفييتية بقيادة الجنرال روكوسوفسكى دبابات ومشاة الوحدات الالمانيـــة الفاشية من مجموعة الدبابات الثالثة بقيادة غوت قرب مدينة يارتسيفو . وكانت مدينة يارتسيفو الملتهبة المدمرة قد انتقلت مـــرارا من جانب الى آخر . وقيدت القوات السوفييتية العدو هنا واوقفته لمدة طويلة .

وكان دفاع الجيش الاحمر الصامد مفاجأة كبرى لهتلر والقيادة العسكرية الالمانية كلها . وكتب هالدير فى يومياته بتاريخ ١١ تموز (يوليو) يقول : «ان قيادة العدو تعمل بنشاط ومهارة . وتحارب قواتها بضراوة وتعصب . وتقاتل القوات الروسية كالسابق بضراوة شديدة للغايـــة . فالعدو لا يفكر ، كمـــا هو واضح ، بالانسحـــاب . ويقوم العدو بهجمات عنيدة» . وشكك هالدير فى «امكانية تحقيق نصر حاسم» وذلك لأن مقاومة الجيش الاحمـــر العنيدة «تؤدى الى تأزم الموقف فى بعض الاقسام» .

وفى الايام الاولى من آب (اغسطس) تحقق توازن القوى فى الاتجاه الغربى . فقد كانت الجيوش الالمانيـــة مقيدة فى كل مكان واضطرت الى الانتقال الى الدفاع . وقد تكبدت افدح الخسائر .

الا ان هجوم القوات السوفييتية قرب سمولينسك هو الآخر لم يحمل النصر . فان قادة واركانات الجيش الاحمر لم تكن لهم آنذاك القابليات الكافية لتنظيم العمليات الهجومية الكبيرة . ولم تتكون فى الجيوش المختلفة الاصناف مجموعات ضاربة واضحة المعالم ، ولم تتجاوز الكثافات المدفعية ١٠ مدافع للكيلومتر الواحد من الجبهة ، وكان هنـــاك قليل من الدبابات لدعم المشاة المباشر ، ولم يتسن تنسيق التعاون بين اصناف القوات وجاراتهـــا . ونتيجة لذلك لم تستطع التشكيلات ان تتقدم الا لبضعـــة كيلومترات وهى تخوض معارك طاحنة . وفى ١٠ أيلول (سبتمبر) اصدر مقر القيادة العامة العليا امرا بانتقال قوات الجبهة الغربية الى الدفاع .

واثناء معركة سمولينسك احبطت القوات السوفييتية خطة القيادة الهتلرية الراميـــة لدحر الجيش الاحمر واحتلال موسكو . فبدلا من انتهاء الحرب اضطرت القوات الالمانية الى الانتقال للدفاع فى الاتجـــاه الاوسط وذلك لاول مرة فى تاريخ الحرب العالميـــة الثانية . حقا ، فان مجموعة جيوش «المركز» استطاعت خلال شهرين ان تتقدم شرقى الدنيبر الى مسافة ١٧٠ـــ٢٠٠ كيلومتر ، ولكن ذلك لم يكن النصر الذى توقعته القيادة الهتلرية . فاذا كانت القوات الالمانية فى الايام الاولى من الحرب قد تقدمت بوتيرة معدلها ٣٠ كيلومترا فى اليوم ، فان هذه الوتيرة هبطت فى تمـــوز (يوليو) الى ٦ـــ٧ كيلومترات . وبدأ التصدع فى خطة «بارباروسا» . وتزعزع صرح الستراتيجية النازيـــة المبنى على اساس «الحرب الخاطفة» . وكسب الجيش الاحمر الوقت لتعزيز الدفـاع عن موسكو ولاعداد الاحتياطيات الجديدة . وفقدت مجموعة جيوش «المركز» حوالى نصف افرادها ومعداتها .

وتكشفت بين اوساط القيادة الالمانية العليا تناقضات بشان خطة العمليات اللاحقـــة . واستمر الجدل طويلا . واصر هتلر على تحويل القوات الاساسية لمجموعة جيوش «المركز» مـــن منطقة

سمولينسك الى اوكرانيا . واقترحت قيادة القوات البرية اعداد ضربة توجه الى موسكو مباشرة . وفى ٢٤ آب (اغسطس) عقد فى مقر هتلر اجتماع حاسم حضره كبار قادة القوات المسلحة .

وبعد مناقشات طويلة اتخذ الاجتماع قرارا فى آخر المطاف . فقد ظل هتلر مصرا على رأيه حتى حققه . وفى النصف الثانى من آب (اغسطس) تحولت قوات كبيرة من مجموعة جيوش «المركز» من اتجاه سمولينسك وموسكو نحو الجنوب .

وفى ذلك الوقت جرت معـارك طاحنـــة كذلك فى الاتجاهين الرئيسيين الآخرين للجبهة السوفييتية الالمانيـــة : وهما الاتجاه الشمالى الغربى والاتجاه الجنوبى الغربى .

وكان زعماء المانيـــا الفاشية يعتقدون بان الاستيلاء على لينينغراد وكرونشتادت وسكة حديد مورمانسك يجعل الاتحاد السوفييتى يفقد منطقـــة البلطيق والشمال الاقصى ويؤدى الى هلاك اسطول البلطيق السوفييتى . وكان الهتلريـــون يأمـلون كذلك فى اكتساب رأس جسر نافع لتوجيه الضربـــة من الشمال الغربى الى مؤخرة القوات السوفييتية التى تغطى موسكو . وفى الوقت ذاتـــه هجمت القوات الفنلندية فى برزخ كاريليا وفى اتجاه بتروزافودسك . وكان عليها ان تتصل جنوبا بالقوات الالمانية التى هجمت ملتفة حول بحيرة ايلمين باتجاه بتروزافودسك ايضا . وكان من المقرر ان تحتل تشكيلات الجيش الثامن عشر استونيا ، ولكن خطط العدو لم يكتب لها التوفيق .

كان الشعب السوفييتى مصممـــا كل التصميم على الذود عن لينينغراد . ففى اواخر حزيران (يونيو) وضعت خطة بناء المنشآت الدفاعية . وبدأ هذا البناء فى بداية تموز (يوليو) . فقد انشأت القوات والسكان حول لينينغراد شبكـــة دفاعية تتكون من عدة نطاقات . وفى تموز ــ آب (يوليو ــ اغسطس) كان حوالى خمسمائة الف شخص يخرجون كل يوم لممارسة الاعمـــال الترابية لغرض

التحصين . وفى فترة وجيزة شكـــل اللينينغراديون ١٠ فـــرق من المتطوعة الشعبية . وانخرطت فى النضال النشيط فى مؤخرة العدو عشرات من فصائـــــل الانصــــار التى تشكلت مـــن المتطوعين اللينينغراديين . وكانت مصانـــع ومعامل المدينة تصنـــع السلاح للجبهة . وصـــار العمال يدرسون الفن العسكرى . وجرى تشكيل كتائب المدمرين .

وفى ١٠ تموز (يوليو) وجه الالمان الضربة من بسكوف الى نوفغورود . وفى معارك طاحنة استمرت اربعة ايام قرب مدينة سولتسى دحرت القوات السوفييتية قسما من قوات فيلق الدبابات الالمانى الذى قاده الجنرال مانشتين . واضطر قائد مجموعة جيوش «الشمال» الفيلدمارشال ليبب الى وقف هجوم مجموعة الدبابات الرابعة مؤقتا . واستطاع المشاة الهتلريون ان يستولوا على رأس جسر على نهر لوغا . وطوال خمسة ايام صد طلاب مدرســـــة كيروف للمشاة ضربات الفيلق الآلى الالمانى . ولم يستطع العــــدو الوصول الى منطقة كراسنوغفارديسك الا فى ٢١ آب (اغسطس) وبعد ان تكبد خسائر جسيمة . ولكن جيشنا الثانى والاربعين اوقفه هنا وارغمه على الانتقال الى الدفاع .

وبالرغم من الجهود البطولية التى بذلها الجيش الثامن فقـــد اضطر الى الانسحاب من استونيا خائضا معارك طاحنة . ولـــم يستطع ان يوقف العدو الا عند هضبة كوبوريه . وطوال اسبوع كامل هاجمت القوات الهتلرية بصورة مستميتة مدينة تالين عاصمة جمهورية استونيا التى دافعت عنها بصمود جماعة صغيرة مـــن المشاة والبحارة السوفييت . وبعد فقدان تالين التى كانت قاعدة لاسطول البلطيق استدعت الحاجة الى نقل هـــذا الاسطـــول الى لينينغراد وكرونشتادت .

وفى النصف الثانى من آب (اغسطس) استطاعت قوات مجموعة جيوش «الشمال» التى ارهقتها المعارك ان تتقدم بكل صعوبـــة

فتصل الى اقرب مشارف لينينغراد . واستجمع الهتلريون قواهم وقرروا القيام بآخر هجوم حاسم . وفى ٢٥ آب (اغسطس) دخلوا منطقة كولبينو ووصلوا الى شليسيلبورغ .

وقبل ان يبدأ الالمان الهجوم على مواقع لينينغراد الدفاعية وجهوا نيران المدفعية والقصف الجوى الوحشى الى المدينة . وفى مساء ٨ ايلول (سبتمبر) القت الطائرات على المدينة اكثر من ٦ آلاف قنبلة حارقة شب على اثرها ١٧٨ حريقا فى مختلف مناطق المدينة .

واصبحت لينينغراد مقطوعة ومطوقة بالاعداء . واعتبارا من ٨ ايلول (سبتمبر) كان اتصال المدينة مع العالم الخارجى يجرى فقط عن طريق الجو وعبر بحيرة لادوغا . ولكن القوات السوفييتية المدافعة عن لينينغراد مباشرة والموزعة على الضفة الشمالية لنهر نيفا صدت بكل حزم محاولات الالمان لدخول المدينة والاتصال بالجيش الفنلندى الذى كان يهاجم فى برزخ كاريليا .

واضطرت قيادة مجموعة جيوش «الشمال» الى الكف عن الهجوم فقررت ان تخنق المدينة بالحصار . واصدرت القيادة الهتلرية توجيها خاصا : «قرر الفوهرر مسح مدينة بطرسبورغ من وجه الارض . فبعد هزيمة روسيا السوفييتية لن يتسم باية اهمية وجود هذا المركز السكنى الضخم . . . واذا قدمت بسبب الوضع فى المدينة طلبات الاستسلام فسوف ترفض ، وذلك لأن المشاكل المتعلقة بوجود السكان فى المدينة وتزويدهم بالمواد الغذائية لا يمكن ولا يجب ان تحل من قبلنا . ففى هذه الحرب الجارية من اجل حق البقاء ليست لنا مصلحة فى الابقاء ولو على قسم من السكان» . لقد كان الاشقياء الفاشست يريدون الحكم على هذه المدينة الرائعة بالفناء التام ، وعلى حماتها بالهلاك .

الا ان اللينينغراديين لم يكونوا ينوون استجداء الرحمة من العدو . فقد صمدوا حتى الموت عند جدران لينينغراد . وعانوا من

الجوع والبرد ولكنهم تحملوا بجلد كافة المصائب طوال تسعمائة يوم من الحصار ومن الدفاع الذى لم يسبقه مثيل فى التاريخ والذى استمر طوال حوالى ثلاثة اعوام .

وفى اوكرانيا خاضت القوات السوفييتية للجبهة الجنوبية الغربية فى تموز (يوليو) ١٩٤١ معارك دفاعية طاحنة جنوبى بوليسيه وقرب كييف وكوروستين . وواجهت الجبهة الجنوبية الالمان والرومانيين المهاجمين فى مولدافيا . واخترقت مجموعة الدبابات الالمانية الاولى التى كانت تتمتع بتفوق القوات الكبير ، وعلى اثرها قوات الجيش الالمانى السادس نحو كييف . واوقفت هذه القوات هنا . وطوال ٧٢ يوما دافعت الحامية الباسلة عن عاصمة اوكرانيا ، بينما كان الجيش الخامس بقيادة الجنرال بوتابوف يقاتل ببسالة شمال غربى مدينة كوروستين . وقيد هذا الجيش ١٢ فرقة المانية وسهل قتال حماة المدينة . وطوال شهر من الاشتباكات الحامية لم يستطع العدو ان يتقدم الا لمسافة ٦٠ـ٧٠ كيلومترا .

وانخرطت القوات الرئيسية للجبهة الجنوبية الغربية فى معارك كبرى فى اوكرانيا الضفة اليمنى ، واستمرت هذه المعارك حتى الايام الاولى من آب (اغسطس) ١٩٤١ . وكبدت قوات الجيوش السوفييتية الـ ٦ و ١٢ و ٢٦ مجموعة جيوش «الجنوب» خسائر فادحة . وفقدت مجموعة الدبابات الاولى بقيادة كليست ٥٠ بالمائة من دباباتها . الا ان الهتلريين استطاعوا عن طريق الالتفاف العميق ان يطوقوا فى اوائل آب (اغسطس) الجيشين السوفييتيين السادس والثانى عشر قرب اومان وان يغيروا بذلك سير الصراع عموما لصالحهم . ونظرا للموقف العصيب امر مقر القيادة العامة العليا جيوش الجبهتين الجنوبية الغربية والجنوبية بقيادة الجنرال كيربونوس والجنرال تولينيف بالانسحاب الى ما وراء الدنيبر والقيام بالدفاع على ضفته اليسرى مع الاحتفاظ على الضفة اليمنى بكييف

ودنيبروبتروفسك وعدد من رؤوس الجسور . وفى الايام الاخيرة من آب (اغسطس) انسحبت القوات السوفييتية الى اوكرانيا الضفة اليسرى .

وكانت القيادة الهتلرية قد ساعدت مجموعة جيوش «الجنوب» بتوجيهها مجموعة الدبابات الثانية والجيش الميدانى الثانى لدى مجموعة جيوش «المركز» من سمولينسك الى اوكرانيا . وخرقت تشكيلات دبابات غوديريان دفاع القوات السوفييتية فى اتجاه كونوتوب وزحفت من الشمال الى مؤخرة القوات الرئيسية للجبهة الجنوبية الغربية . وخرقت الدفاع السوفييتى من رأس جسر الدنيبر قرب كريمينشوك فرق الدبابات بقيادة كليست وذلك لملاقاة غودريان من الجنوب . وتلاقت كلتا قوتى الدبابات عند لوخفيتسا . ونتيجة لذلك اصبحت اربعة جيوش للجبهة الجنوبية الغربية مطوقة شرقى كييف . وغير هذا الاخفاق الكبير الموقف فى الجنوب تغييرا شديدا . وتركت القوات السوفييتية كييف وقسما من اوكرانيا الضفة اليسرى . ووصلت القوات الالمانية الى مشارف القرم . واضطرت القيادة السوفييتية الى ان ترسل الى الجبهة الجنوبية الغربية على عجل احتياطيها الثمين للغاية آنذاك .

وبما ان الحالة العامة للقوات السوفييتية فى اوكرانيا والقرم اصبحت معقدة للغاية فى خريف ١٩٤١ قررت القيادة العامة العليا اجلاء حماة اوديسا عن طريق البحر وتعزيز حامية سيباستوبول بهم ، فهى القاعدة الرئيسية لاسطول البحر الاسود وقد خيم الخطر عليها ايضا .

وحاربت حامية اوديسا حتى آخر لحظة . وفى ليلة ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) غادرت مواقعها بكل انتظام وانسحبت الى الميناء حيث ركبت سفن النقل . وعلى هذه الصورة انتهى الدفاع البطولى عن اوديسا والذى استمر ٧٣ يوما . ومنحت مدينتا كييف واوديسا لقب المدينة البطلة وذلك تقديرا لمآثرهما فى الحرب .

وبعد ان زج مقر القيادة العامة العليا فى القتال باحتياطات جديدة اوقفت الجيوش الهتلرية فى الجنوب فى اواخر الخريف . وتكبدت القوات الالمانية خسائر لا تعوض . ولكنها استطاعت فى اوائل تشرين الثانى (نوفمبر) ان تقترب من روستوف التى كانت تعتبر «بوابة القفقاس» وان تحتل هذه المدينة . الا انه نتيجة لانتقال القوات السوفييتية الى الهجوم المضاد قرب روستوف امكن دحر القوات الضاربة لمجموعة جيوش «الجنوب» وازاحتها عن المدينة .

وحتى خريف ١٩٤١ فشلت خطة «الحرب الخاطفة» الهتلرية ضد الاتحاد السوفييتى . وبالرغم من الانتصارات الحربية الكبيرة لم يستطع هتلر وستراتيجيوه ان ينجزوا «الحملـــة الشرقيـــة» . واكتسبت الحرب طابعا متماديا طويل الامد . فقد صمد الاتحاد السوفييتى ، وصد الجيش الاحمر اول واقوى ضربة وجهها المعتدى ، وهيأ ممهدات الانعطاف اللاحق فى سير الصراع . وهذا الامر حدد مصير كل ما تبقى . فقد تقيدت القوات الرئيسية الهتلرية بثبات فى الجبهة السوفييتية الالمانية .

وكان لنضال الشعب السوفييتى الصامد صدى واسع فى العالم بأسره . فقد كتب ونستون تشرشل يقول : «ان الجيش الروسى لم يتحطم ابدا ، بل قاتل بافضل من اى وقت آخر ، وكان مـــن الحتمى ان يزداد تعداده فى العام القادم بلاشك . وحل الشتاء ، وكانت الحرب الطويلة الامد امرا لا مفر منه» . وجاء فى برقيـــة شرشل الى ستالين فى ٨ تموز (يوليو) ١٩٤١ : «اننا جميعا هنا مسرورون كل السرور لأن الجيوش الروسيـــــة تقاوم مثل هذه المقاومة الشديدة الباسلة الجسورة غزو النازيين الذى لا يرحم والذى لم يستثره احد ابدا . ان بسالـــــة وصمود الجنود السوفييت والشعب يثيران اعجاب الجميع» .

وكتب الصحفى الانجليزى رالف باركر عن تلك الايام يقول :

«... تزايدت على الدوام لدى ابناء الشعب البريطانى البسطاء ... مشاعر الاعجاب ببسالة شعب هذه البلاد وبارادته التى لا تقهر الى النصر ... وان هؤلاء الناس الذين لا يعرفون اى شىء تقريبا عن الاتحاد السوفييتى كانوا واثقين كل ثقة من ان الروس فى الجبهة يدافعون عن مصالحهم ...» .

ولم يحرز هتلر وجنرالاته لا «الحرب الخاطفة» ولا النصر . الا ان حالة الاتحاد السوفييتى ظلت عصيبة لدرجة تفوق التصور . فالغزاة كانوا عند جدران لينينغراد ويهددون موسكو ويحتلون قسما كبيرا من اوكرانيا . وسيطروا على اهم المناطق الاقتصادية فى البلاد وعلى قيم وثروات هائلة . وفقدنا كافة المصانع التعدينية فى الجنوب . وتوقفت ٣٠٣ مؤسسات لانتاج الذخيرة ، وكثير من المصانع والمعامل الاخرى .

واعتقد هتلر بان النصر على الاتحاد السوفييتى قريب . ولذلك امر بتوجيه «الضربة الاخيرة» الى موسكو واحتلال العاصمة السوفييتية وانهاء «الحملة الشرقية» بذلك .

ترويض «الاعصار»

تعنى كملة «الاعصار» فى القواميس ريحا أو زوبعة شديدة تنطوى على قوة تدميرية هائلة . ولذلك اطلق الستراتيجيون الهتلريون هذا الاسم على العملية التى قاموا بها فى اتجاه موسكو فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ . وكانوا يعتقدون بان هذه العملية يجب ان تدور كالزوبعة على مشارف موسكو البعيدة وان تؤدى فى آجال قصيرة الى تحطيم القوات السوفييتية .

وكان الهتلريون يزعقون ويطبلون بمناسبة وغير مناسبة بشان آخر ايام روسيا السوفييتية وسقوط موسكو قريبا . وفى ٢ تشرين الاول (اكتوبر) اعلن هتلر نفسه فى امره الى جنود الجبهة

الشرقية متفاخرا بأنه «تهيأت اخيرا مقدمة للضربة الهائلة الاخيرة التى ينبغى ان تؤدى الى تحطيم العدو قبل حلول الشتاء . وقد انتهى التحضير كله على قدر ما يتمكن عليه الانسان ... وستبدأ اليوم آخر معركة حاسمة كبرى فى هذا العام» .

وفى ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ظهر فى يوميات الحرب للجنرال هالدير ما يلى : «... بدأت مجموعة جيوش «المركز» فى الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين من هذا اليوم الخريفى الصافى العملية الكبرى «الاعصار» . وتتابع مجموعة دبابات غودريان زخفها الى الامام بالرغم من الصعوبات فى جناحها الايمن الذى تأخر» .

وكان الفاشست مبتهجين متهللين . واعلن راديو المانيا للعالم كله نبأ زحف جحافل الدبابات السريع الذى لا يتوقف نحو موسكو . وبعد يومين كتب هالدير ذاته يقول : «تتطور عملية «الاعصار» بالشكل الكلاسيكى تقريبا» .

فماذا حدث فى الواقع عند المشارف البعيدة لموسكو ؟

فى اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ حاصرت القوات الفاشية الالمانية مدينة لينينغراد ووصلت الى خط نهر فولخوف ــ بحيرة ايلمين ــ روسلافل ــ بولتافا ــ زابوروجيه . الا ان العدو احرز هذه الانتصارات بثمن باهظ . فقد تكبد خسائر فادحة واضطر الى الانتقال للدفاع فى الاتجاهين الستراتيجيين الشمالى الغربى والغربى . الا ان قوات العدو كانت لا تزال كبيرة جدا .

وكانت عملية «الاعصار» ترمى الى توجيه ضربات من قبل مجموعات القوات الالمانية القوية من مناطق دوخوفشينا وروسلافل وغلوخوف وشق دفاع القوات السوفيتية بهذه الضربات عند مشارف موسكو وتطويق وتحطيم القوات الاساسية للجبهة الغربية وجبهة بريانسك فى منطقتى فيازما وبريانسك ومن ثم متابعة الهجوم على موسكو مع الالتفاف حولها من الشمال والجنوب وتوجيه الضربات اليها من الامام فى نفس الوقت .

وكلفت بتنفيذ العملية مجموعة جيوش «المركز» بقيادة الفيلدمارشال فون بوك . وكانت مجموعة الجيوش هذه تضم اكثر من مليون جندى وضابط فى ٧٨ فرقة (ومنها ١٤ فرقة للدبابات و ٨ فرق آلية) و ١٧٠٠ دبابة واكثر من ١٤ الف مدفع ومدفع هاون و ٩٥٠ طائرة . وهكذا القى الهتلريون على موسكو بحوالى نصف فرقهم واكثر من ثلث ما لديهم من دبابات ومدافع . وكانوا يأملون بان هجومهم سيكون بالفعل اعصارا يكتسح كافة العوائق فى طريقه .

واجهت مجموعة جيوش «المركز» على خط طوله ٧٥٠ كيلومترا ثلاث من جبهاتنا وهى الجبهة الغربية بقيادة الجنرال كونيف ، والجبهة الاحتياطية بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتى بوديونى ، وجبهة بريانسك بقيادة الجنرال يريمينكو . وكانت قوات هذه الجبهات تضم حوالى ٨٠٠ الف جندى وضابط و ٦٨٠٠ مدفع ومدفع هاون و ٧٨٠ دبابة وحوالى ٥٥٠ طائرة ، واغلبها من طرازات عتيقة .

وهكذا ، كان العدو ، كما هو واضح ، يفوق قواتنا بمقدار ١,٤ ضعف من حيث عدد الافراد وباكثر من ٢,٢ ضعف من حيث عدد الدبابات وباكثر من ٣ اضعاف من حيث المدفعية وبحوالى الضعف من حيث الطائرات .

وفى ٣٠ ايلول (سبتمبر) بدأت الجيوش الفاشية الالمانية الهجوم على جبهة بريانسك ، وفى ٢ تشرين الاول (اكتوبر) بدأت الهجوم على الجبهة الغربية والجبهة الاحتياطية . واستطاع العدو بقواته المتفوقة ان يخترق الدفاع فى عدة اتجاهات ، الا ان المقاومة العنيفة من قبل القوات السوفييتية لم تتوقف . ولم يستطع العدو التقدم الا فى الاماكن التى لم يبق فيها على قيد الحياة ولا واحد من حماة العاصمة . فقد زج الفاشست بسبعين دبابة وفوج مشاة آلية ضد الكتيبة الاولى لفوج المشاة آل ٨٩٧ لفرقة

المشاة الـ ٢٤٢ . وفي الاشتباك غير المتكافئ قتل كافة افراد الكتيبة تقريبا ولكنهم لم يغادروا مواقعهم . وبالرغم من هذه البطولـــة الفريدة التي حققها المحاربون السوفييت على نطاق واسع في كل مكان ، ترك اثره تفوق العدو عدديا وتكنيكيـــا . فالمدافعون لم يستطيعوا وقف الضربة . وفي ٧ تشرين الاول (اكتوبر) استطاع آلفاشست ان يطوقوا قرب فيازما قوات كبيرة من الجبهة الغربية والجبهة الاحتياطية . وفتح الطريق الى موسكو .

وصار على القيادة السوفييتية والقوات السوفييتية ان تبذل جهودا وان تتخذ اجراءات تفوق التصور لكي تذلل الازمة الخطيرة . وكان من الضروري قبل كل شيء كسب الوقت . وكانت القوات المطوقة تقاوم بصمود مما قيد ٢٨ فرقة المانية طوال اكثر من اسبوع . وبدأ مقر القيادة العامة العليا والقائد الجديد للجبهة الغربية جنرال الجيش جركوف باجتذاب كافة القوات الممكنة الى موسكو على عجل . وفي البداية امكن بالنقـــل السريع للقوات المرابطة عن كثب تغطية الطرق الرئيسية المؤدية الى العاصمة من جهة الغرب ووقف القطعات الالمانية التي بدات تزحف من فيازما الى الامام . وكانت القطارات السوفييتية المحملة بالقوات آنذاك في طريقها قادمة على عجل من سيبيريا ومنطقة الفولغا والشرق الاقصى وكازاخستان . وكانت الطرق مفتوحة امامها خصيصا على طول هذه المسافـــة الهائلة . وسرعان مـــا امكن زج ١١ فرقة اخرى و١٦ لواءا للدبابات و٤٠ فوج مدفعية وغيرها من القطعات في المعركة من اجل الدفاع عن موسكو . وتكونت بالتدريج جبهة دفاعيـــة جديدة على طول خط موجايسك الدفاعي الذي اعده الموسكوبيون .

وفي العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) اقتربت القوات الهتلرية من هذا الخط . واستمرت المعارك الضارية اياما كثيرة متتالية . واستطاع الالمان ان يخترقوا الدفاع في عدة مناطق ، فاحتلوا

كالينين وموجايسك وفولوكولامسك . ووصلوا الى المشارف القريبة لموسكو .

واصبح موقف موسكو حرجا عصيبا . وتوجه الى الخط الامامى للقتال كل من كان قادرا على حمل السلاح . واصبحت العاصمة مدينة جبهوية . وقاتلت القوات بصمود لا مثيل له . وقاد الدفاع ليس فقط قائد الجبهة الغربية ، بل والقيادة العليا والاركان العامة الموجودتان قريبا فى موسكو ذاتها ، اى على بعد ساعة سفر واحدة عن خط الجبهة .

ونظرا لخطورة الموقف اعلنت لجنة الدولة للدفاع ان موسكو فى حالة حصار اعتبارا من ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ . وهب للدفاع عن العاصمة كافة الموسكوبيين لتحويلها الى قلعة منيعة . وبدأ تسجيل المتطوعين الى السرايا والكتائب الشيوعية . وشغل مواقع القتال فى المشارف القريبة لموسكو ١٢ الفا من المتطوعين الذين شكلوا ٢٥ سرية وكتيبة مستقلة . وارسلت الى خط الدفاع كتائب المدمرين التى كانت حتى ذلك الحين تمارس اعمال الدوريات لحراسة المدينة . وسدت شوارع موسكو بالمتاريس والحواجز المعدنية واعمدة الخرسانة المسلحة .

وتلبية لنداء المنظمة الحزبية فى موسكو تم ، بالاضافة الى فرق المتطوعة الشعبية الاثنتى عشرة التى تشكلت فى تموز (يوليو) ١٩٤١ ، تشكيل الفرقة الموسكوبية الشيوعية الثالثة وفرقتى المشاة الموسكوبيتين الرابعة والخامسة ، كما تم تشكيل فرقة المشاة الموسكوبية الثانية من الدورة الجديدة للمكلفين بالخدمة العسكرية فى الجيش . وحارب جنبا الى جنب مع الموسكوبيين شغيلة المدن والقرى من منطقة موسكو . وعملت فى مؤخرة العدو على اراضى مقاطعة موسكو ٤١ فصيلة للانصار . وبالرغم من اجلاء اكثر من ٥٠٠ مصنع كبير من موسكو الى مناطق بعيدة فى البلاد تم فى المؤسسات الصناعية التى بقيت فى المدينة تنظيم صنع

الرشاشات القصيرة ومدافع الهاون والذخيرة والطائرات واجهزة اطلاق الصواريخ وكذلك الدبابات والمدرعات المصفحة . وكل ذلك ساعد على زيادة ثبات ومفعول دفاعنا .

وتميزت بالعناد خصوصا المعارك على خط موجايسك الدفاعى . وقرب فولوكولامسك خاضت معركة بطولية فرقة المشاة ال ٣١٦ بقيادة الجنرال بانفيلوف . وفى حقل بورودينو الشهير غربى موجايسك صمدت حتى النهاية افواج فرقة ساراتوف للمشاة الثانية والثلاثين بقيادة العقيد بولوسوخين .

وعلى هذه الصورة حارب المقاتلون السوفييت فى كافة الاتجاهات .

وقاومت العدو مقاومة عنيدة قرب ناروفومينسك فرقة الحرس الآلية الاولى بقيادة بطل الاتحاد السوفييتى العقيد ليزيوكوف .

ودخل جيش الدبابات الثانى بقيادة غوديريان الى تولا التى هى مركز صناعى وعقدة مواصلات هامة . وصدت وحدات حامية تولا والمتطوعة الشعبية ، وفيما بعد قوات الجيش الخمسين لجبهة بريانسك التى وصلت الى هنا ، الهجمات العديدة التى قامت بها دبابات ومشاة غوديريان . وكانت حالة حماة تولا عصيبة للغاية . ففى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) هاجمت المدينة ثمانى مرات قوات مشاة العدو الآلية المعززة بمئة دبابة فى منطقة ضيقة من الجبهة ، ولكن اية من هذه الهجمات لم تبلغ هدفها . وفشل كذلك الهجوم «السيكولوجى» الليلى فى ٣ تشرين الثانى (نوفمبر) حيث حاولت مرة اخرى الدبابات الفاشية المضاءة المصابيح وكذلك المشاة بتعزيز من المدفعية وسلاح الجو ان تخترق دفاع حماة تولا . وشكل سكان المدينة حوالى ٨٠ كتيبة للمدمرين بلغ تعدادها اكثر من ١٠ آلاف شخص . لقد صمدت تولا ولعبت بذلك دورا كبيرا

فى تأمين ثبات الجناح الايسر للجبهة الغربية . وبعد ان تكبد العدو خسائر جسيمة اضطر الى الانتقال الى الدفاع قرب تولا .

وترك غوديريان قسما من قواته للتغطية من اليسار واليمين واسرع بمجموعة دباباته الرئيسية نحو الشمال لكى يصل الى شرقى موسكو ويلتحق بمجموعتى الدبابات الثانية والثالثة المهاجمتين من الشمال الغربى . ووجه الضربة الى كاشيرا . واصبح الموقف خطرا للغاية . فقد كان العدو على مقربة بضع عشرات من الكيلومترات عن موسكو .

وفى اواخـــــر تشرين الاول (اكتوبر) واوائل تشرين الثانى (نوفمبر) بذلت القوات السوفييتية كل ما فى وسعها ، فاستطاعت ان توقف الالمان فى كافة الاتجاهات . وصارت الجيوش الهتلرية التى قامت فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ بطفرة الى مدى ٢٥٠ كيلومترا مضطرة الى الانتقال الى الدفاع فى مسافة تبعد عن موسكو بـ ٨٠ــ١٢٠ كيلومترا . وحلت فترة توقف . وكسبـــت القيادة السوفييتية الوقت لمتابعة تحصين مشارف موسكو . وساعدت فترة التوقف فى المعركة قرب موسكو مقر القيادة العامة العليا فى تطعيم الجبهة الغربية بقوات جديـــدة . وجرى فى الاتجاهـــات الرئيسية بناء دفاع عميق مضاد للدبابات . وفى النصف الاول مــن تشرين الثانى (نوفمبر) استلمت الجبهة الغربية قوات اضافيـــة قدرها ١٠٠ الف شخص و ٣٠٠ دبابة و ٢٠٠٠ مدفع . وبنى الموسكوبيون المواقع الدفاعية على مشارف المدينة فأنشأوا خطا من التحصينات على طول الاطراف الشمالية والشرقية للعاصمة ، وكانت اهم مناطق المقاومة فى هذه الاطراف واقعة فى منطقة بركتى خيمكى وتساريتسينو .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) احتفل الشعب السوفييتى بالذكرى الرابعة والعشرين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وجرى فى الساحة الحمراء العرض التقليدى لقوات حامية موسكو . والقى

خطابا امام المشاركين فى العرض رئيس لجنة الدولة للدفاع ستالين وذلك باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعى والحكومة . وقال ستالين : «ان الحرب التى تخوضونها هى حرب تحررية ، حرب عادلة . ولتلهمكم فى هذه الحرب المآثر البطولية لاسلافنا العظام آلكساندر نيفسكى ودميترى دونسكوى وكوزما مينين ودميتـــــرى بوجارسكى والكساندر سوفوروف وميخائيل كوتوزوف ! ولتظللكم راية لينين العظيم المظفرة» .

واثر العرض العسكرى فى الساحة الحمراء تأثيرا هائلا فى تعزيز الوحدة السياسية المعنوية للشعب السوفييتى وافراد الجيش الاحمر والاسطول . وتوجهت القطعات والتشكيلات الى الجبهة من العرض مباشرة .

وجرى بين القوات عمل حزبى وسياسى واسع تحت شعار «سنذود عن عاصمة وطننا موسكو» .

وفى تشرين ١ و٢ (اكتوبر ــ نوفمبر) ١٩٤١ ارسلت الى الجبهة الغربية ١٦٤ سرية شيوعية واكثر من ٣٧ الف محارب سياسى . وتجلى النهوض السياسى بكل سطوع فى تنامى صفوف الحزب . ففى تشرين الثانى (نوفمبر) وحده انضم الى الحزب فى وحدات الجبهة الغربية ٢٥٣٦ شخصا ، اى بما يزيد بـ ٣,٥ اضعاف عمن انضم اليه فى تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه . وعزز الشيوعيون وحدة جماهير الجنود وقووا الانضباط والقدرة القتالية لدى الوحدات .

وبعد ان حشدت القيادة الالمانية قواتها على طول الطرق الرئيسية المؤدية الى موسكو بدأت فى ١٥ و١٦ تشرين الثانى (نوفمبر) هجومها الثانى على العاصمة السوفييتية . ونشبت من جديد معارك لا مثيل لها من حيث الضراوة واراقة الدماء . وكانت القوات الالمانية تتقدم نحو موسكو ببطء متكبدة خسائر جسيمة ، وهى ترى فى الاستيلاء على العاصمة السوفييتية هدفها الاخير الوحيد

11—1174

الذى يخلصها من الانتقام . الا ان صمود وبطولة القوات السوفييتية لم يتيحا للالمان اختراق الجبهة .

وتلقت مجموعة من مدمرى الدبابات من فرقة بانفيلوف الـ ٣١٦ عند محطة دوبوسيكوفو ضربة ٥٠ دبابة معادية . وكان العدو يأمل باختراق دفاعنا والوصول الى طريق فولوكولامسك والزحف الى موسكو . وفى البداية تعرض جنود بانفيلوف الذين كان عددهم ٢٨ شخصا لهجوم حاملى الرشاشات القصيرة . فلم يبق بينهم وبين المواقع غير ١٥٠ مترا حين فتح محاربونا هؤلاء النيران الشديدة من البنادق والرشاشات القصيرة والرشاشات . وتم صد هجمة الفاشست الذين فقدوا حوالى ٧٠ جنديا وضابطا . وعندها زج العدو في المعركة ٢٠ دبابة ومجموعة من حاملي الرشاشات القصيرة . وصرخ القائد السياسى كلوتشكوف : « روسيا شاسعة ولكن لا مكان للتراجع ، فوراءنا موسكو ! » . واستمرت هذه المعركة التى تفوق الخيال اربع ساعات . وفى المناوشة الضارية اخذ المحاربون السوفييت يتساقطون الواحد تلو الآخر . وكان القائد السياسى المثخن بالجراح قد القى بنفسه مع حزمة من القنابل اليدوية تحت دبابة للعدو ففجرها . وفقد العدو هنا ١٨ دبابة وعشرات من الجنود ، ولكنه لم يستطع اختراق الدفاع .

ولا نبالغ اذا قلنا ان المحاربين السوفييت سدوا بصدورهم ـ بمعنى الكلمة الحرفى ـ الطريق الى موسكو فى وجه الهتلريين . وكان ذلك شأنهم على الارض وفى الجو . فعندما تنفد الذخيرة كان الطيارون يصدمون طائرات العدو ، او يوجهون طائراتهم المحترقة الى تحشدات آليات العدو .

وفى المعارك الطاحنة لاقت مئات من افضل الطيارين الفاشست حتفهم فوق اراضى ضواحى موسكو . وحقق الطيارون السوفييت الجسورون مئات المآثر البطولية التى خلدت ومجدت أسماءهم . ومن هؤلاء الطيارين ابطال الاتحاد السوفييتى تالاليخين وكالاراش

وغريغورييف وتيتينكوف وتوروفتسيف وغورباتيوك وخولودوف وكثيرون غيرهم .

وارهق دفاع القوات السوفييتة الصامد القوى الضاربة لمجموعة جيوش «المركز» . فبعد ان منيت هذه المجموعة بالفشل على مشارف موسكو الشمالية والجنوبية حاولت اختراق الدفاع فى وسط الجبهة الغربية . وفى الاول من كانون الاول (ديسمبر) استطاعت ان تحقق ذلك فى منطقة شمالى ناروفومينسك . واسرعت الدبابات والمشاة الآلية على طول طريق السيارات نحو كوبينكا ، الا ان هذه القوات اوقفت من قبل تشكيلات الجيش الخامس بقيادة الجنرال غوفوروف . وبعد ان فقد الهتلريون حوالى نصف عدد دباباتهم غيروا اتجاه حركتهم وحاولوا الاختراق الى محطة غوليتسينو من الجنوب . ولكنه بنتيجة الضربة المضادة التى وجهتها قوات الجيش الثالث والثلاثين تمت تصفية هذه المحاولة . وابدت آيات البطولة هنا خصوصا سرية جنود الحدود بقيادة الكابتن جينتشورايف وستة طواقم للدبابات من اللواء العشرين حيث سدت الطريق من يوشكوفو الى غوليتسينو .

وفى صباح الثالث من كانون الاول (ديسمبر) وصل الى هذه المنطقة من احتياطى الجبهة لواء المشاة الثامن عشر بقيادة العقيد سورتشينكو وكتيبتان للدبابات وكتيبتان من مشاة التزلج على الجليد . وتم تحطيم قطعات العدو التى وصلت الى منطقة بورتسيفو . وحتى صباح الخامس من كانون الاول (ديسمبر) عادت سيطرتنا على الموقف جنوبى ناروفومينسك وذلك بفضل جهود الجيشين ال ٣٣ و٤٣ . وكان ذلك ايضا مصير القوات الفاشية الالمانية فى قطاع الجيش الخامس شمالى كوبينكا وغوليتسينو .

وهكذا تم فى المعارك العنيدة فى ١ــ٥ كانون الاول (ديسمبر) تحطيم مجموعة قوات العدو المقاتلة فى اتجاهى ناروفومينسك

وزفينيغورود . وتكبد العدو خسائر فادحــــة . ففقدت القوات الفاشية الالمانية شمالى ناروفومينسك وحدها حوالى ١٠ آلاف جندى وضابط واكثر من ٥٠ دبابة .

وكان الانتصار الذى تم احرازه فى القسم الاوسط من الجبهة الغربية يعنى بداية الانعطاف فى عمليات القوات السوفييتية . وكان اختراق العدو فى منطقة ناروفومينسك آخر محاولة يائسة قامت بها القيادة الهتلرية لتغيير الموقف قرب موسكو ، وقد انتهت هذه المحاولة بالفشل التام .

وقـــال قائد الجيش الرابع الالمانى الفيلدمارشال كلوغه فى تقريره الى قيادة مجموعة جيوش «المركز» عن المعارك فى منطقة ناروفومينسك ان قواته فى وضع عصيب للغاية وان نجدتها امر مستحيل بسبب عدم وجود قوات كافية . وكتب يقول «ان القدرة القتالية للفيلقين الـ ٥٧ و ٢٠ هبطت الى درجة انهما لم يعودا يتسمان بأية اهمية من الناحية العملياتية ... وان الخسائر بالارواح هائلة جدا» .

وحتى الخامس من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ اوقف زحف القوات الفاشية الالمانية التابعة لمجموعة جيوش «المركز» على طول الجبهة ، وانتقلت هذه القوات الى الدفاع الاضطرارى . واحبط الجيش الاحمر هجوم الهتلريين الثانى على موسكو .

وخلال المعارك والاشتباكات الدفاعية الطاحنة التى استغرقت ٦٧ يوما أرهق الجيش الاحمر العدو واستنزف قواه . ففى الفترة من ١٦ تشرين الثانى (نوفمبر) الى ٥ كانون الاول (ديسمبر) وحدها فقد الهتلريون قرب موسكو ٥٥ الفا من القتلى واكثر مـــن ١٠٠ الف من الجرحى والمصابين بسبب الصقيع . وخلال هـــذه الفترة عطبت ٧٧٧ دبابة ودمرت ٢٩٧ مدفعا ومدفع هاون واسقطت فى المعارك الجوية وحطمت فى المطارات ١٥٠٠ طائرة للعدو .

وساعدت على نجاح المعركة الدفاعية قرب موسكو لدرجة

غير ضئيلة العمليات النشيطة للقوات السوفييتية فى شمال وجنوب البلاد . ففى احرج ايام الدفاع عن العاصمة كانت هذه القوات قد انتقلت الى الهجوم المضاد قرب تيخفين وروستوف والحقت الهزيمة بالعدو وحرمته من امكانيات ارسال قواته من هاتين المنطقتين الى اتجاه موسكو .

وفى الوقت ذاته كانت تتوارد على العاصمة احتياطيات الجيش الاحمر المحفوظة بكل عناية . وشغل الجيش الضارب الاول والجيش العشرون مواقعهما شمالى موسكو ، كما شغل الجيش العاشر مواقعه جنوب شرقى العاصمة . واخذ تناسب القوى يتغير بالتدريج لصالح القوات السوفييتية . وفى ٥ و٦ كانون الاول (ديسمبر) بدأ الجيش الاحمر هجومه المضاد قرب موسكو ، ذلك الهجوم الذى ادى فيما بعد الى هزيمة ماحقة للقوات المسلحة الفاشية والى التغيير التام لمجمل سير الحرب العالمية الثانية .

الجيش يتصلب

كانت القيادة الفاشية الالمانية التى انتقلت الى الدفاع تأمل فى الاحتفاظ بالخطوط التى احتلتها وفى ترتيب قواتها واجتذاب الاحتياطيات ومن ثم استئناف الهجوم لاحتلال موسكو .

وفى تلك الاثناء كان الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية قد مارسا عملا متواصلا لتعزيز الجيش الاحمر وتزويده على الدوام بالسلاح والتكنيك الحربى وتحسين تنظيمه وتكوين احتياطات ستراتيجية كبيرة واعداد البلاد كلها للقتال المرير الطويل الامد . ويكفى القول بانه تم منذ بداية الحرب حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ تشكيل ٢٨٦ فرقة للمشاة (بما فيها ٢٤ فرقة للمتطوعة الشعبية) و١٥٩ لواء مستقلا للمشاة و٧٦ لواء مستقلا للدبابات ، و ١٠٠ كتيبة مستقلة للدبابات و٧٢ فوجا مدفعيا ضد

الدبابات و٨ افواج حرس من مدافع الهاون و٧٣ كتيبة حرس مدافع الهاون . وبلغ عدد ما يضمه الجيش الاحمر من فرق الخيالة ٨٢ فرقة اخذت تتحول الى فيالق الخيالة اعتبارا من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ . وتمت لدرجة كبيرة تقوية مدفعية احتياطى القيادة العامة العليا التى ضمت فى تلك الفترة ٢١٥ فوجا مدفعيا للمدافع الطويلة ومدافع الهاوتزر . والى جانب ذلك تعززت قوات المشاة فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ من حيث مقاومـــة الدبابات .

فقد اضيفت الى قوام كل فرقة للمشاة كتيبـــة مضـــادة للدبابات ، كما اضيفت الى قوام افواج المشاة سرية البنـــادق المضادة للدبابات .

وفى قوات الاتصال تم حتى الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ تشكيل سرايـــا وكتائب التصليح والتشغيل والتلغراف والتلفون واللاسلكى ، مما ادى الى تحسين ادارة القوات لدرجة كبيرة . وتغير تنظيم وحدات ومؤسسات المؤخرة العملياتيـــة ومؤخرة القوات . وتكونت فى الجبهـــات والجيوش المستودعات الميدانية لمختلف الاغراض ــ المدفعية والمعتمدية ومواد الوقود والتشحيم والاموال العسكرية والتكنيكية . وتغيرت تغيرا جذريا اساليب النقل والاجلاء .

ولغرض تقوية سلاح الجو الجبهوى وتنفيذ المهام بصورة مستقلة تم تشكيل ست مجموعات جوية احتياطية تضم كل منها عدة افواج جوية ، مما ساعد على تكثيف ضربات سلاح الجو فى اهم الاتجاهات .

وتحسنت الاشكال التنظيمية لقوات الدفاع الجوى .

وتشكلت على اساس القاعدة الموجودة سابقا الاسيطيلات الحربية وهى اسيطيلات البحر الابيض واونيغا ولادوغا والفولغا ، كما تم تشكيل اسيطيل آزوف .

واولى الحزب والحكومة عناية خاصة فى حل مهام اعداد كوادر الضباط . فبالاضافة الى تقليص مدة الدراسة فى الاكاديميات والمدارس العسكرية ، وهو الاجراء الذى اتخذ سابقا ، تم فتح ١٧ دورة لزيادة كفاءة الضباط ، وتم لدى الاكاديميات الاحدى عشرة فتح دورات من ثلاثة أشهر لاعداد الضباط من بين الاشخاص الحائزين على التعليم العالى العام . وافتتحت لدى كافة الجيوش دورات الملازمين الاولين ، كما افتتحت فى ست مناطق عسكرية دورات اعداد قادة سرايا المشاة . وكل ذلك هيأ امكانية ارسال ٢٣٢ الف ضابط من هذه الدورات الى الجيش المقاتل فى عام ١٩٤١ ، وبذلك امكن التعويض كثيرا عن الكوادر القيادية التى فقدت فى الاشهر الاولى من الحرب .

وحتى اوائل كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ انجز مقر القيادة العامة العليا تحشيد ستة جيوش احتياطية على اتجاه موسكو ، مما غير تناسب القوى فى هذه المنطقة . واصبحت قوات الجبهة الغربية وجبهة كالينين والجناح الايمن للجبهة الجنوبية الغربية تضاهى العدو من حيث عدد الافراد وتتفوق عليه من حيث سلاح الجو بمقدار الضعف ، ولكنها لا تزال من حيث الدبابات والمدفعية تتأخر عنه بحوالى ١,٥ـ٢ ضعف .

دحر العدو

كانت خطة الهجوم المضاد تستند على فكرة قيام قوات جبهة كالينين والجبهة الغربية والجبهة الجنوبية الغربية فى وقت واحد بتحطيم المجموعات الضاربة الرئيسية للقوات الفاشية الالمانية المقاتلة شمالى وجنوبى موسكو . وانيط الدور الرئيسى بقوات الجبهة الغربية التى كانت مهمتها تتلخص فى تحطيم مجموعتى قوات العدو فى كلين وسولنيتشنوغورسك وقرب تولا . وكانت مهمة جبهة

كالينين تدمير العدو فى منطقة مدينة كالينين ، وكانت مهمة الجبهة الجنوبية الغربية هى تدمير مجموعة قوات العدو فى يليتس ، ومن ثم نجدة قوات الجبهـــة الغربية بالهجوم فى الاتجاهين الجنوبى الغربى والشمالى الغربى .

وكانت المهمات المطروحة على القوات امرا قابل التحقيق تماما . وكان مقر القيادة العامة العليا وقيادة الجبهات قد اخذا بنظر الاعتبار ليس فقط تناسب القوى ، بل وجملة من العوامل الهامة الاخرى ، مثل الروح المعنوية العالية لدى القوات السوفييتية وتعب الجيش الفاشى الالمانى وانعدام الاحتياطات العملياتيـــة الضرورية للعدو وعدم اتمام انتقاله الى الدفاع وسوء استعداد العدو لخوض العمليات الحربية فى ظروف الشتاء القارس وشكل الجبهة الملائم لتوجيه الضربات الى جناحى ومؤخرة مجموعـــات العدو .

وخلال ٢٠ــ٢٥ يوما من هجوم القوات السوفييتية المضاد (من ٥ الى ٣٠ كانون الاول ــ ديسمبر) الحقت هزيمـــة كبيرة بمجموعة جيوش «المركز» التى هى المجموعة الرئيسية للعدو . وتحطمت كلتا القوتين الضاربتين لدى هذه المجموعـــة وكذلك قواتها فى مناطق كلين وفولوكولامسك وكالينين ويليتس . ومنيت بهزيمة ماحقة ٣٨ فرقة ، بما فيها ١١ فرقة للدبابات . وقضى على الخطر المباشر الذى كان يتهدد العاصمة السوفييتية . وانتقلت المبادرة الى ايدى الجيش الاحمر .

وبعد ان انجزت القوات السوفييتية بنجاح الهجوم المضاد قرب موسكو وتيخفين وروستوف انتقلت الى الهجوم الشامل فى القسم الاكبر من الجبهة السوفييتية الالمانية .

وفى اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ بدأت تشكيلات جبهة ما وراء القفقاس عملية كيرتش ــ فيودوسيا لغرض تحرير القرم .

واعدت قوات جبهتى لينينغراد وفولخوف عملية هجومية لتحطيم القوات الاساسية للجيش الميدانى الثامن عشر ولفك حصار لينينغراد . واستعدت جيوش الجبهة الجنوبية والجناح الايسر للجبهة الجنوبية الغربية لتحرير الدونباس .

وتكون وضع ملائم للانتقال الى الهجوم الشامل فى الاتجاه الغربى . وانطلاقا من ذلك قررت القيادة العامة العليا ان تنتقل الى الهجوم قوات الجبهة الشمالية الغربية وجبهة كالينين والجبهة الغربية وجبهة بريانسك وذلك لغرض اتمام دحر مجموعة جيوش «المركز» .

ونتيجة للتحضير الدقيق ، وبالرغم من النقص العام فى القوات والوسائل وبالرغم من ظروف الشتاء القاسية احرزت قواتنا النصر فى كافة الجبهات . ففى ٩ كانون الثانى (يناير) حققت قوات الجبهة الشمالية الغربية عمليـة توروبيتس ــ خولم وزحفت الى الامام ووصلت فى اواخر الشهر الى خط يبعد ٢٦٠ كيلومترا . وقامت جبهة كالينين بعملية سيتشوفكا ــ فيازما وتقدمت الى مسافة ٨٠ ــ ٩٠ كيلومترا ووصلت قواتها الى مؤخرة مجموعة قوات العدو فى رجيف وسيتشوفكا . وفى ٢٦ كانون الثانى (يناير) قطع فيلق الخيالة الحادى عشر سكة حديد موسكو ــ سمولينسك غربى فيازما . وتابعت قوات الجبهة الغربية الهجوم فى هذا الاتجاه فازاحت العدو نحو الغرب الى مسافة ١٥٠ كم ووصلت الى اطراف فيازما الجنوبية فى ٣٠ كانون الثانى (يناير) .

ومع وصول قطعات جبهة كالينين والجبهة الغربية الى منطقة فيازما تهيأت الظروف لتطويق ومن ثم تدمير القوات الاساسية لمجموعة جيوش «المركز» . الا ان القوات السوفييتية لم تستطع تنفيذ هذه المهمة . فقد كانت القوى قليلة جدا والمؤخرات بعيدة والذخيرة غير كافية . ولكن الامر الاهم هو انه لم تكن لدى قيادة الجبهة تشكيلات كبيرة للدبابات ، مما جعل عملية تطويق العدو

تجرى ببطء شديد . واستطاعت قيادة العدو خلال كانون الثانى (يناير) ان ترسل من اوروبا الغربية ومن اقسام الجبهة الاخرى قوات كبيرة قاومت مقاومة ضارية ضد فرقنا التى وصلت الى فيازما .

واستخدمت تشكيلات الانزال الجوى بمهارة كبيرة وفى الوقت المناسب خلال ايام الهجوم . وعندما طوقت القطعات السوفييتية مجموعة جيوش «المركز» فى اتجاهى فيازما ويوخنوف ارسل هتلر لنجدة الجلادين تشكيلات الاحتياط من بلجيكا وفرنسا . وكان على مظليينا ان يقطعوا الطريق امام هذه الاحتياطيات ويحولوا دون خروج الهتلريين المطوقين من حلقة الحصار . وهبطت عدة آلاف من المظليين فى مؤخرة العدو .

والى جانب الجيش الاحمر خاضت الحرب ضد العدو البغيض فصائل الانصار فى مقاطعات موسكو وكالينين وسمولينسك وغيرها . واذ قيدت هذه الفصائل قوات العدو وكبدته خسائر قدمت مساعدة قيمة الى الجيش الاحمر فى الدفاع عن العاصمة .

وكان من الظواهر الجديدة فى الفن العسكرى لدى تحقيق الهجوم المضاد والهجوم الشامل قرب موسكو هو استخدام عدة جبهات لحل المهام المطروحة . وكانت تلك اولى العمليات الستراتيجية لمجموعة من الجبهات استدعتها ضرورة توجيه عدة ضربات على جبهة واسعة الى مجموعة ستراتيجية كبيرة للعدو .

كانت عمليات القوات السوفييتية فى شتاء ١٩٤١ـ١٩٤٢ قد جرت فى ظروف عسيرة للغاية . فالشتاء القارس الكثير الثلج والعدد المحدود للطرق خلقا صعوبات امام المناورة بالقوات والوسائل . وقلل انعدام التشكيلات الكبيرة للدبابات من القوة الضاربة ومن وتائر الهجوم وادى الى الطابع الطويل الامد للعمليات .

وبنتيجة الهجوم الشامل ارغم العدو فى مختلف الاتجاهات على الانسحاب عن موسكو مسافة تتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ كيلومتر واكثر وتكبد خسائر جسيمة .

وكان انتصار القوات السوفييتية حدثا عسكريا حاسما فى السنة الاولى من الحرب الوطنية العظمى وكان اول هزيمة كبرى لالمانيا الفاشية اثناء الحرب العالمية الثانية كلها . وبدد هذا الانتصار الى الابد الاسطورة القائلة بان الجيش الهتلرى لا يقهر ، وقبر نهائيا خطة «الحرب الخاطفة» ضد الاتحاد السوفييتى . وكان اندحار الالمان قرب موسكو بداية التحول الجذرى فى سير الحرب . وكان يعنى ان المغامرة الحربية للهتلريين ضد الاتحاد السوفييتى محكوم عليها بالفشل .

واتسم انتصار الجيش الاحمر قرب موسكو بأهمية دولية كبيرة . فقد عزز سمعة الدولة السوفييتية وقواتها المسلحة على الصعيد الدولى واثر تأثيرا حاسما على تلاحم قوى الائتلاف المعادى للفاشية وساعد على انهاض حركة التحرر الوطنى فى البلدان التى احتلها الهتلريون وفى الدول التابعة لالمانيا .

وبيّن الانتصار قرب موسكو للعالم بأسره افضليات النظام الاجتماعى ونظام الدولة السوفييتية والوحدة العظمى للشعب السوفييتى الملتف حول الحزب الشيوعى .

فقد رأى العالم كله فى انتصار الجيش الاحمر قرب موسكو ليس فقط مظهرا لقوة ومتانة الدولة السوفييتية ، بل وضمانة الهزيمة الحتمية لالمانيا الفاشية فى الحرب العالمية الثانية . وولد هذا الانتصار نهوضا عظيما فى ميدانى السياسة والعمل فى البلاد وعزز ايمان الشعب السوفييتى ومحاربيه بانتصار القضية العادلة ، وكان منبعا جديدا للبطولة الجماهيرية لدى المواطنين فى الجبهة وفى المؤخرة .

وتقديرا للخدمات الجلى التى ادتها موسكو للوطن صدر مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى فى ٨ ايار (مايو) ١٩٦٥ بمنحها لقب التقدير «المدينة البطلة» وتسليمها وسام لينين وميدالية النجمة الذهبية .

عشية الاحداث الحاسمة

استمرار اعادة تنظيم الجيش

حقق الجيش الاحمر انتصاراته الكبرى الاولى وحصل على الخبرة القتالية الضرورية فى العمليات الهجومية قرب موسكو وفى الاتجاهات الاخرى على الجبهة السوفييتية الالمانية .

وانتهى بصورة اساسية تحويل الاقتصاد الوطنى فى البلاد الى الانتاج لاجل الحرب . وساعد ذلك على تحقيق زيادة مطردة فى صنع المنتوج الضرورى للجبهة . ففى النصف الاول من عام ١٩٤٢ تم صنع اكثر من ١,٩ مليون بندقية وبندقية قصيرة ، واكثر من ٦١٤ الف رشاش ورشاش قصير و ١٤٨ الف مدفع ومدفع هاون وحوالى ١١٢٠٠ دبابة وحوالى ٨١٥٠ طائرة حربية . والى جانب الزيادة الكمية للتكنيك الحربى اخذت تتوارد على القوات نماذج جديدة من المدافع والبنادق المضادة للدبابات والرشاشات القصيرة الاكثر جودة . وبدأ على نطاق واسع صنع دبابات «ت ــ ٣٤» الممتازة والطائرات الجديدة ــ المقاتلة والهجومية .

وتعززت كذلك مكانة الاتحاد السوفييتى الدولية . كما تعزز الائتلاف المعادى للفاشية . واصدرت ٢٦ دولة بيانا مشتركا التزمت فيه باستخدام كل قواها لمكافحة المعتدين .

الا ان العبء الاساسى للحرب مع المانيا الفاشية وقع على كاهل الشعب السوفييتى وقواته المسلحة التى تقوت كثيرا حتى اواسط عام ١٩٤٢ . ان زيادة نماذج التكنيك والاسلحة الجديدة لدى القوات وتعميم خبرة القتال وكذلك ضرورة اضفاء استقرار اكبر على القوات فى الدفاع وقوة المناورة فى الهجوم ــ كل ذلك تطلب تحقيق جملة من التدابير الخاصة بتحسين تركيب القوات المسلحة .

وفى ايار ــ حزيران (مايو ــ يونيو) ١٩٤٢ حلت القيادات الرئيسية للاتجاهات واصبحت الجبهات خاضعة لمقر القيادة العامة العليا مباشرة .

وبما ان قائد الجيش كان من الصعب عليه ان يوجـــه الفرق مباشرة ، فقد تم خلال عام ١٩٤٢ تشكيل ٢٨ ادارة فيلقية . واضيف الى قوام الجيش فوج الدفاع الجوى . وبدأ تاليف الفيالق من فرق الحرس . وفى الصيف بدأ تكوين جيوش الحرس . وفى ٢١ ايار (مايو) تم استحداث شارة صدرية باسم «الحرس» لافراد قطعات الحرس .

وفى آذار (مارس) ١٩٤٢ اخذت تتكون فيالق مستقلـــة للدبابات ، وفى ايلول (سبتمبر) تشكلت الفيالق الميكانيكية . وفى ٢٥ ايار (مايو) صدر امر مقر القيادة العامة العليا حول تشكيل جيشين للدبابات من النوع المختلط . وكان لكل منهما فيلقـــان للدبابات ولواء مستقل للدبابات وفرقة للمشـــاة . وفى الوقت ذاته تشكلت افواج مستقلة للدبابات .

وحدثت تغيرات فى التركيب التنظيمـــى لوحدات وتشكيلات المدفعية ايضا . ففى خريف ١٩٤٢ اخذت تتشكل فرق المدفعية لاحتياطى القيادة العامة العليا وفرق المدفعية المضادة للجو . والى جانب الكتائب المستقلة التى كانت موجودة سابقا اخذت تتكون افواج المدفعية الصاروخية (مدافع «كاتيوشا») . وتسلحت وحدات المدفعيـــة بمدفع جديد مضاد للدبابات من عيار ٤٥ ملم ومدفع فرقى من عيار ٧٦ ملم . واعتبـــارا من نيسان (ابريل) ١٩٤٢ بدأت تتشكل الوية الهندسة الخاصة التابعة لاحتياطى القيادة العامة العليـــا وكذلك افواج البونتون الثقيلـــة وغير ذلك من الوحدات الهندسية .

وتحول سلاح جو الجبهات الى الجيوش الجوية . وحتى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٢ بلغ عدد هذه الجيوش ١٣ جيشا . واعتبارا من خريف العام ذاته بدأ تشكيل الفيالق الجوية التابعة لاحتيـــاطى القيادة العامة العليا ، وبلغ عدد هذه الفيالق حتى نهاية العام المذكور تسعة فيالق . وتحول طيران القصف الثقيل والبعيد المدى الى طيران

بعيد المدى، وهو خاضع مباشرة لمقر القيادة العامة العليا . وتحسن التركيب التنظيمى لقوات الدفاع الجوى . وتشكلت الجحافل العملياتية وهى جيش باكو وجيش لينينغراد للدفاع الجوى وجبهة موسكو للدفاع الجوى .

وجرى عمل واسع للغاية فى مجال اعداد الكوادر القيادية . فطوال عام ١٩٤٢ قدمت المدارس والدورات العسكرية للجيش الاحمر اكثر من ٥٦٤ الف ضابط . الا ان عدد الضباط ظل غير كاف . ولذلك تم فتح ٢٤ مدرسة عسكرية اضافية لاعداد قادة الفصائل . وكان اعداد صغار الضباط يجرى فى القوات مباشرة .

ومع ذلك فالخسائر التى تكبدها الجيش الاحمر فى بداية الحرب من حيث الكوادر ظلت تترك اثرها بصورة ملحوظة . ولم يكن للامدادات الجديدة الاعداد العسكرى المطلوب والخبرة القتالية اللازمة . وكانت الفرق الجديدة التى ترسل الى الجبهة تعانى من نقص كبير فى الافراد والسلاح .

وبصورة عامة فقد تعزز الجيش الاحمر كثيرا فى عام ١٩٤٢ وازدادت مهارة القوات القتالية وصلابتها وقدرتها القتالية . وحتى ايار (مايو) ١٩٤٢ كان الجيش المقاتل والاسطول يضمان ٥,٥ ملايين شخص واكثر من ٤٣ الف مدفع ومدفع هاون واكثر من ٤٠٠٠ دبابة و ٣١٦٠ طائرة حربية .

الا ان القيادة الفاشية الالمانية انتهزت فرصة عدم وجود جبهة ثانية فى اوروبا فوجهت قوات اضافية ضد القوات السوفييتية. وحتى ايار (مايو) ١٩٤٢ حشدت هذه القيادة هنا ٢٢٦ فرقة باكثر من ٦,٢ ملايين شخص واكثر من ٣٢٠٠ دبابة ومدفع هجومى وحوالى ٤٣ الف مدفع ومدفع هاون وحوالى ٣٤٠٠ طائرة حربية .

وهكذا ، كان التفوق من حيث الافراد والطائرات حتى بداية الحملة الصيفية الى جانب الجيش الفاشى الالمانى ، بينما كان للجيش الاحمر تفوق غير كبير من حيث عدد الدبابات . الا ان قسما كبيرا من الدبابات السوفييتية كان لا يزال من الطرازات العتيقة .

الدفاع والتراجع

كان وجود بعض دلائل تحضير العدو للانتقال الى الهجوم فى عدة اقسام من الجبهة اشارة الى انه يحاول انتزاع المبادرة الستراتيجية .

وفى هذا الوضع قررت القيادة العامة العليا السوفييتية الانتقال الى الدفاع الستراتيجى المؤقت . وكان مقررا ارهاق واستنزاف مجموعات العدو الضاربة فى عمليات دفاعية نشيطة ، وبالتالى تهيئة الظروف لانتقال القوات السوفييتية الى الهجوم الحازم . وكان مقررا فى الوقت ذاته القيام بعمليات هجومية جزئية فى مناطق لينينغراد وديميانسك وخاركوف وفى القرم والاتجاهات الاخرى .

وكانت القيادة الهتلرية قد خططت لعمليات هجومية واسعة فى صيف ١٩٤٢ . ففى ٥ نيسان (ابريل) اصدر مقر الفوهرر التوجيه رقم ٠٤١ وطرح التوجيه مهمة انتزاع المبادرة الستراتيجية من جديد والقيام بهجوم حازم لتحطيم بقية قوات الجيش الاحمر واحتلال المراكز السياسية والاقتصادية فى الاتحاد السوفييتى . وقرر العدو من اجل تنفيذ عمليته الرئيسية ان يحشد كل ما لديه من القوات فى الجنوب لغرض دحر الجناح الايسر للقوات السوفييتية والاستيلاء على المناطق الزراعية فى الدون وكوبان ، ومن ثم على القفقاس بما فيه من احتياطيات البترول الغنية . وكان هتلر ينوى فى الوقت ذاته الوصول الى الفولغا فى منطقة ستالينغراد ظانا بانه سيستطيع لدى بلوغ هذا الهدف ان يجر تركيا الى الحرب ضد الاتحاد السوفييتى .

وبالاضافة الى الهجوم على القفقاس خطط العدو للاستيلاء على القرم كليا واجراء عمليات هجومية جزئية قرب لينينغراد ونوفغورود وفى منطقة نهر دونيتس الشمالى وفى اتجاه موسكو .

وكما يحدث ذلك فى الحرب غالبا ، تعكر الهدوء فى الجبهة بغتة .

ففى ٨ ايار (مايو) وجهت عشر فرق فاشية المانية ضربة الى قوات جبهة القرم فى شبه جزيرة كيرتش . وبالرغم من البطولة والصمود اللذين ابداهما المحاربون السوفييت اخترق العدو الدفاع واستولى على فيودوسيا من جديد . ولم يستطع قائد الجبهة الجنرال كوزلوف وممثل مقر القيادة العامة العليا ميخليس ان ينظما تصفية الاختراق المذكور . وامكن اجلاء حوالى ١٢٠ الف محارب من التشكيلات المدافعة الى شبه جزيرة تامان ، ولم يبق لقسم من هذه القوات متسع من الوقت لعبور مضيق.كيرتش فظل فى الاراضى التى يحتلها العدو ، وانتقل هذا القسم الى ممارسة عمليات الانصار .

وبعد اخفاق القوات السوفييتية فى معركة كيرتش تهيأت للقيادة الفاشية الالمانية امكانية تحشيد كافة القوات المحاربة فى القرم للهجوم على سيباستوبول .

وفى ٧ حزيران (يونيو) انتقل العدو الى الهجوم . ومادت الارض بقوة انفجارات القنابل الجوية وقذائف المدفعية . وقاوم حماة سيباستوبول بصمود متناه وبطولة لا مثيل لها . الا ان قواهم كانت تذوب بالتدريج . وفى ٤ تموز (يوليو) غادرت قواتنا المدينة بناء على امر من القيادة السوفييتية . واستمر الدفاع البطولى عن سيباستوبول ٢٥٠ يوما . وحقق حماة المدينة مأثرة عسكرية عظمى . وقد منح ٣٧ من اكثرهم بسالة اللقب السامى - بطل الاتحاد السوفييتى . ومنحت ميدالية «الدفاع عن سيباستوبول» لاكثر من ٣٩ الف من المحاربين وسكان المدينة .

واتسم الدفاع عن سيباستوبول بأهمية عسكرية وسياسية كبرى . فان قوات كبيرة معادية كانت مقيدة هناك لفترة طويلة ، مما ادى الى احباط خطط القيادة الفاشية فى استخدام هذه القوات فى اتجاهات اخرى . واستنزفت قوى الجيش الالمانى الحادى عشر .

وحدثت فى ذلك الحين احداث لا تقل اهمية عن تلك فى الاتجاهات الاخرى ايضا . فمن ١٢ الى ٢٨ ايار (مايو) ١٩٤٢ قامت القوات

السوفييتية التابعة للجبهة الجنوبية الغربية بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتي تيموشينكو بعملية خاركوف الهجومية . فطوال خمسة ايام قطعت قواتنا عبر المعـــارك حتى ٤٠ـ٥٠ كيلومترا . الا ان الضربة المباغتة التي وجهتها مجموعة الدبابات القوية بقيادة الجنرال كليست في صباح ١٧ ايار (مايو) جعلت هـــذا الهجوم مهددا بالفشل . وبدأ هجوم الالمـــان المضاد تحت الاسم الاصطلاحي « فريدريكوس » . وتوغلت الدبابات الالمانية في عمق الدفاع فاحتلت بارفينكوفو ووصلت الى مؤخرة مجموعتنا الضاربة .

وتكون موقف عصيب خصوصا في ٢١ـ٢٢ ايار (مـــايو) عندما استطاع الهتلريون ان يفصلوا القوات السوفييتية عن المعابر على نهر دونيتس الشمالي . وفي ٢٣ـ٢٦ ايار (مايو) جـــرت محاولات عديدة لفك حلقة الحصار ، ولكن دون جـــدوى . وحتى اواخر الشهر المذكور لم تستطع الخروج من الطوق الا فصـــائل متفرقة من القوات السوفييتية .

وكان سبب الاخفاق هنا ان القيادة العامة لـــلاتجاه الجنوبي الغربي اخطأت في تقـــدير الموقف في منطقـــة خاركوف وخرجت باستنتاجات خاطئة بشأن نوايـــا العدو . ولم يكن هجوم الجبهـــة الجنوبية الغربية معززا بعمليات نشيطة من قبل الجبهات المجاورة . وكان اعداد العمليـــة قد طال امده ، ولم تتخذ الاجراءات اللازمـــة لتأمين الجناحين . وكان قرار وقف الهجوم قد اتخذ متأخرا جدا . ونتيجة لاخفاقاتنا في القرم وقرب خاركوف انتقلت المبـــادرة الى ايدي العدو .

وفي ٢٨ حزيران (يونيو) خرقت قوات مجموعـــة الجيش « فيخس » الفاشية دفاع جبهة بريانسك وصارت تتابع هجومها في اتجاه فورونيج . ونشبت معارك دموية ضارية . وبالرغم من البطولة المتناهية والبسالة الفائقـــة لدى المحـــاربين السوفييت استطاع الهتلريون ان يصلوا الى فورونيج ويوجهوا ضربة في الاتجاه الجنوبي .

ولغرض تلافى التطويق بدأت قوات الجبهة الجنوبية بالانسحاب الى خط نهر الدون . وتركت الدونباس . وفى ٢٤ تموز (يوليو) وبعد معارك طاحنة احتل العدو روستوف . وادى اخفاق العمليات الدفاعية للقوات السوفييتية وانسحابها الى تكون فجوة هائلة عرضها ١٧٠ كيلومترا فى الدفاع على الجناح الجنوبى للجبهة السوفييتية الالمانية. وتهيأت للعدو امكانية استخدام قواته الاساسية لمتابعة الهجوم على القفقاس واستخدام قوات الجيش السادس للهجوم على ستالينغراد .

على مشارف ستالينغراد

كانت اشد معارك صيف ١٩٤٢ قد جرت فى اتجاه ستالينغراد حيث هجمت مجموعة الجيوش « ب » التى كانت تضم الجيش الميدانى السادس بقيادة الجنرال باولوس . وكان هذا الجيش يتألف من ١٣ فرقة للمشاة و ٥ فرق للدبابات .

وللحيلولة دون وصول العدو الى ستالينغراد بدأت القيادة السوفييتية على عجل لغرض سد الثغرة فى الجناح الجنوبى للجبهة السوفييتية الالمانية بارسال الجيوش الـ٦٣ و٦٢ و٦٤ من احتياطيها الى خط نهر الدون . وخرج الى الاتجاه الرئيسى الجيش الثانى والستون بقيادة الجنرال كولباكتشى ، وهو الجيش الذى تشكل فى ستالينغراد . وبالرغم من المسيرة الصعبة المرهقة تقوم الجيشان الـ٦٢ و٦٣ فى الوقت المناسب ، بينما تأخرت تشكيلات الجيش الرابع والستين فى الطريق . وطوال بضعة ايام اعدت الفرق مواقع النيران واوكار الرشاشات وحفرت الخنادق وخنادق الاتصال وزرعت حقول الالغام .

وفى ١٢ تموز (يوليو) انضمت قوات هذه الجيوش الى جبهة ستالينغراد التى تشكلت حديثا بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتى تيموشينكو ، ومن ثم بقيادة الجنرال غوردوف اعتبارا من ٢٣

تموز (يوليو) . وفى ١٧ تموز (يوليو) اشتركت هذه القوات فى القتال لاول مرة .

وكانت جبهة ستالينغراد آنذاك تضم ٣٨ فرقة ، لم تكن كاملة التجهيز والتجنيد منها الا ١٨ فرقة فقط .

واضطرت المقاومة الصامدة للقوات السوفييتيـــة العدو الى ارسال قوات جديدة الى اتجـــاه ستالينغراد . وحتى اواخر تموز (يوليو) كانت تحارب فى منعطف نهر الدون حتى ٣٠ فرقة معادية . وبالرغم من التفوق الكبير فى القوات والوسائل لم يستطع الهتلريون متابعـــة انتصـــارهم فى قطاع الجيش الثانى والستين ولم يستطيعوا احتلال المعابر على نهر الدون بمنطقة كالاتش .

وعندها وجه العدو جهوده الى جنوبى تلك المنطقـــة ، اى الى قطاع الجيش الرابع والستين . وفى هذا الاتجاه استطاع الفاشست ان يصلوا الدون وان يستـــولوا على المعبر فى منطقـــة نيجنى ـ تشيرسكايا . ولكنه بنتيجة الضربة المضادة التى وجهت فى ٣٠ تموز (يوليو) تم وقف العدو هنا ايضا . واضطرت القيادة الهتلريـــة الى تحويل جيش الدبابات الرابع من اتجاه القفقاس الى ستالينغراد . واخترق الالمان الى كوتيلنيكوفو وصاروا يشكلون خطرا مباشرا بالاختراق والتوغل فى المدينة من جهة الجنوب الغربى .

وفى ٢٨ تموز (يوليو) اصدر القائد العام الاعلى ستالين الامر رقم ٢٢٧ الذى جاء فيـــه «ان التراجع الى ابعـــد يعنى قتل النفس والفتك بوطننا فى الوقت ذاته» . والزمت القوات بعدم التراجع «ولو لخطوة واحدة الى الوراء» . واتسم هذا الامر باهمية هائلة فى رفع الروح المعنوية والسياسية للقوات وفى تربية الانضباط الحديدى لديها والصمود فى الدفاع .

وفى ٥ آب (اغسطس) قسم مقر القيادة العامة العليا جبهـــة ستالينغراد الى جبهتين هما جبهـــة ستالينغراد بقيـــادة الجنرال غوردوف والجبهة الجنوبية الشرقيـــة التى عين لقيادتهـــا الجنرال

يريمينكو . ولغرض معاونـــة قيـــادة هاتين الجبهتين ارسل الى ستالينغراد رئيس الاركان العامة الجنرال فاسيليفسكى ، وفيمــا بعد جنرال الجيش جوكوف .

وفى ٧ آب (اغسطس) اخترقت مجموعة قوات العدو المكونة من اربع فرق تابعة لجيش الدبابات الرابع الى منطقة ابغانيروفو . وفى ٩ ـ ١٠ آب (اغسطس) وجه الجيش الرابع والستون بقيـادة الجنرال شوميلــوف ضربة مضادة شديدة الى العدو هنا . واضطر العدو الى الانتقال الى الدفاع ، ولم يستطع الهجوم طوال عشرة ايام .

وفى الوقت الذى اندفع فيه العدو الى ابغانيروفو قام بالهجوم كذلك فى شمال غربى كالاتش ومن منطقة نيجنى ـ تشيرسكايـا . وفى ٨ آب (اغسطس) طوق العدو تشكيلات الجيش الثانى والستين التى ارهقتها المعارك السابقة . وانسحبت ثلاث فرق لهذا الجيش مع متابعة خوض المعركة الى الضفة الشرقية من نهر الدون .

وطوال شهر تقدمت قوات العدو مسافة ٦٠-٨٠ كيلومترا ووصلت بصعوبة كبيرة الى النطاق الدفاعى الخارجى ، حيث تم وقفها هناك . ونتيجة للعمليات الحربية عند المشارف البعيدة لستالينغراد استطاعت القوات السوفييتية التى دافعت فى ظروف عسيرة للغاية وابدت فى ذلك بطولة وصمودا لا مثيل لهما ان تحبط نوايا العدو فى الوصول الى الفولغا رأسا . ومع ذلك فقـد ظل الموقف شديـد التوتر .

وفى ذلك الحين عبرت مجموعة معاديـــة قويـة فى ٢٥ تموز (يوليو) نهر الدون قرب روستـــوف واسرعت الى قرى كوبـــان القوزاقية الغنيـــة والى ابراج بترول القفقـــاس . ولم تكن القوات السوفييتية التى انهكتها المعارك الطاحنة السابقة لتستطيع تحمـل ضربة قوات العدو التى تفوقها ، فاخذت تنسحب الى الجنوب والى الجنـــوب الشرقى . وفى ٢ آب (اغسطس) استطاع الهتلريـون ان يحتلوا سالســـك ، كما احتلوا ارمافير فى ٥ منـــه . وفى ٦ آب

(اغسطس) تابعت قوات العدو هجومها . وكانت الفرق السوفييتية المنسحبة تحت ضربات قوات العدو المتفوقة تنتقل هى ايضا الى الهجمات المضادة مسببة للعدو خسائر فادحة . ولكن ذلك لم يوقف العدو الذى استمـــــر يندفـــع الى الامام واحتل مايكوف فى ١٠ آب (اغسطس) ، وفى اليوم التالى اضطرت القوات السوفييتيـــة الى مغادرة كراسنودار والانسحاب الى ما وراء نهر كوبان . ولم تفلح محاولات الفرق الفاشية اليائسة لاحتلال توابسيه الواقعة على ساحل البحر الاسود . فقد اوقف العدو على بعـد ٤٠ ــ ٦٠ كيلومترا عن ساحل البحر الاسود .

وقد احبطت محاولات العدو فى متابعة الهجوم على توابسيـــه وباتومى نتيجـــة للمقاومة العنيدة التى ابداها الجيش السابـــع والاربعون ، وهو الجيش الذى اخذ يقوده الجنرال غريتشكو اعتبارا من ٨ ايلول (سبتمبر) .

وحتى اواخر ايلول (سبتمبر) تم وقف هجوم القوات الفاشية الالمانية فى القفقاس على كافة الاتجاهات . وتحسن الموقف بالنسبة للقوات السوفييتية . الا ان القيادة الفاشية الالمانيـــة لم تتخل عن نواياها لاحتلال القفقاس .

واستمرت العمليات الدفاعية للقوات السوفييتية فى شمـــال القفقاس طوال اكثر من خمسة أشهر . وشاركت فيها عدة جبهات . وصدت هذه الجبهات على التعاقب ضربات العدو واستنزفت قواه وهيأت الظروف للهجـــوم . وقدم اسطول البحر الاسود واسيطيلا آزوف وقزوين مساعدة كبيرة للقوات البرية . فخلال العمليـــات الدفاعيـــة نقلت السفن الحربيـــة عن طريق البحر حوالى ٢٠٠ الف شخص و ٢٥٠ الف طن من مختلف الشحنات ، وساعدت القوات البرية بنشاط ، وذلك بتأمين طـــرق المواصلات السوفييتية على محاذاة السواحل القفقاسية .

وهكذا ، فبالرغم من ان العدو استطاع ان يحتل قسما كبيرا

من اراضى القفقاس الشمالى وكوبان ، لم يستطع قهر المقاومة العنيدة للقوات السوفييتية ولم يستطع السيطرة على مصادر البترول الغنية . ولقد احبطت جهود الجيش الاحمر البطولية خطط القيادة الفاشية الالمانية الرامية الى احتلال القفقاس .

الا ان اتجاه ستالينغراد اكتسب فى اواسط آب (اغسطس) اهمية خاصة فى خطط القيادة الهتلرية . واصبح الهدف الستراتيجى الرئيسى للعدو هو احتلال ستالينغراد والوصول الى شواطىء الفولغا .

ولم يبق امام الفاشست الا حوالى ٦٠ كيلومترا من شواطىء الدون حتى شاطىء الفولغا عند ستالينغراد . وكانت تلاعب خيال القيادة الفاشية اوهام انجاز الحملة على الشرق .

وفى ١٩ آب (اغسطس) زحفت الجحافل الفاشية من جديد بمجموعتين من قواتها باتجاه الطرفين الشمالى والجنوبى لستالينغراد . ودوى فى منطقة الدون من جديد هدير المدافع . وفى ٢٣ آب (اغسطس) استطاعت مجموعة الدبابات التابعة للجيش السادس بقيادة الجنرال باولوس ان تخترق الدفاع فتصل الى الفولغا شمالى ستالينغراد . وانقسمت بذلك القوات السوفييتية الى قسمين يفصل بينهما ممر عرضه ٨ كيلومترات . واتخذت قيادة جبهة ستالينغراد الاجراءات الرامية لابادة المجموعة المتوغلة . ولكنها لم تتمكن من تصفية العدو فى هذه المنطقة .

وفى ٢٣ آب (اغسطس) وجه العدو حمم القصف الجوى البربرى الى ستالينغراد . وكانت طائرات الاسطول الجوى بقيادة ريتغوفين قد خيمت على المدينة منذ الصباح واستمرت حتى ساعة متاخرة من المساء توجه الضربات الى احياء السكن . وكانت هذه الطائرة قد قامت بـ ٢٠٠٠ طلعة آنذاك . وفى المعارك الجوية اسقطت الطائرات السوفييتية اكثر من ٩٠ طائرة معادية .

ولغرض الهاء قوات العدو عن المدينة قامت القوات

السوفييتية فى ايام ٢٠-٢٣ آب (اغسطس) بهجوم فى منطقة كوتوفسكى . فاستولت على رؤوس جسور على نهر الدون وارغمت العدو على ارسال قسم كبير من قوات الجيش السادس الى الشمال ، مما سهل بعض الشيء حالة حماة المدينة . ومع ذلك خاض المحاربون السوفييت فى الليل والنهار عند مشارف المدينة مناوشة مستميتة مع قوى العدو المتفوقة .

وفى ٢٤ آب (اغسطس) كان ٣٣ محاربا سوفييتيا من فرقة المشاة السابعة والثمانين يدافعون عن احد المرتفعات فى منطقة مالايا روسوشكا . وترأس مجموعة الجنود هذه الملازم الثانى ستريلكوف والقائد السياسى يفتيفييف . وقبيل المساء سمعوا هدير محركات وصليل الحديد ، فاشرأبوا باعناقهم من الخنادق فشاهدوا حوالى ٢٠ دبابة معادية تزحف نحوهم . واختبأ المحاربون فى الخنادق منتظرين وصول اولى الدبابات ، فانهالوا عليها حال وصولها بالنيران الدقيقة من البندقية المضادة للدبابات ، واخذوا يلقون عليها بالقنابل اليدوية المضادة للدبابات وبالقنانى الحارقة . فاشتعلت النيران فى دبابة ، وثانية ، فثالثة . وبعد ان فقد الهتلريون دبابتين اخريين ، لم يطيقوا ذلك وعادوا على اعقابهم .

وبالرغم من المقاومة العنيدة والبطولة الفائقة للقوات السوفييتة ظل الموقف العام فى تردّ مستمر . وكان العدو يقوى ضربته . وفى آب (اغسطس) زج فى المعركة شمال غربى ستالينغراد الجيش الايطالى الثامن وفى ايلول (سبتمبر) زج الجيش الرومانى الثالث فى المعركة الى يمين الجيش الايطالى . وحتى اواخر ايلول (سبتمبر) كانت مجموعة جيوش «ب» تضم اكثر من ٨٠ فرقة ، بينما ظلت فى القفقاس حوالى ٣٠ فرقة كالسابق . وتطلبت القيادة الهتلرية من قواتها احتلال المدينة مهما كلف الامر .

ولغرض احباط خطط العدو وجه مقر القيادة العامة العليا الى منطقة ستالينغراد احتياطيات جديدة هي الجيشان الـ ٢٤ و ٦٦

وطلب زيادة النشاط الحربى من الجيش الحادى والعشرين وجيش الحرس الاول . وفى الخامس من ايلول (سبتمبر) انتقلت القوات الاساسية للجيش الرابع والعرشين وجيش الحرس الاول والجيش السادس والستين الى الهجوم لغرض دحر المجموعة الفاشية التى اخترقت الى الفولغا ولغرض الاتصال مع حماة المدينـــة والهاء القوات المعادية التى هجمت على ستالينغراد . وفى المنطقة مــــن ساموفالوفكا حتى يرزوفكا نشبت معارك طاحنة استمرت حتى نهاية ايلول (سبتمبر) . ولم تستطع هذه القوات السوفييتية ان تصل الى حماة ستالينغراد ، الا ان العدو هو ايضا اضطر الى توجيـــه قوات كبيرة ضد مجموعتنا المهاجمة ، وبذلك اضعف الهجوم على الفرق المدافعة عن المدينة . واحبطت من جديد محاولة وصول العدو الى الفولغا على جبهة واسعة . وبالرغم من ذلك استمر توتر الوضع فى الازدياد . فقد كانت قوات العدو قريبة الى درجة ان قذائفها وقنابلها اصبحت تتفجر ليس فقط فى اطراف ستالينغراد بل وفى وسطها ايضا .

الدفاع البطولى عن ستالينغراد

وعند الثانى عشر من ايلول (سبتمبر) حلت لحظة كان من الممكن ان تبدو متابعة الدفاع فيها عن ستالينغراد امرا لا جدوى منه ، بل ومستحيلا . فقد وصل الالمان الى الفولغا شمالى المدينة ، واقتربوا من الفولغا جنوبها . وكانت المدينة تمتد طولا على مسافة ٦٥ كيلومترا ولا يزيد عرضها فى اى مكان على خمسة كيلومترات ، وكان الالمان قد احتلوا اطرافها الغربية على امتداد طولها كله تقريبا .

وانيطت مهمة الدفاع عن القسم الاساسى من المدينة بقوات الجيش الثاني والستين الذي صار الجنرال تشويكوف قائدا له منذ

١٢ ايلول (سبتمبر) . وكانت المناطق الجنوبية من المدينة يدافع عنها الجيش الرابع والستون بقيادة الجنرال شوميلوف .

وفى صباح ١٣ ايلول (سبتمبر) بدأ الفاشست هجومهم على المدينة . ومنذ ذلك اليوم بدأت معركة لا مثيل لها من حيث الصمود والشدة من اجل المدينة ، وهى معركة استمرت حتى ٢ شباط (فبراير) ١٩٤٣ دون ان تتوقف ولو ليوم واحد .

وفى ١٤ ايلول (سبتمبر) استطاع العدو ان يشق الدفاع فى منطقة محطة ستالينغراد الاولى ويصل الى القسم الاوسط من المدينة . ولغرض تعزيز الدفاع وتصفية مجموعة العدو التى دخلت المدينة ارسلت الى المدينة على عجل فى ليلة ١٥ ايلول (سبتمبر) فرقة حرس المشاة الثالثة عشرة بقيادة الجنرال روديمتسيف . وانخرط افراد الفرقة من المعبر مباشرة فى الهجوم على الفاشيين الزاحفين دون ان يعبأوا بشىء واوقفوا زحف العدو ، وفى بعض الاقسام ارغموه على التقهقر .

واستمرت المعارك الطاحنة فى القسمين الاوسط والجنوبى من المدينة حتى٢٦ ايلول (سبتمبر) . وبالرغم من المقاومة الصامدة التى ابدتها القوات السوفييتية استطاع العدو مع ذلك ان يستولى على قسم كبير من المدينة جنوبى نهر تساريتسا وان يصل الى الفولغا فى قسم واسع . وتعقد بصورة اكبر الموقف فى قطاع دفاع الجيش .

لقد قال ليونيد ايليتش بريجنيف فى الخطاب الذى القاه فيما بعد فى حفلة افتتاح التشكيلة التذكارية المنحوتة فى فولغوغراد (ستالينغراد سابقا) ما يلى : «تصوروا للحظة ما حدث آنذاك . ففى الانقاض التى يتصاعد منها الدخان فى المدينة الهائلة جرت معركة مستميتة . كانت الجدران تنهار وكان اللهيب يلتهم البترول الذى انساب على الفولغا . وكان زئير الطائرات المنقضة يختلط بصرير الدبابات، وامتزجت آلاف الانفجارات مشكلة دويا مستمرا ؛

وكان يبدو مستحيلا فى بعض الاحيان ان يظل المرء حيا وان يصمد فى خضم النيران هذا» .

وفى الفترة من ٢٧ ايلـــول (سبتمبر) حتى ٨ تشرين الاول (اكتوبر) نشبت معارك طاحنة من اجل قصبات عمال المصنع فى منطقة اورلوفكا . وقام البحار الحربى بانيكاخا هنا بمأثرة بطولية تشبه مأثرة البطل الاسطورى دانكو فى حكاية مكسيم غوركى ، حيث اشعل قلبه فى سبيل سعادة البشر . فاثناء صد هجوم العدو عند قصبة كراسنى اوكتيابر يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) نفدت كافة القنابل اليدوية لدى بانيكاخا فامسك بقنينة حارقة ورفع يده لكى يلقى بها على دبابة المانية . ولكن رصاصة اصابت القنينة فى هذه اللحظة . فالتهب البحار كشعلة حية فأسرع لملاقاة دبابة العدو على مرأى من رفاقه المدهوشين . وكانت فى يده قنينة اخرى القى بها على شبكة محرك الدبابة . وعندها ابتلعته كتلة هائلة من النار والدخان . لقد احترق ميخائيل بانيكاخا . ولكن نور مأثرته صار منارا اقتدى به المحاربون الآخرون . ومنح ميخائيل بانيكاخـــا بعد موته وسام الحرب الوطنية من الدرجة الاولى وذلك تقديرا لمأثرته هذه .

وجرت آنذاك معارك طاحنة ليس فقط على الارض ، بل وفى الجو ايضا . ففى بعض الايام كان كل طيار سوفييتى يقوم بـ ٨ــ١٠ طلعات يوميا . وما يكاد الطيار يهبط للتزود بالوقود والذخيرة حتى يرتفع الى الجو من جديد فيشتبك فى معركة . وقدم سلاح الجو مساعدة كبرى للقوات فى مكافحة الدبابات والطائرات الفاشية . وخاضت حوالى ٧٥٪ من الطائرات الحربية الصراع ضـــد قوات العدو فى ساحة المعركة مباشرة .

وفى المرحلة الختامية من المعركة ، اى فى الفترة من ٤ تشرين الاول (اكتوبر) حتى ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر) اشتد الصراع من اجل مصنعى «كراسنى اوكتيابر» (اكتوبر الاحمر) و «باريكادى»

(المتاريس) ، وكذلك فى منطقة السوق . وفى تلك الاثنـــاء زاد العدو من قواته حتى وصلت الى ١٢ فرقة . وتقلص عرض قطاع دفاع الجيش الى ٢٥ كيلومترا ، ولم يتجـــــاوز عمقه ٠,٥ـ٣ كيلومترات . وتحولت المدينة الى انقاض ، وكانت الوحدات تعانى من نقص فى الافراد وفى الوسائل النارية ، وكان المحاربون منهكين من المعارك المستمرة بلا انقطاع . واستولى العدو على المرتفعات المشرفة وتهيأت له امكانية الرؤية بعيدا واطلاق النار على المنطقة ليس فقط بواسطة المدفعية ، بل وبواسطة البنادق والرشاشات على كل عمق الدفاع . وضيقت المناورة بقوات ووسائل الجيش . واضطرت قواتنا الى توزيع القسم الاكبر من المدفعية على الضفة الشرقية لنهر الفولغا . وتم تجهيز وفتح اركان الجيش واركانات الفرق فى الجرف المنحدر للضفة الغربية للنهر على بعد ٢٠٠ـ٨٠٠ متر عن الخط الامامى للدفاع .

وفى ٢٨ ايلول (سبتمبر) استبدل اسم جبهة ستالينغراد بجبهة الدون ، وفى ٣٠ منه عين الجنرال روكوسوفسكى قائدا للجبهة . وفى الوقت ذاته استبدل اسم الجبهة الجنوبية الشرقية بجبهـــــة ستالينغـــــراد ، واستمر الجنرال يـــــريمينكو قائدا لها .

ولعبت دورا هاما فى احباط محاولات العـــــدو لاحتـــــلال ستالينغراد العمليات النشيطة للقوات السوفييتية فى الاتجاهـــــات الاخرى ، المجاورة . ففى ايلول ــ تشرين الاول (سبتمبـــــر ــ اكتوبر) قامت القوات السوفييتية بعدة عمليات هجومية شمال غربى وجنوبى ستالينغراد ، وبذلك الهت قسما من قوات العدو ، رئيس ذلك فحسب ، بل واحتلت المضايق بين البحيرات جنوبى المدينة .

ولعب اسيطيل الفولغا دورا كبيرا فى تامين كل ما هو ضرورى لاعاشة حماة المدينة وخوضهم المعركة . فان سفن هذا الاسيطيل

نقلت عبر الفولغا عشرات الآلاف من المحاربين وآلاف الاطنان من الشحنات تحت وابل من نيران مدفعية العدو وقصفه الجوى ، كما دعمت بنيران مدافعها قطعات المشاة على الدوام .

وفى العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) بدأ العدو هجمات مسعورة ضد وحداتنا المدافعة عن مصنع التراكتورات . واغارت مئات الطائرات الفاشية بشكل موجات على ترتيباتنا القتالية . وكان العدو يسعى للوصول الى الفولغا مهما كلف الامر .

وفى يوم ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) فقط ، اى اليوم الذى حدده هتلر كآخر موعد لاحتلال ستالينغراد ، استطاع العدو الاستيلاء على منطقة مصنع التراكتورات وان يصل الى الفولغا على خط طوله حوالى ٢,٥ كيلومتر . ونتيجة لذلك تعقد كثيرا موقف قوات جيشنا الثانى والستين . فقد فصل العدو مجموعة العقيد غوروخوف عن القوات الاساسية لجيشنا . ومع ذلك لم يتمكن الجنرالات الفاشست والفرق الفاشية من تنفيذ امر الفوهرر . فقد احبط الابطال السوفييت العمالقة بصمودهم وبطولتهم التى لا نظير لها فى الدفاع عن مواقعهم خطة احتلال المدينة البطلة .

وفى ١١ تشرين الثانى (نوفمبر) اخترق العدو فى منطقة غير كبيرة خط الدفاع فوصل الى الفولغا جنوبى مصنع «المتاريس» . ونتيجة لذلك اصبحت القوات السوفييتية المدافعة عن ستالينغراد مجزأة الى ثلاثة اجزاء . فالقوات الاساسية للجيش الثانى والستين كانت تدافع بصمود عن كافة اراضى مصنع «كراسنى اوكتيابر» تقريبا ، والقسم الضيق من المدينة الواقع على ضفة الفولغا انتهاء بهنر تساريتسا تقريبا . وكانت مجموعة العقيد غوروخوف تشغل منطقة السوق وقصبة سبارتانوفكا . وكانت فرقة المشاة الـ ١٣٨ بقيادة العقيد لودنيكوف تدافع عن القسم الشرقى من مصنع «المتاريس» . وفى ١٤ تشرين الثانى (نوفمبر) بدأ تجمد المياه فحرم القوات من امكانية الاتصال مع الضفة اليسرى ،

وحاربت الفرقة طوال خمسة ايام محصورة بين العدو وبين ضفة الفولغا ولكنها لم تسلم مواقعها .

وفى ايام المعارك الشديدة بمنطقة مصنع «المتاريس» تلقت الضربة الرئيسية فرقة المشاة الـ ٣٠٨ بقيادة العقيد غورتيف ، وهى مكونة من الافواج السيبيرية . ودافع السيبيريون عن الخطوط على الفولغا دفاعا باسلا مستميتا .

واصبحت البطولة الشاملة من الامور المعتادة فى سلوك حماة المدينة . فقد حاربوا ببسالة رائعة وتفان مدهش ، بل وبمهارة قتالية متزايدة ، وكانوا يستخدمون اية فرصة سانحة ، مهما كانت ضئيلة ، لتوجيه الضربة المضادة الى العدو ولالحاق اكبر ما يمكن من الخسائر بالعدو فى الارواح والمعدات .

وغطت جثث جنود وضباط العدو عتبات المدينة . وانتشرت على هذه العتبات شظايا وحطام المدافع والدبابات والطائرات الالمانية المدمرة والمحترقة . وسمى الهتلريون المرتعبون انفسهم الطريق الى المدينة بانه «طريق الموت» . واضطرت القيادة الهتلرية الى ان تزج بحوالى كل ما يصل من امدادات الى الجبهة عموما فى المعركة الستالينغرادية . وفى كل شهر من استمرار المعركة كان يرسل الى هنا حوالى ٢٥٠ الف جندى وضابط جديد . وتوجه الى هنا القسم الاساسى من المعدات الحربية . وكل ذلك كان يحترق ويتلاشى عند جدران المدينة البطلة .

وتابع العالم كله مدهوشا هذه المعركة الهائلة ومعجبا ببسالة المواطنين السوفييت . وكانت الشعوب تحس وتدرك بان مصير الحرب كلها يتقرر فى ستالينغراد . وكان ذلك امرا واضحا للاعداء والحلفاء على حد سواء . وكانت صحف بلدان كثيرة تكتب بالتفصيل عن معارك ومآثر حماة ستالينغراد . وكتب الرئيس الاميركى روزفلت فى معرض تقييم مأثرة ابطال ستالينغراد فى تلك

الايام يقول : «ان انتصارهم المجيد اوقف موجة الغزو واصبح نقطة انعطاف فى حرب الامم المتحالفة ضد قوى العدوان» .

ويزعم الجنرالات الالمان الآن ، سعيا منهم الى تبرير هزيمتهم فى معركة ستالينغراد ، بان هذه المدينة كانت قلعة قوية محاطة بعدد كبير من المنشآت الهندسية . ولكن ستالينغراد لم تكن قلعة ابدا . ولم تكن توجد حولها لا تحصينات ولا جدران منيعة ولا منشآت دفاعية حصينة .

لقد اصبحت ستالينغراد قلعة لا لان فيها تحصينات منيعة ، بل لان هذه المدينة دافع عنها المواطنون السوفييت حماة وطنهم .

ان المعركة الحامية الوطيس من اجـــل ستالينغراد والتى استمرت بلا انقطاع اكثر من شهرين انتهت باحباط خطط العدو . وحتى اواسط تشرين الثانى (نوفمبر) اضطرت القوات الفاشيـــة الالمانية الى وقف الهجوم بعد ان فقدت اكثر من ١٨٠ الف قتيل و ٥٠٠ الف جريح وكمية كبيرة من التكنيك الحربى .

لقد بيّن دفاع القوات السوفييتية البطولى عن ستالينغراد للعالم بأسره الخصال المعنوية والكفاحيـــة الساميـــة للقوات السوفييتية وصمودها الذى لايقهر وبطولتها الشاملة .

فابناء الشعب السوفييتى وافراد قواته المسلحة صمدوا فى وجه ضربة العدو الجبارة ، بل وأوقفوا هجوم العدو والحقوا به خسائر فادحة محققين آيات الصمود الذى لا يتخاذل والبطولـــة المتفانية . وخلال الهجوم الصيفى فى عام ١٩٤٢ فقدت القوات الفاشية الالمانية حتى مليون جندى وضابط و ٢٠٤٠٠ مدفع واكثر من ١٥٠٠ دبابـــة واكثر من ٤٠٠٠ طائـــرة . ونتيجة لاجراء مجموعة كاملة من العمليات الدفاعية ارهق الجيش الاحمر الجحافل الفاشية واستنزف قواها ، وتهيأت بذلك الظروف الملائمة لانتقال القوات السوفييتية الى الهجوم المضاد الجبار الذى دشن مرحلة جديدة فى الحرب الوطنيـــة العظمى هى مرحلـــة تطهير الاراضى السوفييتية من المحتلين الالمان الفاشست .

الانعطاف الجذرى

متابعة تعزيز الجيش والاسطول

كان ذلك فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٢ . وكان دخان الحرائق الهائلة لا يزال يتصاعد فوق الفولغا ، وفى ستالينغراد نفسها كان لا يزال يخوض القتال المتفانى المحاربون الابطال ـ افراد الجيشين الثانى والستين والرابع والستين . الا ان الموقف فى الجبهة السوفييتية الالمانية اخذ يتغير . فقد امكن عموما وقف هجوم القوات الفاشية الالمانية على الجناح الجنوبى من الجبهة الشاسعة . واضطرت القيادة الهتلرية الى اصدار توجيه بشأن انتقال القوات الى الدفاع . وشرع العدو باعداد الخطوط الدفاعية . ولكنه كان يشكل خطرا رهيبا بالرغم من كل ما تكبده من خسائر جسيمة . وحتى مستهل تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٢ كانت لدى المانيا على الجبهة السوفييتية الالمانية ٢٦٦ فرقة بـ ٢ر٦ ملايين جندى وضابط و ٧٠ الف مدفع ومدفع هاون و ٦٦٠٠ دبابة ومدفع هجوم و ٣٥٠٠ طائرة حربية .

وحتى تلك الاثناء حدثت تغيرات كبيرة كذلك فى القوات المسلحة السوفييتية . فقد كان الجيش المقاتل يضم ٣٩١ فرقة بـ ١ر٦ ملايين شخص و ٥ر٧٢ الف مدفع ومدفع هاون واكثر من ٦٠٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة واكثر من ٣٠٠٠ طائرة حربية . وبعبارة اخرى ، فقد تمت تصفية التفوق السابق للعدو من حيث القوات والوسائل الحربية .

الا ان الوضع الاقتصادى فى بلادنا كان لا يزال عصيبا . فان فقدان المناطق الصناعية الهامة قلص كثيرا من الموارد المادية والبشرية للبلاد . وكان شغيلة الزراعة يواجهون صعوبات هائلة .

غير ان ميزات النظام الاشتراكى المبرمج ساعدت على استخدام الانتاج الصناعى والزراعى استخداما هادفا وبفعالية اكبر ، وتوجيهه

لتلبية متطلبات الحرب . وازدادت بلا انقطاع كمية وتحسنت نوعية الاسلحة والذخيرة والمعدات والمواد الغذائية .

وبفضل ذلك ازدادت على الدوام القدرة القتالية لدى الجيش الاحمر ، وازداد تفوقه على العدو فى القوات وفى وسائل خوض الحرب .

واثناء المرحلة الثانية من الحرب الوطنية العظمى استمرت التغيرات فى التركيب التنظيمى للقوات المسلحة السوفييتية . ولغرض تحقيق هذه التغيرات تم فى الاركان العامة فى ايار (مايو) ١٩٤٣ تشكيل الادارة التنظيمية الرئيسية .

وفى ايار ــ حزيران (مايو ــ يونيو) ١٩٤٣ تم تقليص تعداد العاملين فى وحدات ومؤسسات المؤخرة ، مما اتاح ارسال ٣ر١ مليون شخص الى القوات المسلحة . وفى نيسان (ابريل) ١٩٤٣ اصبحت المدفعية ذاتية الحركة بأسرها خاضعة لقائد القوات المدرعة والميكانيكية لدى الجيش الاحمر . وادرجت ضمن الجبهات الوية المدفعية المضادة للدبابات والوية مدافع الهاون . وحدثت تغيرات كبيرة فى هيئات الاتصال لدى الادارة الجبهوية لغرض تحسين عملها .

وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ كان قد طبق تنظيم موحد لفرقة المشاة وفرقة حرس المشاة . وكانت فرقة الحرس اكثر قوة بعض الشيء من حيث قوامها . وتقلص عدد البنادق والبنادق القصيرة فى الفرق ، ولكنه ازداد لديها عدد الرشاشات القصيرة والرشاشات . واخذت ترد لتسليح القوات الرشاشات الثقيلة الجديدة من تصميم غوريونوف والرشاشات القصيرة من تصميم سودايف .

وحدثت تغيرات كذلك فى التركيب التنظيمى لقطعات وتشكيلات المدفعية . ففى اواخر عام ١٩٤٢ بدأ تشكيل افواج المدفعية ذاتية الحركة التابعة لاحتياطى القيادة العامة العليا ، وتشكيل

فرق مدافع الهاون الثقيلة للمدفعية الصاروخية . واعتبارا من نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ادرج بصورة اضافية ضمن الجيش مختلف الاصناف فوج المدافع الثقيلة والفوج المضاد للدبابات وفوج مدافع الهاون والفوج المضاد للجو . وتهيأت لقائد الجيش امكانية تقوية التشكيلات المقاتلة فى اتجاه الضربة الرئيسية تقوية اكثر فعالية . ومنذ ذلك الحين اخذت تتشكل افواج المدفعية ذاتية الحركة المتماثلة المتكونة من ٤ــ٥ بطاريات ، وكذلك فرق الاختراق المدفعية المتكونة من ستة الوية مدفعية والوية مدافع الهاون وكانت مسلحة بـ ٣٥٦ مدفعا ومدفع هاون من مختلف العيارات . وفى اواخر ١٩٤٢ بدأ تشكيل فرق ثقيلة للمدفعية الصاروخية . واصبحت قطعات حرس مدافع الهاون خاضعة لقائد مدفعية الجيش الاحمر . وحتى اواسط ١٩٤٣ تم فى الجيش الاحمر تشكيل خمسة فيالق مدفعية للاختراق ، ويتكون كل فيلق من فرقتين للمدفعية وفرقة واحدة لمدافع الهاون . وصارت قطعات المدفعية تتسلح بمدافع الهاوتزر من عيار ١٥٢ ملم من طراز عام ١٩٤٣ . واستمر كذلك تشكيل الفرق المضادة للجو .

وتعززت كذلك القوات الجوية . ففى كافة الجبهات انجز تشكيل الجيوش الجوية . وكان الجيش الجوى عادة يضم فرقتين او ثلاث فرق مقاتلة وفرقة او فرقتين لقاذفات القنابل ، وفرقة جوية للهجوم . واعتبارا من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٢ ازداد عدد الطائرات فى الافواج المقاتلة وافواج الهجوم الجوى الى ٣٢ طائرة ، كما ازداد هذا العدد فى عام ١٩٤٣ الى ٤٠ طائرة .

وبالرغم من فقدان القواعد الحربية البحرية الاساسية فى اسطول البلطيق واسطول البحر الاسود ، اتخذت القيادة السوفييتية كافة الاجراءات لتعزيز الاسطول . وفى ذلك الموقف المعقد امكن صنع ٢٦٨ من مختلف السفن الحربية فى مصانع بناء السفن التى لم يحتلها العدو . واستمرت زيادة تعداد سلاح الجو لدى الاسطول

البحرى الحربى . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ تم تأسيس اسيطيل اونيغا الحربى ، وفى شباط (فبرايـــر) ١٩٤٣ تأسس اسيطيل آزوف ، كمـــا تأسس اسيطيل الدنيبر فى اواخر العـــام المذكور .

واستمر تعزيز قوات الدفاع الجوى للبلاد . وتشكلت جبهتا الدفاع الجوى الغربية والشرقية . وفضلا عن ذلك ظلت باقية مناطق الدفاع الجوى فى الشرق الاقصى وما وراء البايكال وآسيا الوسطى .

وحصلت الكوادر القياديـــــة للجيش الاحمر خلال الفترة المنصرمة على خبرة كبيرة فى خوض العمليات الحربية ضد العدو القوى ، وتربت وتصلب عودها من الناحيتين العسكرية والسياسية . وازداد على الدوام عدد المنظمات الحزبية فى الجيش كما ازداد دورهـــا . وتواردت الى الجيش المقاتل امدادات جديدة متزايدة من المحاربين الذين تدربوا تدريبا جديا .

وتحسن التدريب القتـــــالى للقوات والتدريـــب السوقى للاركان . وصفيت النواقص فى ادارة القوات وفى تنظيـــم تنسيق العمليات . واخذت القوات تحارب بانتظام اكبر ، وصار القادة يقودون هذه القوات فى المعركة بثقة اكبر .

تباشير النصر العظيم

تهيأت فى اواسط تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٢ الظروف الملائمة لدحر العدو على الجناح الجنوبى من الجبهة السوفييتية الالمانيـــة . فمجموعـــات العدو الضاربـــة التى هجمت فى اتجاهى ستالينغراد والقفقاس تكبدت خسائر جسيمة وفقدت امكانياتها الهجومية واصبحت ممدودة على طول الجبهة الهائلة ، مع انها ظلت محافظة على قدرتها على المقاومة العنيدة . وانطلاقا من ذلك وضعت القيادة العامة العليا السوفييتية خطة العمليات لشتاء ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ . وكان هدف العمليات المرتقبة يتلخص فى انتزاع المبادرة

الستراتيجيـــة من العدو والبدء بطرده على نطاق واسع من اراضى وطننا . ولبلوغ هذا الهدف قرر مقر القيادة العامة العليا الانتقال الى الهجوم الحازم فى الجنوب لغرض دحر الجناح الجنوبى للقوات الفاشية الالمانية دون اضعاف الاهتمـــــام بالاتجاه الستراتيجى الغربى .

وكانت القيادة الهتلرية تعتقد بان الجيش الاحمر لا يستطيع فى القريب العاجل القيام بعمليات هجومية كبيرة فى الجنوب وذلك بسبب الخسائر التى لحقت به فى صيف وخريف ١٩٤٢ . وقررت هذه القيادة الانتقال الى الدفاع الستراتيجى على طول الجبهة ، والاحتفاظ بالخطوط التى احتلتها ، وذلك لكى تمهد لمتابعـــة الهجوم فى عام ١٩٤٣ لغرض دحر الجيش الاحمر كليا . وقد بيّن التاريخ مدى بعد هذه التقديرات عن الواقع .

وكانت القيادة السوفييتية فى معمعان المعركة الدفاعية قـد شرعت بوضع خطة دحر العدو عند ستالينغراد . ففى ٢٢ ايلول (سبتمبر) عقد فى مقر القيادة العامة العليا اجتماع حضره نائب القائد العام الاعلى جنرال الجيش جوكوف ورئيس الاركان العامة الجنرال فاسيليفسكى ، حيث حددت لاول مرة وبالخطوط العامة ملامح خطة الهجوم المضاد .

وبعد هذا الاجتماع توجه الى منطقـــة المعارك على ضفاف الفولغا الجنرالان جوكوف وفاسيليفسكى لكى يدرسا هناك حالة القوات ويحددا ما يحتاجه الانتقال الى الهجوم المضاد من قوى ووسائل . ولدى عودتهما الى موسكو عرضا على مقر القيادة العامة العليا تقديرهما لقوة العدو واستنتاجاتهما من هذا التقدير . وبعد مناقشة مسهبـــة اقرت المقترحات الاساسية . ومن ثـــم كلفت الاركان العامة بوضع خطة مفصلة ، واشرك فى وضع الخطة قادة اصناف القوات وقائد المؤخرة الجنرال خروليف ورئيس الادارة المدفعية الرئيسية الجنرال ياكوفليف .

واناط مقر القيادة العامة العليا ادارة التحضير للهجوم المضاد فى ساحة المعركة بالجنرال جوكوف فى الجبهة الجنوبية الغربيـــة وجبهة الدون وبالجنرال فاسيليفسكى فى جبهة ستالينغراد .

وفى الايام الاولى من تشرين الاول (اكتوبر) اشركت فى العمل من اجل التخطيط للهجوم المضاد المجالس العسكرية والاركانات فى الجبهات . واستلم قادة القوات فى الاجتماعات مع قيادة الجبهات وبعض الجيوش تعليمات بشأن طرح الاعتبارات الملموسة حول الاستخدام الاصوب لقوات ووسائل كل جبهة . واعتبارا من ٦ تشرين الاول (اكتوبر) اخذت ترد على مقر القيادة العامة العليا اقتراحات الجبهات التى اكملت ودققت وحددت الفكرة العامـــة للعملية الستراتيجية . وقد درست كافة هذه الاعتبارات وعممت بكل اهتمام . وفى الوقت ذاته درست مسائل استخدام المدفعية وسلاح الجو فى الهجوم المضاد . وقام بعمل واسع فى هذا المجال قائد مدفعية الجيش الاحمر جنرال المدفعية فورونوف وقائد القوات الجوية الجنرال نوفيكوف وقائد القوات المدرعـــــة والميكانيكية الجنرال فيدورينكو .

وتم نتيجة للعمل النشيط الخلاق وضع خطة العملية الهجومية الهائلة . وتتلخص هذه العملية بتوجيه الضربات الجبارة من رؤوس الجسور جنوب غربى سيرافيموفيتش ومن منطقة بحيرات ساربا جنوبى ستالينغراد وذلك لتحطيم قوات العدو التى تغطى جناحى المجموعة الضاربة . ومن ثم تطويق قوات العدو الرئيسية المقاتلة قرب ستالينغراد مباشرة وذلـــك بمتابعـــة الهجوم فى اتجاهين متلاقيين نحو كالاتش وسوفيتسكى .

وجرى التحضير للهجوم المضاد تحت ستار كثيف من السرية . وكانت القطعات والتشكيلات تتحرك فى ظلام الليل فقط . وفضلا عن ذلك فان النهار كان فى تلك الايام كالحا والجو ملفعا بالغيوم والضباب . وكانت القوات تشغل مواقع الانطلاق فى الخفاء . الا ان

تحشد القوات لغرض الهجوم المضاد المرتقب تعقد بسبب قلة سكك الحديد فى مؤخرة جبهتنا ، ولان الطرق غير المبلطة اصبحت فى حالة سيئة بسبب بدء ذوبان الجليد والثلوج . واستدعى الامر ارسال قسم كبير من القوات عبر الفولغا فى ظروف بداية تغطى النهر بالجليد . وبالرغم من هذه الصعوبات تم على العموم فى اواسط تشرين الثانى (نوفمبر) تحشيد المجموعات الضاربة لدى الجبهات .

وابدت المجالس العسكرية للجبهات والجيوش والقادة والهيئات السياسية لدى اعداد القوات للهجوم المضاد عناية مستمرة بتشكيل وتعزيز المنظمات الحزبية ومنظمات الكومسومول فى الوحدات العسكرية . ففى كافة القطعات والتشكيلات جرى عمل حزبى سياسى واسع تم نتيجة له تحقيق درجة عالية من الحماس الهجومى . وكان المحاربون والقادة مدربين ومستعدين للهجوم الحازم على مواقع العدو .

وعند بداية الهجوم المضاد فى اتجاه ستالينغراد واجهت القوات السوفييتية مجموعة جيوش «ب» من فيرخنى مامون حتى استراخان . وكانت هذه المجموعة تضم ۱۰۱۱ الف جندى وضابط و ٦٧٥ دبابة ومدفعا هجوميا و ۱۰٫۳ آلاف مدفع ومدفع هاون و ۱۲۱٦ طائرة . وزج فى المعركة لاحتلال المدينة عدد كبير من الفرق الفاشية الالمانية . وكان جناحا المجموعة مغطيين بالتشكيلات الايطالية والرومانية القليلة الصمود . ولم تكن لدى القيادة الهتلرية احتياطات كبيرة هنا .

وحاربت ضد قوات مجموعة جيوش «ب» فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٢ ثلاث من جبهاتنا وهى الجبهة الجنوبية الغربية بقيادة الجنرال فاتوتين وجبهة الدون بقيادة الجنرال روكوسوفسكى وجبهة ستالينغراد بقيادة الجنرال يريمينكو . وضمت الجبهات الثلاث مليون شخص ونيف و ٨٩٤ دبابة ومدفعا ذاتى الحركة و ١٣٫٥ الف مدفع ومدفع هاون واكثر من ١٤٠٠ طائرة حربية .

وكان في هذه القوات عشرة جيوش مختلفة الاصناف وجيش للدبابات واربعة جيوش جوية و ٦٦ فرقة مشاة و ٨ فرق خيالة و ١٨ لواء للمشاة وفيلق ميكانيكي وخمسة فيالق للدبابات .

وهكذا ، فان تناسب القوى من حيث عدد الافراد كان متعادلا تقريبا عند بداية الهجوم المضاد . وكانت قواتنا تفوق قوات العدو قليلا من حيث الدبابات والمدفعية ، وكان العدو يفوقنا من حيث الطائرات . وفي تناسب القوى هذا لم يستطع ان يؤمن القيام بهذه العملية الهائلة بنجاح الا المهارة العسكرية العالية لدى القوات السوفييتية .

وكلفت الجبهة الجنوبية الغربية التي تشكلت في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) بمهمة توجيه الضربة الرئيسية بجناحها الايسر ومتابعة الهجوم باتجاه كالاتش . وكان على جبهة ستالينغراد ان توجه الضربة جنوبي مدينة ستالينغراد والهجوم كذلك على كالاتش وذلك للاتصال هناك مع قوات الجبهة الجنوبية الغربية وضرب حلقة الحصار حول مجموعة العدو الرئيسية . وكان على جبهة الدون ان تحطم العدو في منطقة الدون الصغير .

وفي مستهل تشرين الثاني (نوفمبر) كلف مقر القيادة العامة العليا الجنرال فاسيليفسكي بتنسيق عمليات الجبهات الثلاث في الهجوم المضاد ، بينما سافر الجنرال جوكوف الى اتجاه آخر من الجبهة السوفييتية الالمانية .

بدء الهجوم المضاد

بدأ التمهيد المدفعي على الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة الدون في الساعة السابعة والدقيقة ٣٠ من صباح ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ . فانهالت على مواقع العدو اطنان المعدن

الناري . وسبح فوق خط الجبهة دخان القذائف والسنة الانفجارات السوداء . وتطايرت اكوام التراب والواح المخابئ وشظايا معدات العدو المحطمة . وصم الدوي والزئير آذان المحاربين .

وبسبب الضباب الكثيف وتهاطل الثلج الوافر لم يستطع سلاح الجو ان يعزز بضرباته التمهيد المدفعي .

وفي الساعة الثامنة والدقيقة ٥٠ توغلت حمم اللهيب في اعماق دفاع العدو . واسرعت القوات المهاجمة نحو مواقع العدو الملفعة بالدخان الفاحم الممزوج بالتراب المتطاير . وكان هتــاف النصر الروسي «اورا» يتعالى بلا انقطاع ويتصـــارع مع دوي وازيز القذائف فوق ساحة المعركة . وكان ذلك يعني هجوم فرق المشاة ودبابات النسق الاول لجيش الدبابات الخامس بقيادة الجنرال رومانينكــو والجيش الحــادي والعشرين بقيـــادة الجنـــرال تشيستياكوف .

وحتى الساعة الحادية عشرة توغلت وحدات المشاة الى عمق ٤ـ٥ كيلومترات مذللة مقاومة العدو الضارية وصادة هجماتــه المضادة المتكررة . وزجت في المعركــــة هنا فيالق الدبابات التي هاجمت العدو رأسا وقهرت مقاومته نهائيا واسرعت نحو الجنوب بعد ان انجزت اختراق دفاع العدو . وعلى اثر الدبابات زجت في المعركة تشكيلات الخيالة . وحتى اواخر النهار كانت القوات الخفيفة الحركة للجبهة قد تقدمت مسافة ٢٠ـ٣٥ كيلومترا .

وعلى جبهـــة الدون لم ينتقل الى الهجوم في اليوم الاول من العملية الا الجيش الـ ٦٥ بقيادة الجنرال باتوف . وواجهت قوات هذا الجيش مقاومة شديدة من قبل الهتلريين فلم تستطع ان تتقدم الا لمسافة ٣ـ٥ كيلومترات ، ولم تخترق خط الدفاع الرئيسي الا في اقسام متفرقة منه .

اما جبهة ستالينغراد فقد بدأت الهجوم في اليوم التالي ، اي في ٢٠ تشرين الاول (نوفمبر) .

وبعد ضربات قوية سددتها المدفعية انتقلت الى الهجوم قوات الجيش الـ ٥٧ بقيادة الجنرال تولبوخين والجيش الـ ٥١ بقيادة الجنرال تروفانوف . وبدأ الجيش الـ ٦٤ الهجوم بعد ست ساعات من ذلك .

وفى اليوم الاول زج فى الاختراق فيلقـان ميكانيكيان وفيلق خيالة . وبقوات المجموعات الضاربة استطاعت قوى هذه الجبهة ان تتوغل الى مسافة ١٠ــ١٦ كيلومترا حتى اواخر النهار .

وهكذا ، فخلال يوم واحد اخترقت قوات الجبهات الثلاث دفاع العدو بكامل عمقه وتقدمت مسافة ١٠ــ٣٥ كيلومترا .

وكان هجوم الجيش الاحمر آخذا فى الاتساع . وكان ذلك واضحا ايضا فى معابر نهر الفولغا . وكان مسيل لا ينقطع من كل ما تحتاجه الجبهة من صناديق الذخيرة ومئات المدافع وكميات كبيرة من الجزمات الشتوية والمعاطف القصيرة ــ كان ذلك المسيل يتقاطر من كافة ارجاء البلاد فيصل الى حاجز مائى . وانخرط فى العمل بحارة اسيطيل الفولغا الحربى ، حيث استخدموا سفنهم التى نهشها القصف المتلاحق فشقوا الجليد ونقلوا الشحنـات الى المحاربين الابطال الذين ذادوا عن القلعة على الفولغا وانتقلوا الآن الى الهجوم المضاد المظفر .

وبعد انجاز اختراق دفاع العدو تابعت قوات الجبهـات الثلاث جميعا هجومها فى العمق العملياتى . وكانت فيالق الدبابات والفيالق الميكانيكية تصد هجمات العدو المضادة وتناور بجرأة ، وتتقدم الى الامام فى بعض الايام مسافة ٥٠ــ٧٠ كيلومترا .

وكانت ذات عبرت كبيرة فى تلك الفترة اعمال المفرزة الامامية لفيلق الدبابات السادس والعشرين . فان هذه المفرزة التى قادها المقدم فيليبوف والتى كانت مكونة من سريتى مشاة آليتين وخمس دبابات وسيارة مدرعة واحدة كانت قد كلفت بمهمة استطلاعية ،

وبالاستيلاء على معبر لنهر الدون فى منطقة كالاتش مستفيدة من حلول الظلام .

وتحدث القائد السابق لفيلق الدبابات السادس والعشرين الجنرال رودين عن هذا المشهد البطولى فقال : « فى الساعة الثالثة من صباح ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) كانت المفرزة قد اشعلت المصابيح وقطعت خط دفاع الالمـــان فى الطريق بين اوستروف وكالاتش دون ان تطلق رصاصـــة واحدة وتوجهت نحو المعبر فى منطقة بيريزوفسكى . فقد اعتقد الالمـــان ان هذه الآليـــات « المانية » . وفى الساعة السادسة ، وبعد ان وصل قسم من المفرزة الى المعبر دون عائق عبر الجسر على الآليات الى الضفة اليسرى من الدون واطلق صاروخا لاشعار الآخرين بضرورة بدء العملية . وبعد ان ابادت المفرزة الحراس احتلت الجسر ونظمت دفاعا دائريا . وخاضت المفرزة معركة وهى مطوقة من قبل الاعداء واستطاعت ان تحافظ على المعبر حتى وصول قواتنا الرئيسية » . وسرعان ما عبرت هذا الجسر القطعات الامامية لفيلق الدبابات الســـادس والعشرين ، فشنت الهجوم على كالاتش ، ومن ثم عبرته تشكيلات فيلق الدبابات الرابع التى بدأت هجومها فى اتجاه سوفيتسكى .

وفى ٢٢ تشرين الثـــانى (نوفمبر) كان الفيلـــق الميكانيكى الموضوع تحت قيادة الجيش الحادى والخمسين قد وصل الى منطقة سوفيتسكى . وفى اليوم التالى وصلت الى هذه المنطقة بعد عبور الدون واحتلال كالاتش تشكيلات فيلق الدبابات الرابع ، ومن ثم تشكيلات فيلق الدبابات السادس والعشرين . وبوصـــول فيالق الدبابات والفيالق الميكانيكية التابعة للجبهة الجنوبية الغربية وجبهة ستالينغراد الى منطقة كالاتش ــ سوفيتسكى انجز تطويق مجموعة العدو البالغ تعدادها ٣٣٠ الفا . فطوقت نهائيـــا قوات الجيش الميدانى السادس والقسم الاكبر من جيش الدبابات الرابع بمـــا تعدادهما ٢٢ فرقة معادية .

وفى ٢٤ تشرين الثانى (نوفمبر) تمت تصفية مجموعة القوات المحاصرة فى منطقة راسبوبنسكايا حيث اسر المحاربون السوفييت حوالى ٢٧ الفا من جنود وضباط العدو .

ولم تستطع قوات جبهة الدون ان تفصل العدو فى منعطف الدون الصغير ، فانسحب جزئيا نحو المجموعة الرئيسية المقاتلة قرب ستالينغراد مباشرة .

ولدى تحسن الطقس قدم سلاح الجو مساعدة كبيرة للقوات البرية فى متابعة الهجوم من ٢٤ الى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر). وقام بحوالى ٦٠٠٠ طلعة قتالية ، وجه اكثر من نصفها لدعم القوات المحاربة فى ساحة المعركة .

وعندما طوقت فيالق الدبابات والفيالق الميكانيكية مجموعة العدو الرئيسية وصلت تشكيلات الخيالة والمشاة الى نهرى تشير واكساى لخلق جبهة التطويق الخارجية .

ولم تخطر على هتلر فكرة انه سيضطر الى الانسحاب عن الفولغا . ولغرض استعادة الموقف وفك الحصار عن القوات المطوقة اخذت القيادة الفاشية ترسل الى هنا على عجل الاحتياطيات من الاقسام الاخرى للجبهة السوفييتية الالمانية ومن اوروبا الغربية . وشكلت هذه القيادة من القوات المحاربة قرب ستالينغراد مجموعة جيوش «الدون» التى ضمت حوالى ٣٠ فرقة . وكان على هذه المجموعة ان توجه الضربات من منطقة كوتيلنيكوفو ــ تورموسين لتخترق جبهة التطويق الخارجية وتتابع الهجوم فى اتجاه عام نحو مارينوفكا . وفى الوقت ذاته كان على قسم من المجموعة المطوقة ان يوجه الضربة الى القوات السوفييتية الزاحفة .

وكان مقر القيادة العامة العليا يدرك بان العدو سيحاول فك الحصار . وصدر الامر الى جبهة الدون وجبهة ستالينغراد بتحطيم مجموعة العدو المحاصرة . ولتأمين ذلك تقرر ان يتم فى اواسط كانون الاول (ديسمبر) هجوم الجناح الايسر من جبهة فورونيج

والجبهة الجنوبيــة الغربية لغرض ابعاد جبهة التطويق الخارجية مسافة ١٥٠ـ٢٠٠ كيلومتر وذلك بتوجيــه ضربتين باتجاهين متلاقيين نحو ميليروفو وتحطيم الجيش الايطالى الثامن . واطلق على هذه العملية الاسم الاصطلاحى « زحل » .

وفى ١٢ كانون الاول (ديسمبر) انتقلت الى الهجوم مجموعة العدو الضاربة القوية المتحشدة فى منطقة كوتيلنيكوفو والتى كانت تضم حتى ٤٠٠ دبابة . واكتسبت المعارك طابعا ضاريا منذ الايام الاولى ، مما جعل مقر القيادة العامة العليا يؤجل مؤقتا عمليــة تصفية مجموعة العدو المطوقة ويضيق نطاق عملية « زحل » . وصدر الامر الى القوات بالهجوم فى اتجاه موروزوفسكايا نحو جناح ومؤخرة مجموعة مانشتين الذى كانت دباباته تزحف نحو الشمال الى القوات المطوقة ، غير ان محاربى الجيش الحادى والخمسين اعترضوا طريقها . ونشبت معارك طاحنة للغاية فى منطقة فيرخنى-كومسكى التى انتقلت من ايد الى ايد عدة مرات . وهنا استخدم العدو لاول مرة كتيبة الدبابات الثقيلة « تـ٦ » التى كانت تحمل اسما مرعبا هو « النمر » .

وكانت المعارك فى منطقة فيرخنى-كومسكى من اروع آيات بسالة محاربى الجيش الاحمر الذين صمدوا فى مواقعهم حتى الرمق الاخير . وسد الابطال الطريق على القوات الفاشية الزاحفة لتخليص المطوقين .

غير ان العدو تابع تشديد الضربة . فزج فى المعركة بفرقة دبابات اخرى واخذ يزحف باتجاه الشمال . وعندما بقى امام العدو ثلث الطريق فقط ، وعندما استعدت قوات العدو المحاصرة تمام الاستعداد لملاقاة « محرريها » بعث مقر القيادة العامة العليا من جبهة الدون الى جبهة ستالينغراد جيش الحرس الثانى بقيـادة الجنرال مالينوفسكى . وبعد ان وصلت تشكيلات هذا الجيش الى خط نهر ميشكوفكا خاصت الى جنب قوات الجيش الحـادى والخمسين التى

انسحبت الى هنا معارك ضارية اوقفت على اثرها الهتلريين الذين كانوا يحلمون بالاتصال العاجل مع قواتهم المحاصرة .

وحتى ذلك الحين كان الموقف فى الجبهة قد تغير كثيرا . ففى السادس عشر من كانون الاول (ديسمبر) وبعد تحضير مدفعى وجوى جبار انتقلت الى الهجوم الحازم قوات الجناح الايمن للجبهة الجنوبية الغربية والجيش السادس بقيادة الجنرال خاريتونوف والتابع لجبهة فورونيج . وبدأت العملية الرامية الى تحطيم الجيش الايطالى الثامن والجيش الرومانى الثالث والتى اطلق عليها اسم «زحل الصغير» .

وتحدث الرائد الايطالى د . تولوى بشيء من الصراحة عما حدث فى هذه المنطقة آنذاك ، حيث كتب يقول : «فى السادس عشر من كانون الاول (ديسمبر) دمرت القوات السوفييتية جبهة الجيش الايطالى . وفى السابع عشر منه تحطمت الجبهة كلها ، وفى الثامن عشر اغلقت جنوبى بوغوتشار حلقة القوات المقاتلة من الغرب والشرق ... واخذت مقرات كثيرة تغادر اماكنها فاقدة اى اتصال مع القوات . وحاولت القطعات التى هاجمتها الدبابات ان تنقذ نفسها بالهرب مشتتة . وترك الجنود المدفعية والسيارات ، واقتلع كثير من الضباط اوسمتهم وشارات رتبهم من بزاتهم ، والقى الجنود بالرشاشات والبنادق والمعدات وانقطع كل الاتصال ...»

وكان جو الخيبة وانعدام الامل مخيما على العدو آنذاك ، وقد كشف عن هذا الجو فيما بعد وزير خارجية ايطاليا السابق تشيانو الذى زار مقر هتلر فى غابة غيرليتس يوم ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ . وكتب يقول «عندما وصلت لم يحاول احد ان يخفى عنى او عن العاملين معى ذلك المزاج الثقيل الذى نجم عن انباء الاختراق فى الجبهة الروسية» .

وطوال بضعة ايام دمرت القوات السوفييتية الجيش الايطالى الثامن وفلول الجيش الرومانى الثالث . وحالف النجاح خصوصا فى

الهجوم فيلق الدبابات الرابع والعشرين بقيادة الجنرال بادانوف . فان الوية دباباته ناورت بصورة واسعة وتقدمت خلال خمسة ايام عبر المعارك مسافة ٢٤٠ كيلومترا فالحقت بالعدو خسائر فادحة فى الارواح والمعدات . وفى ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) احتلت هذه الالوية تاتسينسكايا واستولت خلال ذلك على اكثر من ٣٠٠ طائرة معاديـــــة كانت فى المطـــار وفى قطـــارات السكك الحديديـــــة . وارسل الهتلريون الى هنا قوات جديدة وحاصروا الفيلق وحاولوا ابادته . واستمر قتال جنود الدبابات السوفييت اكثر من خمســة ايام . وبعد ان دمر الفيلق الطائرات التى استولى عليها خرق الحصار وانسحب بامر من القيادة فاتصل بقواتنا . وتقديرا للمآثر البطولية فى مؤخرة العدو تم تحويل فيلق الدبابات الرابع والعشرين الى فيلق حرس دبابات تاتسينسكايا الثانى ومنح وسام لينين .

وتم طبقا لمرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى فى ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٤٢ استحداث وسامى سوفوروف وكوتوزوف من الدرجات الاولى والثانية والثالثة ووسام الكسندر نيفسكى . ومنحت اوسمة سوفوروف لقادة الجيش الاحمر تقديرا للنجاحات البارزة فى ادارة القوات والتنظيم الممتاز للعمليات الحربية وابداء التصميم والاصرار فى تنفيذ هذه العمليات . وكان قائد فيلق الدبابات الرابع والعشرين الجنرال بادانوف اول مـــن منح وسام سوفوروف من الدرجة الثانية فى الجيش الاحمر .

ونتيجة للهجوم المظفر الذى قامت به قوات الجبهة الجنوبية الغربية والدفاع الصامد لقوات جبهة ستالينغراد على خط نهـــر ميشكوفكا كفت قوات العدو فى ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) عـــن محاولات الاختراق الى المجموعة المحاصرة وانتقلت الى الدفاع .

فلم يبق لمانشتين وقت للتفكير بالقوات المحاصرة . اذ ان قيادة جبهة ستالينغراد حشدت القوات لتدمير مجموعته المرابطة فى كوتيلنيكوفو تدميرا ماحقا . وفى ٢٤ كانون الاول (ديسمبر)

قهرت مقاومة العدو الذى شرع بالانسحاب نحو الجنوب . وحتى صباح ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) احتلت كوتيلنيكوفو قطعات فيلق الدبابات السابع بقيادة الجنرال روتميستروف بالتعاون مع تشكيلات جيش الحرس الثانى . ولم يكن العدو ليتخلص من امكانية التطويق الا بسبب تأخر الفيلق الميكانيكى السادس بقيادة الجنرال بوغدانوف فى الوصول الى هذه المنطقة . وكان سلاح الجو قد دعم بنجاح هجوم قواتنا .

واحبطت كليا محاولة القيادة الفاشية لنجدة قواتها المحاصرة قرب ستالينغراد . وازيح خط الجبهة عنها الى مسافة ١٢٠ـ١٦٠ كيلومترا . ونتيجة للنجاح فى انجاز العمليات الحربية على اتجاه كوتيلنيكوفو تم كليا تدمير الجيش الرومانى الرابع ، وازيح جيش الدبابات الرابع الى نهر سال بعد ان منى بخسائر جسيمة .

وفى ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ اطلق على جبهة ستالينغراد اسم الجبهة الجنوبية وكلفت بمهمة الهجوم على روستوف .

وتكهن مقر القيادة العامة العليا بامكانية ارسال العدو لقواته الى اتجاه ستالينغراد من اقسام الجبهة الاخرى فقرر حرمانه من هذه الامكانية . ولهذا الغرض اعدت ونفذت فى تشرين الثانى ــ كانون الاول (نوفمبر ــ ديسمبر) عملية فيليكيه لوكى وعملية رجيف ــ سيتشيفكا الهجوميتان ، وكذلك عملية تصفية رأس جسر العدو فى منطقة ديميانسك وعملية دحر مجموعة العدو فى موزدوك . ومع ان قواتنا لم تستطع دحر العدو ، فان اكبر مجموعاته فى الاتجاه الغربى واتجاه القفقاس قد تقيدت . ولم تستطع القيادة الهتلرية ان ترسل الى منطقة ستالينغراد ولو قسما من قواتها .

وحتى كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ كانت الجبهة الخارجية تمر على بعد ١٧٠ـ٢٥٠ كيلومترا عن القوات الفاشية الالمانية

المطوقة فى ستالينغراد . وتقلص تعداد هذه القوات من ٣٣٠ الى ٢٥٠ الفا . وكان لديها ٣٠٠ دبابة و ٥٠٠٠ مدفع ومدفع هاون .

وكانت قوات العدو المحاصرة تعانى من صعوبات كبيرة فى المواد الغذائية . وكتب الرائد فيدير رجل الاستخبارات السابق فى جيش باولوس يقول : «كانت بلاغات الخسائر الواردة من فرق فيلقنا تعرض كل يوم حصيلة فعـــل الموت الرهيب . وكان عدد الموتى بسبب الجوع والبرد والامراض يتزايـــد باستمرار . . . وخفضت ارزاق الخبز اليومى الى ٥٠ غراما للشخص الواحد . وكان الصقيع وآلام الجوع والاوبئة ونيران العدو الفتاكة تبدو وكأنمـا تحالفت فيما بينها فى القتال» . الا ان العدو كان لا يزال قويا ، ولم يكن ينوى الاستسلام . وانيطت مهمة تصفية المجموعة المطوقة بجبهة الدون التى وضع مقر القيادة العامة العليا تحت قيادتها فى الاول من كانون الثانى (ينايـــر) ١٩٤٣ الجيوش الـ ٥٧ و ٦٢ و ٦٤ .

وكانت قوات جبهة الدون لا تفوق العـــدو من حيث تعداد افرادها وعدد دباباتها ، وكانت تفوق العدو من حيث المدفعية بحوالى الضعف . ونفذت القيادة السوفييتية الحصار الجوى فاحبطت محاولات الهتلريين الرامية الى تموين القوات المطوقة من الجو . ومع ان غيرينغ وجه الى هنا كل ما لديه من طائرات النقل ، بل وحول قسما من قاذفات القنابل لممارسة اعمال نقل الشحنات، فلم تستطع هذه الطائرات ان تنقل اكثر من ٩٠ طنا فى اليوم بدلا من الخمسمائة طن الموعودة . علما بان الخسائر بالطائرات كانت تزداد من يوم لآخر . وفى الفترة من ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٢ حتى ٢ شباط (فبراير) ١٩٤٣ تم تدمير حتى ٣٠٠٠ طائرة حربية وطائرة نقل معادية . وكان الحصـــار الجوى الشديد قد حطـم معنويات قوات العدو وكان واحدا من اهم عوامل دحره نهائيـــا وأسره .

وتلافيا لاراقة الدماء هدرا وجهت القيادة السوفييتية فى ٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ الى العدو المحاصر انذارا بالاستسلام طبقا لشروط تستجيب كليا للاتفاقيات الدولية . وفى حالة الاستسلام وعدت القيادة كافة الجنود والضباط بتأمين الحياة وضمان السلامة الشخصية والتزويد بالتغذية حسب الاصول وتقديم الاسعاف الطبى للجرحى والمرضى . وحددت الساعة العاشرة من يوم ٩ كانون الثانى (يناير) آخر موعد لقبول هذه الشروط . الا ان الانذار رفض بأمر من هتلر .

وفى صباح العاشر من كانون الثانى (يناير) اى بعد انقضاء يوم على موعد الانذار شرعت مشاتنا ودباباتنا بالهجوم بعد تمهيد مدفعى وجوى . وبدأت آخر عملية لتحطيم الهتلريين قرب ستالينغراد ، وهى العملية التى اطلق عليها اسم «الطوق» . وقام بالادارة العامة للعملية ممثل مقر القيادة العامة العليا الجنرال فورونوف .

وعند اواخر النهار كان دفاع العدو قد خرق فى عدة اماكن مرة واحدة . واخذت قواتنا تطرد الهتلريين من الخنادق الى السهب المكسو بالثلج . وكان الهتلريون الجياع يرتدون ملابس غير دافئة ، وهم يحومون من جانب الى جانب متكبدين خسائر هائلة . وكان الطوق يضيق باستمرار .

ومنذ الصباح حتى المساء كان سلاح الجو السوفييتى يقصف قوات العدو بلا انقطاع . والحقت قنابل سلاح الجو بالهتلريين خسائر جسيمة بالمعدات والارواح . واضعفت هذه الضربات خصوصا معنوية القوات المحاصرة .

ولكى يرفع هتلر من معنويات هذه القوات وعدها عن طريق الراديو بالترفيع فى الرتب ، وارسل بالطائرات اكياسا مليئة

باوسمة الصلبان الحديديـــة . الا انه لم تعد هناك وسيلة لانقاذ الجيش المطوق . وفى ٢٤ كانون الثـــانى (يناير) بعث الجنرال باولوس الى هتلر برقية لاسلكية جاء فيها : «لا جدوى من استمرار الدفاع . الكارثة لا مفر منها . ارجو السماح فورا بالاستسلام لانقاذ البقية الباقية من الاحياء» . الا ان هتلر رفض هذا الرجاء .

واستمرت تصفية قوات العدو المحاصرة طوال ٢٤ يوما . وفى ٢٦ كانون الثانى (يناير) اتصل لواء الدبابات الـ ١٢١ التابع للجيش الحادى والعشرين مع قوات الجيش الثانى والستين فى منطقة تلة ماماى . وكانت مجموعة العدو التى التصقت بالفولغا قد انقسمت الى جزئين . وفى الساعة ١٣ من يوم ٣١ كانون الثانى (يناير) تم كليا أسر قوات العدو فى القسم الجنوبى من المدينة . كما استسلمت المجموعة الشمالية للأسر يوم ٢ فبراير (شباط) .

وكتب المجلس العسكرى لجبهة الدون فى تقريره الى مقر القيادة العامة العليا : «ان قوات جبهة الدون انجزت فى تمام الساعة ١٦ ليوم ٤٣/٢/٢ دحر وتدمير مجموعة قوات العدو المحاصرة فى ستالينغراد .

وبسبب التصفية التامـــة لقوات العدو المحاصرة توقفت العمليات الحربية فى ستالينغراد ومنطقة ستالينغراد» .

وفقد العدو ٢٢ فرقة و ١٦٠ قطعة مستقلة من قطعات التعزيز . وفضلا عن ذلك تم خلال الهجوم دحر ١٢ فرقة للجيشين الرومانيين الثالث والرابع . وفى ساحة المعركة وحدها انتشلت ودفنت ١٤٧٢٠٠ جثة لجنود وضباط العدو . وأسر المحاربون السوفييت اكثر من ٩١ الف عسكرى بمن فيهم ٢٥٠٠ ضابط و ٢٤ جنرالا وعلى رأسهم الفيلدمارشال باولوس .

كان تطويق ودحر الجيش الالمانى البالغ تعداده ٣٣٠ الفا هزيمة معنوية ومادية هائلة بالنسبة لالمانيا الفاشية . فقد اعلن الهتلريون الحداد فى طول البلاد وعرضها حتى السابـــع من شباط

(فبراير) . وكتب الجنرال الهتلرى ويستفال : « لم يشهد تاريخ المانيا ابدا مثل هذا الهلاك الفظيع لمثل هذا العدد من القوات » . وبالفعل ، فان تاريخ الحروب لم يشهد مثل هذا الحادث حيث طوقت مجموعة كبرى للعدو مجهزة بأحدث المعدات والاسلحة وافنيت عن بكرة ابيها . فخلال سير الهجوم المضاد وحده حطمت القوات السوفييتية ٣٢ فرقة وثلاثة الوية معادية ، وتكبدت ١٦ فرقة للعدو خسائر تتراوح بين ٥٠ و ٧٥٪ من مجموع افرادها . وفقد العدو خلال هـــذه الفترة اكثر من ٨٠٠ الف شخص وحوالى ٢٠٠٠ دبابة ومدفع هجوم واكثر من ١٠ آلاف مدفع ومدفع هاون وحوالى ٣٠٠٠ طائرة .

وخلال فترة المعركة قرب ستالينغراد والتى استمرت عموما ستة أشهر ونصف فقدت المانيا الفاشية وحليفاتها اكثر من ٢٥٪ من مجموع قواتها المحاربة على الجبهة السوفييتية الالمانية . وقتل وجرح وأسر من جنود وضباط وجنرالات العدو حتى مليون ونصف مليون نسمة . وقد فصمت الآلة الحربية الهتلريـــة على ضفاف الفولغا ، ولم يعد بالامكان اصلاحها .

واذا كان دحر الالمان قرب موسكو بداية للانعطاف الجذرى فى سير الحرب ، فان النصر التاريخى للجيش الاحمر فى معركـــة ستالينغراد والذى اتسم بأهمية سياسية وعسكرية هائلة كان اهم حدث فى طريق الاتحاد السوفييتى الى الانتصار على المانيا الفاشية وفى تحقيق الانعطاف الجذرى لسير الحرب الوطنية العظمى وكذلك الحرب العالمية الثانية .

لقد ساعد الانصار بصورة فعالة القوات النظامية فى فترة معركة ستالينغراد . ففى اوائل تشرين الثانى (نوفمبر) تم تأسيس مقر حركة الانصار التى قادها المجلس الحربى لجبهة ستالينغراد واللجنة الحزبية لمقاطعة ستالينغراد . وعملت فى مناطق مقاطعة ستالينغراد المحتلة ٩ فصائل للانصار و ٣٠ مجموعة للتخريب

اخلت بعمل مؤخرات العدو ونسفت انتظام السير فى سكك الحديد ودمرت خطوط المواصلات وقامت بمختلف اعمـال التخريب وهاجمت الحاميات المسلحـة الصغيرة وقامت بالاستطلاعـات والاستخبارات .

وساعد الانتصار قرب ستالينغراد على رفع سمعة الاتحاد السوفييتى دوليا وعزز الائتلاف المعادى للهتلرية وحفز حركـة التحرر الوطنى فى البلدان التى استعبدهـا الهتلريون . وتدهـورت كثيرا سمعة المانيا الفاشية . ورفضت تركيا نهائيا دخول الحرب ضد الاتحاد السوفييتى .

وقيمت صحف العالم بالاجماع معركة ستالينغراد باعتبارها نقطة انعطاف فى سير الحرب العالمية الثانية . ويقيم هذه المعركة بهذه الصورة كثير من المؤرخين العسكريين البرجوازيين المحدثين . الا انهم يحاولون ان يعزوا هزيمة القوات الالمانية الفاشيـة فى منطقة الفولغا بصورة رئيسية الى اخطاء هتلر الذى جزأ قواته ووزعها على اتجاهات مختلفة فوجه ضربة الى القفقاس وضربة أخرى الى ستالينغراد . وهم يريدون بذلك تبييض صفحة القوات المسلحة الالمانية والتقليل من شأن خدمات وبطولة ومهارة الجيش الاحمر .

ان النصر فى ستالينغراد هو نصر للشعب السوفييتى العظيم الذى يقوده الحزب الشيوعى اللينينى ، وهو نصر لفننا العسكرى . وقد ساعد القيادة السوفييتية فى اخذ المبادرة الستراتيجية لخوض الحرب والانتقال الى الهجوم الشامل . وتحت اشراف القيادة العامة العليا ساهـم فى هذا النصر مساهمـة كبرى القادة البارزون : فاسيليفسكـى وفاتوتين وفورونوف ويريمينكـو وجوكوف ومالينوفسكى وروكوسوفسكى وتشويكوف وشوميلوف وغيرهم .

وقدرت الحكومة السوفييتية اكبر التقدير مآثر افراد الجيش الاحمر . وبناء على مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى استحدثت ميدالية «الدفاع عن ستالينغراد» .

ومنحت هذه الميدالية لاكثر من ٧٠٧ آلاف من المساهمين فى المعركة . ومنحت ستالينغراد لقب التقدير الفخرى وهو لقب المدينة البطلة .

وخلال المعركة على ضفاف الفولغا قررت الحكومة السوفييتية اجراء تعديل على البزة العسكرية للجنود والعرفاء والضباط والجنرالات فى الجيش الاحمر . وفى ٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ صدر مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى بشأن استخدام شارات الرتب الجديدة فى الجيش الاحمر ، نعنى اشرطة الكتف . ومن دواعى ذلك استخدام نظام احادية القيادة قبل ذلك بقليل . فقد كان من الصعب مع وجود شارات الرتب السابقة التفريق بين الجندى والعريف ، وبين العريف والضابط . وساعدت اشرطة الكتف على تبريز القادة وجعلهم ملحوظين فورا بين جموع العسكريين . وساعد ذلك على تعزيز سمعة الكوادر القيادية . واملت استخدام اشرطة الكتف كذلك العمليات القتالية المشتركة مع جيوش الحلفاء فى سوح المعارك المنتظرة انذاك .

الهجوم الشامل

استفاد مقر القيادة العامة العليا من الانتصار فى معركة ستالينغراد فقرر متابعة الهجوم على جبهة واسعة . وكان مقررا توجيه الضربة الرئيسية الى مجموعات الجيوش «ب» و «الدون» و «أ» على الاتجاه الستراتيجى الجنوبى الغربى . وكان مقررا ان تشارك فى الهجوم خمس جبهات هى جبهة بريانسك وجبهة فورونيج والجبهة الجنوبية الغربية والجبهة الجنوبية وجبهة ما وراء القفقاس .

وفى ٣ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ بدأت القوات السوفييتية الهجوم فى الجنوب فحررت مدن موزدوك ومينيرالنيه فودى وبياتيغورسك ويسينتوكى وكيسلوفودسك وستافروبول وارمافير ،

وفى اوائل شباط (فبراير) وصلت الى نهر دونيتس الشمالى والى مشارف روستوف وسواحل بحر ازوف . وانسحب الى روستوف قسم من مجموعتى الجيوش الفاشية «أ» و «الدون» المقاتلة فى شمال القفقاس ، بينما انسحبت الاقسام الباقية الى كوبان وشبه جزيرة تامان .

وكان مقر القيادة العامة العليا قد استبدل فى ٢٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ اسم المجموعة الشمالية لجبهة ما وراء القفقاس باسم جبهة شمال القفقاس . وعين الجنرال ماسلينيكوف قائدا لهذه الجبهة التى كلفت قواتها بمهمة اجراء عملية تحرير كوبان وشبه جزيرة تامان . وبعد ان انتقلت قوات الجيش السادس والاربعين بقيادة الجنرال ريجوف الى الهجوم حررت كراسنودار فى ١٢ شباط (فبراير) . وفى الوقت ذاته شنت قوات الجيش السابع والاربعين بقيادة الجنرال ليسيليدزه هجوما على نوفوروسييسك . وقدم اسطول البحر الاسود بقيادة الفيس اميرال اوكتابرسكى مساعدة نشيطة لهذه القوات عن طريق نيران مدفعية السفن وضربات سلاح الجو البحرى وجنود الانزال . فقد استولى جنود الانزال البحرى الذين هبطوا على الساحل الغربى لخليج تسيميس على رأس جسر فى منطقة ستانيتشكا وميسخاكو واحتفظوا به طوال سبعة اشهر . وبذل الهتلريون قصارى جهدهم . فزجوا فى الهجوم بقوات كبيرة من المشاة والدبابات والمدفعية وسلاح الجو ، ولكنهم لم يستطيعوا قهر مقاومة حماة «الارض الصغرى» .

وحتى اواسط شباط (فبراير) ١٩٤٣ تكبد الهتلريون فى اتجاه القفقاس خسائر جسيمة وطردوا الى مسافة ٥٠٠ـ٦٠٠ كيلومتر . وكان النجاح فى دحر العدو على اواسط الدون قد هيأ الظروف الملائمة لتوجيه الضربات الحاسمة الى العدو فى اعالى الدون .

وفى الربيع وجهت قوات جبهة شمال القفقاس التى قادهـا آنذاك بطل الدفاع عن اوديسا وسيفاستوبول الجنرال بيتروف عدة ضربات الى العدو لغرض تحرير تامان . ولكنها لم تستطع ان تخترق الدفاع الشديد التحصين والذى سمى « بالخط الازرق » .

ودعم سلاح الجو القوات البرية دعما كبيرا . ففى اواسط نيسان (ابريل) نشبت فوق حقول كوبان الشاسعة معركة جوية لم يسبق لها مثيل وقد استمرت حوالى شهرين . وشاركت فيها من كلا الجانبين حوالى ٣٠٠٠ طائرة . وفقد الهتلريون هنا اكثر من ١١٠٠ طائرة ، بما فيها ٨٠٠ طائرة اسقطت فى الاشتبـاكات الجوية . وحارب بمنتهى البسالة والمهارة هنا الطيارون المقاتلون الاماجد . وابدى مهارة وبطولة خاصة الطيار بوكريشكين الذى منح لقب بطل الاتحاد السوفييتى تقديرا لمآثره فى هذه المعارك .

وفى الوقت ذاته شنت جبهتا بريانسك وفورونيج هجوما على مجموعة جيوش العدو « ب » فى اعالى الدون .

وفى الثالث عشر من كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ وجهت قوات الجناح الايسر من جبهة فورونيج (بقيادة الجنرال غوليكوف) ضربات مقابلة الى روسوش واوستروغوجسك . وفى ١٩ منه طوقت مجموعة كبيرة من قوات الجيش المجرى الثانى والفيلق الايطالى . وحتى ٢٧ كانون الثانى (يناير) تم كليا تدمير ١٥ فرقة فاشية ، بينما تكبدت ست فرق اخرى خسائر جسيمة . وأسر اكثر من ٨٦ الفا من جنود العدو وضباطه .

واعتبارا من ٢٤ كانون الثانى (يناير) حتى ١٧ شبـاط (فبراير) اجرت قوات جبهـة فورونيج بالتعاون مع تشكيلات الجناح الايسر لجبهة بريانسك (بقيادة الجنرال ريتير) عمليـة فورونيج ـ كاستورنايا . ووجهت هذه القوات ضربات مقابلة الى كاستورنايا فانجزت فى ٢٨ كانون الثانى (يناير) تطويق عشر فرق للجيش الالمانى الفاشي الثانى والفيلق المجرى الثالث . الا ان تدمير

هذه المجموعة استمر حتى اواسط شباط (فبراير) واستطاعت بعض قطعات العدو ان تفك الحصار .

وبتدمير القوات الالمانية الفاشيــة فى اعالى الدون تهيأت الظروف الملائمة لمتابعة هجوم القوات السوفييتيــة فى اتجاهى كورسك وخاركوف والالتفاف حول الجناح الايمن من مجموعة جيوش «المركز» الهتلرية .

ولغرض تحقيق هذا الهجوم استخدم مقر القيادة العامــة العليا جبهة كالينين والجبهة الغربية وجبهة بريانسك والجبهــة المركزية التى تشكلت فى ٥ شباط (فبراير) ١٩٤٣ . وفى الثامن من شباط (فبراير) حررت القوات السوفييتية كورسك ، كما حررت خاركوف فى ١٦ منه وزحفت الى الغرب والجنوب الغربى لمسافة تتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ كيلومتر .

وفى الوقت ذاته نشبت معركة فى الدونباس . ففى التاســع والعشرين من كانون الثانى (يناير) انتقلت الجبهة الجنوبية الغربية الى الهجوم وفى النصف الاول من شبــاط (فبراير) حررت هذه الجبهة القسم الشمالى الشرقى من الدونباس . وتقدمت هذه الجبهة بجناحها الايمن الى مسافة ١٣٠ــ٢٣٠ كيلومترا فحررت مدن بالاكليا وايزوم ولوزوفايا وسلافيانسك وكراماتورسك وغيرها .

وكانت قوات الجبهة الجنوبيــة التى اخذ يقودها الجنرال مالينوفسكى اعتبارا من ٢ شباط (فبراير) قد انتقلت الى الهجوم فى الخامس من الشهر المذكور . وفى الرابع عشر منــه حررت روستوف ، كما وصلت الى نهر ميوس فى السابع عشر منه . وفى هذا الاتجاه ايضا طرد العدو نحو الغرب الى مسافة ٩٠ــ١٥٠ كيلومترا .

وللحيلولة دون التدمير التام للقوات المقاتلــة فى الجناح الجنوبى من الجبهة السوفييتية الالمانية قررت القيادة الهتلرية القيام بهجوم مضاد . واستفادت القيادة الهتلرية من عدم وجود

جبهة ثانية فى اوروبا فنقلت قسما من تشكيلاتها من الغرب وبعض الاماكن الاخرى الى منطقة بولتافا ودنيبروبتروفسك . وساعد هذا الامر العدو فى خلق تفوق كبير هنا فى القوات والمعدات .

وفى ١٩ شباط (فبراير) كانت القوات السوفييتيـــة التى ارهقتها المعارك السابقة قد اضطرت الى الانسحاب نحو الشرق وذلك تحت الضربات الشديدة من قوات دبابات العدو وطائراته المتفوقة . واستطاع العدو ان يزيح قواتنا فى هذا الاتجاه على مسافة ١٠٠ـــ٢٠٠ كيلومتر ، وان يصل الى خط نهر دونيتس الشمالى فى ٢٧ شباط (فبراير) .

وفى الفترة من ٤ الى ٢٣ آذار (مارس) ١٩٤٣ خاضـــت قوات جبهة فورونيج معارك دفاعية لصد هجوم الهتلريين المسعور فى اتجاه خاركوف . وفى ١٦ آذار (مارس) استطاع الفاشست ان يحتلوا خاركوف من جديد ، ومن ثم احتلوا بيلغورود وازاحوا القطعات السوفييتية الى ما وراء دونيتس الشمالى .

وحارب هنا جنبا الى جنب مع افراد الجيش الاحمر جنود الكتيبة المستقلة التشيكوسلوفاكية الاولى بقيادة المقدم لودفيغ سفوبودا . وفى منطقة قرية سوكولوفو صد هؤلاء الجنود بكل تفان هجمات الفاشست . وحقق المآثر خصوصا افراد السرية الاولى وقائدها الملازم الاول اوتوكار ياروش الذى استشهـــد فى هذه المعركة مجاهدا جهاد الابطال . وكان من اول المحاربين الاجانب الذين منحتهم الحكومة السوفييتية اللقب السامى ، لقب بطل الاتحاد السوفييتى .

ومع الهجوم فى الجنوب الغربى قرر مقر القيادة العامة العليا اجراء عملية فك الحصار عن لينينغراد ، وكذلك جملة من العمليات فى الاتجاه الغربى لتقييد مجموعة العدو الوسطى .

وكان الحصار مضروبا على لينينغراد آنذاك منذ ستة عشر شهرا . وكان الهتلريون يأملون بقهر ارادة محاربى الجيش الاحمر

وسكان المدينة عن طريق الحصـــار القاسى . وكان الجوع والبرد وقصف المدفعية والقصف الجوى ــ كل ذلك يحمل الموت يوميا لآلاف من سكان المدينة . الا ان المدينة البطلة الجائعة قاومت بكل بسالة بدون ماء ولا كهرباء . وتحمل حماتها المشقات الهائلة ببطولة وصمود متناهيين .

ولحل مهمة فك الحصار اصدر مقر القيادة العامة العليا امره الى المجلسين العسكريين لجبهـــة لينينغراد (بقيـــادة الجنرال غوفوروف) وجبهة فولخوف (بقيـــادة الجنرال ميريتسكوف) بتحطيم مجموعة العدو فى سينيافينو وشليسيلبورغ وتصفيـــة النتوء جنوبى بحيرة لادوغا وتأمين الاتصال البرى بين لينينغراد والبلاد . وكان على اسطول البلطيق بقيادة الاميرال تريبوتس ان يدعم عمليات القوات البرية بنيران السفن المرابطة فى نهر نيفـــا والمدافع ذات العيار الكبير من مدفعية السواحل . وأمنت تغطية العملية من الجو طائرات الجبهتين وطائرات اسطول البلطيق . وكلف ممثلا مقر القيادة العامة العليا مارشـــال الاتحـــاد السوفييتى فوروشيلوف وجنرال الجيش جوكوف بمهمة القيادة العامة وتنظيم التعاون بين العمليات بين الجبهتين والاسطول .

كان صباح ١٢ كانون الثانى (يناير) قرب لينينغراد صافيا والصقيع شديدا . وفى الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين تزلزلت شواطىء نيفا من صليات حوالى ٢٠٠٠ من المدافع العادية ومدافع «كاتيوشـــا» . وانهالت مئـــات القذائف والقنابل على مواقع الهتلريين . فقد بدأ التمهيد المدفعى الذى استمر حوالى ساعتين ونصف . وهاجمت طائرات الجبهتين واسطول البلطيق اهم نقاط ارتكاز العدو واحتياطياته ومدفعيته فى مواقع اطلاق النار .

وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين امتلأ بسيل المهاجمين كل قسم نهر نيفا الواقع بين موسكوفسكايا دوبروفكا وشليسيلبورغ . وفتح العدو النيران من كافة انواع السلاح ولكنه

لم يستطع ان يوقف الهجوم . واضطرت قوات الجيش السابع والستين بقيادة الجنرال دوخانوف والجيش الضارب الثانى بقيادة الجنرال رومانوفسكى الى تذليل مقاومة الهتلريين الضارية للغاية . وبعد معارك طاحنة استغرقت سبعة ايام حررت القوات السوفييتية مدينة شليسيلبورغ ، وفى الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين من يوم ١٨ كانون الثانى (يناير) التقت فى منطقة البلدة العمالية رقم ٥ . وكان هذا اليوم عيدا مفرحا كبيرا لسكان لينينغراد وبلادنا بأسرها . فقد تم خرق الحصار الذى استمر من ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ الى ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ . واقيم الاتصال البرى المباشر من جديد بين لينينغراد والبلاد . وسرعان ما مدت سكة حديد على الضفة الجنوبية لبحيرة لادوغا ، وتواردت القطارات على لينينغراد بلا انقطاع حاملة المواد الغذائية والمعدات والوقود والمواد الاخرى .

وتجلت بطولة افراد الجيش الاحمر على نطاق واسع وبقوة جديدة فى المعارك من اجل فك الحصار . فقد منح الاوسمة والميداليات حوالى ١٩ الف جندى وضابط . ومنح ٢٥ عسكريا لقب بطل الاتحاد السوفييتى . ومنح كافة حماة المدينة البطلة ميدالية «الدفاع عن لينينغراد» وهى الميدالية التى استحدثت بمرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى بتاريخ ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ .

واعتبارا من ١٢ شباط (فبراير) حتى ٢٧ آذار (مارس) ١٩٤٣ شنت قوات الجيش الاحمر هجوما فى اتجاه سيفسك واتجاه اوريل ـ بريانسك . الا ان هذا الهجوم انتهى بانتصارات اقليمية ضئيلة وذلك نتيجة لتأزم الموقف فى الجناح الجنوبى للجبهة السوفييتية الالمانية . ومع ذلك فان عمليات القوات السوفييتية النشيطة هذه احبطت نوايا القيادة الالمانية الفاشية فى توجيه الضربة من منطقة اوريل نحو كورسك .

ونتيجة لعمليات الجيش الاحمر الهجومية فى اتجاهى سيفسك واوريل ــ بريانسك والعملية الدفاعية فى اتجاه خاركوف تكون فى شكل خط الجبهـــة حتى اواخر آذار (مارس) ١٩٤٣ ما سمى بنتوء كورسك الذى لعب فيما بعد دورا كبيرا فى تاريخ الحرب كلها .

فعندما احست القيادة الهتلرية بالخطر الذى يتهدد مجموعة قواتها فى اوريل اتخذت اجراءات لتعزيز هذه القوات واخذت تنقل قواتها من رأس جسر رجيف ــ فيازما الى منطقة اوريل . وعندما لاحظت قوات جبهة كالينين (بقيادة الجنرال بوركايف) والجبهة الغربية (بقيادة الجنرال سوكولوفسكى) انسحاب العدو تحولت الى مطاردته باتجـــاه سمولينســـك . وذللت القوات السوفييتية مقاومة العدو الضارية وظروف ذوبان الجليد القاسية فى الربيع وتقدمت حتى الاول من نيسان (ابريل) مسافة ١٣٠ ــ ١٦٠ كيلومترا فحررت مدن رجيف وغجاتسك وفيازما من المحتلين الالمان الفاشست ووصلت الى خط شرقى مدينتى دوخوفشينـــا وسباس ـ ديميانسك . واستقرت الجبهة هنا حتى صيف ١٩٤٣ . وابتعد خط الجبهة عن موسكو مسافة ٢٧٠ ــ ٣٠٠ كيلومتر ، الامر الذى اتسم باهمية هائلة بالنسبة لعمل المؤسسات والحيـــاة فى عاصمة الدولة السوفييتية بصورة طبيعية .

وكان هجوم قوات الجيش الاحمر فى الجنوب وفى الاتجـــاه الغربى وقرب لينينغراد قد قيد قوى الفاشيين واستنزف كافـــة احتياطياتهم وهيأ الظروف لتصفية رأس جسر ديميانسك . واناط مقر القيادة العامة العليا امر تنفيذ العملية بالجبهة الشماليـــة الغربية بقيادة مارشال الاتحـــاد السوفييتى تيموشينكو . وفى الخامس عشر من شباط (فبراير) انتقلت القوات السوفييتية الى الهجوم . واخذت القيادة الالمانية الفاشية بنظر الاعتبار التجربة المريرة لجيشها السـادس الذى هلك قرب ستالينغراد فشرعت

بسحب الجيش السادس عشر على عجل من رأس جسر ديميانسك . وحتى ٢٨ شباط (فبراير) انسحبت فرق العدو الى ما وراء نهر لوفات . وتمت تصفية رأس جسر ديميانسك الذى تشبث بـــه الهتلريون بعناد طوال ١٧ شهرا .

وفى تلك الاثناء كانت قوات الجناح الايمن لجبهة كالينين تخوض العمليات الحربية فى اتجاه فيليكيه لوكى . وهنـــا حقق الجندى وعضو الكومسومول الكساندر ماتروسوف ماثرته المجيدة .

ونشبت قرب مدينة لوكنيا بمقاطعة كالينين معركة حامية الوطيس من اجل قرية تشيرنوشكى . وكان الهتلريون المتحصنون فى معقل ترابى قد فتحوا نيران الرشاش فقطعوا الطريق على وحدتنا المهاجمة . واخذ الكساندر ماتروسوف رمانتين ورشاشا قصيرا وزحف نحو الهتلريين المتحصنين . وعندما صار ماتروسوف على مسافـــة ٢٠ مترا نهض على ركبتـــه والقى باحدى الرمانتين ثم بالثانية ، فدوى انفجار فى المعقل وسكت الرشاش . ولكنه حالما هب محاربونا للهجوم بدأ الرشاش من جديد يصليهم نارا حامية جعلتهم ينبطحون ارضا . وانبطح ماتروسوف ايضا . ولم يبق لديه لا رمانات ولا خراطيش . ولكن ماتروسوف اسرع من اجل النصر نحو كوة المعقل والقى بنفسه على ماسورة الرشاش فاسكته .

وبعد ان انتقلت قوات الجيش الاحمر الى الهجوم المضـــاد قرب ستالينغراد واحرزت انتصـــارا باهرا على العدو اخذت المبادرة الستراتيجية وشنت هجوما فى جبهة هائلة فتقدمت مسافة ٦٠٠ــ٧٠٠ كيلومتر . وبدأ طرد العدو على نطاق واسع الى خارج حدود وطننا . فخلال اربعة شهور ونصف من العمليات الهجومية المستمرة حطمت القوات السوفييتية اكثر من ١٠٠ فرقة للعدو . وفقد العدو خلال هذه الفترة حوالى مليون وسبعمائة الف جندى وضابط و٢٤ الف مدفع واكثر من ٣,٥ آلاف دبابة و٧,٣ آلاف طائرة . ونسفت لدرجة كبيرة القدرة الحربية لالمانيا الفاشية .

واثناء الهجوم الشتوى للقوات السوفييتية تهيأت الظروف لانجاز الانعطاف الذى بدأ فى الحرب . واستعدت القوات للعمليات الحاسمة الجديدة التى جرت فى صيف ١٩٤٣ .

وصار الجيش السوفييتى يتزود بكل ما يحتاج اليه وبنطاق متزايد الاتساع . وتحسن تكنيك الدبابات والمدرعات ، واتسع بلا انقطاع صنع الدبابات المتوسطة من طراز «ت ــ ٣٤» التى نصب عليها مدفع من عيار ٨٥ ملم . وبدأ صنع الدبابات الثقيلة الجديدة من طراز «ى . س» . واخذت ترد على الجيش الاحمر كميات كبيرة من المدفعية ذاتية الحركة .

واتسعت عيارات ومدى المدفعية الميدانية والمدفعية المضادة للدبابات وكذلك مدافع الهاون . وازدادت لدى القوات كمية الاسلحة الصغيرة والرشاشات . وازداد صنع الطائرات الحربية وخصوصا المقاتلات من الطرازات الجديدة («ياك ــ ٧» و«ياك ــ ٩» و«لا ــ ٥») . وتجلت محاسن قاذفات القنابل من طراز «ب . ى ــ ٢» وطائرات الهجوم المحسنة من طراز «ايل ــ ٢») .

وقد استدعى نمو التجهيز التكنيكى للقوات والمهام المطروحة امامها الحاجة الى متابعة تحسين تركيبها التنظيمى . وعادت قوات المشاة الى التنظيم الفيلقى ، مما ساعد على تحسين الادارة . وازداد فى القوات المدرعة عدد الافواج المستقلة من الدبابات والافواج المستقلة من المدفعية ذاتية الحركة ، وعدد فيالق الدبابات والفيالق الميكانيكية وجيوش الدبابات . وفى اواسط عام ١٩٤٣ تم تأسيس خمسة جيوش للدبابات ذات تنظيم متماثل جديد . وضم كل منها فيلقين للدبابات وفيلقا ميكانيكيا واصبحت اكثر قوة وقابلية على التنقل .

وجرت تغيرات تنظيمية كبرى فى المدفعية كذلك . فحتى اواسط عام ١٩٤٣ كانت توجد سبع فرق للمدفعية الصاروخية

و٤٧ لواء مستقلا من الوية المدفعية والالوية المضادة للدبابات والوية مدافع الهاون والالوية الصاروخية وهى من احتياطى القيادة العامة العليا و ١٥ لواء تدمير لمدافع الهاوتزر الثقيلة . وتشكلت فرق المدافع الطويلة الثقيلة ، وازداد عدد فرق المدفعية المضادة للجو الى ٤٣ .

ولغرض التأمين الهندسى للعمليات الهجومية للقوات مع عبور الحواجز المائيـــة بدأ تشكيل الافواج المستقلـة الآلية لجسور البونتون والتابعة لاحتياطى القيادة العامة العليا .

وازداد فى القوات الجوية عدد الفيالق الجوية التابعة لاحتياطى القيادة العامة العليا . وحتى صيف ١٩٤٣ ازداد عدد الوية الانزال الجــوى الى ٢١ . وتم تاسيس الجبهتين الغربية والشرقيــة فى قوات الدفاع الجوى . ونتيجة للتغيرات التنظيمية ازدادت ازديادا ملحوظا القوة الضاربة والقدرة النارية وخفة الحركة والمناورة لدى قطعات وتشكيلات وجحافل كافة اصناف الجيش .

فى معركة كورسك

وبعد ان اخــذت القوات المسلحة السوفييتية المبـــادرة الستراتيجية وكدست احتياطيات كافية اصبحت فى صيف ١٩٤٣ قادرة على شن هجوم كبير . وكانت القيادة الهتلرية التى حاولت الثأر للهزيمة فى ستالينغراد قد قررت استخدام قوات مجموعتى جيوش « المركز » و « الجنوب » لشن الهجوم الشامل المسمى بعمليـــة « القلعة » ، وذلك لتطويق القوات السوفييتية فى نتوء كورسك وتحقيق نصر طنان وتحويل مجرى الحرب لصالحها . وقد اتاحت المماطلة الاجرامية فى فتح الجبهة الثانية فى اوروبا من قبل الانجليز والاميركان وكذلك اجراء « التعبئة الشاملة » فى المانيا لهتلر فرصة التعويض عن الخسائر التى لحقت بقواته .

ولغرض تنفيذ عملية «القلعة» شكلت القيادة الفاشية مجموعة ضاربة قوية تضم ٥٠ فرقة (بما فيها ١٦ فرقة للدبابات وفرقة آلية) وحوالى ١٠ آلاف مدفع و ٢٧٠٠ دبابة ومدفع هجوم واكثر من ٢٠٠٠ طائرة . وفى ظروف انهيار معنويات القوات الفاشية كانت القيادة الهتلرية تعلق آمالها ليس على الجندى الالمانى ، بل على الاستخدام الواسع للدبابات الجديدة («النمر» و «الفهد») ومدافع الهجوم («فيرديناند») والطائرات («فوكيه ــ وولف ١٩٠ ــ أ» و «هينشيل ــ ١٢٩») .

وبعد ان تكهنت القيادة العامة العليا السوفييتية كليا بخطط العدو قررت عدم الهجوم ، بل الانتقال مؤقتا الى الدفاع قرب كورسك لغرض استنزاف مجموعات العدو الضاربة ، ومن ثم شن هجوم مضاد حازم لانجاز تحطيم هذه القوات كليا ومن ثم شن هجوم شامل .

وانيطت مهمة الدفاع قرب كورسك بقوات الجبهات الثلاث : الجبهة المركزية بقيادة الجنرال روكوسوفسكى وجبهة فورونيج بقيادة الجنرال فاتوتين والجبهة السهبية بقيادة الجنرال كونيف . وقام مارشالا الاتحاد السوفييتى جوكوف وفاسيليفسكى بتنسيق عمليات هذه الجبهات .

وحتى بداية المعركة الدفاعية كانت الجبهة المركزية وجبهة فورونيج تضمان اكثر من ١٣٠٠ الف شخص ، وحوالى ٢٠ الف مدفع ومدفع هاون و ٣٦٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة و ٣١٣٠ طائرة حربية .

وتم عن طريق القوات والاهالى فى مواعيد قصيرة تكوين دفاع عميق مكون من الخنادق المستمرة وقادر على صد اية ضربات كثيفة يقوم بها العدو .

وهكذا نشبت قرب كورسك فى تموز ــ آب (يوليو ــ اغسطس) ١٩٤٣ واحدة من المعارك الحاسمة فى الحرب الوطنية العظمى .

وبدأت هذه المعركة فجر الخامس من تموز (يوليو) بضربة مدفعية وجوية جبارة وجهتها قواتنا الى القوات الالمانية الفاشية . والحق ذلك بالعدو خسائر جسيمة بالارواح والمعدات وعرقل انتقاله الى الهجوم . ولم يفق العدو من هذه الضربة الا بعد عدة ساعات ، حيث وجه الى قوات الجبهة المركزية وجبهة فورونيج ضربات شديدة من الدبابات وسلاح الجو . ونشبت على الارض وفى الجو معارك طاحنة. وأنّت الارض تحت وطأة الدبابات والمدرعات ، واحمرت السماء الموشحة بستار الدخان من نيران الحرائق .

وكانت اكثر المعارك الدفاعية نجاحا هى المعركة التى نشبت فى الجبهة المركزية .

وبثمن الخسائر الجسيمة استطاعت القوات الالمانية الفاشية ان تتوغل لدرجة ما فى صفوف القوات السوفييتية فى اتجاه اولخوفاتكا . الا ان كافة محاولات القوات الفاشية الرامية الى اختراق الدفاع بضربة الدبابات عبر بونيرى الى كورسك تحطمت بصمود دفاع فرقة المشاة الـ ٣٠٧ بقيادة الجنرال ينشين . فقد فصل المحاربون السوفييت بنيران الرشاشات مشاة العدو عن الدبابات ، ودمروا الدبابات بنيران المدافع وبالقنابل اليدوية المضادة للدبابات وبالزجاجات المحرقة . واحتل طاقم المدفع بقيادة رئيس العرفاء الشيوعى سيدوف موقعا ناريا فى منطقة بونيرى فدمر بالنيران الدقيقة الصائبة ثمانى دبابات واكثر من مائة هتلرى . واشتعلت النيران فى «النمور» و «الفهود» التى طبل لها الهتلريون وزمروا ، وفرشت ارض المعركة بجثث جنود العدو . وانتصر صمود المحاربين السوفييت وبسالتهم . وبعد ان فقد العدو اكثر من ٤٠ الف شخص واكثر من ٨٠٠ دبابة اضطر الى الانتقال الى الدفاع فى هذا الاتجاه .

واتسمت بضراوة اشد المعركة التى نشبت جنوبى كورسك فى قطاع دفاع جبهة فورونيج حيث وجهت القيادة الهتلرية القسم الاكبر من دباباتها . وكانت قوات الجبهة بقيادة الجنرال فاتوتين على اتم

استعداد لملاقاة العدو . فقد كونت درعا منيعا فى طريقه . وهاجمت مئات من دبابات وطائرات العدو مواقعها ولكن دون جدوى . فقد ابدى المحاربون السوفييت آيات البسالة .

وقدم سلاح الجو مساعدة كبرى للقوات الارضية . فقد غطى الطيارون بامان ساحة المعركة وانزلوا بالعدو ضربات قاذفات القنابل وطائرات الهجوم . وسجل الطيار الشيوعى غوروفيتس مأثرة فريدة فى احدى المعارك . فقد هاجم ببسالة مجموعة كبيرة من طائرات الفاشست واسقط فى معركة غير متكافئة تسع طائرات معادية من قاذفات القنابل . ولكنه عندما عاد بعد تنفيذ مهمته وقع تحت وابل نيران اربع من المقاتلات الهتلرية فمات ميتة الابطال . ومنح بعد استشهاده لقب بطل الاتحاد السوفييتى وفى هذه المعارك اسقط الطيار ـ المقاتل كوجيدوب اول طائرة معادية .

وبعد الفشل فى اتجاه اوبويان قامت القيادة الهتلرية بمحاولة يائسة للاختراق نحو كورسك من الجنوب الشرقى عبر بروخوروفكا فزجت هنا بآخر احتياطياتها من الدبابات . وكانت القيادة السوفييتية قد ارسلت مسبقا الى منطقة بروخوروفكا من احتياطى مقر القيادة العامة العليا جيش حرس الدبابات الخامس بقيادة الجنرال روتميستروف وجيش الحرس الخامس المختلف الاصناف بقيادة الجنرال جادوف . وابتداء من صباح ١٢ تموز (يوليو) وجه هذان الجيشان الى العدو ضربة مضادة شديدة سرعان ما تحولت الى معركة تصادمية هائلة للدبابات شاركت فيها من الجانبين ١٢٠٠ دبابة تقريبا . وعندما التقى جيش حرس الدبابات الخامس بفرق الدبابات الالمانية من قوات الاس اس دمرتها بالرغم من كونها متفوقة كثيرا من حيث عدد الدبابات الثقيلة . وكان جنود دباباتنا الذين دعمتهم المدفعية وسلاح الجو قد شقوا باقصى السرعة ترتيبات قتال القوات الالمانية وهم يدمرون دبابات العدو بالنار عن قرب ويصدمونها بدباباتهم .

وبعد ان تكبد العدو خسائر جسيمة فى الارواح والمعدات اضطر ليس فقط الى التوقف ، بل والى الانسحاب مسافة سبعة كيلومترات .

وكان يوم ١٢ تموز (يوليو) يوم ازمة فى هجوم القوات الالمانية الفاشية . فقد اعترف هتلر بفشل هجومه الصيفى وامر بالانتقال الى الدفاع اعتبارا من ١٣ تموز (يوليو) . وابتداء من ١٦ تموز (يوليو) بدأت القيادة الفاشية بسحب قواتها التى اضطرت تحت ضربات متلاحقة من جبهة فورونيج والجبهة السهبية الى التراجع يوم ٢٣ تموز (يوليو) الى المواقع .

ونتيجة للمعركة الدفاعية التى اجرتها القوات السوفييتية بنجاح تم استنزاف مجموعات العدو الضاربة التى كانت قد توغلت فى دفاع قواتنا الى مسافة ١٢ ــ ٣٥ كيلومترا . وتهيأت ظروف انتقال القوات السوفييتية الى الهجوم المضاد الحازم .

وكانت قد استمرت المعارك الدفاعية جنوبى كورسك ، بينما انتقلت القوات السوفييتية المحاربة شمالى كورسك الى الهجوم يوم ١٢ تموز (يوليو) لغرض دحر مجموعة اوريل لقوات العدو التى كانت تضم حوالى ٤٠ فرقة . وكانت هذه المهمة قد انيطت بقوات الجبهة الغربية (بقيادة الجنرال سوكولوفسكى) وجبهة بريانسك (بقيادة الجنرال بوبوف) مع مساعدة قوات الجبهة الوسطى . وكان على هذه القوات ان تجزئ ومن ثم تدمر جيش الدبابات الثانى والجيش الميدانى التاسع للقوات الالمانية الفاشية ، وهما الجيشان اللذان شكلا رأس جسر اوريل الشديد التحصين . وكان هتلر يعتبر رأس الجسر هذا الذى يهدد موسكو خنجرا موجها الى قلب روسيا ، وطالب بالحفاظ عليه مهما كلف الامر . وحول الهتلريون مدن اوريل وبولخوف ومتسينسك وكرومى وكاراتشيف وغيرها الى اقوى عقد المقاومة . وكانت القوات السوفييتية تواجه لاول مرة مثل هذا الدفاع الحصين الذى بناه العدو طوال حوالى العامين .

وتطلب اختراق هذا الدفاع مهارة عالية وتحشيدا كبيرا للقوات والوسائل .

وبالرغم من المقاومة المستميتة اخترقت القوات السوفييتية ، بعد ان انزلت بالعدو ضربة نارية جبارة ، دفاع العدو فى عدة اتجاهات فى وقت واحد واخذت تتابع الهجوم .

وحارب هنا ببسالة ومهارة المشاة الاماجد من جيش الحرس الحادى عشر بقيادة الجنرال باغراميان والجيش الثالث بقيادة الجنرال غورباتوف وجنود دبابات جيش الحرس الثالث بقيادة الجنرال ريبالكو وجيش الدبابات الرابع بقيادة الجنرال بادانوف وكذلك طيارو الجيش الجوى الاول بقيادة الجنرال غروموف . وبالاعمال الحازمة ومناورة الالتفاف حررت القوات السوفييتية بولخوف ومتسينسك وكرومى واسرعت نحو اوريل . وبذل المحاربون البواسل من جيش جبهة بريانسك الثالث والثالث والستين جهودا مشتركة ادت فى الخامس من آب (اغسطس) الى تطهير هذه المدينة الروسية العريقة تطهيرا كاملا من قوات العدو . وفى المعارك من اجل تحرير اوريل ابدى المحاربون بسالة وشجاعة متناهيتين . ففى فرقة المشاة الـ ٣٨٠ بقيادة العقيد كوستوف وحدها منح اكثر من ٢٠٠ جندى وضابط اوسمة وميداليات الاتحاد السوفييتى . وابدى الطيار ماريسيف آيات البسالة والرجولة فى الحرب . فبعد ان اجريت له سابقا عملية بتر كلا القدمين تابع الغارات الحربية واسقط عدة طائرات معادية ، ومنح لقب بطل الاتحاد السوفييتى تقديرا لذلك .

وفى هذه الايام حارب جنبا الى جنب مع الطيارين السوفييت فى الفرقة الجوية المقاتلة الـ ٣٠٣ بقيادة بطل الاتحاد السوفييتى الجنرال زاخاروف السرب الفرنسى «نورمانديا» الذى قاتل افراده فى سماء الاتحاد السوفييتى ضد الفاشية الالمانية فى سبيل حرية واستقلال وطنهم . وفى اتون المعارك صهرت عرى الصداقة بين ابناء

الشعبين العظيمين الاماجد . وفى معركة غير متكافئة استشهد اول قائد لهذا السرب الرائد جان تولان فحل محله الرائد بيير بوياد . ومنح جان تولان بعد استشهاده وسام الحرب الوطنية من الدرجة الثانية . واسقط هذا السرب بضع عشرات من الطائرات الفاشية . ومنح كثير من الطيارين الفرنسيين الاوسمة السوفييتية السامية . وحتى خريف ١٩٤٣ نما السرب فاصبح فوجا .

واتفق دحر العدو فى اوريل مع تحرير قوات الجبهة السهبية لمدينة بيلغورود . ولاول مرة فى تاريخ الحرب الوطنية العظمى حيت موسكو هذه الانتصارات فاطلقت ١٢ صلية مدفعية من ١٢٤ مدفعا وذلك تكريما للقوات السوفييتية المجيدة . ومنحت ثلاث فرق للمشاة لقب التقدير وهو اسم فرق اوريل .

وبعد ان فقدت الجحافل الالمانية الفاشية مدينة اوريل انسحبت الى الغرب على عجل متحاشية التطويق . ولاحقت قوات الجبهة الغربية وجبهة بريانسك والجبهة المركزية قوات العدو فاضطرتها حتى الثامن عشر من آب (اغسطس) على الانسحاب الى مشارف بريانسك ، وبذلك فتحت الطريق لتحرير جمهورية بيلوروسيا السوفييتية .

وفى ٣ آب (اغسطس) حيث كانت تدور المعارك من اجل تحرير اوريل شرعت بالهجوم المضاد جنوبى كورسك قوات جبهة فورونيج والجبهة السهبية وقسم من قوات الجبهة الجنوبية الغربية. وكانت للعدو فى اتجاه بيلغورود ـ خاركوف سبعة خطوط دفاعية ونطاقان دائران حول خاركوف مباشرة . وكانت القيادة الهتلرية تعلق اهمية خاصة على الاحتفاظ بهذه المنطقة ، وذلك لانها اعتبرتها مفتاحا الى الدونباس واوكرانيا . وخلال فترة قصيرة شكلت القيادة السوفييتية مجموعة قوية تتكون من اربعة جيوش مختلفة الاصناف وجيشين للدبابات ، ووجهت للعدو ضربة شديدة عميقة من منطقة شمال غربى بيلغورود مرورا بغربى خاركوف .

وساعد زج جيشى حرس الدبابات الاول والخامس وفيلقى الدبابات وفيالق ميكانيكية فى المعركة على الاختراق السريع للدفاع التاكتيكى لجيش دبابات العدو الرابع وما تبع ذلك من تطوير النجاح العملياتى على عمق كبير . وفى الخامس من آب (اغسطس) حررت القوات السوفييتية بيلغورود ووسعت جبهة الهجوم الى بضع مئات من الكيلومترات .

وكانت القوات الارضية المدعومة من قبل طيارى الجيشين الجويين الثانى والخامس قد قاتلت ببسالة واندفاع . وهجمت بنجاح خصوصا قوات الجنرال روديمتسيف ـ بطل الحرب الاسبانية والدفاع عن كييف وستالينغراد . وزحفت فى المقدمة جيوش وفيالق الدبابات . وفى السابع من آب (اغسطس) حررت تشكيلات جيش الدبابات الاول مدينة بوغودوخوف . ومن ثم احتلت القوات السوفييتية آختيركا واقتربت من خاركوف شمالا . وفى ليلة ٢٣ آب (اغسطس) شنت جيوش الجنرالات ماناغاروف وكروتشينكين وشوميلوف وروتميستروف هجوما فحررت مدينة خاركوف التى هى ثانى مدينة فى اوكرانيا من حيث الاتساع . وكانت المدينة التى دمرها العدو جاثمة بين الانقاض التى يتعالى منها الدخان . واستقبل سكانها محرريهم والمآقى غارقة بالدموع والايدى تحمل باقات الزهور . ومنحت عشر فرق للمشاة من اكثر فرق الجبهة السهبية بسالة لقب التقدير وهو اسم فرق خاركوف . وتقديرا لانتصار السلاح السوفييتى هذا حيت موسكو قواتها المسلحة للمرة الثانية ولكن بعشرين صلية من ٢٢٤ مدفعا .

وهكذا انتهت بالظفر معركة كورسك . فخلال خمسين يوما من العمليات الحربية المتلاحقة فقد الجيش الفاشى حوالى ٣٠ فرقة وحوالى ١٥٠٠ دبابة و ٣٠٠٠ مدفع و ٣٥٠٠ طائرة حربية . واضطر غوديريان الى الاعتراف «بان القوات المدرعة التى تعززت بصعوبة كبيرة اصبحت معطلة لفترة طويلة بسبب الخسائر الجسيمة

فى الارواح والمعدات» . وانجز الدحر التام للقوات الهتلريــــة فى قوس كورســـك الانعطاف الجذرى فى سير الحرب . وانقصم ظهر الجيش الفاشى . وواجهت المانيا الهتلرية بالفعل الكارثة الداهمة . وتفتحت امام القوات السوفييتية آفاق الانتقال الى الهجوم الشامل فى القسم الاكبر من الجبهة السوفييتية الالمانية . وتزعزع الحلف العدوانى الهتلرى واخذ يتصدع ونمت حركة الانصار فى مؤخــــرة العدو وحركة المقاومة فى بلدان اوروبا .

لقد هيأ الانتصار قرب كورسك الظروف الملائمة لعمليـــات القوات الانكلواميركية . فهذه القوات نزلت فى صقلية فى العاشر من تموز (يوليو) ١٩٤٣ منتهزة فرصة نقل القيادة الفاشية لقوات جوية كبيرة وعدد من القطعات والتشكيلات من على مسرح العمليات الحربية فى البحر الابيض المتوسط .

واضطرت حتى الاوساط الحاكمة فى الـــدول الامبريالية الى الاعتراف بالاهمية الهائلة لمعركة كورسك بالنسبة لسير الحرب فيما بعد . ففى صيف ١٩٤٣ كتب شرشل يقول «ان المعـــارك الهائلة الثلاث من اجل تحرير كورسك واوريل وخاركـــوف والتى جرت جميعها فى غضون شهرين دشنت انهيار الجيش الالمانى على الجبهة الشرقية» . الا ان مزورى التاريخ البرجوازيين ، بمن فيهم الجنرالات الفاشست المهزومون مانشتين وشبيديل وغـــودريان وغيرهم ، يحاولون فى فترة ما بعد الحرب ان يلقوا كامل مسؤولية الهزيمة فى معركة كورسك على قيادة هتلر .

فى خريف ١٩٤٣

كان الجيش الاحمر مستعدا للمعارك الحاسمة الجديدة ضـــد العدو . وكان فشل الهجوم الصيفى الشامل للجيش الهتلرى فى منطقة كورسك ودحر القوات الفاشية قرب اوريل وخاركوف قد اديا الى

فتح ثغرة هائلة فى جبهة العدو الستراتيجية . وتحول الهجوم المضاد قرب كورسك الى هجوم شامل هائل للجيش الاحمر فى جبهة امتدت من فيليكيه لوكى حتى شبه جزيرة تامان . وكان هتلر الذى بحث بصورة محمومة عن مخرج من الكارثة الداهمة قد اصدر فى ١١ آب (اغسطس) امرا بالتعجيل بانشاء خط دفاعى ستراتيجى من نارفا عبر نيفيل على طول نهر الدنيبر ونهر مولوتشنايا حتى بحر آزوف . واستنادا الى هذا الخط كانت القيادة الفاشية تأمل بوقف الهجوم السوفييتى وكسب الوقت وحصر سير الحرب فى اطار المواقــــع . وكان على الدنيبر الذى هو حاجز مائى طبيعى خطير جدا ان يشكل اساس هذا «السد الشرقى» السيىء الصيت . وساعد على دفاع العدو هنا كون الضفة الغربية للنهر عالية شديدة الانحدار ، بينما الضفة الشرقية واطئة قليلة الانحدار وكثيرة المستنقعات . الا ان ايـــة خطوط دفاعية لم يكن بوسعها انقاذ الهتلريين من الاندحار . ومع انه كانت للعدو على الجبهة من فيليكيه لوكى الى نوفوروسييسك حتى ٦١٠ فرقة ، الا ان تلك لم تعد شبيهة بفرق زمن حمـــلات القوات الفاشية المتحمسة . فان الهزيمة الماحقة قرب ستالينغراد وكورسك قوضت الى درجة كبيرة معنويات الجندى الالمانى ، وكانت روح التشاؤم والانهزام طاغية على رسائل الجنود الالمان الى «ارض الوطن» . وكانت فرق كثيرة من التى منيت بخسائر فادحة فى المعارك السابقة قد تحولت الى مجموعات قتالية لا اكثر . الا ان هتلر كان يحث القوات باوامره القاضية بعدم تسليم المناطق الستراتيجية الهامة وهى مناطق سمولينسك وبريانسك واوكرانيا الضفة اليسرى والدونباس مهما كلف الامر .

وعلى ضـــوء الخطة العامة للحملة الصيفية ــ الخريفية كانت القيادة العامة العليا السوفييتية قد وجهت الجبهات منذ معركـــة كورسك نحو متابعة الهجوم باتجاه الدنيبر وعبوره رأسا .

وكان الحمـــاس الهجومى الشديد مسيطرا على القـــوات

السوفييتية . ففى ٧ آب (اغسطس) ١٩٤٣ فى خضم الهجوم المضاد قرب كورسك شرعت قوات جبهة كالينين والجبهة الغربية باجراء عملية سمولينسك الهجومية لغرض تصفية رأس جسر ستراتيجى هام للعدو هناك وتحرير مدينة سمولينسك العريقة . وتابعت قواتنا الهجوم فوصلت الى حدود بيلوروسيا . وفى اواسط آب (اغسطس) بدأت قوات الجبهة الجنوبية الغربية (بقيادة الجنرال مالينوفسكى) والجبهة الجنوبية (بقيادة الجنرال تولبوخين) فى الاتجاه الستراتيجى الجنوبى عملياتها الرامية الى تحرير الدونباس الذى هو منطقة صناعية هامة فى البلاد . وفى اواخر آب (اغسطس)واوائل ايلول (سبتمبر) استأنفت الهجوم من جديد جبهة بريانسك والجبهة المركزية وجبهة فورونيج والجبهة السهبية .

ووحد الحزب الشيوعى ووجه جهود القوات النظامية والانصار لحل مهمة ستراتيجية واحدة . ففى ٢٨ شباط (فبراير) طالبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى بيلوروسيا ، وطالبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى اوكرانيا يوم ٢١ حزيران (يونيو) كافة قطعات وفصائل الانصار بتوسيع شعلة الحرب الشعبية فى مؤخرة العدو . ودعت اللجنتان الانصار والمناضلين السريين الى تشديد الضربات الموجهة الى طرق مواصلات العدو وتنظيم انقاذ المدن من الدمار وحماية المواطنين السوفييت من الاقتياد للاعمال الشاقة فى المانيا الهتلرية . ولغرض احراز ارتباط اوثق بين الانصار والقوات النظامية تشكلت لدى المجالس العسكرية فى الجبهات اقسام العمليات لاركانات حركة الانصار .

واتسمت باهمية كبيرة غارات تشكيلات الانصار على اعماق مؤخرات العدو . وكانت ناجحة خصوصا غارات تشكيلات كوفباك وميلنيك ونعوموف وفيودوروف وصبوروف وميدفيديف الذى عمل فى فصيلته رجل الاستخبارات السوفييتى الشهير ن . كوزنيتسوف وغيره .

وفى ليلة ٣ آب (اغسطس) خرج الى سكك الحديـــد التى يحتلها الالمان عشرات الآلاف من الانصار فى وقت واحد وذلك حسب اشارة من هيئة الاركان المركزية لحركة الانصار . وبدأ ما سمى « بحرب السكك » . فمنذ اواسط ايلول (سبتمبر) استمرت هذه الحرب باسم اصطلاحى هو « الحفلة » . واثارت هذه الحرب الذعر والحيرة فى معسكر العدو . فقد شلت حركة السكك الحديدية لديه . وحطم الانصار اكثر من ٢٠٠٠ كيلومتر من طرق السكك الوحيدة الخط . وفى هذه الظروف اصبح مــــن العسير على العدو المناورة بالقوات والوسائل ونقل الذخيرة والمواد الغذائية ونقل الجرحى . وكل ذلك ساعد هجوم القوات السوفييتية فى جبهة واسعة .

وكان الهجوم اكثر نجاحا فى اتجاه كييف وكذلك فى الدونباس . وقاتلت بمهارة خاصة قوات الجيش الستين بقيادة الجنرال الشاب الموهوب تشيرنياخوفسكى على الجناح الايسر للجبهة المركزية . ففى ٣٠ آب (اغسطس) حررت هذه القوات مدينة غلوخوف . وساعد وصول القوات السوفييتية الى خط نهر ديسنا تشكيلات جبهتى بريانسك وفورونيج على الزحف الى الامام . وانفتحت ثغرة كبيرة فى نقطة التماس بين مجموعتى جيوش «المركز» و «الجنوب» الهتلرية . ولان الهتلريين كانوا عاجزين عن سد هذه الثغرة اضطروا للهرب الى ما وراء الدنيبر اعتبارا من اواسط ايلول (سبتمبر) .

وكانت قوات الجبهة الجنوبية التى بدأت الهجوم سابقا قــــد وجهت ضربة شديدة من قبل المشاة والدبابات فقصمت دفـــاع العدو عند نهر ميوس . وساعد سقوط «جبهة ميوس» على تحرير مدينة تاغانروغ فى ٣٠ آب (اغسطس) . وكانت الانزالات البحرية التى قام بها اسيطيل آزوف الحربى بقيادة الاميرال غورشكوف فى مناطق تاغانروغ وماريوبول واوسيبينكو قد ساعدت القوات فى متابعة الهجـــوم على طول ساحل بحر آزوف نحو خط نهـــر مولوتشنايا .

واضطرت خطورة الوضع هتلر الى مغادرة مخبأه فى منطقة فينيتسا والوصول فى ٨ ايلول (سبتمبر) الى مقر اركان مجموعة جيوش «الجنوب» فى زابوروجيه . وبعد اجتماع سرى مع مانشتين اتخذ قرار بسحب القوات الى الغرب . ومنذ اواسط ايلول (سبتمبر) قامت الجيوش السوفييتية بمطاردة العدو على نطاق واسع وعلى طول الجبهة الستراتيجية من فيليكيه لوكى حتى بحر آزوف .

وكان العدو المنسحب فى فورة الهياج والحقد الوحشى ، حيث احرق المدن والقرى ودمر المصانع والمعامل واقتاد المواطنين السوفييت للاعمال الشاقة . وكان الشيوخ والنساء والاطفال قد فروا بحثا عن النجاة فى الغابات واختبأوا فى السراديب والاقبية وجملونات الدور . وكانوا ينتظرون بشعور الفرح العظيم المكبوت وصول الجيش الاحمر الحبيب . وكان المحاربون السوفييت يذللون مقاومة العدو مندفعين الى الامام . وكانوا يعرفون بان الملايين من المواطنين الذين استعبدهم العدو ينتظرونهم . وقطعوا بضرباتهم المندفعة الحازمة دابر شرور الفاشيين الارجاس . وحررت قوات الجيش الحادى والثلاثين مدينة يارتسيفو ، ففتحت الطريق نحو سمولينسك ، ثم حررت هذه المدينة الروسية العريقة فى ٢٥ ايلول (سبتمبر) . وقامت قوات الجنرال بوبوف بمناورة رائعة فحررت بريانسك وطاردت الفاشيين نحو الغرب .

ولم تكن المفارز الامامية لتشكيلات المشاة والدبابات والخيالة المدعومة من قبل الطيارين السوفييت لتسمح للعدو بالتقاط نفسه . فهذه المفارز التفت حول العدو من الجناحين واستولت على مراكز الطرق والجسور والمعابر والقرى واحتفظت بها حتى وصول القوات الرئيسية . وبفضل هذه العمليات بالذات استطاعت قوات الجنرال بوخوف ان تحرر مدينة تشيرنيغوف رأسا فى يوم ٢١ ايلول (سبتمبر) وتصل الى الدنيبر ، واستطاعت قوات دبابات

الجنرال ريبالكو فى اليوم ذاته ان تصل الى الدنيبر جنوبى كييف .
وعلى هذه الصورة قاتلت قوات جبهاتنا الاخرى فى اتجاهات بولتافا ودنيبروبتروفسك وزابوروجيه . وبعد ان احبطت هذه القوات تناسق انسحاب العدو وصلت الى الدنيبر فى اواخر ايلول (سبتمبر) على جبهة واسعة من لويف حتى زابوروجيه ، وطردت جيوش الجنرال تولبوخين القوات الهتلرية الى ما وراء خط نهر مولوتشنايا .
ثم اعترض طريق القوات السوفييتية «السد الشرقى» الذى كان نهر الدنيبر اساسا له . وكانت كييف العريقة التى شوهها العدو تستغيث وتستنجد بمحرريها . وعلى شواطئ الدنيبر اقسم ابناء الوطن السوفييتى ان يذللوا كافة العوائق ليدحروا ويحطموا العدو البغيض .
وتم بنجاح عبور الدنيبر فى اتجاه كييف ايضا . وكانت قوات جبهة فورونيج قد اسست هنا رأسى جسرين شمالى كييف وجنوبيها فى وقت واحد . وحاربت ببسالة المفارز الامامية لجيش حرس الدبابات الثالث فى منطقة منعطف بوكرين على الدنيبر . واستخدمت هذه المفارز زوارق صيادى السمك والمعديات التى اعدها مسبقا فصيل الانصار الذى يحمل اسم تشابايف .
وفى وقت قتال القوات الرئيسية لجبهة فورونيج من اجل رأس جسر بوكرين كانت قوات الجيش الثامن والثلاثين بقيادة الجنرال تشيبيسوف قد كونت رأس جسر لوتيج شمالى كييف .
واستولى محاربو فيلق مشاة الحرس الخامس والعشرين بقيادة الجنرال سافيولين على رأس جسر جنوب شرقى كريمينتشوغ بعد ان تستروا بحجب الدخان واستخدموا وسائط العبور المبتكرة والنظامية ونظموا معابر تمويهية . ومنح لقب بطل الاتحاد السوفييتى الى ٧٤ محاربا من هذا الفيلق تقديرا للبسالة والمهارة الحربية اللتين ابدوهما فى المعركة .

وصفت قوات الجبهة الجنوبية الغربية بقوى جيش الحرس الثامن بقيادة الجنرال تشويكوف والتشكيلات المتعاونة معها فى ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) رأس جسر العدو وقامت بهجوم ليلى حررت فيه زابوروجيه ، وفى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) تحررت مدينة دنيبروبتروفسك من جديد .

وانهار الجناح الايسر ايضا «للسد الشرقى» للقوات الالمانية الفاشية . ففى هذه الفترة اخترقت وحدات الجبهة الجنوبية دفاع العدو الشديد التحصين على نهر مولوتشنايا ، وشرعت بتنفيذ عملية ميليتوبول . وذللت قوات جبهة شمال القفقاس بقيادة الجنرال بيتروف ما يسمى «بالخط الازرق» فحررت نوفوروسيسك فى السادس عشر من ايلول (سبتمبر) . ونفذت هذه المهمة الحربية بنجاح وذلك بفضل العمليات المشتركة للقوات البرية واسطول البحر الاسود بقيادة الاميرال فلاديميرسكى . وتابعت القوات الهجوم فطهرت شبه جزيرة تامان كليا من العدو ونفذت عملية الانزال فى كيرتش وذلك بالتعاون مع اسطول البحر الاسود واسيطيل آزوف . علما بانه تميزت بالبسالة خصوصا قوات الجيش السادس والخمسين بقيادة الجنرال غريتشكو والجيش الثامن عشر بقيادة الجنرال ليسيليدزه .

وهكذا ، فنتيجة للعمليات الحازمة الماهرة التى قامت بها القوات السوفييتية انهار «السد الشرقى» السيئ الصيت وذلك خلال الشهرين الاولين من خريف ١٩٤٣ . واجتاز الجيش الاحمر هذا السد واستولى فى الضفة اليمنى لنهر الدنيبر على اكثر من ٢٠ رأس جسر ذى اهمية عملياتية وتاكتيكية . وتبددت مجللة بالعار مزاعم هتلر بان الدنيبر سيجرى عائدا الى الوراء دون ان يستطيع الروس اجتيازه . وحقق المحاربون السوفييت مأثرة تاريخية . فان اى جيش فى العالم لم يستطع سابقا ان يعبر مثل هذا الخط الجبار وعلى مثل هذه الجبهة الواسعة .

وكانت تنتظر التحرير جمهوريات البلطيق السوفييتية وبيلوروسيا المعذبة واوكرانيا الضفة اليمنى . وطبقا للمهام المطروحة على الجيش الاحمر ولدت اسماء جديدة للجبهات اعتبارا من ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) . فقد استبدل اسم جبهة كالينين بجبهة البلطيق ، والجبهة المركزية بجبهة بيلوروسيا ، وكان على هذه الجبهة ان تشن هجوما شمالي بريبيات وتحرر اراضي بيلوروسيا من العدو . وصارت الجبهات الاربع المقاتلة في اوكرانيا تسمى بالجبهات الاوكرانية الاولى والثانية والثالثة والرابعة .

وحققت الجبهة الغربية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٣ عملية هجومية في اتجاه اورشان . وقامت هنا في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) وضمن الجيش الثالث والثلاثين اول عملية حربية لفرقة المشاة التي تحمل اسم تاديوش كوستيوشكو والتي تشكلت في الاتحاد السوفييتي من الوطنيين البولونيين . وتشكلت وتزودت بالتكنيك الحربي السوفييتي اول فرقة للقوات الشعبية البولونية في معسكر التدريب عند قرية سيلتسى قرب ريازان على ضفة نهر اوكا الخلابة .

وبقيادة الضابط البولوني المحنك العقيد زيغموند بيرلينغ حارب افراد فرقة كوستيوشكو بكل بسالة جنبا الى جنب مع القوات السوفييتية قرب بلدة لينينو في مقاطعة موغيليف وذلك في سبيل بولونيا الحرة الديمقراطية . فهنا قرب هذه البلدة البيلوروسية التي تحمل اسم لينين ولدت اواصر الاخوة الكفاحية بين الشعبين السوفييتي والبولوني . وتقديرا للشجاعة والبسالة اللتين ابداهما المحاربون البولونيون في هذه المعركة منحت الحكومة السوفييتية الاوسمة والميداليات لـ ٢٤٣ جنديا وضابطا من فرقة المشاة الاولى التي تحمل اسم تاديوش كوستيوشكو ، كما منح لقب بطل الاتحاد السوفييتي لثلاثة منهم هم الكابتن فلاديسلاف

فيسوتسكى والكابتن يوليوش غوبنير ورامية الوشاش القصير انيلا كجيفون .

ولغرض عدم جعل العدو يلتقط نفسه ولغرض تنفيذ المهام الاساسية للحملة الصيفية الخريفية عام ١٩٤٣ كان على الجيش الاحمر ان يتابع هجومه فى الاتجاه الستراتيجى الرئيسى ليحرر عاصمة اوكرانيا السوفييتية من النير الفاشي . وفى الوقت ذاته كانت القوات السوفييتية تسعى الى شن هجوم على الجناحين الستراتيجيين لتحرير منطقتى بيلوروسيا والقرم .

وجرت الاحداث الاساسية خلال هذه الايام عند جدران كييف العريقة . وقررت القيادة السوفييتية توجيه الضربتين الى العدو من اتجاهين : ضربة الهاء من جهة رأس جسر بوكرين وضربة اساسية من جهة رأس جسر لوتيج . وكلفت بهذه المهمة المشرفة قوات الجبهة الاوكرانية الاولى بقيادة الجنرال فاتوتين .

وخاضت المعارك من اجل تحرير كييف مباشرة قوات الجيش الثامن والثلاثين وفيلق دبابات الحرس الخامس بمشاركة لواء المشاة التشيكوسلوفاكى الاول بقيادة العقيد لودفيغ سفوبودا . وخاض المحاربون السوفييت والتشيكوسلوفاكيون فى جو من الاخاء الكفاحى الوثيق معارك بطولية من اجل تحرير عاصمة اوكرانيا السوفييتية . وقبيل الهجوم دعا العقيد سفوبودا جنود وضباط اللواء الى القتال من اجل كييف كما لو كانوا يقاتلون من اجل براغ وبراتيسلافا . وكانوا يعرفون ان الطريق الى براغ الحبيبة يمر بالنسبة لهم عبر كييف .

وجنبا الى جنب مع قوات حرس الدبابات السوفييتية دخل المحاربون التشيكوسلوفاكيون يوم ٥ تشرين الثانى (نوفمبر) الى الاطراف الشمالية الغربية لكييف واحتلوا محطة القطار . ونشبت المعركة الحاسمة لتحرير كييف فى ليلة ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) . فقد هجمت مجموعة جنود الرشاشات القصيرة بقيادة رئيس العرفاء

اندرييف وخاضت معركة وصلت خلالها الى البناية التى كانت تشغلها سابقا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاوكرانى ونصبت الراية الحمراء عليها .

وحتى الساعة الرابعة من صباح ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٣ تم نهائيا دحر العدو فى كييف ، وتحررت عاصمة اوكرانيا السوفييتية . وكان ذلك هدية قيمة كبرى للوطن عشية العيد الرائع ، عيد الذكرى السادسة والعشرين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وتكريما لتحرير كييف من قبل قوات الجبهة الاوكرانية الاولى جرى فى موسكو يوم ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) تقديم اكبر تحية هى تحية تحرير عواصم الجمهوريات السوفييتية الاخرى او عواصم الدول المتحالفة معنا ، حيث اطلقت ٢٤ صلية من ٣٢٤ مدفعا . واطلق اسم كييف على العديد من اكثر القطعات والتشكيلات جهادا فى سبيل كييف . ومنح اللواء التشيكوسلوفاكى الاول وسام سوفوروف من الدرجة الثانية . وتقديرا للبسالة فى المعركة منح ١٣٨ محاربا تشيكوسلوفاكيا الاوسمة والميداليات السوفييتية ، كما منح اثنان منهم وهما الملازم سوخور والملازم تيسارجيك لقب بطل الاتحاد السوفييتى . وهكذا تعززت وصهرت فى المعارك المشتركة ضد الفاشية الاخوة الكفاحية بين جيشينا الشقيقين . كما منح الجنرال سفوبودا بعد الحرب لقب بطل الاتحاد السوفييتى تقديرا لخدماته الكفاحية وبمناسبة بلوغه السبعين من العمر .

وبعد ان فقد الفاشيون كييف اخذوا ينسحبون ، اما القوات السوفييتية فقد تابعت الهجوم وحررت جيتومير فى ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ، ومن ثم حررت كوروستين ووصلت الى اوفروتش . وفى المعارك من اجل تحرير اوفروتش قدم الانصار مساعدة كبيرة للقوات النظامية . وقاتلت بنجاح جنبا الى جنب مع تشكيلة الانصار بقيادة الجنرال صبوروف فصيلة الانصار التشيكوسلوفاكيين بقيادة يان ناليبكا . وظل ناليبكا فى الصفوف

الاولى من المهاجمين بالرغم من اصابته بجراح . وسقط شهيدا فى احدى الهجمات وهو يتابع قيادة فصيلته . ومنح يان ناليبكا لقب بطل الاتحاد السوفييتى تقديرا لبسالته وخدماته فى حركة الانصار باوكرانيا ، وفيما بعد الحرب نصب تمثـــال له فى اوفروتش . وهذا مثال رائع آخر على الصداقة الكفاحية بين الشعوب ، تلــك الصداقة التى روتها دماء الشهداء المراقة فى سنوات الحرب .

وانتهت بالفشل التام كافة محاولات القوات الالمانية الفاشية للانتقال الى الهجوم المضاد وارغام القوات السوفييتيـــــة على الانسحاب الى ماوراء الدنيبر . وحتى اواخر العام كانت قوات الجبهة البيلوروسية والجبهة الاوكرانية الاولى قد شكلـــت رأس جسر ستراتيجيا طوله ٤٠٠ كيلومتر وعرضه ١٥٠ كيلومتر . وفى الوقت ذاته طهرت جيوش الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة ضفــة الدنيبر اليمنى من تشيركاسى حتى زابوروجيه من رجس العــدو ، وبذلك شكلت رأس جسر ثانيا ذا اهمية ستراتيجية . وكانت قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة قد تابعت الهجوم فى تافريا الشماليـــة فخرقت الدفاع الى ارميانسك وقطعت الطريق على مجموعة القوات الالمانية الفاشية فى القرم .

ودخلت المعركة من اجل الدنيبر صفحات تاريـــخ الحرب الوطنية العظمى باعتبارها ملحمة بطولية . فقد ابدى الجنـــود والضباط والجنرالات بطولة شاملة لدى عبور الدنيبر وملاحقـــة العدو وفى القتال من اجل توسيع رؤوس الجسور على الضفة الغربية للنهر . وحظيت بسالتهم وشجاعتهم وروحهم الهجومية العاليـــة ومهارتهم الحربية باسمى التقدير من قبل الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية . فان عشرات الآلاف من المحاربين السوفييت منحوا الاوسمة والميداليات الحربية . ومنح لاشجع الشجعان ، وعددهم يتجاوز ٢٤٠٠ ، لقب بطل الاتحاد السوفييتى . ومن بينهم ممثلو كافة اصناف القوات المسلحة .

وتقديرا للبسالة والشجاعة فى معركة الدنيبر لمعت على صدور كثير من المحاربين اوسمة المجد من الدرجات الاولى والثانية والثالثة ، وهى الاوسمة التى استحدثت فى خريف ١٩٤٣ باعتبارها شارات خاصة لبسالة جنود وعرفاء الجيش السوفييتى . ورقى الذين منحوا وسام المجد بدرجاته الثلاث الى رتب عسكرية جديدة. فالجنود منحوا رتبة جندى اول والرقباء منحوا رتبة مساعد والمساعدون منحوا رتبة ملازم ثان والملازمون الثوانى الجويون منحوا رتبة ملازم .

وفى ٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٣ صدر مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى باستحداث وسام «النصر» وذلك لمنحه الى القادة العسكريين الكبار الذين تميزوا بالقدرة الفائقة على تنظيم انتصارات القوات السوفييتية . ومنح هذا الوسام العسكرى السامى الى ١١ من ابرز القادة العسكريين السوفييت . وكان اول من منح وسام «النصر» مارشالا الاتحاد السوفييتى جوكوف وفاسيليفسكى .

وكان ذلك كله اسطع دليل على الانتصارات الحربية السياسية التى احرزها الشعب السوفييتى وقواته المسلحة حتى اواخر عام ١٩٤٣ ، اى فى حصيلة المرحلة الثانية من الحرب الوطنية العظمى . ومن اهم نتائج هذه المرحلة ليس فقط تحقيق الانعطاف الجذرى فى سير الحرب الوطنية العظمى والحرب العالمية الثانية عموما بل وتثبيت هذا الانعطاف نهائيا . فان القوات السوفييتية تقدمت مسافة تتجاوز ٤٠٠ كيلومتر وحررت فى الفترة من آب (اغسطس) حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ المناطق الهامة عسكريا واقتصاديا وهيأت الظروف للتحرير التام لبيلوروسيا كلها واوكرانيا الضفة اليمنى والقرم . وخلال مجمل مرحلة الانعطاف الجذرى دمرت هذه القوات ٢١٨ فرقة معادية وارغمت الجيش الهتلرى على الانتقال الى الدفاع الستراتيجى حتى نهاية

الحرب . وهبطت لدرجة كبيرة الروح المعنوية القتاليـــة للقوات الفاشية . وفى الاراضى التى احتلها مؤقتا الغزاة الالمان اشتعلـــت نيران حرب الانصار التى نظمها ووجهها الحزب الشيوعى السوفييتى .
وهبطت سمعة المانيا الهتلرية لدرجة كبيرة فى انظار اتباعها ، وخلا الحلف العدوانى من ايطاليا الفاشية . وولدت معركة الجيش الاحمر البطولية فى افئدة ابناء شعوب البلدان المحتلة ثقة عميقة بقرب موعد تحررها من الطغيان الهتلرى .
وخلقت انتصارات القوات المسلحة السوفييتية جوا ملائما تماما للقوات الانكلواميركية فى المسارح الاخرى للحـــرب . وفى معمعان المعركة من اجل الدنيبر نزلت هذه القوات فى جنوب ايطاليا . الا ان الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا احبطت من جديد افتتاح الجبهة الثانية فى اوروبا .

انتصاراتنا الشتوية

الجيش فى الظروف الجديدة

اشرف عام ١٩٤٣ على الانتهاء . وكان على القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى ان تقاتل فى ظروف تختلف كثيرا عن الظروف السابقة . فلم تعد هناك حاجة للقتال ضد العدو من اجل اخـــذ المبادرة الستراتيجية ، وذلك لانها انتقلت كليا الى الجيش الاحمر . وفى العام الجديد كان على الجيش السوفييتى لا ان ينجز تحرير كافة الاراضى السوفييتية من المحتلين الفاشست فحسب ، بل وان يشرع بتحقيق رسالته التحريرية مقاتلا فى اراضى الـــدول الاخرى التى استعبدها الفاشيون .
واصبح واضحا لدى الجميع وضوحا متزايدا التفوق السياسى والاقتصادى والحربى للدولة السوفييتية على الرايخ الفاشى .

وعاد عام ١٩٤٤ على الاتحاد السوفييتى بنجاحات جديدة كبرى فى التنمية الاقتصادية . فقبل عامين من ذلك عندما لم يكن اقتصاد البلاد قد افاق بعد من الهزات الشديدة للحرب التى بدأت بداية غير موفقة ، لم يستطع حتى اكثر المراقبين بعد نظر ان يتوقعوا امكانية مثل هذه الطفرة الكبيرة فى الانتاج الحربى . اليكم بعض علائم الانتاج الحربى : ٢٩ الف دبابة ومدفع ذاتى الحركة واكثر من ٤٠ الف طائرة وحوالى ١٢٢,٥ الف مدفع فى العام الواحد . وامن الشغيلة فى المؤخرة توجيه مسيل لا ينقطع من القطارات المحملة بالاسلحة والذخيرة والمواد الغذائية الى الجبهة .

وبالاضافة الى زيادة كمية المنتوج تحسنت فى الوقت ذاته نوعية السلاح والتكنيك الحربى والمعدات وظهرت انواع جديدة منها . فقد استبدل المدفعيون مدفعهم المضاد للدبابات وهو من عيار ٤٥ ملم بمدفعين من عيار ٥٧ و٧٦ ملم . ووضع ضمن التسليح مدفع جبار من عيار ١٠٠ ملم ، ومدفع مضاد للجو من عيار ٨٥ ملم والجهاز الصاروخى «م ـ ٣١ ـ ١٢» ومدفع الهاون من عيار ١٦٠ ملم .

واصبحت الدبابات السوفييتيه آنذاك تتميز بخصائص قتالية ممتازة . فقد صار بمستطاعها شق دفاع العدو الى اعماق كبيرة . والى جانب الدبابة المتوسطة «ت ـ ٣٤» التى تجلت محاسنها فى المعارك بدأ استخدام الدبابات الثقيلة ذات الدروع الامامية السميكة والمدافع ذاتية الحركة «ايسو ـ ١٢٢» و«ايسو ـ ١٥٢» و«سو ـ ١٠٠» . وصارت القوات الجوية تستلم عددا متزايدا من قاذفات القنابل «ب ى ـ ٢» والمقاتلات «لا ـ ٥» و«ياك ـ ٩» والخ . وصارت تستخدم طرازات جديدة من الطائرات مثل مقاتلات «ياك ـ ٣» و«لا ـ ٧» وطائرات الهجوم «ايل ـ ١٠» وهى تفوق من حيث السرعة والمناورة والتسليح طائرات العدو المشابهة لها . وازداد لدى سلاح الجو عدد الرادارات . وكل ذلك

كان يدل على المستوى العالى لتجهيز الجيش الاحمر تكنيكيا وعلى نمو قوة تشكيلاتها الضاربة وخفة حركتها .

وادت انتصارات الاتحاد السوفييتى فى الجبهة ونجاحاته فى المؤخرة الى زيادة سمعته كثيرا على الصعيد الدولى . وتجلى ذلك بكل وضوح فى مؤتمر القمة الثلاثى فى طهران (رؤساء دول الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا) حيث تم تنسيق خطط ومواعيد اجراء عمليات دحر الجحافل الهتلرية .

وتجدر الاشارة الى ان صناعة المانيا الهتلرية تابعت كذلك زيادة صنع المنتوج الحربى حتى تموز (يوليو) ١٩٤٤ . وساعد على ذلك ان المانيا كانت تستخرج الفحم وتصهر المعادن بكميات اكبر مما لدى الاتحاد السوفييتى . وبالرغم من ذلك لم تستطـــع المانيا ان تحرز مستوى لانتاج المصنوعات الحربية كالذى احرزه الاتحاد السوفييتى .

وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ طالب الوزير الامبراطورى للاسلحة والانتاج الحربى شبيير فى اجتماع خصوصى بزيادة صنع الاسلحة والمعدات الحربية . وقال ان ذلك تمليه ضرورة «الحد من التفوق المادى للعدو» . اذن ، فالمسألة المطروحة آنذاك لم تكن هى الحفاظ على التفوق الكمى فى صنع المنتوج الحربى ، بل وليس حتى الابقاء على مستوى انتاجى يعادل مستوى الاتحـــاد السوفييتى ، انما كانت هى محاولة ابطاء اتساع الهوة المتزايدة بصورة لا مرد لها بين مستوى الانتاج فى كلا البلدين لصالح الاتحاد السوفييتى .

والى جانب زيادة كمية الاسلحة والمعدات الحربية وتحسين نوعيتها استمر تحسين التركيب التنظيمـــى للقوات المسلحـــة السوفييتية .

فقد كانت الجيوش مختلفة الاصناف فى القوات البرية تضم عادة ثلاثة فيالق (٨ـــ١٠ فرق) . اما فى عام ١٩٤٤ فقد اضيف اليها

لواء مدفعى مكون من فوجين ولواء هندسى . وازداد عدد جيوش الدبابات الى ستة . وانضم الى فيالق الدبابات والفيالق الميكانيكية فوج متوسط من المدافع ذاتية الحركة وفوج مدفعى خفيف . واتسم بأهمية كبيرة تشكيل الوية الهاون الثقيلة والوية الهندسة الآلية والوية الهندسة الهجومية وكتائب المهمات الخاصة المزودة بالسيارات البرمائية وقطعات وتشكيلات المواصلات .

وانجزت فى سلاح الجو عملية تحويل الفيالق الجوية المختلطة الى فيالق من نوع واحد مثل فيالق المقاتلات وفيالق الهجوم وفيالق قاذفات القنابل . وتم فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ ولاول مرة فى سنوات هذه الحرب تشكيل جحفل جوى للطيران بعيد المدى مكون من اربعة فيالق جوية .

وجرت بعض التغيرات التنظيمية فى الاسطول البحرى وفى قوات الدفاع الجوى .

وكانت التغيرات فى كافة انواع واصناف القوات المسلحة تستهدف زيادة القوة الضاربة والقدرة النارية والقدرة على الحركة والمناورة لدى القطعات والتشكيلات وتحسين ادارتها .

وحتى مستهل عام ١٩٤٤ كانت الجبهات والاساطيل المقاتلة تضم ٦١٦٥ الف شخص و ٨٨٩٠٠ مدفع ومدفع هاون و ٢١٦٧ مدفعا صاروخيا وحوالى ٤٩٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة و ٨٥٠٠ طائرة جربية . وكانت الجبهات تضم ٤٦١ فرقة و ٨٠ لواء مستقلا للمشاة وللمشاة الآلية وللدبابات ، و ٢٣ فيلقا للدبابات وفيلقا ميكانيكيا . وكانت هناك احتياطيات كبيرة تحت تصرف مقر القيادة العامة العليا . وكان ذلك كله جيشا قويا جيد التجهيز تكنيكيا ، وله كوادر ذات تدريب ممتاز وخبرة قتالية غنية .

وتميز المحاربون السوفييت بالنضوج السياسى والقدرة القتالية العالية . وعرضوا بمآثرهم القتالية اخلاصهم المتفانى لوطنهم وشعبهم وحزبهم اللينينى . وحتى مستهل عام ١٩٤٤ كانت المنظمات

الحزبية فى القوات المسلحة تضـــم ٢٧٠٢ الف شيوعى ، وكانت منظمات الكومسومول تضم ٢٣٧٩ الف عضو . وقبل لعضويـــة الحزب الشيوعى السوفييتى اكثر من ٨٢١ الف محارب ورشـــح لعضويتـــه ٩٢٩ آلفا فى غضون عام ١٩٤٤ . وكان الشيوعيون واعضاء الكومسومول تحت قيادة المجالس العسكرية والهيئـــات السياسية والمنظمات الحزبية تلك القوة الجبارة التى وثقت العرى المتينة بين افراد الوحدات والقطعات وامنت تنفيـــذ المهمات الحربية .

وظل الجيش الهتلرى جيشا غفيرا حسن التجهيز بالرغم من الهزائم الكبرى التى لحقت به . وبلغت قواته ووسائله الحربية فى الجبهة الشرقية مع قوات حلفائه ٢٣٦ فرقة و ٢٤ لواء وثلاثة اساطيل جوية . وبلغ تعداد هذه القوات ٤٩٠٠ الف جندى وضابط واكثر من ٥٤٥٠٠ مدفع ومدفع هاون و ٥٤٠٠ دبابة ومدفع هجوم واكثر من ٣٠٠٠ طائرة . وكان ذلـــك جيشا هائلا يتميز بخبرة فى خوض العمليات الحربية على مختلف مسارح الحرب . وكان قصم ظهر هذا الجيش نهائيا يتطلب جهودا هائلة .

وكان الجيش السوفييتى المقاتـــل متفوقا على قوات الحلف الفاشى المواجه من حيث تعداد الافراد بنسبة ٣٠٪ ومن حيث المدافع ومدافع الهاون بنسبة ٧٠٪ ومن حيث الطائرات بنسبة ١٧٠٪ . اما من حيث الدبابات والمدافع ذاتية الحركة فقد كان التناسب كالآتى ١ : ٠,٩ لصالح العدو .

ويتضح من ذلك ان تفوق الجيش الاحمر كميا على العدو كان على اقله ما عدا سلاح الجو . الا ان المستوى العام العالى للفـــن الستراتيجى وارتفاع معنويات القوات السوفييتية جعلا هذا التفوق الضئيل يهيئ للقيادة السوفييتية امكانية تـــركيز الجهـــود على الاتجاهات الرئيسية وتحقيق الانتصار الحاسم فى الوقت اللازم .

وكانت حالة القوات المسلحة وامكانيات كل بلد هى اساس

الخطط التى اتخذت لمتابعة الصراع . وقيم الطرفان المتحاربان حصيلة المعارك السابقة ووضعا الخطط الجديدة . وكان هناك ما يستدعى التفكير مع ان آفاق الحرب التى اصبحت واضحة كانت غير متساوية ابدا .

فقد ولى ذلك الزمن الذى كان مقر القيادة الهتلرية وهيئة الاركان الالمانية فيه يحددان سير الحرب على الجبهة الشرقية . واصبحت المبادرة على الجبهات فى ايدى القوات المسلحة السوفييتية كليا .

وكتب الجنرال ايودل الى هتلر فى شباط (فبراير) ١٩٤٤ يقول «ليس باستطاعتنا كسب الحرب بالوسائل العسكرية» . وكان الكثيرون من الجنرالات الهتلريين والسياسيين يشاطرونه هذه الفكرة . وكان لهذه التوقعات اساس جدى ، كما اكدها التحليل الواعى للوضع القائم آنذاك . وكتب فيما بعد الرئيس السابق للاركان العامة الالمانية فرانز هالدير يقول «كان واضحا منذ اواخر عام ١٩٤٣ ان الحرب خاسرة من الناحية العسكرية» .

وانطلاقا من الاستنتاج بان الحرب لا يمكن كسبها الآن بالوسائل العسكرية علق المسؤولون فى برلين آمالهم على كسب الحرب «بالوسائل السياسية» . واصبح الاتجاه الاساسى فى السياسة هو السعى الى عقد صلح انفرادى مع الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا . وفى المجال العسكرى كانت المهمة الاساسية تتلخص فى القيام بالدفاع النشيط بعيدا عن حدود الرايخ والتشبث بالخطوط الملائمة للمقاومة وكسب الوقت لاجراء المفاوضات مع الدول الغربية .

واعتبارا من صيف ١٩٤٤ صارت المانيا ، كما اكد الفيلدمارشال كيتيل ، تخوض الحرب فقط لكسب الوقت . وقال كيتيل «كنا نخوض الحرب منتظرين الاحداث التى كان يجب ان تقع ولكنها لم تقع» . وكان مقررا لخوض الحرب الطويلة الامد

حتى يتم عقد الصلح الانفرادى «الابقاء على الجيش الالمانى فى الشرق بتعداد لا يقل عن تعداده الحالى» . وذلك يعنى ان الجبهة الحاسمة فى الحرب العالمية الثانية بالنسبة لالمانيا لاتزال كالسابق هى الجبهة الشرقية وان القسم الاساسى من القوات والوسائل الحربية ينبغى ان يوجه ضد الجيش الاحمر .

وكانت قد وضعت فى موسكو خطط مغايرة لذلك تماما .

فقد كانت مهمة الجيش الاحمر لعام ١٩٤٤ تتلخص فى دحر المجموعات الستراتيجية الاساسية للعدو على الاراضى السوفييتية وتطهيرها كليا من الغزاة الالمان الفاشست والزحف نحو الغرب لنجدة شعوب اوروبا المستعبدة ومساعدتها فى التحرر من النير الهتلرى . وكانت مهمة الحملة الشتوية عام ١٩٤٤ تتلخص فى توجيه الضربة الاساسية على الاتجاه الجنوبى الغربى وتحرير اوكرانيا الضفة اليمنى والقرم . وكان من المقرر فى الوقت ذاته توجيه ضربة شديدة للعدو قرب لينينغراد ونوفغورود لغرض دحر مجموعة جيوش «الشمال» وفك حصار لينينغراد كليا والوصول الى منطقة البلطيق .

وخلافا للخطة الدفاعية السلبية التى وضعتها القيادة الالمانية كانت خطة القيادة العامة العليا السوفييتية تحمل طابعا هجوميا حازما . وقابلت الخطة نية العدو فى اطالة امد الحرب الى اكبر ما يمكن بالنية لدحر القوات الاساسية لالمانيا الهتلرية وتقريب الحرب من نهايتها المظفرة فى اقرب وقت ممكن .

وكان هناك فرق جذرى آخر بين خطتى الجانبين . فاذا كانت التقديرات السياسية للخطة الالمانية لخوض الحرب مستندة على عوامل غير معتمدة على المانيا واوساطها الحاكمة ، فان الخطة السوفييتية كانت مستندة على التقديرات الواقعية التى تعكس تزايد امكانيات الدولة السوفييتية وقواتها المسلحة .

وطبقا لخطة القيادة العامة العليا السوفييتية نشبت فى كانون الثانى ـ شباط (يناير ـ فبراير) ١٩٤٤ معارك كبرى فى الاتجاه الشمالى الغربى من الجبهة السوفييتية الالمانية ، اى فى منطقة لينينغراد ونوفغورود . وتهيأت الظروف الملائمة لذلك بعد الانتصارات الرائعة التى احرزها الجيش الاحمر فى عام ١٩٤٣ ونتيجة لنجاح متابعة الهجوم الذى شنته فى الجنوب قوات الجبهات الاوكرانية خلال النصف الاول من كانون الثانى (يناير) ١٩٤٤ .

وكان الشعب باسره ينتظر بفارغ الصبر دحر العدو قريبا عند جدران مدينة لينين المجيدة ، وبذل هذا الشعب كل ما فى وسعه للتعجيل بهذا النصر . واتجهت نحو لينينغراد من كافة ارجاء البلاد قطارات كثيرة تحمل الشحنات الحربية . وتحقق عمل كبير داخل القوات . فقد كانت المجالس العسكرية للجبهات والجيوش والقادة العسكريون والسياسيون والمنظمات الحزبية ومنظمات الكومسومول يعدون القطعات والتشكيلات اعدادا هادفا لاختراق دفاع العدو الحصين العميق ولخوض المعارك الهجومية الطويلة الامد .

وفى اواسط كانون الثانى (يناير) ١٩٤٤ انتقلت الى الهجوم الحازم قوات جبهة لينينغراد بقيادة جنرال الجيش غوفوروف وقوات جبهة فولخوف بقيادة جنرال الجيش ميريتسكوف وقوات جبهة البلطيق الثانية بقيادة جنرال الجيش بوبوف وذلك بالتعاون مع الطيران البعيد المدى وبدعم من اسطول البلطيق الحائز على وسام الراية الحمراء بقيادة الاميرال تريبوتس . وقدمت مساعدة نشيطة الى هذه القوات الوية الانصار المقاتلة فى مؤخرة العدو والبالغ عدد افرادها ٣٥ الف شخص . ونشبت معارك شديدة على جبهة هائلة بلغ طولها فى قطاعى جبهة لينينغراد وجبهة فولخوف وحدهما حوالى ٤٠٠ كيلومتر .

وانهار تحت ضربات الجيش الاحمر القاضية دفاع العدو الجبار العميق الذى اعد طوال اكثر من عامين واطلق عليه اسم «السد الشمالى» . وكانت ظروف الارض العسيرة وحالة الطقس غير الملائمة قد عقدت الهجوم ولكنها لم تعرقله . ففى ١٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٤ تحررت مدينتا روبشا وكراسنويه سيلو ، وفى ٢٠ منه انجز تدمير مجموعة العدو فى بيترغوف وستريلنا . وكان من بين الغنائم التى استولت عليها قواتنا ٨٥ مدفعا ثقيلا ذى عيارات تتراوح بين ١٥٢ و ٤٠٠ ملم ، وقد كانت هذه المدافع تطلق نيرانها بوحشية على لينينغراد . وفى اليوم ذاته انجز تدمير مجموعة قوات العدو قرب نوفغورود . وتابعت قوات الجبهات عملياتها الحربية فطاردت العدو باصرار نحو الجنوب الغربى والغرب والجنوب .

وفى ٢٧ كانون الثانى (يناير) دوت فى لينينغراد طلقات النصر التى اعلنت للعالم كله عن تصفية حصار العدو نهائيا . وكان ذلك عيدا عظيما حقا .

وقدم الانصار عونا كبيرا للقوات المهاجمة فى زحفها الموفق . فمن ١٤ كانون الثانى (يناير) حتى الاول من آذار (مارس) قتل الانصار ٢١٥٥٦ هتلريا ونسفوا ٥١ جسرا لسكك الحديد و ٢٤٧ جسرا لطرق السيارات وجعلوا ١٣٦ قطارا للعدو تحيد عن القضبان واصابوا ٣٣ دبابة و ٤ طائرات .

وتابعت القوات السوفييتية هجومها الذى منيت خلاله مجموعة جيوش «الشمال» بخسائر متزايدة لا تتعوض ، وحررت هذه القوات فى المعارك العسيرة خلال شهر شباط (فبراير) مدن كينغيسيب وليادى ولوغا وستاريا روسا ودنو وبورخوف ونوفورجيف وغيرها ، فتقدمت نحو الغرب مسافة ٢٢٠ــ٢٣٠ كيلومترا . وتدمرت ٢٣ فرقة معادية كما تحطمت نهائيا ثلاث فرق للعدو . وتم تحرير مقاطعة لينينغراد كلها تقريبا

وقسم من مقاطعة كالينين . ودخلت الفرق حدود استونيا السوفييتية . وتهيأت لاسطول البلطيق ظروف اكثر ملاءمة للمرابطة .

وكانت هزيمة مجموعة «الشمال» قد نسفت بشدة مواقع المانيا فى فنلندة واضعفت نفوذها فى البلدان السكندينافية . وشرعت الحكومة الفنلندية فى البحث عن طرق للخروج من الحرب .

وبهزيمة مجموعة «الشمال» قرب لينينغراد انتهى الصراع المرير الذى خاضته القوات السوفييتية وسكان مدينة ومقاطعة لينينغراد بكل تفان طوال شهور عديدة ، اى منذ صيف ١٩٤١ . واصبحت مأثرة اللينينغراديين رمزا للصمود والبسالة والشجاعة المنقطعة النظير .

وكتبت صحيفة «ستار» البريطانية آنذاك ان كافة الشعوب الحرة وكافة الشعوب التى استعبدها الهتلريون تدرك ان انتصار السلاح السوفييتى فى معركة لينينغراد جعلها تشعر بان الفاشيين إن هم الا اسياد موقتون فى باريس وبروكسل وامستردام ووارشو واوسلو . واعرب عن مثل هذه الفكرة الرئيس الفرنسى الجنرال ديغول لدن زيارته الى الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٦٦ حيث اعلن «ان لينينغراد ساهمت مساهمة هامة جدا فى انتصار روسيا وكذلك فى انتصار فرنسا وحلفائنا» .

فيما وراء الدنيبر

الا ان الاحداث الحربية الرئيسية فى شتاء ١٩٤٤ جرت على الجناح الجنوبى من الجبهة السوفييتية الالمانية ، اى فى اوكرانيا الضفة اليمنى حيث كانت موجودة اكبر مجموعة للقوات الفاشية الالمانية . وكانت قوات الجبهات الاوكرانية الاربع بقيادة القادة العسكريين المحنكين جنرالات الجيش فاتوتين وكونيف ومالينوفسكى وتولبوخين قد قامت هنا بعدة عمليات هجومية

كبرى مترابطة فيما بينها بفكرة مشتركة واحدة . فعلى الرحاب الهائلة من نهر بريبيات شمالا حتى البحر الاسود جنوبا ومن الدنيبر شرقا حتى الدنيستر وبروت غربا نشبت معارك طاحنة على جبهة طولها ١٥٠٠ كيلومتر وعرضها ٥٠٠ كيلومتر ، ونتيجة لهذه المعارك تكبدت خسائر فادحة مجموعة جيوش «الجنوب» بقيادة الجنرال ـ فيلدمارشال مانشتين ومجموعة جيوش «أ» بقيادة الجنرال ـ فيلدمارشال كليست . ومنى العدو بهزيمة ماحقة خصوصا فى منطقة كورسون ـ شيفتشينكوفسكى .

وفى ٢٤ كانون الثانى (يناير) بدأت هنا العمليات الحربية لقوات الجبهة الاوكرانية الثانية بقيادة الجنرال كونيف . وبعد يوم واحد شنت هجوما على العدو لملاقاة قوات الجبهة الثانية جيوش الجناح الايسر للجبهة الاوكرانية الاولى بقيادة الجنرال فاتوتين . ولم تمض اربعة ايام الا وتلاقى فى منطقة زفينيغورودكا جنود دبابات جيش دبابات الحرس الخامس وجيش الدبابات السادس اللذين قادهما قائدا الدبابات الشهيران الجنرال روتميستروف والجنرال كرافتشينكو .

وبهذا اللقاء الكفاحى لمحاربى الجبهتين انجز تطويق مجموعة كبيرة من قوات العدو . وفى الثالث من شباط (فبراير) ، اى بعد مرور عام واحد على تصفية قوات باولوس فى معركة ستالينغراد ، تم هنا تشكيل جبهة خارجية كثيفة محكمة . وشمل التطويق ١٠ فرق ولواء واحدا وكثيرا من قطعات وتشكيلات المدفعية والدبابات والهندسة وهيئتى اركان الفيلق الحادى عشر والفيلق الثانى والاربعين للجيش الثامن بقيادة فالير وهيئة اركان جيش الدبابات الاول بقيادة هوبه . واطبقت المصيدة على اكثر من ٨٠ الف جندى وضابط .

وقدم آنذاك انذار باسم القيادة السوفييتية للقوات المطوقة وقعه نائب القائد العام الاعلى المارشال جوكوف وقائدا الجبهتين

فاتوتين وكونيف . وتلافيا لاراقة الدماء بدون جدوى اقترح على القوات المطوقة الاستسلام بشروط مرموقة . وكان قائد المجموعة المطوقة جنرال المدفعية شتيميرمان يدرك جيدا دروس ستالينغراد ويعرف جيدا انه لم يبق والحال هذه غير مخرجين : فاما الاستسلام واما الهلاك . وكان يميل بصورة متزايدة الى الاستسلام . الا ان برقية هتلر كانت تطالب بالصمود حتى النفس الاخير . وعلت في تبادل الآراء كلمة جنرال قوات «س . س .» غيلّه ، قائد فرقة دبابات «س . س .» «ويكينغ» وانصاره الذين اصروا على متابعة المقاومة . وعندها شرعت القوات السوفييتية بمحو العدو المحاصر .

ابدى العدو مقاومة ضارية . فقد اضطرت قواتنا الى تحرير كل قرية بمعركة طاحنة . وفضلا عن ذلك حل هنا دفء وفيضان غير معتادين في مثل هذا الوقت . ولم تستطع اية سيـــارة ذات عجلات ان تقطع الدروب . وكانت القوات المهاجمة تستلم الذخيرة بفترات انقطاع طويلة . وكانت الذخيرة تصل على الدبابـــات والتراكتورات والعربات التي تجرها الجواميس ، وبالمظلات التي تلقى بها الطائرات . ولم تهدأ المعارك لا ليلا ولا نهارا .

واستجمع مانشتين قرب منطقة التطويق ثماني فرق للدبابات وست فرق للمشاة من مختلف الاتجاهات . وكان يحاول فك الحصار عن قواته المطوقة وذلك بالضربات الصدامية المضادة التي تقوم بها هذه الفرق . ولكن ذلك بلا جدوى . فلم يستطع العدو الزحف لمسافة ١٠ــ٢٠ كيلومترا الا في بعض القطاعات . وبعد ان تكبد خسائر هائلة بالارواح وفقد اكثر من ٧٠٠ دبابة اضطر للانتقال الى الدفاع .

وفي الوقت ذاته حاولت القوات المحاصرة نفسها ان تتخلص من الطوق الذي اخذ بخناقها . فقد زجت بمجموعات قوية للهجوم من اجل ملاقاة فرق الدبابات . الا ان هذه المحاولات واجهـــت مقاومة صامـــــدة واحبطت من قبل قوات المشاة والدبابـــات

السوفييتية ، المدعومة بنيران المدفعيـــة الشديدة وضربـــات الطيران . وكانت كل واحدة من هذه المحاولات الرامية لفك الحصار تكلف العدو آلافا من القتلى والجرحى وفقدان مواقعه والانسحاب الى وسط الطوق .

وكانت القوات السوفييتية تضيق الخناق باستمـــرار على المجموعة المطوقة . وكانت النقط الآهلة تتحرر الواحدة تلـــو الاخرى . وصارت المنطقة المحاصرة فى متناول نيران المدفعية ومدافع الهاون من كافة الانحاء . وكانت مجموعة العدو تـــذوب باستمرار ، وكانت طوابير متزايدة من اسرى الحرب تتوجه تحت حراسة افراد الجيش الاحمر نحو معسكر الاسرى فى المؤخرة . وساعدت على ذلك بصورة فعالة طائرات الجيش الجوى الثانى بقيادة الجنرال كراسوفسكى . وخاض طيارونا بنجاح المعارك ضد سلاح الجو الالمانى الفاشى وحالوا دون طائرات العدو ودون الوصول الى المنطقة المحاصرة . وفى الوقت ذاته ساعد الجيش الجوى الخامس بقيادة الجنرال غوريونوف القوات البريـــة على تحطيم العدو .

وفى ١٤ شباط (فبراير) احتلت قوات الجنرال كوروتييف كورسون ــ شيفتشينكوفسكى . فصارت دائرة الحصـــار حـــول مجموعة العدو التى قلت كثيرا قد ضاقت الى اقصى حد ، وانتقـــل مركز الدائرة الى قرية شانديروفكا .

وعندما اصبح واضحا بانه لا جدوى من انتظار نجدة من الخارج قرر الخبرال شتيميرمان القيام بآخر محاولة لفك الحصار .

ففى ليلة ١٧ شباط (فبراير) تحشدت كافة فلول الفرق المحطمة فى منطقة شانديروفكا حيث تشكل منها طابوران . ووجه الطابور الايسر الضربة الرئيسية نحو ليسيانكا . وكان هذا الطابور يضم فلول فرقة دبابات «س . س .» «ويكينـــغ» ولواء «س . س .» الآلى «فالونيا» وفرقتى المشاة الـ ٧٢ والـ ١٢٢ مع

المدفعية . وهنا زحفت على ناقلات مدرعة وتحت حمايـــة هذه القوات سرية الضباط الكبار والجنرالات . وتبعت الاركانات والضباط سيارات وعربات تحمل الجرحى والشحن . ووراء هذه بقايـــات المؤخرات . ووزعت على الجناحين وحدات التغطية . وكان طول جبهة الاختراق عموما حوالى خمسة كيلومترات . وبدا ان العاصفة الثلجية التى هبت آنذاك ستساعد على انتصار العـــدو . الا ان الانتصار لم يتحقق .

فقد اكتشفت قواتنا تحشد العدو فى الوقت المناسب وحلق طيارونا الى الجو . واسفرت اولى القنابل الحارقة عن اشتعـــال الحرائق التى اصبحت ادلة جيدة لتوجيه القصف الجوى . وكانـت العاصفة الثلجية والرياح الشديدة قد جعلت عمليات سلاح الجو عسيرة ولكنها لم تحل دونها نهائيا .

وكان طابورا العدو اللذان امكن تنظيمهما قد باشرا بالهجوم . ووجها الضربة نحو نقطة التماس بين جيش الحرس السابـــع والعشرين وجيش الحرس الرابع . ووجهت قواتنا الى القـــوات المهاجمة نيرانا شديدة من المدفعية ومدافع الهاون والاسلحـــة الخفيفة ، مما ادى الى اصابة عدد هائل من العسكريين والمعدات الحربية . وسرعان ما تلاشى اى اثر للانضباط والتنظيـــم لدى المهاجمين . واندفع المشاة والدبابات فى الهجوم على العدو الذى عم الاضطراب صفوفه .

وفى تلك الليلة حيث زج الجنرالات الهتلريون بقواتهم فى هجوم بليد فحكموا عليها بالهلاك المحتم فر من ساحة المعركـــة بكل جبن قائد فرقة «س . س .» «ويكينغ» الجنرال غيلّـــه والمقربون اليه ممن اصروا على متابعة المقاومة ، ومن ثم تركوا جنودهم فى كف الاقدار .

وفى ١٧ شباط (فبراير) تم نهائيا القضاء على المجموعـــة المحاصرة . وبلغت خسائــــر العـــدو فى نتوء كورســـون ـ

شيفتشينكوفسكى ٥٥ الف قتيل وجريح و١٨ الف اسير وكمية هائلة من السلاح والتكنيك الحربى . ولم يستطع الفرار عن طريق المنخفضات والوديان العميقة الا عدد ضئيل من الجنود والضباط الذين حملوا نبأ الهزيمة المحزن وهم قذرون لابسو البزات الرثة فاقدو المعنويات تماما .

وفى حوالى نفس وقت دحر العدو فى نتوء كورسون ـ شيفتشينكوفسكى كانت قوات الجناح الايمن من الجبهة الاوكرانية الاولى قد الحقت هزيمة ماحقة بجيش الدبابات الهتلرى الرابع وحررت مدينتى لوتسك وروفنو .

وفى كانون الثانى ـ شباط (يناير ـ فبراير) ١٩٤٤ نفذت القوات السوفييتية كذلك عملية كبرى فى منطقة نيكوبول وكريفوى روغ . فقد تلقى الجيش الالمانى الفاشى السادس ، وهو الجيش الذى اعيد تشكيله بعد الكارثة فى معركة الفولغا باعتباره جيش « الثأر » ـ تلقى ضربة شديدة اخرى من قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة بقيادة الجنرال مالينوفسكى والجبهة الاوكرانية الرابعة بقيادة الجنرال تولبوخين . وبلغ عدد القتلى والاسرى ٤٥ الف جندى وضابط معاد .

وفى كانون الثانى ـ شباط (يناير ـ فبراير) تناثرت ادراج الرياح نهائيا آمال القيادة الهتلرية فى بعث الدفاع على الدنيبر . فقد ازيحت قوات العدو عن هذا النهر الى مسافة ١٠٠ ـ ٣٥٠ كيلومترا . وكان فقدان منطقة نيكوبول ـ كريفوى روغ الاقتصادية ضربة شديدة بالنسبة للهتلريين .

وكانت المرحلة الثانية لدحر مجموعتى جيوش « الجنوب » و« أ » فى اوكرانيا الضفة اليمنىٰ والقرم تجرى فى آذار ـ نيسان (مارس ـ ابريل) ١٩٤٤ . وفى تلك الاثناء اشتد ذوبان الجليد فى اوكرانيا . وتعذر السير فى الطرق . وفاضت الانهار الصغيرة والكبيرة فشكلت مستنقعات واسعة . وتوقفت الدبابات بالاضافة

الى السيارات فى الطرقات ، وذلك لان الاوحال التى تداخلت فى الجنازير كانت تعرقل السير .

وكان مانشتين وكليست يعلقان آمالا كبيرة على الفيضان وانعدام الطرق . وكانت تقديراتهم واضحة . ففى هذه الظروف يصعب تحقيق الهجوم بقوات كبيرة ، ولذلك فلا بد من استقرار خط الجبهة . وكانا ينويان استخدام الهدوء المرتقب لتهيئة دفاع حصين وتنظيم واعادة توزيع قواتهما المتهرئة . ولكن الفترة المنشودة بين العمليات الحربية لم تتحقق .

وفى آذار ــ نيسان (مارس ــ ابريل) ١٩٤٤ وجهت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى التى صار مارشال الاتحاد السوفييتى جوكوف قائدا لها الضربة من منطقة شيبيتوفكا باتجاه تشيرنوفيتسى . وخلال الهجوم صدت هذه القوات ضربة العدو المضادة الشديدة فى منطقة تيرنوبول حيث حاول العدو تكوين حاجز من الدبابات ، ووصلت قوات الجبهة الى منطقة كامينيتس-بودولسك وقطعت على جيش الدبابات الاول بقيادة الجنرال هوبه طرق الانسحاب نحو الغرب والجنوب . وضرب الحصار على عشر فرق للمشاة وعشر فرق للدبابات وفرقة آلية واحدة وكثير من القطعات المستقلة . وبالرغم من انه لم يتم القضاء على هذه المجموعة كليا فان جيش الدبابات الاول المعادى فقد اكثر من ٥٠ ٪ من افراده وفقد مجمل القسم الاساسى من المدفعية والدبابات ومدافع الهجوم وغير ذلك من الآليات والمعدات الحربية . واكد احد المشاركين فى الخروج من التطويق ان القوات الالمانية انسحبت فى طرق « مغطاة بآلاف من الآليات المحطمة » .

وبالتعاون الوثيق مع الجبهة الاوكرانية الاولى هجمت قوات جنرال الجيش كونيف ، حيث قامت بطفرة سريعة الى منطقة اومان ، ومنها نحو ياسى فالحقت بجيش العدو الثامن خسائر جسيمة وعبرت رأسا نهرى بوغ الجنوبى والدنيستر . وفى ٢٦ آذار

(مارس) وصلت هذه القوات لاول مرة فى سنوات الحــرب الى الحدود بين الاتحاد السوفييتى ورومانيا عند نهر بروت ، ومن ثم دخلت رومانيا . واصبحت مجموعة جيوش «الجنوب» مهزومــة ومجزأة الى عدة اجزاء . ومنى مانشتين الذى الف فيما بعد كتاب «الانتصارات المضيعة» بالهزيمة ونحى من منصبه مجللا بالعار . وشغل منصبه موديل ، واطلق اسم «اوكرانيا الشمالية» على بقايا مجموعة جيوش «الجنوب» التى ازيحت الى ماوراء الدنيستر والى سفوح الكاربات . وفى منطقة ياسى فيمــا وراء الدنيستر رابط الجيش الرومانى الرابع على عجل .

واحرزت انتصارات كبيرة قوات الجبهة الاوكرانية الثالثـة بقيادة الجنرال مالينوفسكى . فقد تابعت هذه القوات هجومهــا بين نهرى اينغوليتس وبوغ الجنوبى فالحقت هزيمة كبيرة من جديد بالجيش الالمانى السادس . وتكبد خسائر جسيمة كذلك الجيش الرومانى الثالث . وهجمت القوات السوفييتية من نهر بوغ الجنوبى على تيراسبول واوديسا . وفى العاشر من نيسان (ابريل) تم تحرير المدينة البطلة اوديسا من الغزاة الهتلريين . وكان افراد القوات البرية ومحاربو اسطول البحر الاسود والسكان المحليون قد صمدوا فى هذه المدينة طوال ٧٣ يومــــا عام ١٩٤١ . ولم يغادروها الا بامر القيادة العامة العليا السوفييتية . وفى عام ١٩٤٤ ، عندما بدأ الهجوم ، لم يصمد العدو فى هذه المدينة حتى ٧٣ ساعة . فعند اواسط نيسان (ابريل) وصلت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة الى نهر الدنيستر واستولت على عدد من رؤوس الجسور على ضفته الثانية . وتم تحرير اهم الموانئ على البحر الاســـــود .

وفى تلك الايام حقق مشاة البحرية مأثرة بطولية فى المعارك الطاحنة من اجل مدينة نيكولايف . ففى ليلة ٢٦ آذار (مارس) توجهت مفرزة من ٥٥ بحارا على زوارق صيد السمك نحو الشمال فى

نهر بوغ الجنوبى وهبطت فجأة فى ميناء نيكولايف وتحصنت فيه . وخلال يومين صد الابطال ١٨ هجوما لقوات العدو المتفوقة وقتلوا اكثر من ٧٠٠ من جنود وضباط العدو . ولم يبق على قيد الحياة من افراد المفرزة الا ١٢ شخصا ، ولكنهم لم يتراجعوا حتى وصول القوات السوفييتية . وتقديرا لهذه المأثرة البطولية منح كافة المشاركين فى الانزال لقب بطل الاتحاد السوفييتى .

تحرير القرم

هيأت نجاحات الهجوم فى اوكرانيا الضفة اليمنى الظروف الملائمة لتحرير القرم . وخلال الفترة من ٨ تيسان (ابريل) حتى ١٢ ايار (مايو) نفذت هذه المهمة قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة بقيادة الجنرال تولبوخين وقوات الجيش الساحلى المستقل بقيادة يريمينكو بدعم من طائرات وسفن اسطول البحر الاسود بقيادة الاميرال اوكتيابرسكى واسيطيل آزوف بقيادة الاميرال غورشكوف .

وكان اختراق دفاع الجيش الالمانى السابع عشر بقيادة الجنرال اينيكه فى القسم الشمالى من القرم وفى شبه جزيرة كيرتش ومطاردة قواته الهاربة مطاردة سريعة والهجوم على جبل رأس السكر وجبل سابون ومرتفع غورنايا وجبل كاياباش ـ كل ذلك دخل التاريخ باعتباره آيات رائعة من بسالة وتفانى المحاربين السوفييت ومهارتهم العسكرية العالية . وكانت القوات الالمانية الفاشية قد انشأت تحصينات متينة خصوصا على مشارف سيباستوبول . فان مجموعة مرتفعات رأس السكر وجبل سابون وغيرها كانت تشكل ، برأى العدو ، مواقع منيعة لا يمكن اجتياحها . ودافعت عن هذه التحصينات مجموعة بلغ تعدادها ٧٢ الف شخص ولديها اكثر من ١٥٠٠ مدفع وحوالى ١٠٠ دبابة ومدفع هجوم وتدعمها قوة جوية كبيرة .

وبعد اعداد الهجوم اعدادا دقيقا انتقلت قوات جيش الحرس الثانى التابع للجبهة الاوكرانية الرابعة الى الهجوم فى ٥ ايار (مايو) . وفى صباح السابع من ايار (مايو) بدأت الهجوم باتجاه الضربة الرئيسية قوات الجيش الحادى والخمسين والجيش الساحلى بدعم من سلاح الجو .

وجرى الهجوم فى ظروف عسيرة للغاية . فقد كانت القوات السوفييتية مضطرة الى تسلق الصخور الشديدة الانحدار تحت وابل من نيران العدو . ولغرض تطهير الطريق امام القوات المهاجمة تحركت امام وحدات المشاة جماعات ومفارز الهجوم مع مدافع المرافقة وجنود الهندسة . واضطرت القوات الرئيسية المنسقة عمقا الى مهاجمة اقوى نقاط ارتكاز العدو مهاجمة مستمرة والتغلغل فيما بينها بشكل وحدات صغيرة .

وسيظل ابطال الهجوم على تحصينات سيباستوبول وعملياتهم المتفانية مثالا ابديا لافضل اشكال القيام بالواجب العسكرى فى الظروف الحربية العسيرة للغاية .

وكانت المآثر البطولية التى حققها على نطاق واسع فى هذا الهجوم الجنود والعرفاء والضباط قد تحولت الى بطولة جماهيرية حقيقية . وقد جسدت هذه الاحداث وخلدتها مجموعة رسامى استوديو غريكوف تحت اشراف مالتسيف . فاللوحة التى رسموها منصوبة فى المتحف التذكارى على جبل سابون ، وهى تجتذب يوميا عددا هائلا من الزوار .

ونتيجة للمعارك العنيدة التى نشبت فى ٧ و٨ ايار (مايو) نفذت قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة بنجاح مهمة الاستيلاء على اهم مراكز استناد العدو ، وفى ٩ ايار (مايو) حررت هذه القوات مدينة سيباستوبول الروسية المجيدة . وعلى البناية المدمرة لبانوراما دفاع سيباستوبول عام ١٨٥٤ نصب الملازم غوجفا راية النصر التى اعلنت بان القاعدة الحربية البحرية الرئيسية لاسطول البحر الاسود السوفييتى قد عادت اليه من جديد .

واستسلمت القوات الهتلرية المحاصرة عند البحر فى خيرسون واوميغا . واضطر قائد هذه المجموعة الجنرال بيميه على ان يسلم الى جندى سوفييتى بسيط تحفته التى هى عبارة عن سيف حربى وهبه اياه شخصيا امبراطور المانيا فى سنوات الحرب العالمية الاولى .

وقتل واسر فى اراضى القرم اكثر من ١٠٠ الف جندى وضابط من الجيش الالمانى الفاشى السابع عشر . اما الذين حاولوا الخلاص من الهزيمة والهرب بحرا فقد اغرقتهم الغواصات والزوارق النسافة والطائرات التابعة لاسطول البحر الاسود .

وقام الوحوش الهتلريون لدى انسحابهم من القرم ، كما فعلوا فى كل مكان ، باعمال فظيعة . ويحتفظ التاريخ بوثائق عن التنكيل المرعب الذى مارسه الفاشيون ضد السكان المسالمين فى مدينة القرم القديمة .

«ففى البداية مرت فى شوارع سيفرنايا وارميانسكايا وسولو ـ دوريه دبابات اطلقت نيران المدافع على الدور عن قرب . ومن ثم اخذ الجنود الفاشست السكارى يجتاحون الدور ويطلقون النار على المواطنين المسالمين . وفى احدى الدور عثر فاشى على امرأة ترضع طفلا . فانتزع الوحش الطفل من يدى امه وقطع رأسه بالحربة فورا ، ثم قتل امه . وفى دار اخرى قتل اب وام بينما فقئت عينا ابنهما البالغ من العمر خمسة اعوام . وقتل الجلادون تاتيانا بازيليفا رميا بالرصاص عند عتبة دارها ، كما قتلوا ابنها جينيا البالغ من العمر ١٣ عاما وابنتها كاتيا البالغة من العمر ١١ عاما ... وقتل الفاشيون فى تلك الليلة فى شوارع مدينة القرم القديمة خمسمائة واربعة وثمانين شخصا بمن فيهم مئتا طفل» .

ولم تتوقف هذه المجزرة الدموية الا بعد هجوم انصار التشكيل الشرقى الذين استولوا على المدينة فقتلوا قسما من

الهتلريين ، وهرب القسم الآخر ، واحتفظ الانصار بالقرم القديمة طوال اكثر من يوم ، اى الى ان وصلت القوات السوفييتية .

ان الهجوم فى القرم هو نموذج كلاسيكى للهجوم الماهر فى اماكن ذات تعرجات شديدة . وتم هنا بنجاح تعاون القوات البرية والجوية والبحرية مع انصار القرم .

واذا كان الجيش الالمانى الفاشى الحادى عشر بقيادة مانشتين قد احتاج فى عامى ١٩٤١ـ١٩٤٢ الى ٢٥٠ يوما لاحتلال سيباستوبول ، فان القوات السوفييتية فى عام ١٩٤٤ حطمت جيش الاعداء السابع عشر وحررت القرم بأسرها فى غضون ٣٥ يوما .

وكان دحر الجيش السابع عشر يعنى انجاز دحر مجموعة جيوش «أ» . وكان مصير الفيلدمارشال كليست كمصير الفيلدمارشال مانشتين . فلم تعد هناك مجموعة جيوش «أ» . ولكنه ظهرت مجموعة جيوش «اوكرانيا الجنوبية» .

وهكذا تم نتيجة لهجوم الجيش الاحمر تحرير كامل اوكرانيا الضفة اليمنى والقرم وقسم كبير من اراضى مولدافيا السوفييتية والمقاطعات الغربية فى اوكرانيا . وكرست لخدمة الشعب السوفييتى من جديد المناطق الصناعية فى كريفوى روغ ونيكوبول وكيرتش والحقول الخصبة فى اوكرانيا والموانئ الممتازة على البحر الاسود .

وقدم الانصار مساعدة نشيطة للقوات السوفييتية المهاجمة . ففى اراضى مقاطعتى روفنو وفولين وحدهما ناضل فى مؤخرة الغزاة الالمان الفاشست ٣٥ الف من الانصار . وقدر الحزب والحكومة خدماتهم حق التقدير . فقد تسلم الانصار والمحاربون السريون فى اوكرانيا اكثر من ٥٧ الف مكافأة حكومية ، ومنح ٩٥ منهم اللقب السامى الا وهو بطل الاتحاد السوفييتى . ومنح قائدا اكثر تشكيلات الانصار بطولة كوفباك وفيودوروف لقب بطل الاتحاد السوفييتى مرتين .

كان شتاء ١٩٤٤ بالنسبة للجيش الاحمر فترة الانتصارات والنجاحات العظمى . وكان بالنسبة للجيش الالمانى شتاء تناثـر الآمال باستقرار خط الجبهة ، تلك الآمال التى كانت خيالية تماما . والحقت قوات الجيش الاحمر بالعدو خسائر لاتعوض . فقد فقدت ١٤٢ فرقة ولواء واحد ٥٠ـ٧٥٪ من افرادها ، كما ابيدت كليا ٣٠ فرقة وستة الوية معادية . وعندمـــا طرد المحاربون السوفييت الغزاة الالمان الفاشست من الاراضى السوفييتية حرروا مساحات شاسعة بلغت ٣٢٩ الف كيلومتر مربع . وحقق الجيش الاحمر ما كانت الشخصيات العسكرية تعتبره سابقا امرا مستحيلا فى فصل الشتاء .

وهيأت الانتصارات قرب لينينغراد وفى اوكرانيا الضفـــة اليمنى والقرم امكانية الشروع بالتحضير للهجوم الكبير فى بيلوروسيا والمقاطعات الاوكرانية الغربية والبلقان ومنطقة البلطيق . وكانت الانتصارات فى حملة شتاء ١٩٤٤ دليلا على ان القوات المسلحة السوفييتية قادرة بصورة مستقلة ليس فقط على طرد المحتلين من اراضى الوطن ، بل وتحرير شعوب اوروبا المستعبدة من النير الهتلرى . وهذا مما اضطر الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا الى انزال قواتها فى نورمانديا وفتح الجبهة الثانية .

نهاية الاحتلال الهتلرى

قبيل الهجوم الصيفى

كانت القوات المسلحة السوفييتية قد تعززت بصورة اكبر حتى صيف ١٩٤٤ . واخذت شعوب العالم باسره تقتنع اقتناعا متزايدا بان الجيش الاحمر هو وحده القادر على تحطيم الآلـــة الحربية لالمانيا الفاشية تحطيما تاما . وكانت الضربات الشديدة

التى وجهتها القوات السوفييتية فى شتاء وربيع ١٩٤٤ قد اضعفت الجيش الهتلرى . الا ان العدو كان لا يزال يمتلك قوة كبيرة .

وكان انتاج التكنيك الحربى والسلاح فى المانيا قد بلغ آنذاك اعلى مستوى خلال سنوات الحرب كلها . وكان الجنود الالمان المخدوعون بالدعاية الفاشية والخائفون من دفع ثمن الشرور الفظيعة التى اقترفوها فى اراضى الاتحاد السوفييتى يقاومون بكل شدة هجوم القوات السوفييتية .

ومع ذلك فان هزائم الهتلريين على الجبهة السوفييتية الالمانية تركت اثرها على معنويات الجيش ونسفت ثقته بالنصر النهائى فى الحرب .

وانعكس ذلك فى محاولة الاوساط الاحتكارية فى المانيا الفاشية ابعاد هتلر لكى تبدأ مفاوضات انفرادية مع الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا قبل دخول القوات السوفييتية اراضى المانيا .

وتركت هزائم القوات المسلحة الالمانية اثرها كذلك على حلفاء المانيا ـ فنلندة ورومانيا وهنغاريا التى ازداد لدى اوساطها الحاكمة الميل نحو الخروج من الحرب . وكان تحالف الدول الفاشية على شفا الانهيار . واكتسبت نطاقا اوسع حركة التحرر الوطنى لدى شعوب اوروبا التى استعبدها الهتلريون . كل ذلك نسف مؤخرة المانيا الفاشية واضعف مواقعها فى البلدان المحتلة .

وكانت انتصارات الجيش الاحمر واشتداد الحركة المناوئة للفاشية قد اقلقت لدرجة كبيرة الاوساط الحاكمة الرجعية فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا . فقد كان اكثر ما تخشاه هو زحف القوات السوفييتية نحو الغرب وانتصار القوى الديمقراطية فى بلدان اوروبا . وكانت تخشى كذلك من غضبة شعوبها المستاءة من المماطلة فى العمليات الحاسمة فى اوروبا الغربية . ولذلك اضطرت الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا

الى البدء بانزال قواتهما فى شمال فرنسا يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ وفتح الجبهة الثانية فى اوروبا اخيرا .

الا ان ذلك جاء متأخرا بما لا يقل عن عامين ، وفى ظروف تحقق الانعطاف الجذرى فى سير الحرب وبعد ان اصبحت المبادرة الستراتيجية فى ايدى القوات السوفييتية كليا . وفضلا عن ذلك لم تستطع الجبهة الثانية الهاء عدد كبير من قوات الهتلريين عن الجبهة السوفييتية الالمانية .

ففى مستهل حزيران (يونيو) ١٩٤٤ كانت تقاتل ضد الجيش الاحمر ٢٢٨ فرقة و٢٣ لواء معاديا . وكان لدى القوات الالمانية الفاشية هنا اكثر من اربعة ملايين جندى وضابط وحوالى ٤٩ الف مدفع ومدفع هاون و٥٢٥٠ دبابة ومدفع هجوم وحوالى ٢٨٠٠ طائرة . وفى الوقت ذاته كانت ترابط فى اراضى فرنسا وبلجيكا وهولندة ٦١ فرقة كان قسم كبير منها غير كامل التعداد والتكنيك .

ومعنى ذلك ان الجبهة السوفييتية الالمانية ظلت هى الجبهة الحاسمة فى الحرب حتى بعد انزال قوات الحلفاء فى فرنسا .

وحتى بداية الحملة الصيفية الخريفية لعام ١٩٤٤ كان الجيش الاحمر المقاتل قد اكتسب خبرة حربية غنية ، وكان لديه ٦٤٢٥ الف جندى وضابط وحوالى ٩٢٦٠٠ مدفع هاون واكثر من ٧٧٥٠ دبابة واكثر من ١٣٤٠٠ طائرة . وكان وجود هذه الكمية الكبيرة من السلاح والتكنيك الممتازين فى الظروف التى خاض فيها الشعب السوفييتى الحرب طوال ثلاثة اعوام دليلا ساطعا على النمو غير المنقطع والامكانيات الهائلة للاقتصاد الاشتراكى وتفوقه على الاقتصاد الرأسمالى .

وانطلاقا من التحليل الشامل للموقف طرح الحزب والحكومة امام القوات المسلحة لصيف ١٩٤٤ اهدافا عسكرية وسياسية كبرى هى تطهير كافة الاراضى السوفييتية من الغزاة الفاشست

وتقديم العون لشعوب بولونيا وتشيكوسلوفاكيا والبلدان الاوروبية الاخرى فى نضالها من اجل التحرير .

وطبقا لهذه الاهداف استند مقر القيادة العامة العليا فى الحملة الصيفية الخريفية على فكرة التوجيه المتلاحق للضربات الشديدة على مختلف الاتجاهات ، وينبغى لهذه الضربات ان تتحول فيما بعد الى هجوم شامل للجيش الاحمر على طول الجبهة السوفييتية الالمانية . وكان من المقرر بدء هذا الهجوم فى كاريليا ، ومن ثم توجيه ضربة القوات السوفييتية فى بيلوروسيا والمقاطعات الغربية فى اوكرانيا . وكان من المقرر مواصلة الانتصار فى بيلوروسيا بواسطة هجوم جبهتى البلطيق الثانية والثالثة فى منطقة البلطيق ، وكان على الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة ان تعدا الهجوم فى الاتجاه الجنوبى الغربى نحو البلقان . واضطر تنفيذ هذه الخطة العدو الى نقل قواته من منطقة الى اخرى وتشتيت الاحتياطيات ، وامن امكانية دحر العدو جزءا جزءا . وفى الوقت ذاته تطلب ذلك من القوات السوفييتية مهارة وفنا عاليين .

وكانت الفكرة الاساسية لدى القيادة الهتلرية لصيف ١٩٤٤ قد ظلت دون تغيير ، حيث كانت تنطلق من ضرورة كسب الوقت املا فى الاصطدام المرتقب بين الحلفاء . ولهذا الغرض كان مقررا القيام بدفاع صامد للحيلولة دون زحف الجيش الاحمر ، واستخدام قسم من القوات لصد غزو قوات الحلفاء المحتمل من الغرب . وكان الاساس السياسى والستراتيجى لهذه الخطة ينطلق من الاستصغار فى تقدير قوى وامكانيات الجيش الاحمر وقوات الحلفاء ، وكان مبنيا على آمال لا مبرر لها فى الانقسام داخل الائتلاف المعادى للهتلرية . وكانت القيادة الالمانية الفاشية تعتقد «بان الوضع استقر فى الجبهة الشرقية ، ولا داعى للقلق ، ذلك لان الروس لن يستطيعوا بدء الهجوم قريبا . واستنادا الى المعطيات بشأن اعادة توزيع قوات العدو والموقف العسكرى والسياسى العام ينبغى توقع

ان الروس سيحشدون على الاغلب قواتهم الرئيسيـــة فى القسم الجنوبى من الجبهة . فهم الآن عاجزون عن خوض المعارك فى عدة اتجاهات رئيسية فى آن واحد » . هذا ما قالـــه بشأن الموقف الستراتيجى رئيس اركان القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية كيتيل فى الاجتماع التوجيهى لقادة جيوش الجبهة الشرقية فى ايار (مايو) ١٩٤٤ . واكد هذا الامر كذلك رئيس قسم العمليـات لدى اركان القيادة العامة ايودل اثناء المحاكمة فى نورينبيرغ .

ويتضح من ذلك ان القيادة الهتلرية اخطأت فى تقدير خطط القوات السوفييتية لصيف ١٩٤٤ . ولذلك كان الهجوم الذى بدأه الجيش الاحمر فى كاريليا ومن ثم الضربة الجبارة التى وجهها فى وسط الجبهة السوفييتية الالمانية امرا مباغتا فى الواقع للقيادة الهتلرية .

الصراع من اجل كاريليا

تردى الوضع العسكرى والسياسى لفنلندة كثيرا بنتيجـــة انتصارات الجيش الاحمر شتـــاء عـــام ١٩٤٤ قرب لينينغـراد ونوفغورود . ففى شباط (فبراير) ١٩٤٤ استوضحت الحكومة الفنلندية من الحكومة السوفييتية شروط الهدنة . ولكنه بالرغم من النزعة الانسانية التى انطلقت منها شروط الاتحاد السوفييتى ، رفضت هذه الشروط ، ولعبت دورا كبيرا فى هذا الرفض تبعيـــة فنلندة اقتصاديا الى المانيا .

وكانت القيادة الفنلندية التى سلكت نهج متابعة الحرب تأمل بانها ستستطيع الاحتفاظ بالاراضى السوفييتية المغتصبة وذلك باستخدام الدفاع القوى المنسق عميقا والذى انشئ طوال ثلاثة اعوام مع مراعاة التضاريس الجغرافية الملائمة من غابات وبحيرات ومستنقعات . الا انه باءت بالفشل تقديرات الجنرالات الهتلريين والفنلنديين للاحتماء بالتحصينات .

ففى فجر ١٠ حزيران (يونيو) انهالت على العدو فى مواقع دفاعه فى برزخ كاريليا ضربة نارية جبارة من ٥,٥ آلاف مدفع ومدفع هاون واكثر من ٨٨٠ مدفعا صاروخيا وكذلك مدفعية اسطول البلطيق . واستكملت الضربة من الجو بقصف قامت به اكثر من ٥٦٠ قاذفة قنابل وطائرة هجوم . فان قوات جبهة لينينغراد قد انتقلت الى الهجوم .

ومنذ اليوم الاول تم خرق خط الدفاع الاول للعدو باتجاه الضربة الرئيسية ، وحتى اواخر يوم ١٣ حزيران (يونيو) اقتربت القوات السوفييتية من خط الدفاع الثانى الاكثر تحصينا . فقد كانت متحشدة عند هذا الخط قوات العدو الرئيسية المقاتلة فى برزخ كاريليا . الا ان هذا الحاجز الذى كان يبدو منيعا يستحيل اجتيازه لم يصمد امام هجوم المحاربين السوفييت . فان الحب المتفانى للوطن جعل المواطنين السوفييت يحققون مآثر لا مثيل لها .

وفى ١٧ حزيران (يونيو) وصلت القوات السوفييتية الى خط الدفاع الثالث ، وفى ٢٠ منه هجمت على فيبورغ فاحتلتها دون ان تترك العدو يلتقط انفاسه . ورفعت القوات السوفييتية راية النصر الحمراء على هذه المدينة الروسية العريقة .

وادت هزيمة القوات الفنلندية فى برزخ كاريليا وفى جنوب كاريليا الى تغير الموقف تغيرا جذريا فى القسم الشمالى من الجبهة السوفييتية الالمانية . واستعادت البلاد القسم الاكبر من اراضى جمهورية كاريليا السوفييتية والقسم الشمالى من مقاطعة لينينغراد واهم خطوط المواصلات التى تربط بين المناطق الوسطى للوطن السوفييتى وبين مناطق الشمال الاقصى ، نعنى سكة حديد كيروفسكايا وقناة البحر الابيض ـ البلطيق . وتحسنت كثيرا مرابطة اسطول البلطيق وامكانيات عملياته فى القسم الشرقى من الخليج الفنلندى . وتهيأت الظروف لدحر القوات الالمانية الفاشية فى المنطقة القطبية الشمالية ، وكذلك لتحرير جمهوريات البلطيق السوفييتية .

وكان من اهم النتائج السياسية لهجوم القوات السوفييتية هذا انه ادى الى خروج فنلندة من الحرب . وفى ٤ ايلول (سبتمبر) اعلنت فنلندة عن قطع العلاقات مع المانيا . كما تم فى ١٩ منـــه توقيع اتفاقية الهدنة . وتهيأت لفنلندة كافة امكانيات التطوير الحر المستقل لاقتصادها وثقافتها .

فى الاتجاه الرئيسى

جرت احداث صيف ١٩٤٤ الرئيسية فى بيلوروسيا . فالقوات الفاشية الالمانية كانت تسد باحتلالها لبيلوروسيا اقرب المشارف الى المانيا وبولونيا مباشرة ، وكانت تشكل خطرا مستمرا بالنسبة لجناح القوات السوفييتية المقاتلة فى اوكرانيا ، وكانت فى الوقت ذاته تؤمن استقرار الموقف بالنسبة لمجموعة جيوشها «الشمال» فى منطقة البلطيق . وكانت القيادة الهتلرية تعتبر بيلوروسيا واحدا من اهم مصادر الحصول على المواد الغذائية والخامات لالمانيـــا الفاشية . وفضلا عن ذلك فان الزمرة الهتلرية تابعت باحتلالهـــا لبيلوروسيا بث الدعايــــة المزيفة بين السكان والجيش بشـــأن المكتسبات المزعومـــة التى لا تزال متينة فى الشرق على مسافات بعيدة . وحشدت القيادة الالمانية الفاشية هنا مجموعـــة كبيرة من القوات تضم ٦٣ فرقة بـ ٨٠٠ الف جندى وضابط ما عدا وحدات ومؤسسات المؤخرة ، و٩,٥ آلاف مدفع ومدفع هاون و٩٠٠ دبابة ومدفع هجوم وحوالى ١٣٠٠ طائرة حربية .

ولغرض دحر هذه المجموعـــة قررت القيادة العامة العليـــا استخدام قوات جبهة البلطيق الاولى وجبهات بيلوروسيا الثالثـــة والثانيـــة والاولى والتى كانت تضم ١,٤ مليون شخص واكثر مـــن ٣١,٧ الف مدفع ومدفع هاون و٥٢٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة وحوالى ٥ آلاف طائرة حربية . واستخدم فى العملية كذلك الطيران

البعيد المدى واسيطيل الدنيبر الحربى وتشكيلات الانصار البيلوروسيين .

وكانت فكرة العملية تتلخص فى اختراق دفاع العدو فى ست مناطق متباعدة فيما بينها بعد بدء الهجوم على جبهة واسعة وتطويق وتحطيم مجموعتى الجناحين فى منطقتى فيتيبسك وبوبرويسك ، ومن ثم توجيه ضربات متلاقية من قبل الجبهات البيلوروسية الثلاث نحو مينسك بالتعاون الوثيق مع سلاح الجو والانصار لتطويق وتدمير القوات الاساسية لمجموعة جيوش «المركز» شرقى مينسك . وفيما بعد كان يجب توسيع جبهة الهجوم والوصول الى حدود الاتحاد السوفييتى الغربية . وكلف بتنسيق عمليات الجبهات مارشالا الاتحاد السوفييتى فاسيليفسكى وجوكوف .

وسبق بداية الهجوم عمل حثيث لاعداد القوات وتدريبها على العمليات فى الظروف العسيرة لمناطق الغابات والمستنقعات ولتأمين التزويد المادى والتكنيكى للقوات . واعير اهتمام كبير بالعمل الحزبى السياسى بين القوات .

واستعد لتصفية الحساب كذلك الوطنيون السوفييت فى الاراضى المحتلة والذين لم يوقفوا طوال ثلاثة اعوام النضال البطولى فى مؤخرة العدو من اجل حرية الوطن واستقلاله . وكان جيش الانصار البالغ تعداده ١٤٣ الفا يسيطر على حوالى ٦٠ ٪ من اراضى جمهورية بيلوروسيا .

وفى فجر ٢٣ حزيران (يونيو) اعلن دوى المدفعية عن بدء الهجوم ، وانهالت على العدو ضربة لا نظير لها من حيث الشدة .

كان شعب بيلوروسيا الذى عانى الكثير من المحن قد شاهد حملات عديدة فى تاريخه . فقد شاهد المتطوعين الروس الذين طردوا الاقطاعيين البولونيين من ارض الوطن فى اوائل القرن السابع عشر ، وشاهد ابطال جيش كوتوزوف الذين طاردوا نابليون فى شتاء

١٨١٢ القارس ، وشاهد افواج الجيش الاحمر الفتية التى دحرت جحافل الامبراطوريـــة الالمانيـــة فى عام ١٩١٨ . ولكن شعب بيلوروسيا لم ير ابدا مثل هذا السيل الجارف الذى اتجه نحو الغرب فى صيف ١٩٤٤ . فقد زحف نحو الغرب المحاربـــون السوفييت الابطال محررين بيلوروسيا الشقيقة .

وحتى اواخر يوم ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ كانت قوات جبهـــة البلطيق الاولى بقيادة واحد من القادة العسكريين الاماجد المشهورين ، جنرال الجيش باغراميان ، بالتعـــاون الوثيق مـــع محاربى الجبهة البيلوروسية الثالثة بقيادة القائد الموهوب الشاب الجنرال العقيـــد تشيرنياخوفسكى قد دحرت مجموعـــة العدو فى فيتيبسك واورشا ووصلت الى نهر بيريزينا على جبهة واسعة . علما بانه تم قرب فيتيبسك وحدهـــا الفتك بأكثر من ٢٠ الف جندى وضابط معاد واسر ١٠ آلاف آخرين . وتقديرا للبسالة الشخصية والبطولة والمهارة فى قيادة القوات منح تشيرنياخوفسكى ميدالية «النجمة الذهبية» للمرة الثانية ، كما منح رتبة جنرال الجيش . ومنح باغراميان لقب بطل الاتحاد السوفييتى .

وفى ٢٤ حزيران (يونيو) بدأت العمليات الحربيـــة قـــوات الجبهة البيلوروسية الاولى بقيادة مارشـــال الاتحـــاد السوفييتى روكوسوفسكى . واحتاجت الجبهة الى ستة ايام فقط لكى تطوق وتدمر القوات الاساسية لجيش العدو التاسع فى منطقة بوبرويسك . وفقد العدو هنا حوالى ٧٤ الفا بين قتيل واسير .

وفى ٢٧ حزيران (يونيو) اخذت مجموعـة العدو المطوقـــة جنوب شرقى بوبرويسك تتحشد لفك الحصار فى الاتجاه الشمالى الغربى . ولم تكن قوات المشاة السوفييتيـــة قد وصلت بعد الى وحدات فيلق الدبابات التاسع ، فكان الدفاع هنا ضعيفا . وعندها حلقت الى الجو اكثر من ٥٠٠ طائرة انزلت ضربة كثيفة بالعدو . وكان الهتلريون الذين تركوا فى ساحة المعركة ١٥٠ دبابة ومدفع

هجوم واكثر من ١٠٠٠ سيارة وكثيرا من المعدات الحربية الاخرى قد حاولوا العبور سباحة الى الضفة الغربية لنهر بيريزينا والخلاص فى الغابات . الا ان وحدات الجيشين الـ٦٥ والـ٤٨ التى كانت قد وصلت الى هنـــاك انجزت تحطيـــم العدو . وحتى ذلك الحين كان اسيطيل الدنيبر الحربى بقيادة الاميرال غريغوريف ،قد نقل الى الضفـــة الغربية للنهر المذكور ٦٦ الف شخص واكثر من ١٥٠٠ مدفـــع ومدفع هاون .

وفى الوقت الذى كان فيـــه محاربو الجبهتين البيلوروستيين الثالثة والاولى يتابعون تحطيـــم مجموعتى العدو فى الجناحين كانت قوات الجبهة البيلوروسية الثانية (بقيادة الجنرال زاخاروف) التى هجمت فى الوسط قد عبرت فى غضون ستة ايام ستة حواجز مائية بما فيها نهر الدنيبر وحررت مدينة موغيليف . وكان السيل العارم للقوات السوفييتية المهاجمة قد انداح بصورة لا مرد لهـــا نحو الغرب ، مذللا الانهار والمستنقعات والغابات الكثيفة ومحطما فى طريقه خطوط دفاع العدو .

وعند وصول القوات السوفييتية الى نهرى بيريزينا والدنيبر فى منطقة سفيسلوتش واوسيبوفيتشى تكون فى شكل خط الجبهة قوس كبير شمل من ثلاث جهات جحافل العدو المنسحبة والتابعة لمجموعة جيوش «المركز» . علما بان القوى الاساسيـــة لقوات الدبابات السوفييتيـــة المتنقلة كانت على بعد ١٠٠ كيلومتر من مينسك ، بينما كانت القوات الاساسية لجحافل الفاشست المنسحبة تقع على بعد ١٣٠ــ١٥٠ كيلومترا . وتهيأت امكانية تطويق العدو شرقى مينسك . وكان مقر القيادة العامة العليـــا الذى يتابع سير الاحداث بكل اهتمـام قد طالب قادة الجبهات بحل هذه المهمـــة باقصر وقت ممكن .

وبعد عبور نهر بيريزينا زحفت قواتنا بسرعة نحو الغرب .

ونتيجة لالتقاء قوات الجبهتين البيلوروسيتين الثالثة والاولى فى مينسك تم شرقى المدينة تطويق مجموعة قوات معادية يتجاوز

تعدادها ١٠٠ الف شخص وفى اليوم ذاته انجز تحرير عاصمة بيلوروسيا ــ مينسك .

وحمل تحرير مينسك فرحة عظمى ليس فقط للشعب البيلوروسي وحده ، بل وللشعب السوفييتى باسره .

وقيم الحلفاء تقييما كبيرا فى تلك الفترة هجوم الجيش الاحمر . فقد كتب شرشل فى رسالته الى ستالين بتاريخ ١ تموز (يوليو) بشأن اهمية هجوم الجيش الاحمر فى بيلوروسيا يقول : «حان الوقت الآن لاذكر لكم ذلك الانطباع الهائل الذى يتركه فينا جميعا فى بريطانيا الهجوم الرائع للجيوش الروسية ، ذلك الهجوم الذى يبدو انه ، بقدر ما يزداد قوة ، يحطم الجيوش الالمانية الموجودة بينكم وبين وارشو ، ومن ثم بينكم وبين برلين» .

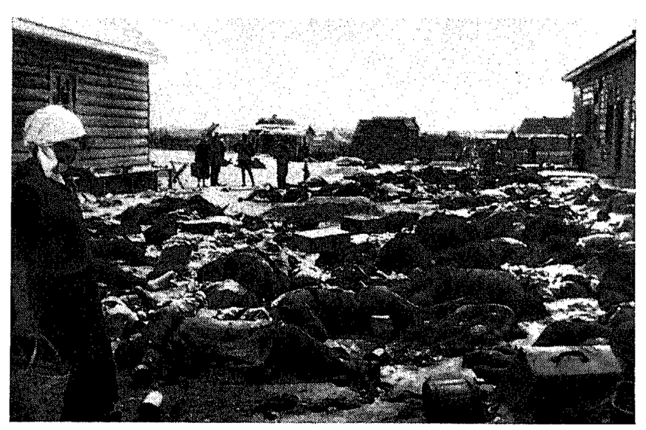
وبالفعل ، فان هجوم الجيش الاحمر كان هائلا من حيث اتساعه وسرعته . فحتى ٤ تموز (يوليو) كانت قوات الجبهات الاربع التى زحفت على عمق ٢٨٠ كيلومترا وبوتيرة ٢٣ كيلومترا فى اليوم قد فتحت فى جبهة العدو الستراتيجية ثغرة هائلة طولها ٤٠٠ كيلومتر ولم يستطع العدو سدها فى فترة قصيرة بسبب انعدام الاحتياطيات .

وبامر من مقر القيادة العامة العليا اندفعت القوات الرئيسية للجبهات نحو الغرب . بينما قام قسم من قوات الجبهة البيلوروسية الثانية بالتعاون مع تشكيلات الانصار وسلاح الجو بتصفية مجموعة الهتلريين المحاصرة من ٤ الى ١١ تموز (يوليو) .

وطاردت قوات جبهة البلطيق الاولى العدو بسرعة فحررت حتى اواخر تموز (يوليو) قسما كبيرا من اراضى ليتوانيا ودخلت لاتفيا من الجنوب . وبعد ان حررت الجبهة البيلوروسية الثالثة عاصمة ليتوانيا السوفييتية فيلنوس وسحقت قوات هتلرية كبيرة وصلت بالتعاون مع قوات الجبهة البيلوروسية الثانية الى حدود معقل المانيا الفاشية ــ بروسيا الشرقية التى قامت منها مرارا غارات القرصنة على مدن وقرى البلطيق المسالمة .

عادوا الى مدينتهم الحبيبة سيباستوبول . ٩ ايار (مايو) ١٩٤٤ .

الفاشيون قتلوا المئات من المواطنين العزل قبيل
الانسحاب من مدينة بوريسوف .





تحرير بوبرويسك .

الكولخوزية البيلوروسية ماريا كاشوك تتحدث الى جنود الدبابات .





ها قد وصلوا الى بحر البلطيق .

معارك الشوارع فى يلغافا .

سكان بخارست يستقبلون الجيش الاحمر . ٣١ آب (اغسطس) ١٩٤٤ .

المحاربون السوفييت فى يوغوسلافيا . تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ .

فى براغا ، ضاحية وارشو .

هدوء بين معركتين . جنديان سوفييتيان وآخران بولونيان .



عند تمثال يوهان شتراوس في فيينا . نيسان (ابريل) ١٩٤٥ .

مدافع «الكاتيوشا» عند نهر الاودر .

المسافة الى برلين ١٢٩ كيلومتر !



طابور الأسرى .

تم قذف القوات الهتلرية الى بحر البلطيق .

وبالاضافـــة الى الهجوم فى الجناح الايمن وفى الوسط وجهت الجبهة البيلوروسية الاولى عن طريق جيوش الجناح الايسر فى ١٨ تموز (يوليو) ضربة فى اتجاه لوبلين . وطوال اربعة ايام حطمت هذه الجيوش القوات المعادية ودخلت اراضى حليفتنا بولونيا . وفى ٢٣ تموز (يوليو) اكتشف المحاربون السوفييت فى منطقــة بلدة مايدانيك ، على مقربة من لوبلين ، معسكرا للموت انشأه الجلادون الفاشست . وفى هذا المعسكر افنى الهتلريون حوالى مليون ونصف مليون انسان . واثارت هذه الافعال الفاشية الفظيعة مشاعر الحقد لدرجة اعظم لدى المحاربين السوفييت وتصميمهم على انجاز دحر العدو باسرع ما يمكن .

وحتى اواخر تموز (يوليو) اقتربت القوات السوفييتية من براغا وهى احدى ضواحى وارشو ، كما اقتربت من نهر فستول على جبهة واسعة .

وعندما دخل المحاربون السوفييت اراضى بولونيا كانـــوا مصممين كل التصميم على دحر العدو ومساعدة الشعب البولونى فى التحرر من النير الفاشى وبعث بولونيا المستقلة الديموقراطية القوية . ولم يبخل محاربونـــا لا بالجهود ولا بالحياة فى ادائهـــم رسالتهم التحريرية النبيلة .

وشارك مع الجيش الاحمر فى تحرير بولونيا الجيش الاول للقوات البولونية بقيادة الجنرال بيرلينغ . وكانت العمليات المشتركة للقوات السوفييتيـــة والجيش البولونى رمزا جديدا لوحدة كلا الشعبين فى النضال ضد الفاشية .

وطوال سير عمليـــة بيلوروسيا قدم الانصار مساعدة كبرى للجيش الاحمر . فقد ربطت تشكيلات الانصار عملياتها مع القوات المهاجمة وجمعت المعلومات عن العدو وخلقت بعمليات التخريب فى مؤخرة العدو جوا لا يطاق .

واضطر الجنرالات الهتلريون ايضـــا الى الاعتراف بهزيمتهم .

فقد كتب غوديريان فى مذكراته يقول : «فى الثانى والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٤٤ انتقل الروس الى الهجوم ... على طول جبهة مجموعة جيوش «المركز» ... وعلى اثر هذه الضربة تحطمت مجموعة جيوش «المركز»» .

واستفاد الجيش الاحمر من الظروف التى تهيأت فى بيلوروسيا فشن الهجوم كذلك فى الاتجاهات الاخرى . وحسب امر مقر القيادة العامة العاليا انتقلت الى الهجوم فى اواسط تموز (يوليو) جبهتا البلطيق الثانية والثالثة ، وفى ٢٤ منه شرعت جبهة لينينغراد بتنفيذ عملية نارفا . واسفر ذلك فى اواخر آب (اغسطس) عن تحرير قسم كبير من اراضى البلطيق السوفييتية من المحتلين الهتلريين .

وفى ١٣ تموز (يوليو) شنت هجوما جبارا قوات الجبهة الاوكرانية الاولى بقيادة واحد من اكثر قادة القوات السوفييتية المسلحة خبرة ، الا وهو مارشال الاتحاد السوفييتى كونيف . وكانت هذه الجبهة فى صيف ١٩٤٤ واحدة من اقوى الجبهة من حيث قوامها . فقد كانت لديها سبعة جيوش مختلفة الاصناف وثلاثة جيوش للدبابات وجيش جوى وثلاثة فيالق مستقلة للدبابات وفيلقان للخيالة وفيلق للمشاة وغير ذلك من القطعات والتشكيلات الخاصة المستقلة . وكانت هذه الجبهة تضم ١٢٠٠ الف شخص و١٣٩٠٠ مدفع ومدفع هاون وحوالى ٢٢٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة واكثر من ٢٨٠٠ طائرة .

وكان هذا القوام للجبهة تقتضيه عظمة مهمة دحر مجموعة جيوش العدو «اوكرانيا الشمالية» وتحرير المقاطعات الغربية فى اوكرانيا ، تلك المهمة التى كان على هذه الجبهة ان تحلها بالتعاون مع الجبهات البيلوروسية .

وكانت مجموعة قوات العدو فى قطاع العمليات المرتقبة قوية ايضا . وبالرغم من ان القيادة الهتلرية نقلت من هذه المجموعة ست فرق الى بيلوروسيا ، فان الباقى فيها بلغ ٩٠٠ الف شخص

و ٦٣٠٠ مدفع ومدفع هاون و ٩٠٠ دبابة ومدفع هجوم و ٧٠٠ طائرة .

وبدأت العملية فى ١٣ تموز (يوليو) بتوجيه ضربتين عميقتين جبارتين الى اتجاهى رافا ــ روسكايا ولفوف لغرض شطر مجموعة جيوش «اوكرانيا الشمالية» ومن ثم تحطيمها جزءا جزءا . وحتى نهاية يوم ١٨ تموز (يوليو) كانت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى قد تقدمت مسافة ٥٠ ــ ٨٠ كيلومترا ، فانجزت تطويق ثمانى فرق معادية فى منطقة برودى .

وطوال الايام الاربعة التالية تمت كليا تصفية مجموعة العدو المطوقة . ولعبت دورا كبيرا فى ذلك طائرات الجيش الجوى الثانى بقيـــادة الجنرال كراسوفسكى . ويدل المثال التالى على اعمال الطيارين الحازمة الكفؤة . ففى ١٦ تموز (يوليو) ارسلت لتغطية تشكيل الخيالة الآلية بقيادة الجنرال بارانوف ١٢ طائرة مقاتلة من فوج الحرس السادس عشر التابع لفرقة الحرس الثانية بقيادة نقيب الحرس ريتشكالوف الحائز على لقب بطل الاتحاد السوفييتى مرتين . وكان ريتشكالوف فى الوقت نفسه طيارا قائدا فى المجموعة الضاربة . اما الطيار القائد فى مجموعة التغطية فكان قائد الفرقة عقيد الحرس بوكريشكين الحائز على لقب بطل الاتحاد السوفييتى مرتين . وكان رئيس مجموعة النجدة بطل الاتحاد السوفييتى ملازم اول الحرس ترود . وخلال وجبة الدوريـــة اكتشف الطيارون السوفييت على ارتفـــاع ١٥٠٠ متر حوالى ٤٥ طائرة معاديـة . وبالرغم من تفوق العدو عدديا هاجم الطيارون السوفييت طائرات العدو دون تردد ، فاسقطوا تســع طائرات فاشيـــة ، وتفرقت الطائرات الاخرى . وعادت كافة المقاتلات السوفييتية الى مطارها سالمة .

ومن الامثلة الرائعة الاخرى عمليات طائرات الهجوم والقصف عند تدمير مجموعـــة العدو المحاصرة . فخلال يـــوم ٢١ تموز

(يوليو) وحده وجه سلاح الجو عدة ضربات شديدة شاركت فيها ١٢٢٥ طائرة سوفييتية . وتدل على فعالية هذه الضربات اسطع دلالة افادة رئيس قسم العمليات لدى اركان الفيلق الالمانى الثالث عشر الرائد فولفغان الذى وقع اسيرا يوم ٢٧ تموز (يوليو) . فقد قال اثناء استجوابه : «ان سلاح الجو الروسى الحق بنا خسائر جسيمة . وتعرضنا للقصف الشديد خصوصا يومى ٢٠ و٢١ تموز (يوليو) فى منطقـــة بيلى كامين حيث تكدس الكثير مـن الحملات والسيارات والعسكريين ... وكان القصف مستمرا بلا انقطاع ودون ان تتهيأ لنا امكانية رفع رؤوسنـــا . وقد انهارت معنويات حتى الضباط القدامى الذين شاركوا فى حرب ١٩١٤ــ١٩١٨» .

وحتى لحظة تحرير مدينة لفوف كانت القوات الرئيسية للجبهة قد قطعت مسافـــة كبيرة نحو الغرب . فقد وصلت الى نهر ســـان وعبرته على مواجهة واسعة . وفى التاسع والعشرين من تموز (يوليو) كانت التشكيلات الامامية للجبهة قد وصلت الى نهر فستول وشرعت رأسا وعلى اكتـاف العدو بعبور هذا العائق المائى الكبير . واحرز اكبر نصر هنا فى اتجاه ساندومير . الا ان العدو استطاع فيما بعد ان يرسل الى هنا احتياطيات كبيرة ، واستمرت هنا حتى اواخر آب (اغسطس) معارك طاحنة ضارية من اجل الاحتفاظ براس الجسر الهام هذا وتوسيعه .

لقد اتسم انتصار الجيش الاحمر فى القسم الاوسط من الجبهة السوفييتية الالمانية صيف ١٩٤٤ بأهمية عسكريـة وسياسيـــة كبيرة . فنتيجة للهجوم الشديد الذى شنته جبهـــة البلطيق الاولى والجبهات البيلوروسية الثالثة والثانية والاولى والجبهة الاوكرانية الاولى والذى انتهى فى اواخر آب (اغسطس) تـم تدمير اثنتين من اقوى مجموعات العدو الستراتيجيةــ مجموعتى جيوش «المركز» و«اوكرانيا الشمالية» ــ البالغ عددها اربع مجموعات على الجبهة السوفييتية الالمانية . وتم نهائيا القضاء على ٢٦ فرقة معادية ،

بينما فقدت ٨٢ فرقة ما بين ٦٠ و ٧٠٪ من قوامها . وانجز الجيش الاحمر كليا تحرير اثنتين من اكبر الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وهما بيلوروسيا واوكرانيا وحرر قسما كبيرا من اراضي ليتوانيا وقسما من اراضي لاتفيا . وكان من اهم النتائج السياسية كذلك كون المحاربين السوفييت شرعوا ، وهم يقومون برسالتهم التاريخية بقدسية يحررون شعب بولونيا من النير الفاشي . فقد حرروا الاراضي البولونية شرقي فستول ، كما حرروا اكثر من ٥ ملايين شخص من العبودية الهتلرية . وتم يوم ٢١ تموز (يوليو) في الاراضي المحررة تشكيل اللجنة البولونية للتحرر الوطني ، وهي الهيئة المركزية للسلطة الشعبية . وحدد البيان الذي وضعته واقرته اللجنة برنامجا ملموسا للتحولات الديموقراطية في البلاد . وهكذا حصل الشعب البولوني لاول مرة في تاريخه على امكانية بناء دولته الديموقراطية الشعبية المستقلة .

وتغير الموقف الستراتيجي تغيرا جذريا ليس فقط على الجبهة السوفييتية الالمانية ، بل وعلى الجبهات الاخرى للحرب العالمية الثانية . وكانت مجموعة جيوش «الشمال» الالمانية الفاشية معزولة عمليا في منطقة البلطيق وذلك لان اتصالاتها البرية مع بروسيا الشرقية والتي تمر عبر «رواق» ضيق عرضه ٤٠ كيلومترا كانت سهلة المنال للغاية . وارسلت القيادة الهتلرية الى منطقة بيلوروسيا وحدها ٤٦ فرقة و٤ الوية وذلك في محاولة لوقف زحف الجيش الاحمر المظفر . وكانت ٢٨ فرقة منها قد نقلت من منطقة البلطيق ومن الجناح الجنوبي للجبهة السوفييتية الالمانية مما هيأ ظروف توجيه الضربات الشديدة في هذه الاتجاهات . وكانت ١٨ فرقة و٤ الوية قد وصلت من المانيا والمجر والنرويج وغيرها من بلدان اوروبا الغربية . وادى ذلك الى اضعاف مواقع المانيا الفاشية في البلدان المحتلة وساعد القوات الانكلواميركية التي نزلت في نورمانديا على متابعة هجومها . وكتبت صحيفة «جورنال» الاميركية في ٢٦

حزيران (يونيو) ان القوات السوفييتية «ساعدت ، كما لو كانت هى نفسها التى هاجمت التحصينات على الساحل الفرنسى ، وذلك لان روسيا بدأت هجوما كبيرا اضطر الالمان الى الابقاء على الملايين من قواتها فى الجبهة الشرقية ، تلك القوات التى كان من السهل ، فى حالة العكس ، ان تقاوم الاميركان فى فرنسا * » .

لقد فتح وصول قوات سوفييتية كبيرة الى حدود بروسيا الشرقية وفستول آفاقا جديدة امام اجراء العمليات الواسعة لدحر جحافل الهتلريين فى قلعتهم هذه ، وامام تحرير بولونيا كليا وتوجيه الضربة القاضية فى اتجاه برلين .

وكان هجوم الجيش الاحمر دليلا ساطعا على استمرار تنامى قدرة القوات المسلحة السوفييتية واتقان فنها العسكرى . واثبتت قوات الجيش الاحمر الباسلة عمليا ان اعمالها القتالية صارت تستند على الاشكال الاكثر حزما وكمالا للعمليات الهجومية الخاصة بتطويق ودحر مجموعات كبيرة من قوات العدو . وقد نفذت مهمة عدم السماح بفرار قوات العدو البشرية اروع تنفيذ فى مناطق كثيرة ومنها فيتيبسك وبوبرويسك ومينسك وفيلنوس وبرودى وبريست .

لقد كان الانتصار فى بيلوروسيا مكسبا ليس فقط لافراد الجيش الاحمر ، بل وللشعب السوفييتى باسره . فابناء الشعب ، شغيلة المؤخرة ، هم الذين امنوا للجيش كل ما هو ضرورى لدحر العدو وتحرير الجمهوريات الاشتراكية الشقيقة .

عملية ياسى ــ كيشينيف

لم تكن قد هدأت بعد صليات المدفعية فى القسم الاوسط اثناء دحر العدو فى اراضى بيلوروسيا ، عندما بدأت قوات الجيش الاحمر هجوما شديدا جديدا فى الجناح الجنوبى للجبهة السوفييتية

---

* «الحرب والطبقة العاملة» ، ١٩٤٤ ، العدد ١٤ ، ص ٤ .

الالمانية . وشاركت فى هذا الهجوم الجبهتان الاوكرانيتان بقيادة جنرالى الجيش مالينوفسكى وتولبوخين بالتعاون مع اسطول البحر الاسود واسيطيل الدانـــوب والطيران البعيد المدى والانصـــار المولدافيين . وشرعت هذه القوات جميعـــا بتنفيذ عملية ياسى ـ كيشينيف التى هى من ابرز واكبر العمليـــات من حيث اهميتهـــا السياسية والعسكرية والستراتيجية .

وكان هدف الهجوم هو دحر القوات الاساسيـــة لمجموعـــة جيوش « اوكرانيا الجنوبية » المعادية وتحرير اراضى جمهوريـــة مولدافيا الاشتراكية السوفييتية ونقل العمليات الحربية الى اراضى البلدان المتحالفة مع المانيا .

وليس من الصعب ادراك ان القيادة الهتلريـــة حاولت بكل الوسائل ان تسد الطريق الى البلقان . فبلدان البلقان كانت بالنسبة لالمانيا الفاشية مصدرا هاما للتزود بالقوات البشرية والمنتوجات الزراعية والبترول والمعادن غير الحديدية والموارد المادية الاخرى .

وكانت مجموعة جيوش « اوكرانيا الجنوبية » قد اعدت دفاعا عميق التحصين ذا منشآت هندسية على درجة كبيرة من المتانـــة والاتقان . وكانت هذه المجموعة تضم ٤٧ فرقة وخمسة الوية مشاة باكثر من ٦٤٠ الف جندى وضابط واكثر من ٧٦٠٠ مدفع ومدفع هاون واكثر من ٤٠٠ دبابة ومدفع هجوم واكثر من ٨٠٠ طائرة حربية . وكان يقود المجموعـــة الجنرال ـ العقيد هانس فريسنير الذى زعم متباهيا بان القوات التى يقودها احبطت بنجاح فى كافة المعارك حتى صيف ١٩٤٤ محاولات العدو لاختراق جبهة الدفاع .

ولم يكن تركيب المجموعة متماثلا . فان نصف قواتهـــا من الالمـــان ، والنصف الثانى من الرومانيين . وتكونت بين الجانبين علاقات عدم الثقة والشعور بالنفور .

واثر تفاقم الوضع السياسى الداخلى فى رومانيا تاثيرا كبيرا على الحالة المعنوية السياسية للقوات الرومانية وعلى قدرتها القتالية .

فقد اتسعت فى البلاد حركة المقاومة وازداد نشاط القوى الوطنية الديموقراطية فى النضال ضد الحرب وضد دكتاتورية انتونيسكو ، وخصوصا عندما دخلت القوات السوفييتية اراضى رومانيا . وفى ٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٤ اعلنت الحكومة السوفييتية ان دخول القوات السوفييتية اراضى رومانيا املته الضرورة العسكرية فقط ، وان الاتحـــاد السوفييتى لا يرمى الى امتلاك اى جزء من الاراضى الرومانية ولا الى تغيير النظام القائم . وساعد هذا البيان على رص صفوف المقاومة لدرجة اكبر .

وكان الجنرالات الالمان يعتبرون هجوم الجيش الاحمر باتجاه البلقان فى صيف ١٩٤٤ امرا قليل الاحتمال ، وذلك لان الجيش الاحمر شن هجوما شديدا فى وسط الجبهة السوفييتية الالمانية . ولكنه سرعان ما اتضح لهؤلاء الجنرالات ان حساباتهم خاطئة .

وكان لدى الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة قبيل العملية ٩٣٠ الف محارب و١٦ الف مدفع ومدفع هاون وحوالى ١٩٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة واكثر من ١٧٥٠ طائرة حربية .

وكانت خطة القيادة السوفييتية تنص على اختراق دفاع العدو فى منطقتين تبعد الواحدة عن الاخـــرى ٢٠٠ كيلومتر ، والزحف بخطين متلاقيين وتطويق وتدمير القوات الرئيسية لمجموعة جيوش «اوكرانيا الجنوبية» ومتابعة الهجوم على مدن فوكشانى وغالاتس واسماعيل .

وسبق العملية اعداد كبير لكافة القادة والاركانات .

واولى اهتمام خاص لمسائل اختيار اتجاه الضربة الرئيسية ومنطقتى الاختراق وتنظيم الادارة والتعاون بين القوات واستخدام المدفعية والقوات الخفيفة الحركة وكذلك احراز عنصر المباغتة .

ومارس القادة والهيئات السياسيـة والمنظمـــات الحزبيـــة ومنظمات الكومسومول عملا توضيحيـــا واسعـــا لغرض تعبئـة المحاربين لتنفيذ المهام الحربية المطروحة امامهم . واوضحوا لافراد

القوات المسلحة أن القتال سيجرى فى ظروف جديدة وعلى اراضى دول دفع حكامها شعوبهم لخوض الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ، وان على كل محارب ان يرفع عاليا كرامة وشرف الشعب السوفييتى وجيشه . واولى اهتمام خاص لضرورة الحفاظ على اليقظة المستمرة والتعامل الصائب مع السكان المحليين .

ومنذ صباح ٢٠ آب (اغسطس) تم بنجاح اسكات نيران العدو على خط الدفاع وذلك بواسطة التمهيد المدفعى الشديد وضربات سلاح الجو . واندفعت عبر الفجـــوات التى تكونت فى خط الدفاع قوات الدبابات والقوات الميكانيكية .

وفى محاولـــة لوقف زحف القوات السوفييتية اخذت القيادة الهتلرية تزج بقوات الاحتياط على عجل موجهة ضربات مضادة الى التشكيلات السوفييتية المندفعة الى الامام . الا ان القيادة الهتلرية لم تستطع احباط الهجوم . فخلال اليومين الاولين حطمت المجموعات الضاربـــة التابعة للجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثـــة اقـــرب احتياطيات العدو وانتقلت الى متابعة الهجوم السريع المظفر .

وفى اليوم الثالث من المعارك ، وبعد ان ادركت القيادة الهتلرية بان خطر التطويق يتهدد القوات الرئيسيـــة لمجموعـــة جيوش «اوكرانيا الجنوبية» اصدرت هذه القيادة توجيها بسحب الجيش الالمانى السادس والجيش الرومانى الثالث الى ماوراء نهر بروت . الا أن ذلك كان بعد فوات الاوان . فالقوات السوفييتية كانت قد قطعت الطرق الاساسية لانسحاب العدو .

وفى الرابع والعشرين من آب (اغسطس) تلاقت فى منطقـــة بلدتى خوشى وليوفو الوية الدبابات والالوية الميكانيكية بقيادة ب . جوكوف ومارشيف وريشيتنيكوف وتشيبوخين . وعلى اثر هذه الالوية اخذت تصل الى نهر بروت من جهة الشرق تشكيلات المشاة التابعة للجيش الثانى والخمسين بقيادة الجنرال كوروتييف . وكان ذلك يعنى ان طوقا فولاذيا اطبق على العدو من كافة الانحاء . وشمل

الحصار ١٨ فرقة المانية فاشية وعدة قطعات مستقلـــة وهيئات الارقان . وحالما تم تطويق قوات الجيش الالمانى الفاشى السادس وقسم من قوات الجيش الثامن بدأت عمليات تدمير هذه القوات .

وجرت احداث هامة آنذاك فى الجناح الايسر للجبهة الاوكرانية الثالثـــة . فهنـــا استطاعت فرق الجناح الايسر للجيش السادس والاربعين بقيادة الجنرال باختين بدعم من سلاح الجو ومدفعية سفن اسيطيل الدانوب بقيادة الاميرال غورشكوف ان تعبر نهر الدنيستر عند مصبه وان تعزل بالتعاون مع قسم من قوات الفيلق الميكانيكى الرابع بقيادة الجنرال جدانوف الجيش الرومانى الثالث عن الجيش الالمانى السادس وتحاصره الى جهة البحر . مما اضطر قوات الجيش الثالث الى الكف عن المقاومة . اما التشكيلات التى تابعت محاولاتها لفك الحصار فقد دمرت .

كانت العمليات الحربية الخاصة بتصفية القوات الاساسيـــة المحاصرة قد اكتسبت طابع المعارك الضارية . ولعبت دورا هاما فيها قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة التى شطرت مجموعة العدو الى عدة اقسام وحطمتها كلا على انفراد .

وبعد يوم واحد تم تحت ضربات القوات السوفييتية دحـر واسر كافة افراد الفيلق الثلاثين ، شأنه شأن فيالق الجيش الالمانى السادس الاخرى . وكان من بين الاسرى قائد الفيلق الجنرال بوستيل وعدد من قادة الفرق وكثير من الضباط الآخرين . وتحدث قائد الفرقة ٣٠٢ الجنرال فون بوغين عن ذلك فقال :

«فى الخامس والعشرين من آب (اغسطس) اندحر فيلقنـــا الثلاثون وفرت بقاياه شذر مذر . ولم تبق لدينا قيادة مركزية للقوات . وحاولت مرارا الخلاص من قدر الحصار ، ولكننى عندما كنت اتخلص من قدر اقع فى اخرى . وعندها ادركت ان كافة الطرق مقطوعة وانه ينبغى القيام بمحاولات يائسة لتلافى الأسر والموت . فتهنا طوال الليل فى الغابات والوديان ، وعند الصباح اضطجعنـــا

للاستجمام . وعندما استيقظنا كان الروس برشاشاتهم القصيرة حولنا » .

هكذا تمت فى غضون ثلاثة ايام تصفية مجموعة العدو التى حوصرت على الضفة الشرقية لنهر بروت .

وفى معارك ضارية حوصرت ودمرت ١٨ فرقة المانية ، بينما اضطرت الى الاستسلام ٢٢ فرقة وخمسة الوية تابعة للمملكة الرومانية .

وفى الفترة ما بين ٢٠ آب (اغسطس) و ٣ ايلول (سبتمبر) وحدها أسرت القوات السوفييتية ٢٠٨ آلاف جندى وضابط . وكان بين الأسرى ٣١ جنرالا .

وفى الوقت ذاته تابعت قوات الجبهتين السوفييتيين هجومها باتجاهى بخارست واسماعيل . وطوال ١١ يوما قطعت القوات السوفييتية عبر المعارك ٣٢٠ـ٣٥٠ كيلومترا مذللة خطوط دفاع العدو ومحطمة نقاط المقاومة لديه .

وفى الوضع الملائم الذى نجم عن هجوم القوات السوفييتية قامت القوى الديموقراطية الرومانية فى ٢٣ آب (اغسطس) بالانتفاضة المسلحة بقيادة الحزب الشيوعى واطاحت بنظام انتونيسكو الرجعى وشكلت حكومة جديدة . وفى ٢٤ آب (اغسطس) خرجت رومانيا من الحرب الى جانب المانيا الفاشية ، بل واعلنت الحرب ضدها فى اليوم التالى . واخذت فصائل الوطنيين الرومانيين المكافحة تحطم وحدات القوات الالمانية الفاشية المنسحبة وتدمر بؤر المقاومة لديها . وتحولت الحرب من الآن فصاعدا بالنسبة لرومانيا من حرب اغتصابية غير عادلة الى حرب تحررية معادية للفاشية . وفى سير الحرب اللاحق ، وطوال ٢٥٠ يوما حاربت جنبا الى جنب مع الجيش الاحمر القوات الرومانية التى اصبحت من الناحية العملياتية خاضعة للجبهة الاوكرانية الثانية

والتى ساهمت مساهمة مرموقة فى القضية العادلة ، قضية دحر المانيا الهتلرية .

وفى اواخر آب (اغسطس) ١٩٤٤ طرح مقر القيادة العامة العليا مهام متابعة الهجوم وتطويره . وكان على الجبهة الاوكرانية الثانية ان تهجم بقواتها الرئيسية فى اتجاه بخارست ، تورنو – سيفيرين ، وان تستولى بتشكيلات جناحها الايمن على الطرق الجبلية عبر الكاربات . وكان على قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة ان تصل الى الحدود البلغارية وتقدم المساعدة الاخوية للشعب البلغارى فى التحرر من النير الفاشى .

وخلال تنفيذ هذه المهام ذللت قوات الجبهة الاوكرانية الثانية بالتعاون مع تشكيلات الجيش الرومانى مقاومة الهتلريين الضارية فى المناطق الرومانية الوسطى والغربية ، ووصلت فى اواخر ايلول (سبتمبر) وبعدة قطاعات الى حدود المجر ويوغوسلافيا وعبرت جبال الكاربات الجنوبية . وبذلك ساعدت هجوم قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة الموجودة آنذاك عند السلسلة الرئيسية لجبال الكاربات ، والتى عبرت هذه الجبال فى بعض المناطق .

وفى الثامن من ايلول (سبتمبر) عبرت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة الحدود الرومانية البلغارية ولم تواجه مقاومة ما ، فأخذت تزحف الى اواسط بلغاريا . واحتل جنود انزال اسطول البحر الاسود بالتعاون مع التشكيلات الخفيفة الحركة التابعة للجبهة مينائى روشوك وفارنا ، وفيما بعد احتلوا بورغاس . واستقبلت جماهير الشغيلة البلغارية الجيش الاحمر بحماس عظيم وفرح هائل كما يستقبل عادة الجيش المحرر .

وكان الوضع السياسى والعسكرى داخل بلغاريا آنذاك يتميز باشتداد حدة نضال الجماهير الشعبية ضد حكومتها الموالية للفاشية . فحركة الانصار كانت تشمل البلاد بأسرها تقريبا . واشتدت الميول الثورية لدى جنود وضباط الجيش والاسطول

القيصرى . وكان حزب العمال البلغارى (حزب الشيوعيين) هـــو القائد الكفاحى للنضال الثورى للشعب البلغارى . واعدت لجنـــة الحزب المركزية برئاسة القائد البارز غيورغى ديميتروف الجماهير الشعبية للانتفاضة الثورية التى بدأت فى صوفيا ليلة ٩ ايلـــول (سبتمبر) . وانتقلت السلطة فى البلاد الى ايدى حكومة الجبهـــة الوطنية التى قطعت العلاقات مع المانيا الفاشية واعلنت الحـــرب ضدها .

وبناء على طلب اللجنة المركزية لحزب العمال البلغـــارى وتنفيذا لتكليف من الحكومة السوفييتية نظم المجلس الحربـــى للجبهة الاوكرانية الثالثة مساعدة الانصار البلغاريين بارســـال الاسلحة والذخيرة اليهم . واستخدمت لهذا الغرض ٧٥ طائرة .

وخلال فترة قصيرة شكل الشعب البلغارى جيشا ثوريا جديدا واسعا مناهضا للفاشية . وقد اصبح هذا الجيش حسب قرار حكومة الجبهة الوطنية خاضعا من الناحية العملياتية للجبهة الاوكرانيـــة الثالثة . وطوال الاشهر الثمانية التاليـــة شـــارك مع القوات السوفييتية فى الحرب ضد المانيا الفاشية . وفى هذه المعارك القاسية ضد العدو كللت قطعـــات وتشكيلات الجيش الشعبى التحـــررى البلغارى راياتها بالمجد الذى لا يذوى .

وجرت معارك طاحنة خلال ايلـــول (سبتمبر) ١٩٤٤ فى الكاربات . ففى الثامن منه انتقلت الى الهجوم هنا قوات الجيش الثامن والثلاثين التابع للجبهة الاوكرانية الاولى وكذلك الفيلـــق التشيكوسلوفاكى الاول من ضمن هذا الجيش ، وذلك لنجـــدة الشعب السلوفاكى الذى اعلن الانتفاضة المسلحة ضد الفاشية . وفى ٩ ايلول (سبتمبر) بدأ العمليات الحربية جيش الحـــرس الاول التابع للجبهة الاوكرانية الرابعة ، وفيما بعد شارك فى الهجـــوم الجيش الثامن عشر وفيلق المشاة المستقل السابع عشر . وكانت القيادة السوفييتية قد قدمت مساعدة واسعة لحركة المقاومـــة

السلوفاكية المناهضة للفاشية لفترة طويلة قبل بداية الانتفاضة . فكان قد تم عن طريق الجو ارســـال الاسلحة والذخيرة ووسائل الاتصال والمواد الطبية وكثير غير ذلك .

وجرى الهجوم في ظروف جبلية عسيرة للغاية . وابدى العدو مقاومة ضارية . وبالرغم من ذلك وصلت قوات جيش الحرس الاول بقيادة الجنرال غريتشكـــو الى حدود تشيكوسلوفاكيا يوم ٢٠ ايلول (سبتمبر) ، ومن ثم دخلت اراضي الشعب التشيكوسلوفاكي الشقيق . وفي السادس من تشرين الاول (اكتوبر) احتلت تشكيلات الجيش الثامن والثلاثين بقيادة الجنرال موسكالينكو والفيلـــق التشيكوسلوفاكي الاول بقيادة الجنرال لودفيغ سفوبودا مضيق دوكلا الجبلي . ودخل المحاربون التشيكوسلوفاكيون ارض الوطن لاول مرة . وفيمـــا بعد اعتبر هـــذا اليـــوم عيدا للجيش التشيكوسلوفاكي .

وتابعت تشكيلات الجبهة الاوكرانية الرابعة عملياتها الحربية فطهرت بمساعدة قوات الجبهة الاوكرانية الثانية مدينتي موكاتشيفو واوجغورود من العدو في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) . وتـــم نهائيا تحرير المناطق الاوكرانية فيما وراء الكاربات من العدو . وكان المؤتمر الاول للجان الشعبية لاوكرانيا ماوراء الكاربات قد عقد في مدينة موكاتشيفو في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ واقر بيانا بشأن انضمام مناطق الكاربات الى اوكرانيا السوفييتية .

في بلغراد وبودابست

في اواخر ايلول (سبتمبر) وصلت القـــوات السوفييتية الى حدود رومانيا مع المجر ومع يوغوسلافيا ، والى الحدود البلغارية اليوغوسلافية ، وحررت قسما كبيرا من اراضي المجر .

وادت انتصارات القوات المسلحة السوفييتية في الهجـــوم

الصيفى الى ازدياد تردى الوضع العسكرى والسياسى والستراتيجى لالمانيا الفاشية . وكانت تقترب عزلتها التامة فى اوروبا . فآخر حليفة لها وهى المجر التى كانت تعـــانى من اشد ازمة سياسية فى عهد دكتاتورية هورثى وكانت فى انتظار الضربة المرتقبة من القوات السوفييتية .

وصار فقدان المانيا لعدد من المناطق المحتلة والمهمة من الناحية الاقتصادية يترك اثره السلبى بصورة متزايدة على صنع السلاح والمعدات الحربية . وعبأت القيادة الهتلرية بصورة محمومة الاحتياطيات البشرية التى كانت تشعر بنقص كبير فيها ووجهتهــا بصورة عاجلة الى تعزيز جبهتها الشرقية .

وفى ٢٨ ايلول (سبتمبر) بدأت عملية بلغراد التى شاركت فيها قوات البلدان الشقيقة الثلاثة ــ الاتحاد السوفييتى ويوغوسلافيا وبلغاريا . وسبقت هذه العملية مفاوضات فى موسكو مع زعمـــاء حركة التحرر الوطنى للشعب اليوغوسلافى وقادة جيشه .

وتم اثناء المفاوضات اتفاق نقل الجيش الاحمر بموجبـــه العمليات الحربية الى اراضى يوغوسلافيا ، كما تم تنسيق المسائل الخاصة بالتعاون بين القوات السوفييتية واليوغوسلافية . واتخذت لجنة الدولة للدفاع فى الاتحاد السوفييتى قرارا بتسليم مجموعة جوية الى يوغوسلافيا الشعبية ، وتقديم الاسلحـــة والمعدات الى عشرين فرقة للمشاة وفرقتين جويتين وارسال مجموعة كبيرة من الضباط السوفييت بمثابة مدربين الى قوات جيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى .

وكانت خطة القيادة العامة العليا السوفييتية تنص على ان تشارك عن الجانب السوفييتى فى دحر القوات الهتلرية على اراضى يوغوسلافيا قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة وقسم من قوات الجبهة الاوكرانية الثانية واسيطيل الدانـــوب الحربى . وعند التحضير للعمليات الحربية اولت الهيئات السياسية والمنظمات الحزبيـــة

اهتماما خاصا لتوضيح أهمية الرسالة التحريرية التى يضطلع بها الجيش الاحمر فى اراضى يوغوسلافيا .

ونتيجة للعمليات المشتركة التى اجرتها القوات السوفييتية واليوغوسلافية فى اتجاه بلغراد ، والقوات اليوغوسلافية والبلغارية فى اتجاهى نيش وسكوبله وجهت ضربات شديدة الى مجموعة الجيش الالمانية الفاشية «سربيا» والى قسم من قوات مجموعة جيوش «ى» ، وتم تحرير القسم الشرقى من يوغوسلافيا وعاصمتها بلغراد . وكان اول من دخل العاصمة اليوغوسلافية فى خضم المعركة وحدات فيلق الحرس الميكانيكى السوفييتى الرابع بقيادة الجنرال جدانوف والفرقة البروليتارية اليوغوسلافية الاولى بقيادة العقيد فاسو ايفانوفيتش . وازيحت قوات العدو الى مسافة حوالى ٣٠٠ كيلومتر . وتهيأت للشعب اليوغوسلافى وجيشه امكانية الاعتماد على مؤخرة متينة هى مصدر للتزود بالموارد البشرية والمادية . واذا كان الجيش الاحمر وجيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى ، هذان الجيشان الشقيقان الحليفان ، قد حاربا ببسالة سابقا ضد العدو المشترك فى منطقتين تبعدان عن بعضهما البعض مسافة كبيرة ، فهما الآن يحطمان الغزاة الالمان الفاشست جنبا الى جنب .

وكان السكان اليوغوسلافيون لدى استقبالهم للمحاربين السوفييت يعربون لهم عن مشاعر المودة الصادقة وعميق الامتنان على المساعدة التى قدموها لهم فى التحرر من الغزاة الفاشست . واستقبل اليوغوسلافيون الجنود والضباط السوفييت بحرارة وحفاوة كما يستقبل اعز الاقارب والاصدقاء بعد طول فراق .

وقدرت هيئة رئاسة مجلس التحرر الشعبى اليوغوسلافى المعادى للفاشية اسمى التقدير خدمات الجيش الاحمر . فان اكثر من ٢٠٠٠ محارب سوفييتى قد منحوا اوسمة وميداليات تقديرا لتحرير بلغراد وحدها . ومنح ١٣ جنديا وضابطا لقب بطل شعب يوغوسلافيا . ومن بين هؤلاء الجنرال جدانوف والجنرال كوزاك

والرائـــد اوليسكو والرائـــد البحرى اوخريمينكــو والنقيب كونستانتينوف والمـــلازم الاول دميتريينكو والمـــلازم الاول مونوغادزه وآخرون . وتكريما لتحرير العاصمة اليوغوسلافيـــة استحدثت هيئـــة رئاسة ملجس السوفييت الاعلى فى الاتحـــاد السوفييتى ميدالية «تحرير بلغراد» . واشادت الحكومة السوفييتية ببسالة وبطولة المحاربين والقادة اليوغوسلافيين فى المعركـــة المشتركة فمنحت ٣٠٠ منهم اوسمة وميداليات الاتحاد السوفيتى .

وبعد تحرير بلغراد نقلت القوات السوفييتية المحاربة فى اراضى يوغوسلافيا الى المجر ، بينما تابعت قوات جيش التحرر الشعبى اليوغوسلافى العمليات الحربية الرامية الى تحريـــر البلاد الذى انجز فى ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٥ .

وقـــدمت الدولة السوفييتية مساعدة سخية لشعـــــوب يوغوسلافيا فى نضالها التحررى . فخلال العامين الاخيرين من الحرب وحدهما استلم جيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى من الاتحـــاد السوفييتى ٩٦٥١٥ بندقية وبندقية قصيرة ، و٦٨٤٢٣ رشاشا ورشاشـــا قصيرا ، و٣٣٦٤ مدفع هاون ، و٨٩٥ مدفعـــا ، و ٤٩١ طائـــرة ، وكمية كبيرة من الذخيرة والمعدات والمـــواد الغذائية . وساعدت هذه المعونة على تطوير العمليات الحربيـــة المشتركة لدى القوات السوفييتية واليوغوسلافية وعززت عـــرى الاخوة بين الشعبين .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ، حيث كانت الجبهة الاوكرانية الثالثة تتابع الهجوم المظفر فى اراضى يوغوسلافيا ، كانت الجبهة الاوكرانية الثانية توجه بقواتها الرئيسية ضربة الى مجموعـــة جيوش «الجنوب» الالمانيـــة الفاشية فى اتجـــاه عام نحـــو ديبريتسين ، حيث حررت القسم الشمالى من ترانسلفانيا . ووصلت تشكيلات الجبهة على خط واسع الى نهر تيسا فعبرته واستولت على رأس جسر كبير وفتحت لنفسها الطريق الى بودابست .

واشتـــد فى المجر الطموح الى فصم التحالف مع المانيـــا الهتلرية . ولم يكن ذلك الطموح شديدا لدى الجماهير الشعبية وحدها، بل ولدى الجيش المجرى ايضا . وفى ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) اعلـــن حاكم المجر هـــورثى بالراديـــو عـــن نيته فى بـــدء المفاوضات مع ممثلى الائتلاف المعادى للهتلرية بشـــأن شروط الهدنة . وانتقل قائد الجيش المجرى الاول الجنرال بيلا ميكلوش مع هيئة اركانه الى جانب الجيش الاحمر . وفى الوقت ذاته تقريبا انتقل الى جانب الجيش الاحمر حوالى ٦٠٠٠ جندى وضابط .

ولغرض الاحتفاظ بالمجر فى فلك المانيا الفاشية نحـــى الهتلريون هورثى عن السلطة ونصبوا محله زعيم الفاشيين المجريين سالاشى . واستطاع الهتلريون بواسطة اذنابهم الفاشيين المجريين ان يحولوا دون انهيار الجيش المجرى ، وارغموه على متابعـــة المقاومة .

الا ان ذلك كان ظاهرة وقتية .

فان دخول الجيش الاحمر الى المجر ساعد على تنشيط القوى الثورية فى البلاد . وصار الحزب الشيـــوعى المجرى الذى بعث فى ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ يـــرص صفوف كافة القوى المعاديـــة للفاشية . وفى بعض الاماكن شرعت بالعمل فصائل الانصار .

وفى ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) انتقلت قوات الجبهـــة الاوكرانية الثانية الى الهجوم . فقد بدأت عمليـــة بودابست التى ساهمت فيها كذلك تشكيلات الجبهة الاوكرانية الثالثة التى وصلت الى المجر من يوغوسلافيا .

وبعد ان اخترقت قوات كلتا الجبهتين دفاع العدو تـــابعت الهجوم الى الاعماق ، وفى النصف الثانى من كانون الاول (ديسمبر) التقت فى منطقة مدينة يستيرغوم على الدانوب . وضرب الحصار على مجموعة كبيرة للعدو فى العاصمة المجرية يبلغ تعدادها ١٨٨ الفا . وساعدت على هذا النجاح لدرجة كبيرة عمليات طائرات الجيشين

الجويين الخامس والسابع عشر بقيادة الجنرالين غوريونوف وسوديتس .

ولغرض انقاذ الفرق الفاشية حولت القيادة الهتلرية المدينة الهائلة كلها الى مركز جبار للمقاومة . وفى الوقت ذاته بدأت الضربات المضادة الشديدة على الجبهة الخارجية لازاحة القوات السوفييتية الى ماوراء الدانوب وفك الحصار عن المجموعة المطوقة .

ولغرض انقاذ العاصمة الرائعة للشعب المجرى من الدمار وللحيلولة دون هلاك الكثيرين من سكانها وجه قائدا الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة الى قيادة المجموعة المحاصرة انذارا بشأن الاستسلام . وارسل بمهمة مبعوث المفاوضة فى الجبهة الاوكرانية الثانية النقيب ميكلوش شتينميتس ، وهو ابن الثورى المجرى المعروف . وقد ترعرع فى الاتحاد السوفييتى وكان من متطوعى اللواء الاممى الذى قاتل فى اسبانيا ضد المتمردين الفرانكويين . وسبق ارسال مبعوث المفاوضة اشعار الهتلريين بواسطة مكبرات الصوت .

الا ان التصرفات الوحشية للهتلريين واعتيادهم على خرق ابسط الاصول الدولية تكررت هذه المرة ايضا . فحالما اقتربت السيارة وعليها علم ابيض مرئى على مسافة بعيدة من خنادق العدو بدأ اطلاق النار ، فالتهمت النيران السيارة . ومن ثم اخذت تتفجر الالغام قرب السيارة . واطلقت على هذه السيارة نيران الرشاشات ، فقتل مبعوث المفاوضة ، وقتل معه الرقيب فيليمونينكو . ولم يمكن انقاذ الا الملازم الاول كوزنيتسوف الذى اصيب بجراح ثخينة . ولم يصدق كافة الذين شهدوا هذه المأساة المباغتة ما رأته اعينهم . فقد كانت مأساة فظيعة لا تصدق .

وبصورة لا تقل عن ذلك فظاعة وغدرا انتقم الهتلريون من مبعوث المفاوضة لدى الجبهة الاوكرانية الثالثة النقيب

اوستابينكو ، الذى قتل برصاصة غادرة اطلقت على ظهره عندما كان عائدا بعد تسليم الانذار .

وحالما اتضح ان الانذار السوفييتى قد رفض ، امرت القيادة السوفييتية بتوجيه حمم نيران المدفعية الى مواقع العدو . وهجم المحاربون السوفييت من جديـــد . واصبحت مدينة بودابست والمناطق القريبة منها ساحة للمعـــارك الطاحنة . وكان الذنب فى ذلك هو ذنب الهتلريين . وفى ١٣ شباط (فبراير) تمت نهائيـــا تصفية مجموعة قوات العدو المحاصرة فى المدينة . وتكريما لتحرير العاصمة المجرية من القوات الهتلرية استحدثت هيئة رئاســـة مجلس السوفييت الاعلى بمرسومها الصادر فى ٩ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ميدالية «الاستيلاء على بودابست» . ومنحت هذه الميدالية الى كافة المشاركين فى هذه المعارك التاريخية . وانجز الجيش الاحمر تحرير المجر كليا فى ٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ .

وكان من اهم الاحداث فى تاريخ الشعب المجرى افتتـــاح المجلس الوطنى المـــؤقت فى مدينة ديبريتسين فى كانـــون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ ، حيث انتخب المجلس الحكومة الجديدة وبذلك اكد بصورة تشريعية الاطاحة بالنظام الفاشى . وفى ٢٨ منه اتخذت الحكومة المؤقتة لجبهة الاستقلال الوطنى قرارا بالخروج مـــن الحرب الى جانب المانيا الفاشية ، بل واعلنت الحرب ضدها . وسلك الشعب المجرى طريق الثورة الديموقراطية الشعبية .

وهكـــذا ، احرز الجيش الاحمر اعتبارا مـــن ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٤٤ حتى اواسط شبـــاط (فبرايـــر) ١٩٤٥ انتصارات باهرة . فبعد انجاز تحرير كامل القسم الجنوبى مـــن اراضى الاتحاد السوفييتى قامت القوات السوفييتية بدعم شامل من القوى الوطنية لـــدى الشعوب المحررة بتطهير اراضى رومانيـــا وبلغاريا واوكرانيا ما وراء الكاربات والقسم الاكبر من اراضى المجر وقسم كبير من اراضى تشيكوسلوفاكيـــا ويوغوسلافيا من رجس

الغزاة الالمان الفاشست . وارغم زحف الجيش الاحمر فى الجنوب القيادة الهتلرية على سحب قواتها من اليونان والبانيا ، مما ادى الى تحسن كبير فى ظروف نضال الشعبين الالبانى واليونانى ضد الفاشية. وتهيأت للشعوب المحررة امكانية سلوك طريق التحولات الديمقراطية ، وانخرطت هذه الشعوب بنشاط اكبر فى النضال ضد المانيا الهتلرية . وتكبدت المانيا الفاشية خسائر فادحة وفقدت آخر حليف لها واصبحت فى عزلة تامة فى اوروبا .

وفى الفترة من اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ حتى اواسط شباط (فبراير) ١٩٤٥ حطمت قوات الجبهات الاوكرانية الثانية والثالثة والرابعة ٤٠ فرقة و٣ ألوية من قوات العدو . وفضلا عن ذلك تمت كليا ابادة ٨ فرق و٥ ألوية للمشاة . واضطرت القيادة الهتلرية على ان ترسل الى الجنوب ٣٧ فرقة و ٨ ألوية نقل اغلبها من اتجاه وارشو ـ برلين ، مما سهل على قواتنا توجيه الضربة الرئيسية فى اتجاه برلين .

وتميزت العمليات الحربية للقوات السوفييتية على الجناح الجنوبى من الجبهة السوفييتية الالمانية باتساع نطاقها ، وبالانتقال من عملية الى اخرى دون فترة توقف كبيرة لاعداد الهجوم الجديد ، وبارتفاع الوتائر والقدرة الكبيرة على المناورة ، والمهارة فى تطويق وتدمير قوات كبيرة للعدو فى مختلف الظروف ـ فى الاراضى المكشوفة وفى المدن الكبرى مثل العواصم وفى المناطق الساحلية . وتميزت هذه العمليات بجودة تنسيق العمل بين الجبهات وسلاح الجو واسطول البحر الاسود واسيطيل الدانوب وقوات الدفاع الجوى ، ذلك التنسيق الذى كان من اهم شروط النجاح فى حل المهام المطروحة .

واشترك بنشاط جنبا الى جنب مع افراد الجيش الاحمر فى الهجوم جيش التحرر الشعبى اليوغوسلافى والقوات البلغارية والرومانية والتشيكوسلوفاكية التى ساهمت مساهمة مرموقة فى القضية العامة ، قضية دحر الفاشية فى اوروبا . وكانت عملياتها

المشتركة ترمز الى وحدة مطامح شعوب هـــذه البلدان فى النضال ضد الفاشية الالمانية ، وساعدت على المزيد من ترسخ روح الاخوة والاواصر المشتركة بين هذه الشعوب ، كما وضعت اسس التآخى والتعاون فيما بعد الحرب .

ان الانتصارات التى احرزت فى جنوب شرقى اوروبا كانت قد ساعدت على تحسن المـــوقف العسكرى الستراتيجى فى الجبهـــة السوفييتية الالمانيـــة كلها تحسنا اكبر . فبوصول القـــوات السوفييتية الى القسم الشرقى من تشيكوسلوفاكيا والمجر تم احتلال مواقع ملائمة لشن الهجوم اللاحق فى تشيكوسلوفاكيا والنمسا .

من اجل جمهوريات البلطيق السوفييتية

كان الجيش الاحمر حتى اواخر آب (اغسطس) ١٩٤٤ قـد حرر اكثر من نصف اراضى البلطيق السوفييتية . الا ان تشكيلات مجموعة جيوش «الشمال» وجيش الدبابات الثالث من مجموعة جيوش «المركز» استطاعت بعد انسحابها ان تتحصن عند خط دفاعى جديد وتحتفظ بقسم كبير من اراضى جمهوريات البلطيق . وكانت القيادة الهتلرية تولى هذه المنطقة اهمية خاصة . فالقوات المرابطة هنا كانت تغطى وتحمى بروسيا الشرقية من الشمـــال الغربى وتؤمن شيئا من حرية العمل للاسطول الالمـــانى فى القسم الشرقى من بحـــر البلطيق . مما هيأ امكانية الاتصال بالبلـــدان السكندينافية التى هـــى اهم مصدر للمواد الستراتيجية بالنسبـــة لالمانيا . وكان الهتلريون بوجودهم فى منطقة البلطيق يأملون بان يسلطوا فى اية لحظة ضربة جانبية على جناح القوات السوفييتية المقاتلة فى بيلوروسيا . وكانوا يعتبرون منطقة البلطيق واحدة مـن القواعد الهامة لتزويد المانيا بالمواد الغذائية والخامات .

وطوال ثلاثة اعوام من الاحتلال الهتلرى تحملت شعـــوب

منطقة البلطيق مصائب لا تعد ولا تحصى . فالجلادون الفاشست ابادوا هنا حوالى ١١٤٠ الف شخص . الا ان المواطنين ، شأنهم شأن اخوانهم فى الجمهوريات السوفييتية الاخرى ، لم يطأطئوا الرؤوس للعبودية الهتلرية .

لقد احتفظت القيادة الهتلرية فى جمهوريات البلطيق بمجموعة كبيرة من القوات كان لديها حتى مستهل ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ ، ٥٦ فرقة و٣ الوية آلية . وبلغ تعداد هذه المجموعة ٧٠٠ الف شخص مسلحين باكثر من ١٢٠٠ دبابة ومدفع هجوم وحوالى ٧ آلاف مدفع ومدفع هاون وحتى ٤٠٠ طائرة .

وطرحت مهمة دحر هـــذه المجموعة من قوات العدو على قوات جبهة لينينغراد وجبهات البلطيق الثالثة والثانية والاولى . وكانت هذه القوات تضم ١٢٥ فرقة و ٧ فيالق للدبابات وفيالق ميكانيكية . وكان لديها ٩٠٠ الف شخص وحوالى ١٧,٥ الف مدفع ومدفع هاون واكثر من ٣٠٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة وحوالى ٢٦٥٠ طائرة . واشتركت فى العملية كذلك سفن وطائرات اسطول البلطيق . وقام بمهمة القيادة العامة للقوات ممثل مقر القيـادة العامة العليا مارشال الاتحاد السوفييتى فاسيليفسكى .

وبدأ الهجوم يوم ١٤ ايلول (سبتمبر) بقوات جبهـات البلطيق الثلاث التى وجهت الضربات من الشمـال الشرقى والشرق والجنوب الشرقى باتجاه عام نحو ريغا .

وتم احراز اكبر الانتصارات فى الجناح الايمن لجبهة البلطيق الاولى ، حيث تقدمت القوات فى غضون ثلاثة ايام مسافـة ٥٠ كيلومترا . وكانت القيادة الهتلرية تخشى من فصل القوات الرئيسية فى مجموعة جيوش «الشمال» فاتخذت قرارا بسحبها الى الخطوط المعدة بين خليج ريغا ونهر دفينا الغربى . وادى ذلك الى تقليص كبير فى خط الجبهة واتاح للعدو امكانية تحرير عدة فرق وتعزيز الدفاع .

الا ان خطط العدو لسحب القوات احبطت بانتقال جبهة لينينغراد الى الهجوم يوم ١٧ ايلول (سبتمبر) من منطقة تارتو نحو تالين . وطوال عشرة ايام طهرت قوات الجبهة بالتعاون مع اسطول البلطيق كامل القسم القارى لاستونيا من الهتلريين وشرعت بالاستعداد لتحرير جزر ارخبيل موونزوند . وابدت بسالة خلال المعارك قطعات وتشكيلات كثيرة فى الجيش والاسطول . وكانت سريعة حازمة خصوصا عمليات افراد الفيلق الاستونى الثامن بقيادة الجنرال بارن . فقد كان افراد هذا الفيلق من بين اوائل الذين دخلوا تالين فى ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ . ونصب الملازم لوميستى راية النصر الحمراء فوق برج توومبيا القديم . وتقديرا للمهارة والحزم اللذين ابدتهما قوات الفيلق منحت الاوسمة والميداليات لحوالى ٢٠ الف جندى وضابط من افراده . وفى ذلك اليوم حيا وطننا قوات جبهة لينينغراد المجيدة التى حررت عاصمة اخرى من عواصم الجمهوريات السوفييتية .

وحتى ذلك الحين كانت قوات جبهات البلطيق الثالثة والثانية والاولى قد وصلت خط الدفاع عند مشارف ريغا ، حيث واجهت مقاومة عنيدة من قبل العدو . وفى ذلك الوضع اعادت جبهة البلطيق الاولى توزيع قواتها الاساسية بسرعة من اتجاه ريغا الى منطقة شاولاى ووجهت يوم ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ضربة شديدة فى اتجاه كلايبيدا . وفى العاشر منه وصلت تشكيلات هذه الجبهة الى بحر البلطيق . وفصلت مجموعة جيوش العدو «الشمال» عن بروسيا الشرقية . وحتى اواخر تشرين الاول (اكتوبر) انجز نهائيا تحرير ليتوانيا ، ووصلت قوات جبهة البلطيق الاولى الى حدود بروسيا الشرقية . وابدى بسالة ومهارة عالية فى هذه المعارك جنود الفرقة الليتوانية السادسة عشرة بقيادة العقيد اوربشاس والتى حاربت ضمن جيش الحرس الثانى . ومنحت هذه الفرقة وسام الراية الحمراء ، ثم اطلق عليها اسم «فرقة كلايبيدا» تكريما لتحريرها ميناء كلايبيدا البحرى الهام .

وخشية تطويق مجموعة القوات الهتلرية بدأت القيادة الفاشية سحب هذه القوات من منطقة شمال شرقى ريغا . فطاردتها بسرعة قوات جبهة البلطيق الثالثة بقيادة الجنرال ماسلينيكوف وجبهة البلطيق الثانية بقيادة الجنرال يريمينكو . وفى ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) طهرت هذه القوات ريغا من الهتلريين تطهيرا تاما وازاحت فلول مجموعتهم المندحرة الى شبه جزيرة كورلانديا . وتم بصورة اساسية تحرير لاتفيا . فان مجموعة قوات الاعداء المحاصرة الى البحر والمطوقة فى شبه الجزيرة لم يكن بمستطاعها التأثير بصورة جدية على سير الاحداث فى الجبهة السوفييتية الالمانية . واستسلمت هذه القوات فى ايار (مايو) ١٩٤٥ .

وشارك بنشاط فى تحرير ارض الوطن الفيلق اللاتفى ال ١٣٠ بقيادة الجنرال برانتكالن . واستقبل السكان المحليون بحرارة متناهية المحاربين من ابناء جلدتهم . ومنح هذا الفيلق وسام سوفوروف من الدرجة الثانية ، كما منحت فرقته اللاتفية ال ٣٠٨ وسام الراية الحمراء . وفى شهرى ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ وحدهما منحت الاوسمة والميداليات الى ٣٤١٨ جنديا وضابطا من افراد هذا الفيلق . وقد ضاعف افراد الفيلق بمآثرهم البطولية التقاليد الكفاحية المجيدة للرماة اللاتفيين الذين اثبتوا اخلاصهم المتفانى للوطن فى النضال من اجل السلطة السوفييتية خلال سنوات الحرب الاهلية .

وفى الوقت ذاته نفذت قوات جبهة لينينغراد بالاشتراك مع اسطول البلطيق عملية موونزوند الانزالية التى انتهت فى اواخر تشرين الثانى (نوفمبر) بالتطهير التام لاراضى استونيا من المحتلين الهتلريين .

وهكذا كان انجاز تحرير جمهوريات البلطيق السوفييتية من الغزاة الالمان الفاشست اهم نتيجة للهجوم الخريفى الذى شنته جبهة لينينغراد وجبهات البلطيق الثلاث . فقد تم كليا تدمير ٢٦

تشكيلات للعدو ، اما التشكيلات الباقية فقد ازيحت وحوصرت فى شبه جزيرة كورلانديا . وبوصول الجيش الاحمر على جبهة واسعة الى ساحل بحر البلطيق وبتحرير القواعد البحرية الحربية الهامة جدا تحسنت كثيرا مرابطة اسطول البلطيق . وتم بصورة مضمونة تأمين جناح القوات السوفييتية من جهة الشمال . وتحرر عدد كبير من القوات السوفييتيـــة التى اصبح من الممكـــن الآن ان تستخدم لتوجيه الضربة النهائية الى العدو فى عرينه .

فى المنطقة القطبية الشمالية

تهيأت ظروف تحرير المنطقة القطبية السوفييتية نتيجة لدحر القوات الالمانية الفاشية فى كاريليا ومنطقة البلطيق وبعد خروج فنلندة من الحرب . وحتى بدايـــة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ كان الجيش الهتلرى يسيطر على منطقة بيتسامو . وكان لدى هذا الجيش هنا قواعد بحرية حربية كبيرة ذات موانئ غير متجمدة . فاستمر لذلك بتهديد طرق المواصلات البحرية الشماليـــة . وفى الوقت ذاته كانت الصناعة الحربية الالمانية تحصل من هنـــا على الخامات الضرورية لها مثل النيكل والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن النادرة .

واصدر مقر القيادة العامة العليا امرا الى جبهة كاريليا باعداد عملية هجومية بالتعاون مـــع الاسطول الشمالى بقيادة الاميرال غولوفكو وذلك لدحر مجموعة العدو الشمالية وتحرير المنطقـــة القطبية السوفييتية .

وبدأ الهجوم فى ٧ تشرين الاول (اكتوبر) بقوات الجيش الرابـــع عشر بقيادة الجنرال شيرباكوف . وقاتلت قوات الجيش التى دعمها الانزال البحرى فى ظروف التندرا الجبلية العسيرة فخرقت فى غضون ثلاثة ايام دفاع العدو الحصين وحررت يوم ١٥ تشرين

الاول (اكتوبر) المدينة الروسية العريقة والقاعدة البحرية الهامة بيتشينغا (بيتسامو) . ولعب دورا كبيرا فى تحرير المدينة الانزال البحرى فى ميناء لينانخامارى . وكانت مجموعة الزوارق النسافة بقيادة النقيب البحرى شابالين اول من اقتحم الميناء عبر وابل من نيران بطاريات العدو . وتقديرا للبسالة والبطولة المنقطعة النظير منحت الحكومة السوفييتية شابالين ميدالية «النجمة الذهبية» للمرة الثانية . وفى ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) دخل الجيش الاحمر اراضى النرويج وحرر مناطقها الشمالية ، بما فيها القاعدة البحرية الحربية الهامة كيركينيس من المحتلين الالمان الفاشست .

كان انتصار الجيش الاحمر فى الشمال الاقصى بالاضافة الى الانتصارات التى تحققت سابقا فى منطقة البلطيق قد عزز علاقات الاتحاد السوفييتى مع بلدان شبه الجزيرة السكندينافية واثر تأثيرا كبيرا على تطور النضال التحررى للشعب النرويجى .

واشارت حكومة النرويج فى رسالة الى الحكومة السوفييتية فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ الى «ان الشعب النرويجى بأسره سيرحب بكل سرور وحماس بتحرير القسم الشمالى من النرويج والذى سيؤدى الى متابعة تعزيز الصداقة بين بلدينا» .

وبعد ان نفذ الجيش الاحمر بكل نزاهة رسالته التحريرية التاريخية السامية غادر اراضى النرويج فى ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ ، وحلف لدى شعب هذه البلاد ذكرى الامتنان الابدى .

الانتصارات الختامية فى اوروبا

الجيش عشية النصر

استقبل الشعب السوفييتى وقواته المسلحة عام ١٩٤٥ بآمال نيرة تبشر بالنهاية العاجلة للحرب القاسية المدمرة . وتعززت هذه الآمال بالانتصارات والنجاحات الكبرى التى تم احرازها

فى الجبهة والمؤخرة . فقد مرت ثلاثة اعوام ونصف من الصراع المرير ضد عدو قوى غدار . وكان المواطنون السوفييت آلذين ذاقوا مرارة الهزائم والاخفاقات فى المرحلة الاولى من الحرب قد احرزوا اعظم الانتصارات . فالارض السوفييتية تطهرت الآن من الغزاة كليا . وحرر محاربو الجيش الاحمر شعوب عدد من بلدان شرق وجنوب شرق اوروبا التى استعبدتها الفاشية مؤدين بذلك رسالتهم الاممية التاريخية . ومنيت بالفشل الدعاية الفاشية التى زعمت بان القوات السوفييتية لن تدخل اراضى الرايخ الهتلرى ابدا . واقترب الجيش الاحمر من حدود بروسيا الشرقية ودخل اراضيها واستعد لتقويض المانيا الفاشية .

ونتيجة لدحر القوات الالمانية الفاشية فى شمال النرويج وخروج فنلندة من الحرب توقفت العمليات الحربية على الجبهة الممتدة من بحر بارينتس الى بحر البلطيق . وتقلص الى النصف تقريبا خط الجبهة السوفييتية الالمانية البالغ طوله آنذاك ٤٤٥٠ كيلومترا . وتغير لصالح القوات السوفييتية الموقف على المسرح البحرى للعمليات الحربية . واصبح الموقف اقل توترا فى بحر بارينتس حيث نقلت القيادة الالمانية الفاشية سفنها الكبرى منه الى بحر البلطيق بعد ان فقدت هذه القيادة القواعد الحربية البحرية فى شمال النرويج . وصار بمقدور الاسطول الشمالى ان يوجه جهوده الآن لتأمين سلامة خطوط المواصلات البحرية ولمكافحة غواصات العدو . وطرد الاسطول الهتلرى من القسم الشمالى لبحر البلطيق . وتهيأت لسفن اسطول البلطيق السوفييتى امكانية الوصول الى سواحل المانيا . ونتيجة لدحر القوات الالمانية الفاشية فى الجناح الجنوبى للجبهة السوفييتية الالمانية وخروج رومانيا وبلغاريا من الحرب تهيأت ظروف وقت السلام فى البحر الاسود ايضا . وشرع اسطول البحر الاسود بتطهير البحر من الالغام وبتأمين النقليات العسكرية والاقتصادية بحرا . وتقلصت امكانيات

سلاح الجو الالمانى الفاشى . وكانت قوات الدفاع الجوى السوفييتية تحمى بأمان اهم مناطق البلاد وطرق المواصلات القريبة من الجبهة .

واقتربت القوات الانكلو اميركية المتحالفة معنا من حدود الرايخ الفاشى . واصبحت المانيا الهتلرية محاصرة بين جبهتين من الشرق والغرب .

واحرز الشعب السوفييتى نجاحات كبيرة جديدة فى تطوير القوى المنتجة فى البلاد . وتحسن عمل الصناعة والنقليات والزراعة . واعيد بكل نشاط اعمار المناطق التى دمرها العدو والتى تحررت من الغزاة الالمان الفاشست . وبفضل عمل الشعب السوفييتى المتفانى استلمت الجبهة كميات كافية من التكنيك الحربى والسلاح المتزايد الجودة . وحتى اوائل عام ١٩٤٥ بلغ اعلى مستوى خلال سنوات الحرب قوام الجيش الاحمر وتسليحه وتزويده بالتكنيك . فقد بلغ تعداد الجيش المقاتل حوالى ٦ ملايين شخص . وكان لديه ٩١,٤ الف مدفع ومدفع هاون و٢٩٩٣ مدفعا صاروخيا وحوالى ١١ الف دبابة ومدفع ذاتى الحركة و ١٤,٥ الف طائرة حربية * . وتهيأت امكانية تقليص صنع بعض انواع السلاح وخصوصا الطرازات العتيقة . وكفت الصناعة عن صنع الدبابات الخفيفة ومدافع من عيار ٤٥ ملم ومدافع الهاون من عيار ٥٠ ملم . وتقلص بمقدار ٥,٥ مرة صنع البنادق المضادة للدبابات . وفى الوقت ذاته كانت تصنع كميات متزايدة من الدبابات المزودة بمدافع من عيار ٨٥ و١٢٢ ملم ، والمدافع ذاتية الحركة المزودة بمدافع من عيار ١٠٠ و١٥٢ ملم والطائرات ذات التصاميم الافضل .

وتكون لدى القوات تنظيم الجبهات والجيوش والتشكيلات والقطعات فى كافة انواع القوات المسلحة واصناف القوات بشكل مجرب عبر المعارك . وكانت لدى مقر القيادة العامة العليا احتياطيات ممتازة من شأنها ان تعزز الجبهات . وفضلا عن ذلك فقد ساعد تقلص

---

* ما عدا جبهة لينينغراد والجيش الـ ٣٧ المستقل .

خط الجبهة القيادة السوفييتية على حل بعض الجبهات والجيوش ، وتوجيه القوات والوسائل المحررة لتكميل القوات المحاربة ولزيادة تعدادها لدرجة كبيرة .

وتحلت القوات السوفييتية بخبرة قتالية هائلة وتدريب حربى ممتاز وسمات معنوية وسياسية رائعة . وتعززت بصورة اكبر المنظمات الحزبية ومنظمات الكومسومول . وحتى اوائل عام ١٩٤٥ كان فى الجيش والاسطول ٣٠٣١ الف شيوعى و ٢٣٧٢ الفا من اعضاء الكومسومول . وبعثت بطولات الجيش الاحمر مشاعر المودة والتعاطف معه لدى كافة شعوب العالم . وازدادت سمعة الجيش الاحمر وتضاعف عدد اصدقائه وحلفائه . فقد قاتلت الى جانبه القوات البولونية والتشيكوسلوفاكية والرومانية والبلغارية وكذلك الفوج الجوى الفرنسى « نورماندیا ـ نیمان » .

وكان حال المانيا الفاشية يختلف عن ذلك . فمنذ النصف الثانى من عام ١٩٤٤ تقلص بشدة الانتاج الصناعى فى المانيا . وكانت الزراعة تعانى من صعوبات كبيرة : فقد ادى نقص الايدى العاملة الى تقليص الاراضى المزروعة والى نقص المحصول . وفضلا عن ذلك فلم يعد فى استطاعة هتلر استخدام موارد الخامات من البلدان المحتلة والدول المحايدة . وادت الخسائر الهائلة فى الجبهة السوفييتية الالمانية الى تقلص الجيش وتزويده التكنيكى . وكان الجيش يعانى من نقص فى الموارد البشرية . وكانت القيادة الفاشية ، سعيا منها الى ارغام كافة السكان على القتال فى سبيل النظام الفاشى ، قد اضطرت الى اصدار مرسوم بتشكيل قوات « الهجوم الشعبى » التى جند فيها كافة الالمان القادرين على حمل السلاح فيما بين السادسة عشرة والستين من العمر . وكانت الامدادات الواردة على الجيش ضعيفة التدريب وسيئة الاعداد . وتقلص فى الجيش باستمرار عدد الدبابات والطائرات واشتدت الحاجة الى الذخيرة والوقود .

ولكنه بالرغم من الوضع العصيب لم تكن الزمرة الهتلرية تنوى الاعتراف بهزيمتها . فقد كانت لا تزال تأمل باطالة امد الحـرب وكسب الوقت واثارة الانقسام فى صفوف الائتلاف المعادى للهتلرية ومحاولة عقد الصلح الانفرادى مع الدول الغربية وانهاء الحرب بمآل ملائم لهذه الزمرة . وكانت المانيا الفاشية لا تزال تملك لهذا الغرض قوات مسلحةكبيرة كان باستطاعتها فى ظروف تقلص خط الجبهة ان تشكل مجموعات كثيفة وابداء مقاومة طويلة الامد . علما بان القسم الاغلب من القوات المسلحة الفاشية لا يزال كالسابق متحشدا على الجبهة السوفييتية الالمانية ، حيث كانت تقاتل ١٦٩ فرقة و ٢٠ لواء للالمان و ١٦ فرقة ولواء واحد للمجريين ، كان تعداد هذه القوات يبلغ ٣,١ ملايين جندى وضابط ولديها ٢٨,٥ الف مدفع ومدفع هاون وحوالى ٤٠٠٠ دبابة ومدفع هجوم و ٢٠٠٠ طائرة حربية . وفضلا عن ذلك فـــان اكثر من مليونى شخص وكمية كبيرة من التكنيك الحربى كانت تشكل مختلف انواع الاحتياطيات ، وقد زج بها فيما بعـــد فى المعركة ضد الجيش الاحمر . وكانت تواجه القوات الانكلو اميركية ١٠٧ فرق المانية .

وفى هذه الظروف ، ولغرض قصم ظهر الوحش الفاشى وارغامه على القاء السلاح ، كان ينبغى للقوات المسلحة السوفييتية ان توجه عدة ضربات ختامية كانت قد اعدت مسبقا . وكانت مطروحة على القوات السوفييتية مهمة شن هجوم حازم فى وقت واحد وعلى جبهة واسعة لانجاز دحر الجيش الالمانى الفاشى فى فترة قصيرة وانهاء الحرب ضد المانيا الهتلرية نهاية مظفرة . واعدت الضربة الرئيسية فى اتجاه برلين ،وهو الاتجاه الذى يوصل القوات السوفييتية الى العاصمة الالمانية باقصر طريق . وكان للقيادة السوفييتية كامل الحرية فى اختيار زمان ومكان توجيه الضربة . ولكنه لغرض احراز افضل النتائج اجرت القيادة بمهارة مختلف انواع العمليات والتحشيد الخفى لمجموعاتها الضاربة فارغمت العدو على الاحتفاظ بالقسم الاكبر

من قواته ووسائله فى جناحى الجبهة السوفييتية الالمانية وخصوصا فى الجنوب واضعاف مجموعة قواته فى بولونيا . وكان من المقرر ان لا يبدأ الهجوم قبل ٢٠ كانون الثانى (يناير) . الا انه بسبب هزيمة القوات الانكلو اميركية فى اردين وافقت الحكومة السوفييتية على تلبية طلبات رئيس وزراء بريطانيا آنذاك ونستون شرشل فاصدرت امرها بالتعجيل فى التحضير وبدء العمليات الحربية قبل الموعد المحدد . وفى النصف الاول من كانون الثانى (يناير) شن الهجوم الجبار فى جبهة ممتدة من بحر البلطيق الى الدانوب .

من فستول حتى الاودر

بعد ان تمت فى صيف ١٩٤٤ ازاحة الجيوش الالمانية الفاشية فى الاتجاه الاوسط الى ما وراء فستول بدأت القيادة الهتلرية على عجل بانشاء الخطوط الدفاعية للحيلولة دون استمرار زحف القوات السوفييتية نحو الغرب وللاحتفاظ ببولونيا . ونفذت الاعمال الدفاعية بوتائر سريعة من قبل القوات ومؤسسات البناء المتخصصة وكذلك السكان واسرى الحرب . وحتى مستهل كانون الثانى (يناير) ١٩٤٥ كان للعدو سبعة خطوط دفاعية بين فستول والاودر على عمق ٥٠٠ كيلومتر ، وهى خطوط تستند اساسا على الحواجز المائية ، الامر الذى زاد من متانتها كثيرا . وفى الشمال كانت الشبكة الدفاعية كلها مرتبطة بالمناطق المحصنة فى بروسيا الشرقية ، بينما كانت تلتصق فى الجنوب بمناطق الكاربات الوعرة .

وكانت اقوى التحصينات الدفاعية قد انشئت وراء فستول مباشرة . وكانت القيادة الهتلرية تعتبر هذا الخط الدفاعى هو الخط الحاسم الذى لا يسمح للجيش الاحمر تجاوزه . وعلى مشارف الاودر ، وعلى طول الحدود الالمانية البولونية السابقة ، كانت تقع

المنشآت الدفاعية الخرسانية لخط بومرانيا ومنطقة ميزيريتس المحصنة .

وكانت تحمى خط فستول الدفاعى اكثر من ٣٠ فرقة من مجموعة جيوش «أ» التى كانت تضم فى اتجاه برلين حوالى ٤٠٠ الف جندى وضابط واكثر من ٤٠٠٠ مدفع ومدفع هاون واكثر من ١١٠٠ دبابة ومدفع هجوم وحتى ٣٠٠ طائرة . وكان القسم الاكبر من هذه القوات مرابطا مقابل رؤوس الجسور التى استولت عليها القوات السوفييتية فى مناطق ماغنوشيف وبولافا وساندومير .

وطرحت على قوات الجبهتين البيلوروسية الاولى والاوكرانية الاولى مهمة توجيه الضربة الحاسمة وتدمير العدو فى بولونيا وانجاز تحرير الشعب البولونى من العبودية الفاشية ونقل العمليات الحربية الى اراضى الرايخ الهتلرى . وكان من المقرر ان تدعم هذه القوات من قبل قوات الجبهة البيلوروسية الثانية شمالا والجبهة الاوكرانية الرابعة جنوبا . واذا كانت القيادة السوفييتية تسعى فى كثير من العمليات السابقة الى توجيه القوات الرئيسية للجبهات نحو تطويق مجموعات العدو ، فان الخطة الاساسية لهذه العملية كانت تتلخص فى توجيه الضربات الجبهوية الجبارة ، وخصوصا من قبل قوات الدبابات ، باتجاه بوزنان وبريسلافل لشطر مجموعة العدو الى اجزاء ، ومتابعة الهجوم بوتائر عالية لاحتلال خطوط الدفاع الجديدة قبل ان تتمركز فيها آلتشكيلات المنسحبة او احتياطيات العدو المرسلة اليها .

وجرى التحضير للعملية باتقان خاص . فقد كانت لا تزال دائرة رحى المعارك من اجل الاحتفاظ برؤوس الجسور التى احتلتها القوات السوفييتية عند نهر فستول وتوسيع هذه المواقع عندما وضعت الاركانات خطة الهجوم الجديد . وعين مارشال الاتحاد السوفييتى جوكوف قائدا للجبهة البيلوروسية الاولى ، وترأس مارشال الاتحاد السوفييتى كونيف الجبهة الاوكرانية الاولى . ومما

له دلالته ان كلا هذين القائدين العسكريين الشهيرين كانا قد قادا جبهتين عند صد هجوم الجيوش الالمانية الفاشية على موسكو . وآنذاك اكتسب خبرة ممتازة لتخطيط العمليات الهجومية كذلك رئيسا اركانيهما الجنرالان مالينين وسوكولوفسكى . اما الآن فقد حظى الاربعة بشرف قيادة القوات الى عاصمة المانيا الفاشيـــة برلين .

وخصص مقر القيادة العامة العليا للجبهتين قوات كبيرة . فكان يتقاطر بلا انقطاع مسيل قوات الاحتياط ، وتنقل المعدات الحربية والاسلحة والذخيرة والوسائل المادية . وجرى الاستعداد لضربة لا مثيل لها من حيث الشدة . واستعد للمشاركة فى العملية اكثر من ٢,٢ مليون شخص مسلحين بـ٣٤,٥ الف مدفع ومدفـــع هاون وحوالى ٦,٥ آلاف دبابة وحوالى ٤٨٠٠ طائرة حربية .

وتحشدت مجموعات الجبهتين الضاربة فى رؤوس الجسور المحدودة المساحة . ومن الطبيعى ان العدو كان يتوقع الهجوم من هناك بالذات . ولذلك حاولت القيادة السوفييتيـــة ان تخفى على العدو بمختلف الوسائل قوة واتجـــاه الضربات الرئيسيـــة ، وان تستخدم اساليب جديدة للهجوم وتضليل العدو المتنبه . وكانت القوات تتحرك نحو رؤوس الجسور ليلا فقط ، وكانت الآليات تسير بمصابيح مطفأة ، ومنـــــع اشعال المواقد اثناء الاستراحة وفى الغابات . اما فى المناطق التى لم يجر اعداد الضربات فيهـــا فكانت السيارات تسير بلا انقطاع وعلى مرأى من العدو لايهامه بنقـــل القوات . وكانت عشرات التراكتورات تثير ضجيجا فى الليالى عند خط الدفاع الامامى ، وتسحب فى النهار الدبابات الهيكلية ، مما جعل استطلاع العدو الجوى يتصور وصول قطعات الدبابات الى اماكن لم تكن لتصل اليها فى الواقع .

واستعد بكل دقة للهجوم المرتقب المشاة وجنود الدبابات والمدفعيون وجنود الهندســـة وجنود الاتصال . وكان الطيارون

يدققون تفاصيل التعاون مع القوات الارضية . وبذل جهودا كبيرة شغيلة هيئات المؤخرة لكى يؤمنوا الوسائل المادية لكمية هائلة من القوات . واستعد بالتعاون الاخوى مع القوات السوفييتيـــة محاربو الجيش الاول للقوات البولونية الجديدة . فقد كان عليهم ان يحرروا عاصمة وطنهم وارشو .

وحل صباح الثانى عشر من كانون الثانى (يناير) . وفى الساعة الخامسة وبعد غارة مدفعية قصيرة ، ولكن شديدة ، شنت الهجوم الكتائب الاستطلاعية التابعة للجبهة الاوكرانية الاولى . وازاحت هذه الكتائب وحدات التغطية لدى العدو واحتلت الخندق الامامى . ثم بدأ التمهيد المدفعى . وطوال حوالى الساعتين انهالت آلاف من المدافع ومدافع الهاون بحممها النارية على تحصينات العدو . وكان الثلج يتساقط كثيفا ، والرؤية معدومة ، وسلاح الجو متوقفا . الا ان ذلك لم يربك المدفعيين . ففى كل كيلومتر واحد من الجبهة انهالت على العدو النيران من ٢٥٠ بل وحتى ٣٠٠ مدفع ومدفع هاون . واخلت حمم المدفعية بدفاع العدو . وادت الخسائر الهائلـــة الى هبوط معنوياته . وافاد قائد فوج المشاة ال ٥٧٥ الذى وقع اسيرا « ان جنود وضباط جيشنا فقدوا كليا ايـــة رباطة جأش ، واخذوا يغادرون مواقعهم دون اوامر ويتوجهون الى اعماق الدفاع . وشل الاتصال والادارة » .

وانتقلت المشاة والدبابات الى الهجوم فانهالـــت على دفاع العدو . وعندما اخذ الطقس يتحسن بدأت القتال طائرات الجيش الجوى الثانى بقيادة الجنرال كراسوفسكى .

وحاولت القيادة الالمانية الفاشية وقف هجوم الجبهة وذلك بتوجيه ضربة مضادة من قبل فيلق الدبابات الاحتياطى . ولكنها لم تفلح فى ذلك . فقد تحطم هذا الفيلق فى المعركة وانسحبت بقاياه الى منطقة كيلتسه . ولكنها لم تصمد هناك ايضا . وفى ١٥ كانون الثانى (يناير) قامت قوات الجبهة بمناورة ماهرة من الشمال

الشرقى والجنوب والغرب فدمرت قطعات العدو المنسحبة وحررت مدينة كيلتسه التى هى منطقة هامة للمقاومة والمواصلات ، مما جعل قوات العدو تنسحب من خط نهر فستول شمالى ساندومير . وبدأ الجيش السادس بقيادة الجنرال غلوزدوفسكى فورا بتضييق الخناق على هذه القوات من الامام ، بينما تحركت قوات الجنرال غوردوف لتقطع طريق انسحاب قوات العدو . وتحول انسحاب العدو الى هرب . واضطر العدو الذى انهارت معنوياته الى ترك السلاح الثقيل والمدفعية وعربات الاحمال والتوجه بشكل جماعات صغيرة عبر الغابات نحو الغرب . ولكن القوات السوفييتية لحقت به هنا ايضا ، كما وقعت هذه الجماعات فى الغابات تحت ضربات الانصار البولونيين . ولم تهرب من الطوق الا فلول مزرية . ووقع فى الاسر قائد الفيلق وقائد احدى الفرق مع اركانيهما .

وجرت آنذاك فى وسط الجبهة مطاردة سريعة لقوات العدو . فخلال ستة ايام حررت المجموعة الجبهوية الضاربة المدن والقرى البولونية فتقدمت مسافة ١٥٠ كيلومترا ودخلت مدينة تشينستوخوف فى ١٧ كانون الثانى (يناير) .

واحرز انتصار كبير كذلك فى الجناح الايسر من الجبهة . فان قوات الجنرال كوروتشكين والجيش التاسع والخمسين بقيادة كوروفنيكوف الذى زج فى المعركة حررت عاصمة بولونيا القديمة كراكوف بعد ان خاضت معارك شديدة استغرقت ثلاثة ايام . وفى ١٥ كانون الثانى (يناير) انتقلت الى الهجوم فى الجناح الايمن للجبهة الاوكرانية الرابعة قوات الجيش الـ ٣٨ بقيادة الجنرال موسكالينكو ، وبعد ثلاثة ايام انتقلت الى الهجوم قوات جيش الحرس الاول بقيادة الجنرال غريتشكو . وبعد ان اخترقت هذه القوات دفاع العدو زحفت نحو الغرب زحفا مظفرا .

فى ١٤ كانون الثانى (يناير) بدأت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى عملياتها الحربية . فبعد ان اجرت الكتائب الامامية المدعومة

بالدبابات ونيران المدفعية الاستطلاع بالقوة اجتازت بسرعـــة الموقع الامامى من دفاع العدو . وبضربة شديدة تم اختراق دفاع العدو من رأس جسر ماغنوشيف على طول ١٢ كيلومترا ، ومن رأس جسر بولافا على طول ٢٢ كيلومترا . ولم تتوقف العمليات الحربية ليلا .

وزج العدو فى هجوم مضاد القوات الرئيسية لفيلق الدبابات الاربعين سعيا منه الى وقف هجوم الجبهة . الا ان هذه القوات دحرت وازيحت كذلك وتم قهر مقاومة العدو .

كانت القيادة الالمانية الفاشية قد حولت وارشو الى منطقة دفاعية جبارة . واصدر هتلر امره بالاحتفاظ بالمدينة مهما كلف الامر . الا ان حامية المدينة لم تستطع تنفيذ هذا الامر . ونتيجة للالتفاف العميق الذى قامت بـــه قوات الجيش السابع والاربعين بقيادة الجنرال بيرخوروفيتش والجيش البولونى الاول بقيادة الجنرال بوبلافسكى من الشمال والجنوب ، وجيش دبابات الحرس الثانى من الغرب اضطرت الحامية الى ترك وارشو والهرب بحثا عن النجاة فى الاتجاه الشمالى الغربى فيما وراء فستول . وفى ١٧ كانون الثانى (يناير) حررت القوات السوفييتية والبولونية عاصمة بولونيا وارشو التى عانت الامرّين . وفى اليوم السابق تم احتلال رادوم ، وفى ١٨ منه تلاقت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى مع قوات الجبهة الاوكرانية الاولى فى منطقة شيدلوفيتس . وصار الهجوم يشن فى جبهة تتجاوز ٥٠٠ كيلومتر .

وانهار الدفاع عند فستول . وتكبدت مجموعة جيوش «أ» الهتلرية هزيمة ماحقة . وانسحبت تحت ضربات القوات السوفييتية فلول تشكيلات العدو المندحرة . ولم تكن القيادة الفاشية تتوقع مثل هذا الاندحار السريع . والقى هتلر بهياج العاجز كامل ذنب الهزيمة عند فستول على جنرالاته وقواته . واستبدل قائد مجموعة الجيوش غاربه وقائد الجيش التاسع لوتفيتس بجنرالين آخرين .

وعوقب بكل قساوة بعض العاملين فى الاركان العامة . وقدم للمحاكمة قومندان حامية وارشو . وكان محاربو الجيش الاحمر قد حطموا دفاع العدو فزحفوا نحو الرايخ الفاشى بصورة لا مرد لها .

وقام كافة المحاربين بواجبهم بحماس منقطع النظير . ولعب العمل السياسى دورا كبيرا فى ذلك . فقد كانت شعارات «الى الامام ، الى المانيا !» و «الى برلين !» و «فلنحرر اشقاءنا وشقيقاتنا الذين استعبدهم الفاشيون !» تدعو الى تحقيق المآثر . واخذت خطوط الدفاع تسقط الواحد تلو الآخر . وفى ١٩ كانون الثانى (يناير) تحررت لودز ، وفى ٢٢ منه وصلت تشكيلات دبابات الجبهة البيلوروسية الاولى الى بوزنان ، بينما وصلت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى الى الاودر .

وبذلت القيادة الالمانية الفاشية جهودا يائسة لوقف استمرار زحف الجيش الاحمر . واضطر الالمان الى وقف العمليات النشيطة ضد القوات الانكلواميركية فى الغرب . وكتب الجنرال غودريان يقول ان هتلر اتخذ فى ١٦ كانون الثانى (يناير) قرارا بالانتقال الى الدفاع فى الجبهة الغربية ونقل القوات المتفرغة الى الشرق . واشتدت مقاومة العدو بصورة متزايدة عند وصول القوات السوفييتية الى الاودر . واشتد نشاط سلاح الجو الهتلرى .

وتزايدت على الدوام صعوبات الهجوم . فقد ابتعدت القوات السوفييتية عن قواعد التموين بمسافة ٣٥٠ كيلومترا ، وكانت سكك الحديد مدمرة ، وعانت قوات الدبابات خصوصا من نقص الوقود . وادى انعدام المطارات الى تأخر سلاح الجو . وبالرغم من ذلك كله تابعت القوات السوفييتية هجومها .

والتفت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى حول بوزنان من الشمال والجنوب فطوقت حاميتها البالغ تعدادها ٦٢ الفا . وتركت الجبهة قوات غير كبيرة لمحاصرة المدينة ، واجتازت الدفاع عند

سد بوميرانيا ومنطقة ميزيريت المحصنة ، ووصلت الى الاودر فى اواخر كانون الثانى (يناير) ، وعبرت النهـــر فورا واستولت على رأسى جسريـــن شمالى وجنوبى كوستريـــن . وصارت القوات السوفييتية تخوض العمليات الحربية على اراضى الرايخ الفاشى ليس بعيدا عن برلين .

وحتى ذلك الحين تعقد كثيرا وضع الجبهة البيلوروسية الاولى . فقد ارسلت القيادة الالمانية الفاشية الى بوميرانيا الشرقية قوات كبيرة شكلت منها مجموعة جيوش «فستول» . وكان العدو ينوى استخدام الفراغ الذى تكـــون بين قوات الجبهتين البيلوروسيتين الثانية والاولى لتوجيه ضربة مضادة الى التشكيلات السوفييتية التى وصلت الى الاودر . وكشف قائد الجبهة فى الوقت المناسب عن نوايا العدو ، فارسل الى بوميرانيا الشرقية الجيش الضارب الثالث بقيادة الجنرال سيمونياك والجيش البولونى الاول ، وحول وجهتى الجيشين الـ ٤٧ و ٦١ نحو الشمال . ومن ثـــم وصل الى هنـــا كلا جيشى الدبابات وتشكيلات الخيالة . وتم صد ضربات العدو المضادة ، بل وان قوات الجبهة طوقت مجموعة العدو فى منطقة شنايدميول .

واحرزت انتصارات كبيرة قوات الجبهة الاوكرانية الاولى . فقد عبرت نهر الاودر فورا شمالى وجنوبى بريسلافل وخاضت المعارك لتوسيع رؤوس الجسور. الا ان الزحف غربى كراكوف جرى ببطء . فقد حاول العدو بكل الوسائل ان يحتفظ بمنطقة سيليزيا العليا الصناعية التى كانت تحميها قوات كبيرة نسبيا . ولغرض تحرير هذه المنطقة الهامة لاستخراج الفحم والمعادن بأسرع ما يمكن ، زج قائد الجبهة فى المعركة بالجيش الحادى والعشريـــن بقيادة الجنرال غوسيف وفيلق الخيالة ، وبعد الوصول الى الاودر وجه جيش دبابات الحرس الثالث نحو الجنوب الى مؤخرة مجموعة قوات العدو . وكانت تلك مناورة جسورة غير متوقعة قامت بها قوات الدبابات الكبيرة . وانتهت هذه المناورة على اروع ما يكون .

فبالضربـــة المشتركة التى وجهتهـــا قوات الجنرالات غوسيف وكوروفنيكوف وكوروتشكين من الجبهة وقوات الجنرال ريبالكو من المؤخرة تم فى ٢٩ كانون الثانى (يناير) تطهير هذه المنطقـــة الصناعية من القوات الالمانية الفاشية دون ان يلحق بالمنطقة اى ضرر .

واثناء هذه المعارك احتلت قوات الجبهة معسكر الاعتقال فى اوسفينتسيم ، وهو محرقة الموت الهائلة ، حيث اباد الفاشست اكثر من ٤ ملايين شخص .

وبالوصول الى الاودر واحتلال رؤوس الجسور على ضفته الغربية انجزت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى والجبهة الاوكرانية الاولى يوم ٣ شباط (فبراير) عملية فستول — الاودر . وحتى ذلك الحين كانت قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة بقيادة الجنرال بتروف قد حررت اثناء تنفيذ عملية الكاربات الغربية قسما كبيرا مـــن اراضى بولونيا الجنوبية وتشيكوسلوفاكيا وتقدمت مسافة ١٠٠ — ٢٠٠ كيلومتر .

ان نتائج عملية فستول — الاودر هائلـــة للغايـــة . فخلال ٢٣ يومـــا زال عن الوجود دفـــاع العدو بين فستول والاودر . ولم تجد نفعـــا منشآت الخرسانـــة المسلحـــة فى سد بوميرانيـــا ومنطقة ميزيريت المحصنة . واشتعل لهيب الحرب فى اراضى الرايخ الهتلرى . ولم يفصل بين القوات السوفييتية وبرلين انذاك سوى ٦٠ كيلومترا . وتم تدمير ٣٥ فرقة معادية ، وتكبدت ٢٥ فرقة خسائر تتراوح بين ٥٠ و ٧٠ ٪ من تعدادها . وفقد العدو حوالى ١٥٠ الف جندى وضابط وقعوا فى الأسر . واستولـــت القوات السوفييتية على كمية هائلة من الآليات والمعدات الحربية .

وخلال العملية اضطرت القيادة الهتلرية الى ان ترسل الى هنا اكثر من ٢٠ فرقة وتوقف الهجوم فى الغرب . وساعد الجيش الاحمر حلفاءه بعملياته الحربية . فقد اطارت الضربة الجبارة رشد العدو .

وحتى الجنرال الهتلرى السابق ميلينتين اضطر الى الاعتراف بان «الهجوم الروسى تطور بقوة وسرعة لا نظير لهما . ولا يمكن وصف كل ما حدث بين فستول والاودر فى الاشهر الاولى من عام ١٩٤٥ . فاوروبا لم تر مثيلا لذلك منذ زمن سقوط الامبراطورية الرومانية» .

وخلال كانون الثانى (يناير) حررت القوات السوفييتية والبولونية قسما كبيرا من اراضى بولونيا وحررت عاصمتها وارشو . وتكريما لهذا الحادث استحدثت هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى ميدالية «تحرير وارشو» . ومنحت هذه الميدالية الى ٦٧٥ الف محارب .

واستقبل الشعب البولونى بالفرح والتهاليل العارمة محرره الجيش الاحمر . وعقدت اجتماعات جماهيرية فى وارشو ولوبلين وكراكوف وغيرها من المدن .

فى معقل الهتلرية

طرحت مهمة عسيرة على قوات الجبهتين البيلوروسيتين الثالثة والثانية اللتين وصلتا الى بروسيا الشرقية . فان بروسيا الشرقية كانت قاعدة العسكريين الالمان والرجعية ومنطلق عدوانهم على روسيا وبولونيا وشعوب منطقة البلطيق . وكانت بروسيا الشرقية قد حولت الى رأس جسر لتنفيذ حملات القرصنة وتطبيق السياسة الاغتصابية «الهجوم على الشرق» . فمنذ ان استولى الفرسان الاقطاعيون الالمان فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر على اراضى السلاف والليتوانيين وافنوا السكان الاصليين القاطنين هذه الاراضى كانت بروسيا الشرقية ، كوكر للقرصنة ، مليئة على الدوام بالمنشآت الدفاعية . ففى المناطق الوعرة ارتفعت جدران القلاع المحصنة «للفرسان الكلاب» ، ومن ثم تغطت الارض كلها بقلاع

هائلة ذات معاقل وتحصينات ضخمة متينة ومجهزة بأحدث وسائل التحصين .

وعند استلام الفاشية للسلطة تم فى كافة اراضى بروسيا الشرقية بناء شبكة جبارة من المناطق المحصنة التى ضمت منشآت الخرسانة المسلحة من امثال خط «ماجينو» وخط «زيغفريد» . ففى منطقة هايلزبيرغ المحصنة وحدها كانت ٩١١ من هذه المنشآت الدفاعية . وكانت كافة المناطق مغطاة على مسافة طويلة بخنادق مضادة للدبابات وبعمدان خشبية ومعدنية وخرسانية مسلحة . وليس من قبيل الصدفة ان كان مقر قيادة هتلر الذى اطلق عليه الفاشيون اسم «عرين الذئب» واقعا طوال الحرب كلها تقريبا فى مخابىء عميقة تحت الارض تحميها بحيرات مازور فى منطقة راستينبورغ فى بروسيا الشرقية بالذات .

وبعد الهزيمة فى معركة ستالينغراد اخذ الهتلريون يعززون على عجل الدفاع فى بروسيا الشرقية وشمال بولونيا . فقد جرى بواسطة القوات والمؤسسات الخاصة والاسرى والسكان تجديد وتحسين التحصينات القديمة وانشاء الدفاع الميدانى . وحفرت مئات آلاف الكيلومترات من الخنادق وانفاق المواصلات والخنادق المضادة للدبابات ، وانشئت شبكة واسعة من حواجز الاسلاك الشائكة والالغام . وانيطت مهمة الدفاع عن هذه المنطقة الهامة بالنسبة للهتلريين بمجموعة جيوش «المركز» . وكانت تواجه القوات السوفييتية ٤١ فرقة مجهزة تجهيزا جيدا وتضم ٥٨٠ الف جندى وضابط و٢٠٠ الف من قوات «الهجوم الشعبى» و٨٢٠٠ مدفع ومدفع هآون وحوالى ٧٠٠ دبابة ومدفع هجوم و٥١٥ طائرة . وكانت هذه الاراضى المحمية من الشمال بنهر نيمان ومن الجنوب بنهر فستول ومن الشرق بنهرى بوبر وناريف ومن الشمال الغربى ببحر البلطيق ، والمغطاة بعدد كبير من البحيرات والمستنقعات والانهار

والنهيرات والقنوات ، والمحصنة بمتانة والمدافع عنها بمجموعة كبيرة من القوات ــ كانت تشكل قلعة هائلة عسيرة المنال كمــا كانت تتوقع القيادة الالمانية الفاشية . وان سوء حالة الجو فى هذا الفصل زادت من صعوبات احتلال هذه القلعة .

وكان قهر قلعة بروسيا الشرقية يتطلب من القوات السوفييتية جهودا هائلة ومهارة ومآثر . وكان هذا الامر واضحا لدى الجميع ــ من قائد الجبهة حتى ابسط جندى فيها . واستعدت القوات لهذه المأثرة استعدادا دقيقا شاملا . وكان على الجبهة البيلوروسيــة الثالثة ان تلف حول بحيرات مازور من الشمال وتوجه الضربة الى كينيغسبيرغ . وكان من المقرر ان توجه الجبهة البيلوروسية الثانية ضربة من رؤوس الجسور على نهر ناريف بعد الالتفــاف حول بحيرات مازور من الجنوب . وكان على الجبهتين معا ان تفصــلا مجموعة العدو فى بروسيا الشرقية عن المناطق الاخرى فى المانيا ، وان تشطراها الى اجزاء وتحطماها جزءا جزءا . ولغرض حل هذه المهام اشرك قسم من قوات اسطول البلطيق وسلاح الجو .

وكان يقود الجبهتين والجيوش قادة عسكريون شبــاب ، ولكنهم محنكون ذوو خبرة كبيرة فى المعارك التى خاضوها وصهرتهم فى بوتقتها . وقاد الجبهة البيلوروسية الثالثــة جنرال الجيش تشيرنياخوفسكى البالغ من العمر ٣٨ عاما . وكان طريقه الى حدود بروسيا الشرقية طويلا عسيرا . ففى هذا الاتجاه بالذات وليس بعيدا عن نيمان كانت فرقة الدبابات الثامنة والعشرون بقيــادة العقيد تشيرنياخوفسكى واحدة من اولى الفرق التى اشتبكت مع جيش دبابات العدو فى حزيران (يونيو) ١٩٤١ . وحارب جنود تشيرنياخوفسكى ببسالة وصمود ضــد العدو المتفوق فى اراضى ليتوانيا . وكانت راجحة آنذاك كفة العدو ولذلك اضطرت قوات الدبابات السوفييتية الى الانسحاب . ونشبت معارك طاحنة قرب نوفغورود وفورونيج .

ومن ثم حل الانعطاف . وزحفت القوات السوفييتية نحو الغرب . وعن طريق كورسك وكييف وفيلنوس قاد القائد الشاب محاربيه الى المكان الذى تحركت منه ضد وطنه قبل ثلاثة اعوام الدبابات والمدرعات الهتلرية . وبدأ طريقــه العسكرى العسير عقيدا وقائدا لفرقة ، وعاد الى ارض العدو جنرالا للجيش وقائدا للجبهة حائزا على لقب بطل الاتحاد السوفييتى مرتين .

وقاد قوات الجبهة البيلوروسية الثانية مارشال الاتحــاد السوفييتى روكوسوفسكى البالغ من العمر آنذاك ٤٨ عاما . وكان روكوسوفسكى قد اجتــاز طريق الحرب الطويل المعقد قبل ان تصل قواته الى المناطق الشمالية من بولونيا . فان فيلقه الميكانيكى التاسع كان قد خاض المعارك الطاحنة مع غيره من التشكيلات طوال ايام عديدة فى منطقتى لوتسك ونوفوغراد ـ فولينسك فى بدايــة الحرب . ثم نشبت المعارك الضارية قرب سمولينسك وموسكو وستالينغراد وكورسك ، حيث قاد فى البداية جيشا ، ثم جبهة . وعبرت القوات بقيادته انهار ديسنا والدنيبر وفستول ووصلت الى وارشو المدينة التى ترعرع فيها وقضى سنى الفتوة .

وكان رجال الاستطلاع قد جسوا دفاع العدو فى كل مكان وتفحصوه بانتظام . وتحشدت المجموعات الضاربة خفيــة عن العدو . وسار الى الجبهة مسيل لا ينقطع من المشاة والمدفعيــة والدبابات ، ونقلت الذخيرة والمعدات وقوات الاحتياط . واستعد لتوجيــه الضربــة الى العدو ١٦٠٠٠٠٠ شخص مع اكثر من ٢١٥٠٠ مدفع ومدفع هاون و٣٨٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة واكثر من ٣٠٠٠ طائرة حربية .

وفى صبيحة ١٣ كانون الثانى (يناير) خيم على ساحة المعركة ضباب كثيف . وغطت السماء سحب واطئة . ولم تستطع الطائرات ان تقلع من مطاراتها الملفعة بالضباب . وفى الساعة التاسعة وجهت آلاف المدافع نيرانها الى تحصينات العدو . واستمر اطلاق نيران

المدفعية ساعتين . ونتيجة لانفجـــار القذائف تغطى كل شيء بالدخان وساءت الرؤية الى درجة اردأ . وبدأت الهجوم الجيوش ال ٣٩ وال ٥ وال ٢٨ بقيـــادة الجنرالات لودنيكوف وكريلوف ولوتشينسكى . ودعمت هجوم هذه الجيوش المدفعية والدبابات .

ونشبت معارك طاحنة شديدة . فالعدو كان يقاوم مقاومة مستميتة . وقد استفاد من الضباب الكثيف فانتظر اقتراب مشاتنا ودباباتنا ثم اطلق النار عليها من الكمائن مستخدما على نطاق واسع الصواريخ اليدوية والمدفعية المضادة للدبابات ومدافع الهجوم ، وقام مرارا بهجمات مضادة . وكانت القوات السوفييتية تزحف الى الامام ببطء واصرار محطمة مقاومة العدو . وكانت شدة الضربة تزداد باطراد . وفى اليوم الرابع من المعركة زج فيها بفيلق دبابات الحرس الثـــانى الذى يحمل اسم «تاتسينسكايا» بقيادة الجنرال بوردايني . وبدأت الهجوم على داركيمين قوات جيش الحـــرس الثانى بقيادة الجنرال تشانتشيبادزه . وعندما بددت الريح السحب ظهرت فى الجو طائرات الجيش الجوى الاول بقيـــادة الجنرال خروكين . وحارب الى جانب الوحدات السوفييتية الفوج الجوى المقاتل «نورمانديا ــ نيمان» المتكون من المتطوعين الفرنسيين بقيادة الرائد لويس ديلفينو .

وتغلغلت قوات الجبهة فى اعمـــاق دفاع العدو محطمـــة احتياطياته . واحرزت انتصـــارا هاما قوات الجيش التاســـع والثلاثين ، مما جعل قائد الجبهة يشدد قوة الضربة هنا فورا . واستمر الهجوم بوتيرة متصاعدة ــ وكانت نقاط المقاومة تنهار الواحدة تلو الاخرى . وفى ١٩ كانون الثانى (يناير) تم احتلال تيلزيت ، وفى ٢١ منه سقطت غومبينين .

وكانت قد نشبت معارك طاحنة خصوصا عند مشـــارف غومبينين . فالعدو كان يسعى بكل الوسائل الى الاحتفاظ بهذا المركز الهام ، ولذلك كان غالبا ما يقوم بهجمات مضادة .

وفى ٢٢ كانون الثانى (يناير) احتلت قوات الجبهة اينستيربورغ ، وفتحت بذلك الطريق الى كينيغسبيرغ .

وحتى اواخر الشهر وصلت القوات السوفييتية الى خليج فريشيس ـ غاف غربى وجنوبى كينيغسبيرغ بعد ان ذللت المنشآت الدفاعية فى منطقة هايلسبيرغ المحصنة على نهرى دايمه وآله . وعندما وصلت القوات السوفييتية الى المدينة هاجمت العدو رأسا واستولت فى الاطراف الجنوبية للمدينة على اقوى معقل هو «بونارت» . وحوصرت حامية القلعة .

وفى ٢٨ كانون الثانى (يناير) قامت قوات جبهة البلطيق الاولى بقيادة جنرال الجيش باغراميان بهجوم خاطف حررت على اثره مدينة ميميل (كلايبيدا) .

وفى ١٤ كانون الثانى (يناير) بدأت الهجوم قوات الجبهة البيلوروسية الثانية . وهنا ايضا اضطلعت المدفعية بالعبء الاساسى فى الاسكات النارى لدفاع العدو ، اذ ان سلاح الجو لم يستطع القيام باعماله بسبب الضباب الكثيف . وبعد تمهيد مدفعى استغرق ٨٥ دقيقة بدأت قوات الجيوش الـ ٤٩ والـ ٣ والـ ٤٨ والجيش الضارب الثانى ، وهى بقيادة الجنرالات غريشين وغورباتوف وغوسيف وفيديونينسكى ، الهجوم من رأس جسر روجانى ، وبدأت قوات الجيشين الـ ٦٥ والـ ٧٠ بقيادة الجنرالين باتوف وبوبوف بالهجوم من رأس جسر سيروتس . وقاوم الهتلريون مقاومة ضارية . فقد اسرعت قوات الاحتياط الى ساحة المعركة ، وتلاحقت هجمات العدو المضادة . ومما ضاعف الصعوبات ان الضباب الكثيف ، وكذلك الثلج الرطب الذى تساقط فى اليوم التالى حددا من مجال الرؤية . وتباطأت وتيرة الهجوم .

ولزيادة شدة الضربة زج فى المعركة بفيلقى دبابات الحرس الثامن والاول والفيلق الميكانيكى الثامن بقيادة الجنرالات بوبوف وبانوف وفيرسوفيتش . فاخترقت هذه الفيالق دفاع العدو . وفى ١٧

كانون الثانى (يناير) دخل الفجوة التى احدثتهـــا الفيالق جيش دبابات الحرس الخامس بقيادة الجنرال فولسكى . وكان الجو قد تحسن ، فتلقى العدو ضربة شديـــدة من طائرات الجيش الجوى الرابع بقيادة الجنرال فيرشينين . وهو الجيش الذى حاربت فى صفوفه بكل بسالـــة فتيـــات فوج تامان الجوى بقيادة الرائدة بيرشانسكايا . وتقديرا للمآثر البطولية فى الحرب منح لقب بطلة الاتحاد السوفييتى الى ٢٣ من فتيات هذا الفوج .

واشتدت ضربة المصادمـــــة من قبل تشكيلات الدبابات المدعومة بالمدفعية وسلاح الجو . وفى ١٩ كانون الثانى (يناير) تم احتلال ملافا . وفى اليوم التالى عبرت القوات السوفييتية حدود بروسيا الشرقية . ومن هنا اسرعت القوات الرئيسية للجبهة نحو الشمال الغربى ، ومن ثـــم التفت بشدة نحو الشمال ، الى بحـــر البلطيق .

ولم تستطع القيادة الالمانية الفاشية ان ترتب الادارة ، فانسحبت القوات دونما نظام . وفى ٢١ كانون الثانى (يناير) احتلت قوات الدبابات بقيادة الجنرال ساخنو مدينة تانينبيرغ . وفى هذه المنطقة حررت القوات السوفييتية عشرات الآلاف من الاسرى : الروس والبولونيين والتشيـــك والصربيين والفرنسيين والانجليز والاميركان . وبعد يوم واحد احتل فرسان الجنرال اوسليكوفسكى مدينة الينشتين وهى ثانى مدينـــة فى بروسيا الشرقية من حيث الاتساع .

واصدر قائد الجيش الالمانى الرابع الجنرال غوسباخ امره بمغادرة تحصينات مازور والتوجه نحو الغرب وذلك فى محاولة لانقاذ القوات . ولكن الاوان كان قد فات . فمن الجهة الامامية اخذ يزيح هذه القوات الجيش الخمسون بقيادة الجنرال بولدين . وفى الوقت ذاته كانت اسافين المدرعات الفولاذية تزحف نحو البحر بصورة لا مرد لها وتلتف حول مجموعة بروسيا الشرقية كلها .

وكان فى مقدمة الاسفين المدرع فيلق الدبابات التاسع والعشرون بقيادة الجنرال مالاخوف . وفى مساء يوم ٢٣ كانون الثانى (يناير) اسرعت المفرزة الامامية لهذا الفيلق ، وهى لواء الدبابات الحادى والثلاثون نحو مدينة البينغ . وامر قائد اللواء المقدم بوكولوف كتيبة الدبابات الثالثة بقيادة النقيب دياتشينكو بان تلتف حول البينغ وتستولى على طريق السيارات شمالى المدينة وتحتفظ به حتى وصول القوات الرئيسية . وعندمـــــا وصلت كتيبة النقيب دياتشينكو الى المدينة لم تعثر على طرق للالتفاف حولها فقرر القائد شق الطريق عبر المدينة . وكانت هذه الخطـــة مفاجئة للعدو . ولم تكن حامية المدينة تتوقع هذا التقدم السريع للقوات السوفييتية . وكانت البينغ تعيش حياة اعتيادية كمدينـــة فى المؤخرة . واجتاز جنود الدبابات المدينة فورا وزحفوا نحو الخليج . وسرعان ما وصلت الى هنا القوات الرئيسية لجيش الدبابات ، ومن ثم تشكيلات المشاة . وفى ٢٦ كانون الثانى (يناير) انجز تطويق مجموعة بروسيا الشرقية . وحاول العدو مرارا اختراق الحصار نحو الغرب بتوجيه ضربات مضادة من قبل فرق المشاة والدبابات ، ولكنه فشل فى ذلك .

ولان قوات الجبهة البيلوروسية الثانية كلفت بمتابعة الهجوم فى بوميرانيا الشرقية ، قامت قوات الجبهة البيلوروسية الثالثـــة بتدمير مجموعات العدو المعزولة فى بروسيا الشرقية . ووجهت هذه القوات الضربة الاولى الى اكبر مجموعة تضم حتى ٢٠ فرقة وهى محاصرة الى خليج فريشيس — غاف جنوب غربى كينيغسبيرغ . واتسمت المعارك هنا بطابع ضار . وقاوم العدو مقاومة مستميتة . الا ان القوات السوفييتية زحفت الى الامام بكل اصرار . وفى خضم المعارك نكب الجيش الاحمر والبلاد بأسرها بفقدان قائد الجبهة البيلوروسية الثالثة تشيرنياخوفسكى الذى اصيب يوم ١٨ شباط (فبراير) بجرح مميت فى ساحة القتال فى منطقة ميلزاك .



التصويب نحو الرايخستاغ مباشرة .

لقاء عند نهر الِبا . ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ .



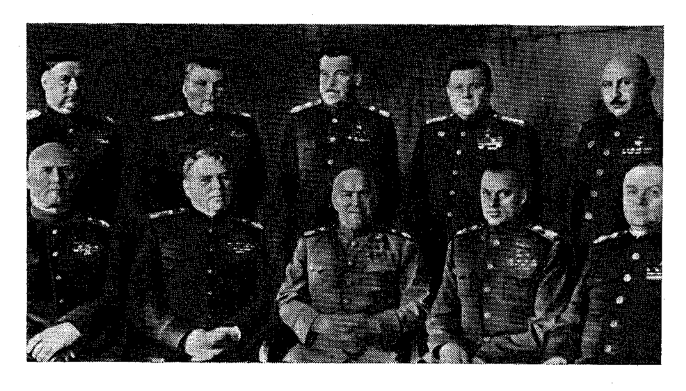
بحارة من اسطول المحيط الهادى فى بور ارثر .
٢٥ آب (اغسطس) ١٩٤٥ .

اليك يا وطننا رايات العدو المعفرة .



موسكو مبتهجة .

قادة الجبهات فى المرحلة الاخيرة من الحرب الوطنية العظمى . (الصف الامامى من اليسار الى اليمين) : مارشالات الاتحاد السوفييتى كونيف ، فاسيليفسكى ، جوكوف ، روكوسوفسكى ، ميريتسكوف . (الصف الخلفى) : مارشالات الاتحاد السوفييتى ، تولبوخين ، مالينوفسكى ، غوفوروف ، وجنرالا الجيش : يريمينكو ، باغراميان . عام ١٩٤٥ .





العودة ، ١٩٤٥ .

واستلم قيادة الجبهة مارشال الاتحاد السوفييتي فاسيليفسكي . وفي ظروف الفيضان الربيعي العسيرة استطاعت القوات السوفييتية ان تقهر مقاومة العدو وتضييق الخناق عليه بكل شدة وتحاصره الى الخليج بعد ان شنت الهجوم في الاوحال العميقة واجتازت المستنقعات والانهار الفائضة . وفي ٢٩ آذار (مارس) تمت تصفية مجموعة العدو جنوب غربي كينيغسبيرغ . فقد قتل اكثر من ٩٣ الف جندي فاشي وأسر اكثر من ٤٦ الفا . ولم تستطع الفرار من هذه القدر الا فلول مزرية .

وكانت المعارك عند الخليج لا تزال مستمرة عندما بدأت القوات السوفييتية تتقاطر على كينيغسبيرغ . وكانت القوات قد استعدت للهجوم على المدينة استعدادا دقيقا شاملا . فقد كانت كينيغسبيرغ مدينة متينة التحصين . وكان دفاعها الميداني المتطور يستند على ١٥ حصنا قلاعيا حول المدينة و٩ حصون في المدينة مباشرة . وكانت حاميتها تتكون من اربع فرق وعدة افواج مستقلة للمشاة وكتائب الهجوم الشعبي . وبلغ تعداد الحامية ١٣٠ الف شخص لديهم ٤ آلاف مدفع ومدفع هاون واكثر من ١٠٠ دبابة ومدفع هجوم . وبذلت القيادة الهتلرية كل ما في وسعها لترغم على الدفاع عن المدينة ليس القوات فقط ، بل وكافة القادرين على حمل السلاح . وأقسم الجنود والضباط بانهم لن يسمحوا للبلاشفة باحتلال كينيغسبيرغ ابدا .

ولكنه ها هو الهجوم قد بدأ . ففي السادس من نيسان (ابريل) انهالت المدفعية السوفييتية على كينيغسبيرغ بآلاف الاطنان من القذائف . واندفعت في الهجوم جماعات الاقتحام المعززة بالدبابات . ودعمها سلاح الجو بضرباته الشديدة . ودافعت القوات الفاشية بعناد المتعصبين ، الا انهم لم يستطيعوا ايقاف هجوم النار والحديد وارادة المواطنين السوفييت الصامدة في النصر . وفي ٩ نيسان (ابريل) كان كل شيء قد انتهى . فقد سلمت للأسر بقايا

الحامية وعددها ٩٢ الفا . وكتب قومندان القلعة الجنرال لاش فيما بعد يقول : « لم يكن بالامكان ابدا التصور بان قلعة مثـــل كينيغسبيرغ يمكن ان تسقط بهذه السرعة » . ومما له دلالتـــه المقارنة التاريخية التالية . فان الجيش الهتلرى احتاج الى ٢٥٠ يوما لكى يحتل سيباستوبول غير المحصنة من جهـــة البر . اما القوات السوفييتية فقد انجزت احتلال كينيغسبيرغ فى اربعة ايام . تلك كانت سرعة الهجوم وبطولة المحاربين السوفييت .

وكانت الخطوة الختامية فى عملية بروسيا الشرقية هى تحطيم مجموعة العدو فى شبه جزيرة زيملاند . ففى الفترة من ١٣ الى ٢٥ نيسان (ابريل) حطمت القوات السوفييتيـــة ثمانى فرق للمشاة وفرقة واحدة للدبابات كانت قد ابدت مقاومة هنا . وقدمـــت مساعدة كبيرة للقوات الارضية طائرات وسفن اسطول البلطيق . فهذه الطائرات والسفن اخلت بطرق مواصلات العدو واغرقت الكثير من سفنه الحربية وسفن النقل لديه .

وتم اثناء عملية بروسيا الشرقية تدمير ٢٥ فرقة المانية ، بينما فقدت ١٢ فرقة ما بين ٥٠٪ و ٧٥٪ من تعدادها . واحتل الجيش الاحمر بروسيا الشرقية بأسرهـــا وحرر قسما كبيرا من المناطق الشمالية فى بولونيـــا ، وصفى الى الابـــد رأس جسر الامبريالية الالمانية فى الشرق . وكل ذلك أمن كل التأمين هجوم القوات السوفييتية من الشمال فى اتجاه برلين وادى الى تردى حالة القوات الالمانية فى كورلانديا ترديا كبيرا . وهيأ الاستيلاء على مينائى كينيغسبيرغ وبيلاو الكبيرين ظروفا جيدة لمرابطـــة اسطول البلطيق السوفييتى . وحقق الجيش الاحمر الانتصار فى بروسيا الشرقية بفضل الجهود الهائلة والبطولة الشاملة التى ابدتها القوات .

ادت الانتصارات الباهرة التى حققتها القوات السوفييتية فى بروسيا الشرقية وبين فستول والاودر الى ارتفاع سمعة الاتحاد السوفييتى دوليا ، واثرت تأثيرا حاسما على الوضـــع السياسى والعسكرى لصالح الائتلاف المعادى للهتلرية . فقد اشار اصدقاء الاتحاد السوفييتى بكل اعجاب واعداؤه بكل رعب الى الاهميـــة الحاسمة التى تميزت بها انتصارات الجيش الاحمر بالنسبة لمـــآل الحرب . فقد كتبت الصحيفة البريطانية «مانشستر غارديان» ان الهجوم العظيم الذى بدأه الروس فى ١٢ كانون الثانى (يناير) قـــد غير الموقف العسكرى بأسره ...» .

ونزل صدى الضربات القاضية التى وجهتها القوات السوفييتية اثرا شديدا على الجو الذى جرت فيه اعمال مؤتمر رؤساء حكومات الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا فى يالطا فى الفترة من ٤ الى ١١ شباط (فبراير) ١٩٤٥ . ولاحظت هذا الامر بكل دقة المجلة الانجليزية «ايكونوميست» التى كتبت تقول «ان اهم مسائل المؤتمر تحل ليس فى السفارات بل فى سوح المعارك فى بوميرانيا وبراندينبورغ» . وكانت مقررات المؤتمر بشأن تنسيق الجهود الحربية دليلا على متابعة تعزز الائتلاف المعادى للهتلرية وتصميم كافة المشاركين فيه على التعجيل بدحر القوات المسلحة الفاشية . ويمكن القول بان المؤتمر وقع حكم الاعدام بحق المانيا الفاشية . وكانت المهمة المطروحة تتلخص فى تنفيذ هذا الحكم .

وكان وصول القوات السوفييتية الى اهم المناطق فى المانيا الفاشية من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية قد هيأ الظروف لتوجيه الضربة القاضية الاخيرة الى العدو . وكان الهدف المنشود ـــ برلين عن كثب . الا ان حل هذه المهمة عن طريق الزحف بدون توقف كان امرا مستحيلا . فقد حلف الابطال السوفييت وراءهم طريقا

طوله ٥٠٠ كيلومتر كانوا قد قطعوه بمعارك طاحنة وبخسائر اضعفت من امكانياتهم الهجومية . وكانت الحاجة تستدعى بعض الوقت لتثبيت الاقدام فى الخطوط المكتسبة وتكميل القوات بالافراد ونقل الذخيرة والوقود واعداد المطارات ونقل الطائرات اليها وترتيب طرق التموين . ولم يكن بالامكان تجاهل قوات العدو الكبيرة فى بوميرانيا الشرقية اذ كانت تهدد من الشمال الجناح الايمن للجبهة البيلوروسية الاولى التى امتدت قواتها نحو برلين على مسافة كبيرة ، كما لم يكن بالامكان تجاهل مجموعة قوات العدو المتزايدة فى سيليزيا امام قوات الجبهة الاوكرانية الاولى . وكان من اللازم كذلك تنفيذ مهمات كبيرة فى الجناح الجنوبى للجبهة السوفييتية الالمانية ، اى فى اتجاه فيينا .

ولم تضعف ضراوة الصراع على الجبهة السوفييتية الالمانية ، بل ازدادت حدة .

وفى شباط (فبراير) وآذار (مارس) خاضت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى معارك دموية شديدة لتوسيع رؤوس الجسور على الاودر فى منطقة كيوسترين . فالعدو الذى استجلب قوات كبيرة كان يرمى الى ازاحة القوات السوفييتية الى ضفة الاودر الشرقية مهما كلف الامر . وكانت الهجمات المضادة تتوارد الواحدة تلو الاخرى . وصدت القوات السوفييتية ضربات العدو فانتقلت هى نفسها الى الهجمات . وكانت الحرب سجالا فى كثير من النقط الآهلة وبعض الخطوط . وابدى الجنود والضباط على انفراد ، كما ابدت وحدات وقطعات كاملة آيات الصمود والاصرار والبطولة .

وفى الثالث عشر من شباط (فبراير) وجه العدو ضربات شديدة خصوصا الى قوات الجيش الـ ٦٩ . واغار سلاح جو العدو وهجمت مشاته ودباباته على المواقع التى كانت تشغلها كتيبة المشاة الثانية من فوج الحرس الـ٢١٨ التابع لفرقة الحرس السابعة والسبعين . ولم ترتعد فرائص المحاربين السوفييت . فقد الحقوا

بالعدو خسائر كبيرة عندما صدوا هجماته الاولى فالثانية فالثالثة واحتفظوا بالخط الذى كانوا يشغلونه . ومنح وسام المجد لكافة افراد الكتيبة تقديرا للمهارة والبطولـــــة فى صد هجمات العدو المتفوق .

ونتيجة للمعارك الطويلة الامد احتفظت القوات السوفييتية برؤوس الجسور التى احتلتها ، بل ووسعتها كثيرا . وحتى اواخر اذار (مارس) تم تحطيم الحامية المحاصرة فى كيوسترين ، وتوحيد رأسى الجسرين فى رأس جسر مشترك واحد اصبح منطلقا لهجوم مجموعة القوات السوفييتية الضاربة على برلين . وامكن الاستيلاء على ثلاثة رؤوس جسور غير كبيرة جنوبى فرانكفورت . وبسبب فشل الضربة المضادة فى منطقة كيوسترين نحى رئيس الاركان العامة الهتلرى غودريان وعين بدله الجنرال كريبس .

ونفذت مهمة دحر مجموعة العدو فى بوميرانيا الشرقية قوات الجبهة البيلوروسية الثانية والجناح الايمن من الجبهة البيلوروسية الاولى بمساعدة قسم من قوات اسطول البلطيق . وكانت القيادة الالمانية الفاشية تولى اهمية كبيرة للاحتفاظ بمنطقة بوميرانيا الشرقية . فهذه المنطقة لعبت دورا هاما جدا فى الاقتصاد العسكرى للبلاد . ففيها مصانع حربية كبيرة ومستودعات الاغذية ومطارات وقواعد الغواصات الحسنة التجهيز . وكانت تمر بها طرق المواصلات التى تربط مناطق المانيا الوسطى ببروسيا الشرقية . وعندما كان الالمان يسيطرون على قسم كبير من سواحل بحر البلطيق كان باستطاعتهم ان يؤمنوا الاتصال المنتظم مع القوات المدافعة فى كورلانديـــا .

ولغرض الدفاع عن بوميرانيا الشرقية تشكلت مجموعـــــة جيوش «فستول» التى ضمت الجيوش الثانى والحادى عشر والتاسع . وحتى يوم ١٠ شباط (فبراير) كانت هـــــذه المجموعة تضم ٤٠ فرقة . وكان قائد هذه المجموعة من اقرب معاونى هتلر وهو رئيس قوات «س . س» هيملر . وكان مجرد تعيين هذا الجلاد لمنصب

قائد المجموعة يدل على عظم المهمة التى كلف بها . وبدون تصفية هذه المجموعة الكبيرة كان من الصعب الامل فى نجاح الهجوم باتجاه برلين .

وعند وصول القوات السوفييتية الى بوميرانيا الشرقية لم تتوقف العمليات الحربية فى الواقع ولا يوم واحد . وفى العاشر من شباط (فبراير) شرع فى الهجوم الجيش الضارب الثانى والجيوش الـ ٦٥ والـ ٤٩ والـ ٧٠ التابعة للجبهة البيلوروسية الثانية . وطوال عشرة ايام كانت هذه الجيوش تضيق الخناق بكل اصرار على العدو الذى قاوم بعناد . وازاحت هذه الجيوش العدو الى مسافة ٦٠ كيلومترا شمالى بيدغوش . وفى تلك الاثناء خاضت جيوش الجناح الايمن للجبهة البيلوروسية الاولى معارك جزئية فتقدمت نحـــو الشمال مسافة ٥٠ كيلومترا وصدت ضربة مضادة شديدة قام بها العدو فى الضفة الشرقية للاودر . وفى ١٤ شباط (فبرايـــــر) صفت هذه الجيوش قوات العدو المحاصرة فى شنايديميوله ، كما صفت فى ٢٣ شباط (فبراير) قواته المحاصرة فى بوزنان .

وبالرغم من الانتصارات المعينة ، فقد اصبح واضحا ان دحر العدو فى بوميرانيا الشرقية يتطلب اجراءات اكثر حزما وقوات اضافية . وبهذا الخصوص عزز مقر القيادة العامة العليا الجبهـــة البيلوروسية الثانية بالجيش التاسع عشر بقيادة الجنرال كوزلوف وفيلق دبابات الحرس الثالث بقيادة الجنرال أ . بانفيلوف ، واشرك فى الهجوم القوات الاساسية للجناح الايمن لدى الجبهة البلوروسية الاولى .

وبعد تحضير غير كبير استانفت قوات الجبهة البيلوروسية الثانية الهجوم فى ٢٤ شباط (فبراير) وتكللت بالنجاح الضربة الجبارة التى وجهتها تشكيلات الجيش التاسع عشر وفيلق الدبابات . واخترقت قوات الجبهة دفاع العدو وزحفت نحو الشمال سريعا ، وفى الرابع من آذار (مارس) وصلت الى ساحل بحر البلطيق عند

كيسلين . وفى صباح اليوم التالى حررت القوات المدينـــة . وفى الاول من آذار (مارس) شرعت بالهجوم تشكيلات الجيش البولونى الاول والجيش الضارب الثالث والجيشين مختلفى الاصناف ال٦١ وال ٤٧ وجيش دبابات الحرس الاول والثانى فى الجبهة البيلوروسية الاولى . وبعد اجتياز دفاع العدو الشديد ومقاومته العنيدة وصلت هذه الجيوش ايضا بعد اربعة ايام الى ساحل البلطيق فى منطقـة كولبيرغ . وتم شطر مجموعة قوات العدو فى بوميرانيا الشرقية .

وبعد الوصول الى البحر شنت قوات الجبهة البيلوروسية الثانية الهجوم فى الاتجاه الشمالى الشرقى ، بينما شنت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى الهجوم فى الاتجاه الشمالى الغربى . وساعـــد فيضان الربيع والامطار الغزيرة والانهار الفائضة والبحيرات الكثيرة العدو فى تنظيم الدفاع ، وادى ذلك كله الى خلق صعوبات كبيرة امام زحف القوات السوفييتية . وكانت تشكيلات الجبهتين المحاربة فى ظروف معقدة للغاية قد قصمت دفاع العدو دون كلل . وفى ١٨ آذار (مارس) شنت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى هجوما خاطفا فاحتلت قلعة كولبيرغ المحصنة تحصينا قويا . واضطرت حامية هذه القلعة الى الاستسلام للأسر للمرة الثانية . ففى الخامس من كانون الاول (ديسمبر) ١٧٦١ وبعد هجوم حاسم قامت به القوات الروسية بقيادة روميانتسيف «خرجت من القلعة حاميـــة العدو براياتها المنشورة ومع قرع الطبول وضعت سلاحها واستسلمت للأسر» . اما الآن فقد تكرر التاريخ للمرة الثانية . وفى ٢٠ آذار (مارس) طهرت قوات الجبهة على طول قطاعها سواحل بحر البلطيق من العدو ووصلت الى نهر الاودر على طول الجبهة .

وفى تلك الاثناء كانت الجبهة البيلوروسية الثانية مع جيش دبابات الحرس الاول الذى وضع تحت قيادتهـــا تزيح القوات الالمانية الفاشية نحو خليج دانتسيغ . وكانت الجيوش السوفييتية تضيق باستمرار حلقة الحصار ، فحررت فى ٢٨ آذار (مارس)

القاعدة البحرية الحربية والميناء الكبير غدينيا . وبعد يومين رفع علم الدولة البولونية فى دانتسيغ التى حررتها القوات السوفييتية . وانجز دحر العدو فى بوميرانيا الشرقية .

كانت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى قد خاضت فى شباط ــ آذار (فبراير ــ مارس) معارك طاحنة ضد مجموعة العدو الكبيرة فى سيليزيا . فمن ٨ الى ٢٤ شباط (فبراير) نفذت تشكيلات جيش الحرس الثالث والجيوش مختلفة الاصناف الـ ١٣ والـ ٥٢ والـ ٦ وجيشى دبابات الحرس الرابع والثالث عملية سيليزيا السفلى على الجناح الايمن للجبهة . وبعد ان شرعت هذه التشكيلات بالهجوم من رؤوس الجسور على نهر الاودر اخترقت دفاع العدو ووصلت الى نهر نيسه عبر معارك جرت فى ظروف الغابات والمستنقعات والفيضانات الربيعية العسيرة . وفى الوقت ذاته قامت القوات السوفييتية بمناورة التفاف من الشمال والجنوب فطوقت مجموعة العدو البالغ تعدادها ٤٠ الفا فى بريسلافل . وفى الاول من نيسان (ابريل) تم تدمير قطعات العدو فى غلوغاو .

ومن ١٥ الى ٣١ آذار (مارس) كانت تشكيلات جيش الحرس الخامس والجيوش مختلفة الاصناف الـ ٢١ والـ ٥٩ والـ ٦٠ وجيش الدبابات الرابع الذى ارسل الى الجناح الايسر للجبهة وتحول الى جيش دبابات الحرس فقد نفذت عملية سيليزيا العليا . وبعد ان كبدت القوات السوفييتية العدو خسائر فادحة تقدمت نحو الغرب مسافة ٥٠ كيلومترا ووصلت الى سفح سوديت والى حدود تشيكوسلوفاكيا .

وقدم طيران كافة الجبهات مساعدة كبرى للقوات المهاجمة . واتسمت اعمال الطيارين بالبطولة الشاملة والابداع الذى لا ينضب .

وقدم اسطول البلطيق مساعدة كبيرة الى القوات المقاتلة فى بوميرانيا الشرقية . فالزوارق النسافة وطائرات الهجوم وطائرات اللغم والطوربيد التابعة للاسطول اغرقت ١٥٨ سفينة معادية وعطبت ٣٠ سفينة .

عند بحيرة بالاتون وفيينا

جرت الاحداث بصورة مثيرة للغاية في الجناح الجنوبي للجبهة السوفييتية الالمانية . فان تحرير بودابست في ١٣ شباط (فبراير) وأسر مجموعة العدو الكبيرة في هذه المدينة فتحا امام القوات السوفييتية آفاق متابعة الهجوم على فيينا ومن ثم على براغ، وذلك لكي يمكن الهاء اكبر عدد من تشكيلات العدو الى الجنوب من الجبهة الوسطى الهامة بالنسبة لنا . وكان من الخطأ تفويت الفرصة . ولذلك شرعت قوات الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة فورا باعداد الضربة الجديدة . ولكن القوات لم تستطع ان تقوم بالتدابير اللازمة في جو يتسم بالهدوء لهذه الدرجة او تلك . فان الاراضي الباقية من المجر والنمسا كانت تتسم باهمية كبيرة جدا بالنسبة لالمانيا الفاشية . فقد كانت تقع غربي بحيرة بالاتون منطقة بترولية كبرى تزود دبابات وطائرات الجيش الهتلري بالوقود . وحينما كانت العمليات الحربية ناشبة في المجر كان باستطاعة الجنرالات الهتلريين والنازيين المجريين ان يرغموا قسما من الجيش المجري على المحاربة الى جانب الالمان . وكانت توجد في النمسا حتى ٦٠٠ مؤسسة حربية تصنع كل شهر حوالي ٨٥٠ دبابة وسيارة مدرعة واكثر من ١٠٠٠ مدفع كما تصنع ٩ آلاف طائرة في العام الواحد . وكان البترول يستخرج في منطقة جنوبي فينا . ولا ينبغي نسيان حسابات الزعماء الفاشست السياسية البعيدة المدى والرامية الى استخدام البلقان بمثابة مثار للنزاع بين الاتحاد السوفييتي وبريطانيا . ولذلك بالذات لم تتخل القيادة الفاشية عن خطط تجديد الدفاع على الدانوب . وكتب الجنرال تيبيلسكيرخ يقول ان هتلر استمر كالسابق يتشبث بعناد بفكرة الحفاظ على حقول البترول في المجر وحوض الدانوب . وكان طموح هتلر على الدوام يتلخص في ازاحة الروس من جديد الى ماوراء الدانوب .

ولهذا الغرض حشدت القيادة الالمانية الفاشية قوات كبيرة في مجموعتي جيوش «الجنوب» و «ف» . فقد نقلت من غربي المانيا ومن ايطاليا فرق الدبابات والمشاة . ووصل الى هنا من منطقة اردين جيش دبابات «س . س .» السادس . وكانت تشكيلاته مكونة من غلاة النازيين ومسلحة بكمية كبيرة من الدبابات الثقيلة الجبارة ومدافع الهجوم من طراز «النمر» و «النمر الملكي» و «الفهد» و «فردينانـد» . وكانت تعلق على هذه «الوحوش» آمال خاصة . وحشد العدو ضد قوات الجبهة الاوكرانية الثانية وحدها ٣١ فرقة بما فيها ١١ فرقة للدبابات . وضمت هذه الفرق اكثر من ٤٣٠ الف جندي وضابط مسلحين باكثر من ٥٦٠٠ مدفع ومدفع هاون وحوالى ٩٠٠ دبابة ومدفع هجوم واكثر من ٩٠٠ ناقلة مدرعة وحوالى ٨٥٠ طائرة . وكانت قوات العدو متفوقة من حيث الدبابات باكثر من ضعفين على قوات الجبهة . الا ان ضربة العدو لم تكن مفاجئة . فان قوات الجبهة الاوكرانية الثانية بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتي تولبوخين كانت قد استعدت في الوقت المناسب لصد هزيمة العدو .

وفي السادس من آذار (مارس) انتقلت القوات الالمانية الفاشية الى الهجوم المضاد . وانهالت قبضة مدرعة جبارة ، تركزت فيها دبابات ومدافع هجوم الالمان جميعها تقريبا ، على تشكيلات الجيش السادس والعشرين بقيادة الجنرال غاغين وقطعات منطقة الحرس المحصنة الاولى لدى جيش الحرس الرابع بقيادة الجنرال زاخفاتايف ، تلك القطعات التي كانت متمسكة بمواقع الدفاع بين بحيرتي فيلينتسه وبالاتون . وقابل المحاربون السوفييت بكل بسالة هجوم العدو . واعدوا الدفاع اعدادا جيدا وحطموا بمهارة دبابات العدو . وكانت القيادة الالمانية الفاشية تضاعف قواتها على الدوام .

وزج العدو في القتال باعداد كبيرة من الدبابات . وكان ثبات

الدفاع يعتمد على النجاح فى مكافحة هذه الدبابات ووقعت مشاغل كثيرة على عاتق المدفعيين . فقد ركز قادة المدفعية نيران ١٦٠ مدفعا ومدفع هاون او اكثر فى كل كيلومتر من الجبهـــة . وكانت المدفعية المضادة للدبابات تطلق نيرانها على مدرعات العدو عن قرب .

ووجه ضربات شديدة الى فرق الدبابات الهتلريـــة طيارو الجيش الجوى السابع عشر بقيادة الجنرال سوديتس بالتعاون مع الجيش الجوى الخامس بقيادة الجنرال غوريونوف . وبالجهود البطولية لكافة القوات تم وقف هجوم العدو فى يومه العاشر . ولم تستطع « نمور » و « فهود » العدو ان تصل الى الدانوب . واحبطت تشكيلات الجيش السوفييتى السابع والخمسين بقيادة الجنرال شاروخين وقوات الجيش البلغارى الاول والجيش اليوغوسلافى الثالث محاولات الهتلريين لاختراق الدفاع جنوبى بحيرة بالاتون ومتابعة الهجوم من رؤوس الجسور المستولى عليها فى الضفة الشمالية لنهر درافا .

لقد كلفت المغامرة قرب بحيرة بالاتون الهتلريين غاليا . فقد قبرت فى الطريق الى الدانوب حوالى ٥٠٠ دبابة ومدفع هجوم وحوالى ٥٠٠ ناقلة مدرعة وعشرات الآلاف من الجنود والضباط . اما الباقون فقد ارغمهم المحاربون السوفييت على التوقف ، ومن ثم العودة الى الوراء . وكتب الجنرال تيبيلسكيرخ يقول ان ذلك اذهل هتلر كما لو كان رعدا فى سماء صافية . فان قطعات فرق « س . س . » ، بما فيها الحرس الشخصى لهتلر الذى كان يعتمد عليها اعتماده على جبل من الصخر لم تصمد ، فقد تلاشت لديها القوة والثقة . وفى سورة من الهياج المسعور امر هتلر بان ترفع عن سواعد افراد هذه القطعات الشارات التى تحمل اسمه . ولكن هذا الاعدام المدنى لكلاب هتلر المخلصة وفصل الجنرالات الذين لم يحققوا آماله لم يستطيعا ان يحولا دون وقوع الكارثة التى كانت تقترب بصورة لا مرد لها .

وعندما كانت فرق دبابات العدو تسحق عند بحيرة بالاتون كانت القيادة السوفييتية تحشد بصورة هادفة القوات عند الجناحين المشتركين للجبهتين الاوكرانية الثانية والاكورانية الثالثة غربى بودابست . ونقلت عبر الدانوب المدفعية والدبابات والذخيرة . وارسلت الى الضفة اليمنى للدانوب جيش الحرس التاسـع الذى تشكل مؤخرا بقيادة الجنرال غلاغوليف . وتابع قائدا الجبهتين وهيئتا اركانهما بكل اهتمام سير المعركة الدفاعية منتظرين لحظة الانعطاف لتوجيه الضربة الجوابية . وعندما اصبح واضحا ان قوى فرق العدو قد نضبت اندلعت عاصفة نيران المدفعيـة والقصف الجوى فوق دفاع الالمان الفاشست .

وفى ١٦ آذار (مارس) شرعت بالهجوم تشكيلات جيشى الحرس التاسع والرابع المتحشدة على الجناح الايمن للجبهة الاوكرانيـة الثالثة . وقاومت القوات الالمانية مقاومة عنيدة . وعندها زج فى المعركـة جيش دبابات الحرس السادس بقيادة الجنـرال كرافتشينكو . فقد تحرك هذا الجيش ملتفا حول مجموعة دبابات العدو المندفعة نحو الدانوب . وشرعت بالعمليات النشيطة الجيوش التى كانت تقوم بالدفاع سابقا . وعندها ارتعدت فرائص العدو . فالقت القوات الالمانية الفاشية الاسلحة والمعدات الحربية وولت الادبار نحو الغرب محتمية بالضفة المنحدرة لبحيرة بالاتون .

وبعد يوم من ذلك بدأ هجوم قوات الجيش السـادس والاربعين بقيادة الجنرال بيتروشيفسكى ، وهو ضمن الجبهـة الاوكرانية الثانية بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتى مالينوفسكى . وتم اختراق دفاع العدو فى المعارك الطاحنة . ودخل المعركة فيلق الحرس الميكانيكى الثانى بقيادة الجنرال سفيريدوف . فقد اسرع هذا الفيلق نحو الشمال الغربى فوصل الى الدانوب وسد طريق الانسحاب امام العدو . وفى تلك الاثناء انزلت سفن اسيطيـل الدانوب الحربي بقيادة الاميرال خولوستياكوف قواتها على الضفة

اليمنى لنهر الدانوب غربى ايستيرغوم . ونتيجة للضربات المشتركة التى وجهها المشاة وجنود الدبابات والبحارة المدعومون من قبل المدفعيين وطياري الجيش الجوى الخامس بقيادة الجنـــــــرال غوريونوف تم دحر اربع فرق معاديـــــة كانت قد حوصرت الى الدانوب .

واعتبارا من ٢٥ آذار (مارس) طاردت القوات السوفييتية العدو بلا انقطاع وفى كافة الاتجاهات . وانخرط فى الهجوم شمالى الدانوب الجيشان ال ٤٠ وال٥٣ وجيش الحرس السابع ومجموعة الخيالة الميكانيكية بقيادة الجنرالات جماتشينكـــو وماناغاروف وشوميلوف وبلييف . وصارت مناطق تشيكوسلوفاكيـــا تتحرر الواحدة تلو الاخرى . وقاتل الى جانب القوات السوفييتية الجيشان الرومانيان الاول والرابع . وبدأ جنوبى بالاتون يتقدم الجيـــش السوفييتى السابع والخمسون والجيش البلغارى الاول . واسرعت الفرق الالمانية الفاشية منسحبة نحو الغرب تحت ضربات القوات السوفييتية الشديدة .

وفى الرابع من نيسان (ابريل) حرر الجيش الاحمـــــر براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا . وفى اليوم ذاته تم تطهير كافة اراضى المجر من المحتلين الالمان الفاشست . وهدأ زئير المدافـــع على الاراضى المجرية . وتهيأت للمجريين امكانية الشروع بالعمل السلمى . وتقديرا لهذا الحادث صدر مرسوم هيئة رئاسة جمهورية المجر الشعبية باعتبار يوم ٤ نيسان (ابريل) عيدا وطنيا للشعـــب المجرى .

ولم تستطع القوات الالمانية الفاشية ان تحتفظ بالمنشـــآت الدفاعية على الحدود الشرقية للنمســـا . فان تشكيلات الدبابات السوفييتية قهرت مقاومة العدو بسرعة واجتازت فى الطرق الجبلية مناطق الغابات عند سفوح الالب ووصلت فى ٥ نيسان (ابريل) الى مشارف فينا . ونشبت معارك طاحنة . فقد حاولـــت القيادة

الهتلرية تحويل عاصمة النمسا الى ساحة للمعركة كما كانت بودابست دون ان تعبأ بتدمير المدينة . الا ان القيادة الهتلرية لم تستطع تحقيق هذه النوايا .

فلغرض الحفاظ على الآثار التاريخية والثقافية والفنية وانقاذ المدينة الغفيرة السكان من الدمار ، وتخليص سكانها من الضحايا التي لا مبرر لها اتخذت القيادة السوفييتية الاجراءات اللازمة مسبقا . وقررت سرعة الهجوم كل شيء . فقد التفت قوات الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة حول المدينة من الغرب والشمال ووجهت الضربات من الجنوب في الوقت ذاته فارغمت الفرق الفاشية على مغادرة المدينة . وفي ١٣ نيسان (ابريل) حرر الجيش الاحمر فينا التي هي سادس عاصمة اوروبية يحررها آنذاك ، وتم في ذلك اليوم تطهير فينا نهائيا من القوات الهتلرية . وتكريما لهذا النصر اطلق على التشكيلات والقطعات التي تميزت بالبسالة في المعارك من اجل المدينة اسم فينا . واستحدثت هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي ميدالية «الاستيلاء على فينا» التي منحت لاكثر من ٢٦٨ الف محارب سوفييتي . وتابعت قوات الجبهة الاوكرانية الثانية الهجوم فحررت في ٢٦ نيسان (ابريل) مدينة برنو ، وهي مدينة كبرى في مورافيا . وخاضت قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة طوال شباط ــ نيسان (فبراير ــ ابريل) معارك شديدة من اجل تحرير تشيكوسلوفاكيا . وبعد ان ذللت هذه القوات مقاومة العدو تقدمت خلال هذه الفترة ١٥٠ ــ ٣٥٠ كيلومترا . وفي ٢٢ نيسان (ابريل) شنت قوات الجيش الستين بقيادة الجنرال كوروتشكين هجوما خاطفا حررت على اثره مدينة اوبافا ، وفي ٣٠ منه حررت قوات جيش الحرس الاول والجيش الـ ٣٨ بقيادة الجنرالين غريتشكو وموسكالينكو مركز المنطقة الصناعية الكبرى مدينة مورافسكا ــ اوسترفا .

وخلال الهجوم فى الجنوب الحق الجيش الاحمر بالعدو خسارة جسيمة . فقد احبطت خطط هتلر الرامية الى تنظيم المقاومة الطويلة الامد اعتمادا على ما يسمى «بقلعة الالب الجنوبية» . وطهرت القوات السوفييتية المجر كليا من المحتلين الالمان الفاشست ، ودخلت اراضى النمسا وحررت قسما كبيرا من اراضى تشيكوسلوفاكيا ووصلت الى مشارف المناطق الجنوبية فى المانيا . وساعد ذلك الشعب اليوغوسلافى على انجاز طرد المحتلين من اراضيه .

كانت العمليات الحربية للقوات المسلحة السوفييتية فى شباط (فبراير) وآذار (مارس) والنصف الاول من نيسان (ابريل) قد ساعدت القوات الانكلواميركية فى هجومها . ففى آذار (مارس) عبرت هذه القوات الراين وطوقت القوات الرئيسية لمجموعة جيوش العدو «ب» فى الروهر . وفى اواسط نيسان (ابريل) وصلت قطعاتها الامامية الى نهر البا .

القوات السوفييتية فى برلين

تهيأت فى اواسط نيسان (ابريل) نتيجة للعمليات الحربية المظفرة للقوات المسلحة السوفييتية فى الشرق والقوات الانكلواميركية فى الغرب ظروف دحر القوات المسلحة الالمانية نهائيا . واشتعل لهيب الحرب فى قسم كبير من اراضى المانيا . وكتبت صحيفة «نيويورك تايمس» الاميركية تقول «ان الحريق الذى اشعلته المانيا فى اوروبا عاد الى المكان الذى اندلع منه» . وكان احتضار المانيا الهتلرية يشرف على الانتهاء . وحلت بالنسبة للفاشية ساعة تلقى جزاء ما اقترفته من شرور .

وكانت القوات السوفييتية تواجه رسالة ذات اهمية تاريخية كبرى ، هى انجاز قضية دحر الجيش الالمانى الفاشى ورفع راية النصر فوق برلين .

وحاولت الزمرة الهتلرية المرتعبة المشرفة على الهـــلاك ان تؤجل ساعة انهيارها . وكانت القيادة الفاشية تدرك بكل وضوح ان مآل الحرب كلها ومصير النظام الفاشي يعتمدان على نتيجـــة المعارك من اجل برلين . ولذلك اتخذت كافة التدابير لتعزيـــز الدفاع في هذا الاتجاه الذي تنتظر الضربة من ناحيته . فعلى عمق ٢٠ـ٤٠ كيلومترا جرى تجهيز وتعزيز ثلاثة خطوط دفاعية في منطقة الاودرـ نيسه التحصينية . وكانت الانهار والقنـــوات العديدة وكافة المدن والارياف ، بل وحتى بعض المنشآت الواقعة بين الاودر ونيسه وبين برلين مكيفة للمقاومة الطويلة الامد . فكافة الاماكن هنا مغطاة بالعوائق المضادة للدبابات : سدود الاشجـــار والعمدان والجروف والاخاديد ومختلف حواجز الاسلاك الشائكة . وكانت محصنة بمتانة ايضا برلين نفسها والمناطق المجاورة لها . وكانت المدينة مقسمة الى تسعة قطاعات ومحاطة بثلاثة نطاقات دفاعية . وكانت الشوارع جميعا مسدودة بالمتاريـــس ، وعلى مفترقات الطرق غرزت الدبابات في الارض وانشئت القلنسوات المدرعة . وكانت في المدينة اكثر من ٤٠٠ منشأة كبرى مـــن الخرسانة المسلحة والمخصصة لدفاع طويل الامد .

وحشدت القيادة الفاشية للدفاع عن برلين اكبر عدد ممكن من القوات والوسائل . فقد ارسلت الى هنا قوات من المناطـــق الداخلية في المانيا وكذلك من الجبهة الغربية . وجند في الجيش حتى الفتيان في الـ١٦ـ١٧ من العمر . وتشكلت على عجل فصائـل «الهجوم الشعبي» الغفيرة التي بلغ تعدادها في برلين وحدها اكثر من ٢٠٠ الف شخص . واستخدمت في الدفاع قطعـــات البوليس والخفارة . وبلغ تعداد مجموعتي جيوش «فستول» و«المركز» اللتين تحميان برلين حوالي مليون شخص مسلحين باكثر من ١٠ آلاف مدفع ومدفع هاون و١٥٠٠ دبابة ومدفع هجوم و٣٣٠٠ طائرة حربية . ولمكافحة الدبابات السوفييتية تم تشكيل عدد

كبير من الوحدات الخاصة بالصواريخ اليدوية المضادة للدبابات والمسلحة بثلاثة ملايين صاروخ . وتكيفت المدفعية الغفيرة المضادة للجو لمكافحة طائراتنا ودباباتنا على حد سواء . وامرت القيادة الهتلرية القوات بعدم السماح للجيش الاحمر بدخول برلين مهما كلف الامر ، واكدت القيادة «بان مصير الحرب يتقرر ليس فى الغرب ، بل فى الشرق» . واصدر هتلر الذى لم يكن واثقا من صمود جنوده امرا طلب فيه اطلاق الرصاص فورا على كل من يصدر امرا بالانسحاب او كل من يترك موقعه بغض النظر عن رتبته ومنصبه .

وتابعت القيادة السوفييتية بكل اهتمام كافة اجراءات القيادة الفاشية ، وقدرت بصورة صائبة صعوبات العملية الختاميـــة ، وكانت تدرك جيدا ان الضربة الحازمة ودحر العدو فى اقصر وقت ممكن هما وحدهما اللذان يمكن ان يؤديا الى احراز النصر الذى تنتظره كافة الشعوب المحبة للحرية . وكانت خطة مقر القيادة العامة العليا تنص على ان تقوم المجموعات الضاربة القوية باختراق دفاع العدو وتطويق قواته الرئيسية وشطرها الى اجزاء وتحطيم كل جزء على حدة واحتلال برلين والوصول الى نهر البـــا حيث ستلتقى مع القوات الانكلواميركية . وانيط تنفيذ هذه المهمـــة المشرفة بقوات الجبهتين البيلوروسيتين الاولى والثانية والجبهة الاوكرانية الاولى ، وكذلك اسطول البلطيق .

واستعدت القوات السوفييتية لهذا الهجوم بدقة خاصة . فقد تحشدت المجموعات القوية على اتجاهات الضربات الرئيسية . ولهذا الغرض جرى نقل عدد كبير من التشكيلات على مسافـــات كبيرة . وكانت الجبهة البيلوروسية الثانية التى وصلت الى دانتسيغ قد تحولت نحو الغرب ووصلت الى الاودر . ووصلت الجيوش التى تفرغت بعد دحر العدو فى بروسيا الشرقية . وانضم الى الجبهة الاوكرانية الاولى الجيش البولونى الثانى الذى تشكل حديثا بقيادة الجنرال سفيرتشيفسكى . واثناء سير العمليات الحربية لاحتلال

رؤوس الجسور فى بوميرانيا وسيليزيا جرى بصورة مشددة امداد القوات بالافراد وبالتكنيك الحربى ، واعيدت خطوط المواصلات وجهزت المطارات ونقلت الذخيرة والوقود . ووصلت الى الاودر سفن اسيطيل الدنيبر الحربى عن طريق انهار بريبيـــات وبوغ الغربى وفستول ونيتسه وفارتا ، وجزئيا بواسطة سكة الحديد . وانتقلت قواعد سفن وطائرات اسطول البلطيق الى مناطق دانتسيغ وكولبيرغ وغيرهما .

ونتيجة للجهود البطولية التى بذلها الشعب السوفييتى بأسره حصل الجيش الاحمر على كمية كافية من القوات والوسائل اللازمة لتوجيه الضربة القاضية . واستعد لتنفيذ العمليـــة ٢,٥ مليون شخص مزودين باكثر من ٤٢ الف مدفع ومدفع هاون واكثر من ٦,٢ آلاف دبابة ومدفع ذاتى الحركة و٨,٣ آلاف طائرة حربية . وانطلاقا من قوة دفاع العدو واحتمال مقاومته العنيدة تم تحشيد القسم الاساسى من المشاة والمدفعيـــة والدبابات والطائرات فى الاتجاهات القى تقرر توجيه الضربات الرئيسية منها . فهنا جرت تهيئة اكبر كثافة شهدتها سنوات الحرب للمدفعية والدبابات . وانيط دور هام بمدافع «كاتيوشا» الصاروخية السوفييتية الشهيرة . وكان فى قوام جيوش الجبهة البيلوروسية الاولى وحدها اكثر من الف مدفع صاروخى . وخلال العملية المشتركة فى آن واحد كانت هذه المدافع تطلق ١٨,٥ الف صاروخ . وكان على المعدات الحربيـــة المصنوعة فى مصانع الاورال وسيبيريا ان تشق الطريق امام الجندى السوفييتى الى النصر .

الا ان الامر الرئيسى الذى حدد بأس القوات السوفييتية هو معنوياتها العالية ومهارتها الحربية . فقد جاء المحاربون السوفييت لتنفيذ عملية برلين وهم يتحلون بخبرة حربية غنية وبقدرة على تحطيم العدو حسب كافة اصول العلوم العسكرية . واصبح قادة الجيوش وغيرهم من القادة قادة عسكريين محنكين مطلعين افضل

الاطلاع على شؤون قواتهم وقادرين على توجيهها بمهارة . وكان كثير من الجنرالات من امثـــال باتـــوف وبيلوف وجـــادوف وكوروفنيكوف وبوخوف وتشويكوف يقودون جيوشهم منذ عام ١٩٤٢ . فقد قادوا قواتهم من ستالينغراد وكورسك الى الاودر ونيسه . وكانت هيئات الاركان ذات تنظيم ممتاز ، وكانت مساعدا امينا لقادتها .

وكان الحماس الهجومى العظيم مسيطرا على كافة افراد القوات المسلحة . فاى من الجنود والضباط حتى فى اصعب المعارك قرب موسكو وستالينغراد لم يحلم بالوصول الى برلين ، الى حيث ولدت افظع حرب فى تاريخ البشرية كله ؟! وها هو الحلم على وشك التحقق بالنسبة للكثيرين .

وفى ليلة ١٦ نيسان (ابريل) شرعت بالهجوم فى وقت واحد تقريبا قوات الجبهة البيلوروسية الاولى والجبهة الاوكرانية الاولى . ففى الساعة الخامســـة ، قبيل الفجر ، انهالت طائرات ومدفعية الجبهة البيلوروسية الاولى بضرباتها على دفاع العدو . وكانت قوة نيران المدفعية هائلة . ويكفى القول بان المدفعيـــة صرفت فى اليوم الاول وحده من المعركـــة ٢٤٥٠ عربـــة اى ١٢٣٦٠٠٠ قذيفة . وبعد صليات المدافع الصاروخية شرعت بالهجوم مشاة ودبابات الجيش السابع والاربعين والجيش الضارب الثالث والجيش الضارب الخامس وجيش الحرس الثامن والجيش التاسع والستين المتحشـــدة فى رأس جسر كيوسترين . وفى تلك الاثناء وجه ١٤٣ مصباحا كاشفا جبارا اشعتها الى العدو فانارت الطريق امام القوات السوفييتية واعمت العدو . ونشبت معارك ضارية . وبطلوع الفجر شددت قاذفات القنابل وطائرات الهجوم الضربات على العدو . والى الشمـــال بدأت بعبور الاودر قوات الجيش الحادى والستين السوفييتى والجيش البولونى الاول ، ومن رأس جسر جنوبى فرانكفورت شرع الجيش الثـــالث والثلاثون

بالهجوم . ونشبت معارك ضارية خصوصا فى مرتفعات زييلوف المشرفة على الاماكن المجاورة والتى حاول العدو الاحتفاظ بهـا مهما كلف الامر . فقد ارسل العدو الاحتياطيات الى هذه المنطقة وشن هجمات مضادة على الدوام . ولغرض فصم دفاع العدو زجت القيادة فى القتال بجيشى دبابات الحرس الاول والثانى . وتم بالجهود المشتركة فى اليوم الرابع من العمليات الحربية اختراق خط الاودر . وقدم مساعدة كبرى للقوات الارضية طيارو الجيش الجوى السادس عشر والجيش الثامن عشر لطيران القصف البعيد المدى بقيادة كبير مارشالات الجو غولوفانوف . وخلال اربعة ايام قـام الطيارون البواسل بحوالى ١٧ الف طلعة ، وخاضوا ٤٨٣ معركة جويـة اسقطوا خلالها ٤٧٤ طائرة معادية . وفى المعارك الجوية فوق برلين اسقط الطيار الباسل الرائد كوجيدوب الحائز على لقب بطل الاتحاد السوفييتى مرتين ، الطائرة المعادية الثانية والستين ، ولذا منح الميدالية الذهبية للمرة الثالثة .

اما فى الجبهة الاوكرانية الاولى فقد بدأ التمهيـد المدفعى والجوى فى الساعة السادسة والدقيقة ١٥ . ونشرت المدفعيـة والطائرات حجابا دخانيا على طول خط الجبهة وذلك لتعمية العدو ولستر اتجاهات الضربات الرئيسية عنه فى الوقت ذاته . وبعد ٤٠ دقيقة بدأت بعبور نهر نيسه قوات جيش الحرس الثالث والجيش الثالث عشر وجيش الحرس الخامس ـ وهى المجموعة الضاربة فى الجبهة ، وكذلك قوات الجيش البولونى الثانى والجيش السوفييتى الثانى والخمسين المقاتلة فى اتجاه درزدن . وعبرت النهر المشاة والمدفعية بمسيل لا مرد له على العوامات والزوارق ومشايات الاقتحام ، بل وحتى خوضا . وكان كل محارب يسعى الى الوصول الى الضفة المقابلة وتحطيم العدو باسرع ما يمكن . وفى الساعات الاولى من المعركة بذل جنود الهندسة جهودا كبيرة للغايـة . واسفرت جهودهم بعد ساعة عن اعداد جسور البونتون الخفيفة ،

وبعد ساعتين عن اعداد الجسور التى تتحمل شحنة بوزن ٣٠ طنا ، وبعد اربع او خمس ساعات اعدت جسور على مسانيد صلبة تتحمل شحنة بوزن ٦٠ طنا . وساعد ذلك على التعجيل بعبور المدفعية الثقيلة والدبابات .

وللوهلة الاولى صعق العدو من شدة وسرعة الضربة ، ولكنه اخذ بعد ذلك يبدى مقاومة ضارية . ولتشديد الهجوم زج فى المعركة بفيلق الدبابات الخامس والعشرين وفيلق دبابات الحرس الرابع ، ومن ثم بجيشى دبابات الحرس الثالث والرابع . وفى ١٨ نيسان (ابريل) تم اختراق دفاع خط نيسه بفضل الجهود المشتركة لكافة اصناف القوات . ووصلت تشكيلات جيوش الدبابات الى نهر شبيريه وعبرته رأسا واسرعت نحو برلين . وفى اتجاه درزدن توغلت قوات الجبهة فى خط الدفاع الثانى وصدت ضربة مضادة شديدة وجهها العدو . وساعد القوات الارضية بصورة فعالة طيارو الجيش الجوى الثانى الذين قاموا خلال ثلاثة ايام باكثر من ٧٥٠٠ طلعة واسقطوا فى ١٣٨ معركة جوية ١٥٥ طائرة للعدو .

وبعد اختراق الدفاع عند الاودر ونيسه تابعت القوات السوفييتية هجومها بوتائر اسرع . وتم سحق احتياطيات العدو الاساسية ، فلم يستطع وقف الهجوم المتعاظم . وفى ٢١ نيسان (ابريل) اخترق الجيشان الضاربان الثالث والخامس التابعان للجبهة البيلوروسية الاولى نطاق الدفاع الداخلى حول برلين . وكان اول من دخل الطرف الشمالى الشرقى للعاصمة الفاشية هم محاربو فيلق المشاة التاسع والسبعين بقيادة الجنرال بيريفيورتكين . وقبل يوم من ذلك كانت مدفعية هذا الفيلق البعيدة المدى قد وجهت اول صليتين الى برلين ، ثم وجهت غارة مدفعية على الرايخستاغ فاعلنت بذلك ان الثأر قد بدأ . والتفت قوات الجيش السابع والاربعين وجيش دبابات الحرس الثانى حول برلين من الشمال

الغربى ، كما التفت قوات جيش الحرس الثـامن وجيش دبابات الحرس الاول حولها من الجنوب الشرقى .

وزحفت بسرعة كبيرة خصوصا جيوش دبابات الجبهـة الاوكرانية الاولى . ففى ٢٠ نيسان (ابريل) قام جيش دبابات الحرس الثالث بوثبة سريعة فوصل الى مشارف برلين من الجنوب . وتقلصت المسافة الفاصلـة بين قوات الجبهتين التى وصلت الى المدينة . ولغرض تطويق القوات الرئيسيـة لجيشى الدبابات الالمانيين التاسع والرابع تطويقا امتن وعدم السماح لهما بالاختراق نحو برلين زج المارشال جوكوف فى المعركة من النسـق الثانى بالجيش الثالث ، كما زج المارشـال كونيف بالجيش الثامن والعشرين . وفى ٢٤ نيسان (ابريل) التقى جيش الحرس الثامن وجيش دبابات الحرس الاول بجيش دبابـات الحرس الثالث والجيش الثامن والعشرين جنوب شرقى برلين . وفى اليوم التالى التقى جيش دبابات الحرس الرابع بالجيش السابع والاربعين وجيش دبابات الحرس الثانى غربى برلين . ووقعت مجموعة برلين كلها ، بعد ان شطرت الى شطرين ، فى طوق القوات السوفييتية . وحتى تلك الاثناء تم كذلك تكوين جبهة الحصار الخارجية المتينة . وفى ٢٥ نيسان (ابريل) وصلت القطعات الاماميـة لجيش الحرس الخامس الى نهر البا فى منطقة تورغاو . وتم لقـاء المحاربين السوفييت مـع قوات الجيش الاميركى الاول . وبذلك اصبحت القوات الالمانية الفاشية مجزأة الى قسمين منفصلين عن بعضهما البعض ، وهما القسم الشمالى والقسم الجنوبى .

وقامت القيادة الهتلرية بمحاولات يائسة لفك الحصار عن قواتها جنوب شرقى برلين وتهيئة الامكانية لها للتوجه نحو الغرب . وبناء على امر هتلر غادر الجيش الثانى عشر بقيادة الجنرال فينك الجبهة امام القوات الانكلو أمريكية وزحف نحو الشرق لمواجهة القوات السوفييتيـة . وغادر برلين جوا كيتيل وايودل لادارة

عمليات هذا الجيش . الا ان كافة المحاولات لم تسفر عن النتائج المطلوبة . فان قوات العدو التى حاولت فك الحصار نحو الغرب انشطرت الى مجموعات منعزلة ، وصفيت نهائيا حتى الاول من ايار (مايو) . اما الجيش الثانى عشر بقيـــادة فينك فقد تكبد خسائر جسيمة واوقف على الجبهة الخارجية للحصار .

ومنيت بالفشل كذلك محاولة القيادة الفاشية توجيه ضربة مضادة شديدة من الشمال . وكان من المقرر ان تقوم بها مجموعة الجيش بقيادة شتينير . وفى ٢٠ نيسان (ابريل) عبرت قوات الجبهة البيلوروسية الثانية نهر الاودر وشنت هجوما فى الاتجاه الشمالى الغربى . وتم تقييد قوات جيش الدبابات الهتلرية الثالث ، اما فرق شتينير فلم تستطع ان تتحشد لتوجيه الضربة . وصدت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى بنجاح الضربات المضـــادة التى وجهتها مجموعة غيرليتس .

كانت المعارك من اجل تصفية قوات العدو فى برلين تتسم بطابع طاحن للغاية . فقد اصدر هتلر الذى اختبأ مع المقربين اليه فى الملجأ العميق تحت الارض فى المكتب الامبراطورى امره بالدفاع عن برلين حتى الرمق الاخير . والتجأ الحكام الفاشست الى اقسى انواع الارهاب ازاء الذين شكوا بجدوى استمرار المقاومة . وبقدر ما صارت القوات السوفييتية تتغلغل الى اعماق المدينة بقدر ما كانت تشتد مقاومة العدو . ودارت المعارك من اجل كل حى وكل شارع وكل دار . الا ان الانشوطة التى كانت تطبق على عنق الوحش الفاشى اخذت تضيق الخناق عليه باستمرار . وكان الهجوم على برلين خاتمة البطولة الشاملة للمحاربين السوفييت . وكان المشاة وجنود الهندسة والمدفعيون وجنود الدبابات المنخرطون فى جماعات الاقتحام يندفعون الى الامام بصورة لا مرد لها . ولم يفكر احد فى خطر الموت فى الايام الاخيرة من الحرب . وكان يسيطر على الجميع طموح واحد هو انهاء الحرب بالنصر وبأسرع وقت ممكن . ولم تهدأ المعارك لا فى النهار ولا فى الليل .

وحتى التاسع والعشرين من نيسان (ابريل) كانت القوات السوفييتية قد احتلت القسم الاكبر من المدينة ووصلت الى مركزها . وفى اليوم السابق كانت فرقة المشاة ال ١٥٠ بقيــــادة الجنرال شاتيلوف قد شنت هجوما خاطفا فاحتلت سجن موابيت الذى اطبقت جدرانه الكالحة طوال سنين عديدة على قائد الشيوعيين الالمان ارنست تيلمان . وفى هذا السجن قتل الهتلريون الشاعر التترى والوطنى السوفييتى موسى جليل . وانقذت القوات السوفييتية السجناء الذين ظلوا على قيد الحياة . وفى صبــاح ٣٠ نيســـان (ابريل) شرعت قطعات الجنرال شاتيلوف وفرقة المشاة ال ١٧١ بقيادة العقيد نيغودا بالهجوم على الرايخستاغ . وكان اول من اجتاح الرايخستاغ محاربو الكتائب بقيادة الرائد دافيدوف والنقيب نيأ'وسترويف والملازم اول سامسونوف . وكانت المعركة طـــاحنة ضارية . وجرت المناوشات فى الصالات وعلى السلالم وفى الغرف بل وحتى على السطح . وقاوم العدو مقاومة مستميتة ، ولكنه لم يتحمل مثل هذا الضغط الهائل . وتكاثر عدد الاعلام الحمراء التى اخذت ترفرف فوق بناية الرايخستاغ . وتجسدت فى نصب هذه الاعلام البطولة الشاملة لدى المحاربين السوفييت . وفى مساء اليوم ذاته نصب رقيبا الاستطلاع يغوروف وكانتاريا راية النصر على قبــة الرايخستاغ .

وفى الثانى من ايار (مايو) استسلمت حامية برلين . وانتحر هتلر وغوبلس خشية العقاب على الجرائم التى اقترفاها . وبدأ على نطاق واسع استسلام القوات الالمانية الفاشية للأسر . وسقطت عاصمة المانيا الفاشية امام القوات السوفييتية . ورمز سقوط برلين لانهيار الرايخ الهتلرى والنظام الفاشى المشين مجللين بالعار . وفى الفترة من ٣ الى ٧ ايار (مايو) تابعت القوات السوفييتيـــة زحفها نحو الغرب للقاء جيوش الحلفاء . ووصلت قوات الجبهة البيلوروسية الثانية الى سواحل بحر البلطيق والى خط نهر إلبا شمال غربى برلين ، حيث التقت بالقوات البريطانية .

وفى ٨ ايار (مايو) وقع ممثلو المانيا الفاشية المندحرة صك الاستسلام دون قيد او شرط . وانتصرت القضية العادلة التى خاض المواطنون السوفييت المعارك من اجلها . واجاد احد الشعراء الشباب السوفييت عندما قال «نحرنا الفاشية ، ذلك الوحش المسعور ، فانقذنا العالم من المصائب والهلاك» .

واستقبل المواطنون السوفييت نبأ سقوط برلين بفرحة لا حدود لعظمتها وبافتخار بجيشهم . وتكريما للقوات السوفييتية الباسلة التى احتلت برلين اطلقت عاصمة وطننا موسكو ٢٤ صلية من ٣٢٤ مدفعا تحية لهذه القوات واطلق على تشكيلات كثيرة اسم التشكيلات البرلينية . ومنح لقب بطل الاتحاد السوفييتى السامى الى اكثر من ٦٠٠ من اشجع الجنود والرقباء والضباط والجنرالات . ومنح لقب بطل الاتحاد السوفييتى مرتين الى ١٣ محاربا . واستحدثت هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى ميدالية «الاستيلاء على برلين» التى منحت الى حوالى ١٠٨٢ الف محارب .

لم يكن النصر سهلا . فقد فقدت الجبهات حوالى ٣٠٠ الف شخص ما بين قتيل وجريح . وفيما بعد الحرب اقيم فى منتزه تريبتوف فى برلين نصب المحارب السوفييتى . ويزور هذا النصب اناس من مختلف البلدان فيعربون عن اعمق مشاعر الامتنان للشعب السوفييتى وللمحاربين السوفييت الشجعان الابطال المحررين على مأثرتهم وعلى المساهمة الحاسمة التى قدموها فى قضية انقاذ الشعوب من الفاشية .

تحرير براغ

بعد سقوط برلين اعترف قسم كبير من القوات الالمانية الفاشية المقاتلة فى الاتجاهات الاخرى بعدم جدوى متابعة المقاومة ، فاوقف القتال واستسلم للأسر . الا ان كثيرا من القادة

الهتلريين كانوا لا يزالون يأملون بحدوث معجزة ما ، وقبل كل شيء بظهور الخلاف بين الحلفاء . فهؤلاء القادة كانوا يخشــون خصوصا دفع ثمن الجرائم التي اقترفوها في الاراضي السوفييتية ، ولذلك حاولوا بكل الوسائل سحب قواتهم باتجـــاه الاميركان والبريطانيين . لا سيما وانهم كانوا يأملون ، وليس اعتباطا كما نعلم ، بان الامبرياليين الاميركان والبريطانيين يمكن ان يحتاجوا الى خدماتهم . وبعد الحرب اعترف شرشل بوقاحة بانه ارسل قبل نهاية الحرب وفي الوقت الذي كان فيه الالمان يستسلمون بمئات الآلاف امرا الى الفيلدمارشال مونتجمري بجمع السلاح الالماني بكل اهتمام وخزنه لكي يسهل من جديد توزيعـــه على الجنود الالمـــان الذين سيتعاونون معهم في حالة ما اذا استمر الهجوم السوفييتي .

ومن المعروف ان المهمة الاساسية لقائدي جيش الدبابات الهتلري الثالث والجيش الهتلري الثاني عشر كانت تتلخص في سحب قواتهما الى ما وراء نهر البا والاستسلام للاميركان والبريطانيين . وبالرغم من الالتزامات المعينة ازاء الحليف السوفييتي لم تعرقل القيادة الاميركية والبريطانيـــة مناورة الهتلريين هذه في كثير من الحالات . وكتب الجنرال تيبيلسكيرخ يقول ان تشكيلات مجموعة جيوش « فستول » والجيش الثاني عشر المحـــاصرة بين جبهتين استطاعت باغلبيتها ان تتحاشى الاسر الروسي بفضل تعقل العدو الغربي .

والى هذه الاسباب كلها يعزى تمادي الهتلريين في اراقـــة الدماء في الوقت الذي كانت الحرب فيه قد انتهت . وفي ٦ ايار (مايو) استسلمت حامية بريسلافل . واثر تأثيرا حاسمـــا على التعجيل بهذا الاستسلام الهجوم الذي بدأته قوات الجبهة الاوكرانية الاولى على براغ . فقد استسلم حوالي ٤١ الف جندي وضابط . وبعد يومين القت السلاح امام قوات جبهة لينينغراد بقيـــادة مارشـــال الاتحاد السوفييتي غوفوروف قوات الجيشين الهتلريين

السادس عشر والثامن عشر المحصورين فى منطقة البلطيق . وفى ٩ ايار (مايو) توقفت عن القتال فلول القوات الهتلرية المحاصرة عند مصب نهر فستول جنوب شرقى دانتسيغ وفى لسان هيل شمال شرقى غندينيا . وفى اليوم ذاته انزلت سفن اسطول البلطيق القوات على جزيرة بورنهولم الدانمركية واسرت الحامية الالمانية الفاشية الموجودة هناك . وهكذا شاركت القوات السوفييتية فى تحرير الدانمرك .

وكان الحال على غير ذلك فى تشيكوسلوفاكيا حيث قاتلت قوات مجموعة جيوش «المركز» و«النمسا» . فقد رفض قائدا هذه القوات الفيلدمارشال شيرنير والجنرال ريندوليتش الاستسلام للقوات المسلحة السوفييتية وحاولا سحب فرقهما لتسليمهـــا اسيرة الى الجيش الاميركى . وكانت تلك مجموعة كبيرة من القوات تضم اكثر من ٩٠٠ الف شخص وحتى ١٠ آلاف مدفع ومدفع هاون واكثر من ٢٢٠٠ دبابة ومدفع هجوم وحوالى ١٠٠٠ طائرة . وما دامت هذه المجموعة تقاوم كانت اراقة الدماء مستمرة ، وكانت مدن وقرى تشيكوسلوفاكيا تتعرض للدمار .

واستدعى الامر التعجيل بتشديد الضربات للعدو والحيلولة دون اختراق فرقه نحو الغرب وانجاز تحرير تشيكوسلوفاكيا . وكان يستدعى هذا ايضا الوضع الداخلى الذى تكون فى البلاد حتى مستهل ايار (مايو) . فقد هب الشعب التشيكوسلوفاكى فى كل مكان للنضال ضد نظام الاحتلال البغيض . وفى صبيحـــة ٥ آيار (مايو) اندلعت الانتفاضة الشعبية فى براغ . وسيطر الشعب المسلح على مركز المدينة ودخل فى مناوشة غير متكافئة مع الهتلريين الذين زجوا بقوات كبيرة لاخماد الانتفاضة . وكان من اللازم تقديم العون العاجل للثوار ، وقدم الجيش الاحمر هذا العون الى اشقائه .

كانت المعارك من اجل برلين لا تزال مستمرة ، عندما شرعت القيـــادة السوفييتيـــة بالتخطيط لعمليـــة دحـــر العدو فى

تشيكوسلوفاكيا . وكان من المقرر بدء العملية فى ٧ ايار (مايو) . الا انه جرى التعجيل باعداد الهجوم وذلك لغرض تقديم العون الى الشعب التشيكوسلوفاكى الثائر . واجرت الجبهة الاوكرانية الاولى فى مواعيد لا مثيل لها من حيث القصر نقل قوات كبيرة من منطقة برلين الى اتجاه درزدن . وفى السادس من ايار (مايو) اى ليوم واحد قبل الموعد المقرر ، وجهت المجموعة الضاربة للجبهة ضربة جبارة من الشمال باتجاه درزدن ـ براغ . وفى اليوم التالى شنت المجموعة الضاربة الاوكرانية الثانية هجوما من منطقة برنو . ومن جهة الشرق تحركت قوات الجبهة الاوكرانية الرابعة بقيادة الجنرال يريمينكو . والى جانب القوات السوفييتية شارك فى تحرير ارض الوطن الفيلق التشيكوسلوفاكى . وشارك فى العملية ضمن الجبهات السوفييتية الجيش الثانى للقوات البولونية والجيشان الرومانيان الاول والرابع .

وشنت القوات السوفييتية هجوما حازما فقهرت مقاومة فرق الاعداء واسرعت نحو براغ . وفى ليلة ٩ ايار (مايو) دخلت المفارز الامامية مدينة براغ من مختلف الاتجاهات . وبضربات القوات السوفييتية ومساعدة السكان تم تطهير المدينة من الغزاة كليا حتى الساعة العاشرة صباحا . ورفرفت الراية الحمراء فوق براغ . وتم تطويق القوات الالمانية الفاشية فى تشيكوسلوفاكيا . ولم يستطع الهتلريون ان يشقوا الطريق غربا الى الاميركان ، فأخذوا يستسلمون للأسر فرقا بكاملها . وهكذا تمت تصفية آخر مجموعة كبيرة من القوات المسلحة الالمانية . وانجز الجيش الاحمر تحرير تشيكوسلوفاكيا من المحتلين الالمان الفاشست . واصبح التاسع من ايار (مايو) ـ يوم تحرير براغ ـ عيدا وطنيا لتشيكوسلوفاكيا الجديدة .

كان تحرير تشيكوسلوفاكيا دليلا آخر على المأثرة الحربية الخالدة للقوات المسلحة السوفييتية ومساعدتها الاخوية للشعب

التشيكوسلوفاكي . وتكريما لهذا النصر استحدثت ميدالية «تحرير براغ» ، وزينت هذه الميدالية صدور اكثر من ٣٩٠ الف محارب سوفييتي . ومنح اسم قطعات وتشكيلات براغ الى ٣٠ من اكثر القطعات والتشكيلات بسالة في تحرير براغ ، ومنحت الاوسمة لعدد كبير من القطعات والتشكيلات . ومنحت الاوسمة السامية للمحاربين التشيكوسلوفاكيين والبولونيين والرومانيين الذين قاتلوا جنبا الى جنب مع اشقائهم السوفييت ضد الغزاة الالمان الفاشست .

لقد ادى الانتصار التاريخي الذي احرزته القوات المسلحة السوفييتية في عملية برلين ولدى تحرير تشيكوسلوفاكيا الى دحر المانيا الهتلرية كليا وانهاء الحرب في اوروبا . وتقديرا لنهاية الحرب المظفرة التي خاضها الشعب السوفييتي ضد الغزاة الالمان الفاشيين صدر مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي الذي اعلن بان يوم ٩ ايار (مايو) هو عيد النصر ، عيد الشعب بأسره . وفي هذا اليوم حيت عاصمة الدولة السوفييتية قواتها المسلحة الباسلة والشعب بأسره باطلاق ثلاثين صلية مدفعية من الف مدفع . ولتخليد هذا الحدث التاريخي استحدثت ميدالية «الانتصار على المانيا في الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١ـ١٩٤٥» ، ومنحت هذه الميدالية لحوالي ١٣٦٧٠٠٠٠ محارب .

في الشرق الاقصى

آخر بؤرة للحرب

حمل استسلام المانيا الفاشية السلام لشعوب اوروبا بعد ان طال انتظاره . الا ان الحرب العالمية الثانية لم تكن قد وضعت اوزارها بعد . فقد واجه الجيش الاحمر مهمات جديدة ، ذلك لأن لهيب الحرب كان لا يزال مشتعلا في الشرق الاقصى حيث كانت تشن العمليات الحربية حليفة المانيا الهتلرية ـ اليابان العسكرية .

كانت اليابان باعتبارها الشريك الرئيسى لالمانيا فى الحلف المناهض للكومنترن قد بذلت طوال الحرب العالمية الثانية قصارى جهدها لمساعدة المانيا فى القتال ضد الاتحاد السوفييتى . فاذا كان لليابان فى منشوريا ٦٠٠ الف جندى وضابط عند بداية هجوم المانيا الفاشية على الاتحاد السوفييتى ، فان عدد القوات هنا بلغ حتى اواخر عام ١٩٤١ حوالى مليون شخص . واذا اضفنا الى ذلك عدد القوات اليابانية التى كانت مرابطة فى شمال الصين وفى سخالين وجزر كوريل نجد انه تحشد ضد الاتحاد السوفييتى اكثر من نصف عدد القوات المسلحة اليابانية .

وكانت الاوساط الحاكمة اليابانية الواثقة من انتصار المانيا على الاتحاد السوفييتى قد تجاهلت صراحة الميثاق السوفييتى اليابانى بشأن الحياد الذى عقد فى نيسان (ابريل) ١٩٤١ ، ودبرت حوادث على الحدود وبذلت كل ما فى وسعها لخلق الصعوبات امام بلادنا عن طريق «الحياد» اليابانى . وكانت اليابان تزود المانيا الفاشية بالمعلومات الاستخبارية بشأن الحالة العسكرية والاقتصادية فى الاتحاد السوفييتى مستخدمة لهذا الغرض خصوصا وجود ممثليها فى بلاد السوفييت .

وكان اليابانيون يضعون العراقيل فى طريق الملاحة السوفييتية فى الشرق الاقصى . ففى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ وحده اغرقت واتلفت زهاء عشر سفن تجارية سوفييتية ، وفى الفترة من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ حتى نيسان (ابريل) ١٩٤٥ احتجز اليابانيون حوالى ٢٠٠ سفينة سوفييتية . وفى الواقع فان اليابان شنت فى البحر عمليات حربية حقيقية ضد الاتحاد السوفييتى . واذا كان اليابانيون لم يهجموا على الاتحاد السوفييتى برا فان ذلك حدث خلافا لخططهم . فان اندحار الجيش الالمانى الفاشى قرب موسكو وفى المعركة عند الفولغا قد احبط كافة تقديرات المانيا واليابان فى دحر الجيش الاحمر بسرعة .

وقد استطاع الشعب السوفييتى الذى خاض صراعا مستميتا ضد الغزاة الالمان الفاشست ان يخصص الكمية اللازمة من القوات والوسائل لكى يحمى بامان سلامة حدوده فى الشرق الاقصى .

وبسبب انعدام الجبهة الثانية فى اوروبا تحمل الاتحـــاد السوفييتى كامل عبء النضال ضد المانيا الفاشية . وحقق الشعب السوفييتى وقواته المسلحة مأثرة بطولية بارزة حقا . فقد انقذ الشعب السوفييتى وقواته المسلحة شعوب اوروبا من الاستعبـــاد الفاشى .

وفى كانون الثانى (يناير) ١٩٤٣ اعترف القائد العام لقوات الدول الحليفة فى القسم الجنوبى الغربى من المحيط الهادى الجنرال مكآرثر بصراحة بان «الدول الحليفة انقذت نتيجة لانتصارات الجيش السوفييتى» . واعتبارا من ١٩٤٣ انتقلت الولايات المتحدة وبريطانيا على مسرح المحيط الهادى الى العمليات النشيطة . وكانت الظروف الملائمة لذلك قد تهيأت بنتيجة الانتصارات الحاسمـــة التى حققها الجيش الاحمر على الجبهة السوفييتية الالمانية . وكانت الولايات المتحدة وبريطانيا ، بطردهما للقوات اليابانية من جزر حوض المحيط الهادى ، تسعيان الى تثبيت سيطرتهما الاستعمارية هنـــــاك .

وحتى صيف ١٩٤٥ استطاعت القوات الانكلواميركيـــة ان تلحق باليابـــان عدة هزائـــم وتستولى على جزيرتى ايفودزيمـــا واوكيناوا الواقعتين على مقربة مباشرة من المتروبول ، وان تهدد بذلك المواصلات البحرية بين اليابان والصين وبلدان جنوب شرقى آسيا ، وان تقرب القواعد الجوية لتوجيه الضربات الى مراكـــز العدو الحيوية .

الا ان الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا لم تستطيعا قهر مقاومة اليابان . فالاوساط الحاكمة اليابانية كانت تأمل من وراء المماطلة فى الحرب بتأمين شروط نافعة لها لعقد الصلـــح . وفى

٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ اقترحت حكومات الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والصين على اليابان وقف المقاومة ، الا ان الحكومة اليابانية رفضت هذا الاقتراح .

ولغرض ارعاب الشعب الياباني وشعوب البلدان الاخرى بالجبروت العسكرى القى الاميركان قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناغازاكى . ولم يكن استخدام السلاح الذرى تستدعيه ضرورة حربية . فالقنبلتان الذريتان اللتان كانت الولايات المتحدة الاميركية تملكهما آنذاك لم يكن بمقدورهما ان تؤثرا تأثيرا حاسما على مآل الحرب . وعندما دمر الامبرياليون الاميركان المدينتين اليابانيتين بينوا استهانتهم التامة باصول القانون الدولى المتبعة ومبادئ النزعة الانسانية . واستنكرت شعوب العالم بأسره هذا العمل اللاانسانى .

لقد كانت حسابات اليابان بشأن الحرب الطويلة الامد تستند على اسس فعلية . فقد كانت مستندة على اقتصاد الاراضى الشاسعة المحتلة فى آسيا وعلى الجيش البرى الذى لم تمسه الحرب فى الواقع . وكانت تتسم باكبر الاهمية بالنسبة لليابان منشوريا وكوريا اللتان كانتا بمثابة القاعدة الاقتصادية الثانية (بعد الدولة الاستعمارية) . فان منشوريا وحدها كانت تقدم كل عام حوالى ٥٠٪ من الفحم الحجرى وخامات الحديد المستخدمة فى الدولة الاستعمارية (اليابان) و٣ ملايين طن من حديد الصب ومليونى طن من الفولاذ . وكانت المصدر الاساسى للمنتوج الزراعى والخامات . واستخدم اليابانيون سكان منشوريا وكوريا بمثابة جيش هائل للايدى العاملة الرخيصة .

وكان على دحر الجيش اليابانى فى منشوريا وكوريا وحرمان اليابان من هذه القاعدة الاقتصادية الجبارة ان يلعبا دورا حاسما فى هزيمة اليابان الامبريالية ويؤديا الى استسلامها .

وحتى آب (اغسطس) ١٩٤٥ كانت القوات المسلحة اليابانية

23—1174

تضم اكثر من ٧ ملايين شخص وحوالى ٥٠٠ سفينة حربية واكثر من ١٠ آلاف طائرة .

ولم يكن جيش الغوميندان ليشكل اى خطر جدى على السيطرة اليابانية فى الصين ، لا سيما وان القسم الاساسى من قوات تشان كاى شيك مشغول ليس بمحاربة اليابانيين ، بل بمحاربة جيش التحرير الشعبى الصينى .

وكانت خطط القيادة الانكلواميركية تنص على ان ينتهـى ارسال القوات الاضافية اللازمة لدحر اليابان نهائيا حتى صيف ١٩٤٦ ، اى ان الحرب لن تنتهى الا فى عام ١٩٤٦ ، بل وحتى ١٩٤٧ .

بينما كانت مصالح اعادة احلال السلام فى العالم كله تتطلب التصفية العاجلة لبؤرة الحرب فى الشرق . ولم يكن بمقدور الاتحاد السوفييتى ان يقف فى معزل عن حل هذه المهمة ، وذلك بسبب الالتزامات المتبادلة الموجودة بين الاتحاد السوفييتى وحلفائـه وبسبب كون هذا الامر تستدعيه بكل الحاح مصالح الامن فى الشرق . وكان من اهم الاسباب كذلك طموح الدولة الاشتراكيـة لتنفيذ واجبها الاممى ازاء شعوب آسيا فى نضالها ضد الغزاة اليابانيين .

وكان على دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ضد اليابـان الامبريالية ان يلعب دورا حاسما للتعجيل فى انهاء الحرب العالمية الثانيـة .

القوات تتحرك نحو الشرق

فى نيسان (ابريل) فسخت الحكومة السوفييتيـة الميثاق السوفييتى اليابانى بشأن الحياد . الا ان هذا التحذير الجدى للغاية لم يعد المعتدين اليابانيين الى رشدهم . ولذلك بدأ منذ ربيـع ١٩٤٥ اعداد القوات المسلحة السوفييتية للعمليات الحربية فى

الشرق الاقصى . وطوال ايار ـ تموز (مايو ـ يوليو) اجريت اكبر اعادة توزيع ستراتيجية للقوات خلال سنوات الحرب . فقد ارسلت الى الشرق الاقصى الادارتان الجبهويتان للجبهة الاوكرانية الثانية وجبهة كاريليا سابقا ، واكثر من ٤٠ تشكيلات للمشاة والدبابات والآليات ، وكذلك عدد كبير من الطائرات والمدفعية .

وكان على القوات السوفييتية ان تقاتل فى ظروف طبيعية معقدة على مسرح الشرق الاقصى للعمليات الحربيـــــة فى اراضى منشوريا وكوريا ومنغوليا الداخلية وفى بحر اليابان وبحـــــر اوخوتسك وجزيرة سخالين وجزر كوريل . وكانت منطقة العمليات الحربية فى البر وحده تشمل ١,٥ مليون كيلومتر مربع .

ان اراضى منشوريا واراضى كوريا الشمالية المتاخمة لها ذات تضاريس جبلية . فان سلسلتى جبال هينغان الكبرى والصغرى وجبال منشوريا الشرقية وكوريا الشمالية تشكل حاجزا طبيعيا جبارا يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و ٤٠٠ كيلومتر ويسد كافة الطرق الى سهل منشوريا الاوسط حيث تقع اهم مدن منشوريا وحيث يعيش ٧٠٪ من سكان البلاد .

وبموازاة الحدود تجرى الانهار الغزيـــــرة المِيـــاه آمور واوسورى ومودانتسزيان وسونغارى وتومينياتسيان وغيرهـــــا فتشكل حدودا طبيعية عسيرة العبور وملائمة لتنظيم الدفاع .

وعلى الحدود مع الاتحاد السوفييتى وجمهورية منغوليـــــا الشعبية اعدت القيادة اليابانية ١٧ منطقة محصنة تحمى اهم الطرق المؤدية الى اواسط منشوريا . ويبلغ طول هذه المناطق اكثر من ١٠٠٠ كيلومتر وفيها اكثر من ٨٠٠٠ منشأة دفاعية خرسانية .

وكانت القوات اليابانية فى منشوريا منضمة الى جيش كوانتون (غواندون) الذى كان يشكل من الناحية التنظيمية مجموعة مـــن الجبهات . وكان هذا الجيش يضم الجبهات الاولى والثالثة والسابعة عشرة وسبعة جيوش ميدانية وجيشين جويين واسيطيل سونغارى

النهرى . وكان يوجد فى منشوريا وكوريا وسخالين الجنوبية وجزر كوريل اكثر من ١,٢ مليون محارب (مع قوات منشوغو وقوات منغوليا الداخلية) اى ٤٢ فرقة للمشاة و ٧ فرق للخيالة و ٢٣ لواء للمشاة ولواءان للخيالة ولواءان للدبابات . وكان هناك حوالى ١٢٠٠ دبابة و ٥٤٠٠ مدفع وحتى ١٨٠٠ طائرة .

وانطلاقا من خصائص مسرح العمليات الحربية وطول الحدود الهائل مع الاتحاد السوفييتى وجمهورية منغوليا الشعبية (اكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر) خصصت القيادة اليابانية للدفاع فى منطقة الحدود قسما من القوات فقط (٨ فرق للمشاة و ٨ الوية للمشاة) . اما القوات الرئيسية لجيش كوانتون فقد كانت متحشدة فى منشوريا الوسطى وهى على اهبة الاستعداد للمناورة فى اى اتجاه لغرض توجيه الضربات المضادة .

وفتح مقر القيادة العامة العليا السوفييتية ثلاث جبهات ضد جيش كوانتون : جبهة ماوراء البايكال بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتى مالينوفسكى ، وجبهة الشرق الاقصى الاولى بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتى ميريتسكوف ، وجبهة الشرق الاقصى الثانية بقيادة جنرال الجيش بوركايف . واشترك فى العملية اسطول المحيط الهادى بقيادة الاميرال يوماشيف واسيطيل آمور الحربى بقيادة الاميرال انطونوف . وكلفت بادارة العمليات مباشرة القيادة العامة للقوات السوفييتية فى الشرق الاقصى . وعين مارشال الاتحاد السوفييتى فاسيليفسكى قائدا عاما ، وعين الجنرال شيكين عضوا للمجلس العسكرى والجنرال ايفانوف رئيسا للاركان .

وبالاضافة الى القوات السوفييتية ساهمت فى الحرب ضد اليابان مساهمة نشيطة قوات جمهورية منغوليا الشعبية بقيادة المارشال تشويبالسان .

وحتى بداية الحرب ضد اليابان تحشد فى الشرق الاقصى ١١ جيشا مختلف الاصناف وثلاثة جيوش جوية وجيش واحد

للدبابات . وضمت هذه المجموعة اكثر من ١,٥ مليون شخص مسلحين بـ ٢٦ الف مدفع ومدفع هاون و٥,٥ آلاف دبابة ومدفع ذاتى الحركة وحوالى ٣,٨ آلاف طائرة حربية . وكان لدى اسطول المحيط الهادى واسيطيل آمور الحربى حوالى ٦٠٠ سفينة حربية واكثر من ١٥٠٠ طائرة .

وشاركت فى العملية عن الجيش الثورى الشعبى المنغولى اربع فرق للخيالة ولواء مدرع وفوج للدبابات وفوج للمدفعية وفرقة جوية .

وكان تفوق القوات السوفييتية على العدو من حيث تعداد القوات غير كبير ، ولكن تفوقها من حيث التكنيك الحربى كان كبيرا جدا ، مما كان واحدا من الشروط الهامة لسرعة اختراق التحصينات اليابانية على الحدود ومتابعة الهجوم بسرعة والتغلغل الى اعماق منشوريا .

وقررت القيادة السوفييتية توجيه ضربتين عميقتين فى اتجاهين متلاقيين لمحاصرة وتدمير القوات الاساسية لجيش كوانتون المتحشدة فى شمال ووسط منشوريا . ولهذا الغرض كان على قوات جبهة ما وراء البايكال وجبهة الشرق الاقصى الاولى ان توجه ضربتين متلاقيتين وتصل الى منطقة تشانشون وغيرين وتنجز تطويق القوات الاساسية لجيش كوانتون .

وكان على جبهة الشرق الاقصى الثانية ان تقوم بعمليات نشيطة لتقييد قوات العدو المقابلة وتوجيه الضربة الرئيسية باتجاه هاربين وذلك لشطر وتجزئة مجموعات العدو . وانيطت باسطول المحيط الهادى واسيطيل آمور مهمة تأمين العمليات الحربية للقوات البرية واجراء عدد من عمليات الانزال بالتعاون مع هذه القوات .

واتسمت خطة العملية بنطاقها المكانى الكبير . فقد كان على القوات ان تشن الهجوم فى جبهة تزيد على ٢٧٠٠ كيلومتر ، وبعمق ٥٠٠ ــ ٨٠٠ كيلومتر . وكان توجيه ضربتين من اتجاهين يبعد

احدهما عن الآخر ١٥٠٠ كيلومتر ، قد جعل العدو فى ظروف حرب على جبهتين ، لا سيما وان عدم تطور المواصلات قد حدد كثيرا امكانيات العدو في المناورة باحتياطياته .

وكان تكليف الجبهات بمثل هذه المهام الكبرى من حيث العمق يعزى الى الشدة الكبيرة للضربة الاولى والى وجود مجموعات قوية للقوات المدرعة والميكانيكية ضمن الجبهات والى سيطرة طائراتنا على الاجواء وكذلك الى صغر قوات التغطية نسبيا فى منطقة الحدود والى انعدام الخطوط المعدة فى اعماق دفاع العدو .

وفى اوائل آب (اغسطس) كانت القوات السوفييتية مستعدة للشروع بالهجوم الحاسم .

عبر جبال هينغان

فى الثامن من آب (اغسطس) ١٩٤٥ اشعرت الحكومة السوفييتية اليابان بان الاتحاد السوفييتي سيعتبر نفسه فى حالة حرب مع اليابان اعتبارا من ٩ آب (اغسطس) وذلك بسبب رفض هذه الاخيرة وقف العمليات الحربية ضد الولايات المتحدة وبريطانيا والصين . وفى العاشر من آب (اغسطس) اعلنت جمهورية منغوليا الشعبية الحرب ضد اليابان .

واستقبلت البشرية التقدمية باعمق الارتياح اعلان الاتحاد السوفييتى عن دخوله الحرب ضد اليابان . وكانت شعوب الارض واثقة من قرب السلام الذى طال انتظاره .

وفى التاسع من آب (اغسطس) ١٩٤٥ عبرت القوات السوفييتية الحدود ودخلت اراضى منشوريا من ثلاثة اتجاهات : مما وراء البايكال ومن اراضى جمهورية منغوليا الشعبية ، ومن منطقة بلاغوفيشينسك وخاباروفسك ، ومن اراضى بريموريه . وبالرغم من الصعوبات التى نجمت عن انعدام الطرق وبدء هطول الامطار الغزيرة جرى الهجوم بوتيرة عالية .

ووجهت جبهة ما وراء آلبايكال الضربة الرئيسية باتجاه عام نحو تشانشون . وكان وسط الجبهة واقعا فى نتوء الاراضى المنغولية فى منطقة مدينة تامتساك ــ بولاق . وتحركت القوات بشكل مروحة نبال منطلقة من مركز واحد . وتحركت القوات الاساسية نحو هينغان الكبرى تاركة جانبا منطقة هالون ــ ارشان المحصنة .

وكان آلدور الرئيسى فى العملية قد انيط بجيش دبابات الحرس السادس بقيادة الجنرال كرافتشينكو والذى قاتل فى النسق الاول للجبهة . وكلف هذا الجيش بالمهمة التالية : تجاوز منطقة هالون ــ ارشان آلمحصنة من ناحية الجنوب والقيام بوثبة سريعة والزحف بمسافة ٧٠ كيلومترا فى اليوم الواحد ودخول سهل منشوريا الاوسط الى المؤخرة العميقة للمجموعة الاساسية لجيش كوانتون .

وكان هذا الجيش يتسم بتركيب غير اعتيادى لدرجة ما بالمقارنة مع جيوش الدبابات فى فترة الحرب . فقد كان يضم فيلقين ميكانيكيين وفيلقا للدبابات وفرقتين للمشاة الآلية ووسائل كثيرة للتعزيز . وكان هذا الجيش من حيث قوام القوات والوسائل قادرا على حل مهام مستقلة مع الابتعاد كثيرا عن الجيوش المختلفة الاصناف . وكان هذا الجيش يضم ١٠١٩ دبابة و١٨٨ سيارة مدرعة و ١١٥٠ مدفعا ومدفع هاون و ٤٣ مدفعا صاروخيا و ٦٤٨٩ سيارة .

وكان آلعدو يعتقد بانه لا يمكن للقوات الكبيرة ان تقاتل فى هذا الاتجاه ، ولذلك لم تكن لديه قوات كبيرة هنا . وكانت تلك واحدة من اخطائه . وكان جنود الدبابات الذين ذللوا صعوبات مذهلة لدى عبور سلسلة الجبال قد نفذوا هذه المهمة بنجاح . وكانت الطرق الجبلية المحاطة بالصخور الوعرة والهاويات العميقة مليئة بالمنعرجات الملتوية والمنحدرات الشديدة التى يبلغ انخفاضها وارتفاعها ٣٠ درجة . وفى بعض المناطق كانت تقطع آلطرق وديان

ذات مستنقعات عسيرة العبور حتى بالنسبة للآليات المجنزرة . وعندها كان جنود الهندسة يتقدمون الى الامام ، فيعبدون الطرق بالحزائم والاحجار . وفى المناطق آلتى تقطعها دروب جبلية ضيقة تتساقط من اعاليها الاحجار كان جنود الهندسة يوسعون هذه الدروب بواسطة المتفجرات . وكان هبوط الدبابات على المنحدرات يجرى بواسطة الحبال المعدنية التى تربط كل دبابتين معا . فالدبابة الخلفية تفرمل لكى تجعل الدبابة الامامية تسير ببطء عند الهبوط .

كان جيش دبابات الحرس السادس قد شارك فى كثير من العمليات . فقد اضطر للقتال فى المناطق الجبلية ومناطق الغابات فى رومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا . الا ان الهجوم عبر سلسلة هينغان الكبرى كان اصعب كل شىء .

وفى هذه الظروف ازداد انفاق الوقود آلذى كان من المستحيل تقريبا نقله بواسطة السيارات . وعندها هب لنجدة جنود الدبابات الجيش الجوى آلثانى عشر . فان فرقته الجوية ال ٥٤ وفرقة الحرس الجوية ال ٢١ الخاصتين بالنقليات عملتا فى ظروف الطقس آلمعقد (امطار وضباب) وانعدام العدد الكافى من ساحات الهبوط فنقلتا اثناء العملية اكثر من الفى طن من الوقود . وخلال ثلاثة ايام تقدم جيش الدبابات مسافة ٤٥٠ كيلومترا ، فعبر سلسلة هينغان الكبرى ووصل الى سهل منشوريا الاوسط قبل يومين من الموعد المحدد .

وعلى الجناح الايمن للجبهة ذللت صحراء غوبى قوات مجموعة الخيالة الميكانيكية السوفييتية المنغولية بقيادة الجنرال بلييف . ولم تكن سهوب وصحارى منغوليا قد شهدت ابدا مثل هذا العدد من القوات التى زحفت الى الامام نحو العدو عبر آلتلال الرملية الشبيهة عند هبوب الرياح ببراكين تلفظ دخانا ، وعبر السبخات العديمة الحياة والمغطاة بالنتوءات وعبر السهول التى لا نهاية لها .

وبعد ان قطعت القوات فى الصحراء الوعرة اكثر من ٣٠٠

كيلـــومتر خاضت معركة طاحنـــة فاحتلت دولونـــور فى ١٤ آب (اغسطس) . وتقع هذه المدينة التجارية القديمة على الطرق المؤدية الى البحر الاصفر عبر هينغان الجنوبية .

لقد قاتل المحاربون السوفييت والمنغوليون جنبا الى جنب . وقاتلت وحدات الجيش الثورى الشعبى المنغولى بمهارة فى مختلف الظروف لهذه المنطقة . فالمنغوليون الذين يتحلون بسرعة الحركة والتحمل البدنى تعقبوا القوات اليابانية ووحدات الامير المنغولى ديفان ودخلوا مراكز الاستناد والمدن على اثر العدو .

واعترضت طريق هجوم قوات الجناح الايسر لجبهـة ماوراء البايكال ــ الجيشين التاسع والثلاثين والســـادس والثلاثين ــ مناطق العدو التحصينية الجبارة . وحاصر قسم من قوات الجيش التاسع والثلاثين بقيادة الجنرال اودنيكوف منطقـــة هالون ــ ارشـــان المحصنة . وتوجهت القوات الرئيسية لهذا الجيش مسرعة نحو الممرات عبر هينغان الكبرى . وابدى العدو مقاومة ضارية . فقد احتمى اليابانيون بالمنشآت الدفاعية الخرسانية فى المنطقة المحصنة التى امتدت على طول ٤٠ كيلومترا تقريبا ، وحاولوا بالنـــار والهجمات المضادة ان يوقفوا زحف القوات السوفييتية .

وعندما اخذت القوات الرئيسية للجيش التـــاسع والثـلاثين تتغلغل بسرعة فى منشوريا بعد ان تجاوزت المنطقة المحصنـــة ، بدأت القيادة اليابانية على عجل باتخاذ اجراءات فى محاولـــة لتنظيم هجمات مضـــادة . ونشبت اكثر المعـــارك ضراوة من اجل مدينتى سولون وفانيمياو . فقد صدت هجمات العدو المضـــادة المتعددة . وفى المعارك عند مشارف فانيمياو وحدها فقد اليابانيون ٩٠٠ قتيل و ١١٠٠ أسير . وازيحت القوات الاساسيـــة لفرقـة المشاة اليابانية الـ ١٠٧ ، وتعدادهـــا حوالى ٨٠٠٠ شخص ، الى الجبال شمـــالى فانيميـــاو وطوقت من قبل قوات الجيش التاسع والثلاثين .

كما نشبت أشـــد آلمعارك فى خط هجوم الجيش الســادس والثلاثين بقيـــادة الجنرال لوتشينسكي من اجل احتـلال منطقتى منشوريا ـ شالاينور وهايلار المحصنتين . وابدى العدو مقاومـــة ضارية خصوصا فى منطقة هايلار سعيا منه الى الحيلولة دون اختراق قوات الجيش عبر سلسلة هينغان آلكبرى والوصول الى تسيتسيكار . الا ان محاولات العدو كانت بلا جدوى . فقد طوقت حامية منطقة هايلار المحصنة ، ويزيد تعداد هذه الحاميـــة على ٦٠٠٠ جندى وضابط . وكانت القوات الرئيسية للجيش آلسادس والثلاثين تزحف بصورة لا مرد لها نحو هينغان الكبرى .

وكانت وتيرة هجوم جبهـــة ماوراء البايكال تزداد من يوم لآخر . فقد تجاوزت القوات السوفييتيـــة آلمناطق المحصنـــة على الجناح الايسر من الجبهة وفى وسطها واجتازت المناطق الوعرة تحت وابل من الامطار الغزيرة فانهالت كحمم جبارة على مركز منشوريا . وكان استيلاء قوات الجبهة على الممرات عبر هينغان الكبرى قد حرم اليابانيين من امكانية فرض معارك طويلة الامد فى الجبال .

واتضح منذ الايام الاولى من المعارك تفوق آلقوات السوفييتية معنويا وتكنيكيا على الجيش اليابانى . فلم يعبأ جنود وضباط جبهة ماوراء البايكال بأيـــة صعوبات ، وبذلوا جهودا هائلـــة فهاجموا هينغان الكبرى بكل بسالة وحطموا دفاع العدو مبدين آيات آلرجولة والشجاعة والبطولة .

ونتيجة لهجوم جبهة ماوراء البايكال السريع تم فى ١٤ آب (اغسطس) نهائيا تحطيم قوات آلعدو المدافعة عن الخطوط المتاخمة للحدود . وكان وصول قوات كبيرة من الجبهة فى اليوم الخامس من العملية الى سهل منشوريا الاوسط ، الى اعمـــاق مؤخرة القـوات اليابانية المرابطة فى شمال منشوريا قد احبط كافة خطط القيادة اليابانية بشأن الدفاع عن منشوريا ، وهيأ الامكانيات الفعليـــة لتطويق وتحطيم القوات الاساسية لجيش كوانتون .

اختراق الحزام المدرع

كان على قوات جبهة الشرق الاقصى الاولى فى اتجاه بريموريه ان تخترق مناطق العدو المحصنة الممتدة بشكل حزام من الخرسانة المسلحة على طول خط هجوم الجبهة البالغ ٧٠٠ كيلومتر . وفى الساعة الواحدة من ليلة ٩ آب (اغسطس) عبرت الحدود حتى ٣٠ كتيبة امامية بدون تمهيد مدفعى وهاجمت التحصينات اليابانية . وقد أخذ العدو على حين غرة . ومع ان الحاميات اليابانية استلمت امرا بالاستعداد لصد الهجوم المحتمل ، فلم يكن لديها متسع من الوقت للقيام بعمل ما . وكانت الكتائب الامامية التى رافقتها مجموعات جنود الحدود بمثابة ادلة قد وصلت الى المواقع المطلوبة بالضبط وحطمت منشآت العدو الدفاعية . وقاتلت بنجاح خصوصا الكتيبة الثالثة بقيادة بطل الاتحاد السوفييتى النقيب موسكاليف وهى الكتيبة من فوج المشاة الـ ٧٠٧ التابع لفرقة المشاة الـ ٢١٥ .

واندفعت فى الفجوة التى انفتحت بين نقاط الارتكاز المحطمة المفارز الامامية لفرق مشاة النسق الاول التى ازاحت العدو من اهم الممرات الجبلية ومفترقات الطرق والشعاب فأمنت زحف القوات الرئيسية بدون عراقيل .

ووجهت جبهة الشرق الاقصى الاولى ضربتها الرئيسية فى اتجاه عام نحو مودانتسزيان . وفى هذا الاتجاه حاربت قوات الجيش الخامس والجيش الاول حامل وسام الراية الحمراء . وكان الجيش الاول بقيادة الجنرال بيلوبورودوف قد هجم بقواته الرئيسية عبر سلسلة جبال «بوغرانيتشنى» المغطاة بالغابات . وكانت الطرق معدومة هنا . وزحفت القوات عبر منطقة غابات التايغا الجبلية شاقة طرق الطوابير فى الغابات التى لم تطأها قدم . وفى العاشر من آب (اغسطس) دخلت المفرزة الامامية لفيلق المشاة السادس والعشرين مدينة مولين (باميانتون) رأسا . وصعق العدو لظهور

الدبابات السوفييتية بغتة . وعندما احتل الجيش مدينــة مولين تهيأت له امكانيـــة متابعـــة الهجوم السريع على مودانتسزيان من الشمال الشرقى . وفى تلك الاثناء كانت القوات فى الجنــاح الايمن للجيش قد هاجمت نقاط الارتكاز فى منطقة ميشان المحصنة .

وكانت قوات الجيش الخامس بقيادة الجنرال كريلوف التى هجمت على طول سكة حديد بوغرانيتشنايا ـ هاربين (سكة الحديد الصينية الشرقية سابقا) قد خاضت معارك عنيدة بغية الوصــول عبر شعب جبلى ضيق الى مودانتسزيان التى هى مفترق طرق هام يشرف على الطرق المؤدية الى هاربين وغيرين وتشانشون . وفى ١٤ آب (اغسطس) خاضت قوات الجيش الاول والجيش الخامس المعارك فى النطاق الدفاعى الخارجى حول مودانتسزيان .

وكانت قوات جبهة الشرق الاقصى الثانية التى دعمتها سفن اسيطيل آمور الحربى قد عبرت نهرى آمور واوســورى بنجــاح وتابعت الهجوم باتجاه هاربين ، حيث وجهت ضربة من الشمال كملت ضربات جبهتى ماوراء البايكال والشرق الاقصى الاولى .

وبدأ اسطول المحيط الهادى العمليات الحربية فى نفس الوقت الذى بدأت به عمليات القوات البرية . وفى ليلة ٩ آب (اغسطس) وجهت طائرات الاسطول والزوارق النسافة ضربة الى السفن اليابانية والى الدفاع الساحلى وغير ذلك من المواقع الهامة فى موانىء كوريا الشمالية . ولم تتوقف الضربات فى الايام التالية ايضا . ونتيجة لذلك اصاب الخلل بعد وقت قصير دفاع العدو من جهة البحر . وتهيأت الظروف للانزال فى موانىء كوريا (يوكى وراسين وسيسين وغينزان) ولتنشيط العمليات الحربية لتحرير سخالين الجنوبية وجزر كوريل .

وفى ١٤ آب (اغسطس) اعلنت الحكومة اليابانية عن قبولها بشروط الاستسلام دون قيد او شرط . ولكن ذلك كان مجرد بيان اعلامى ، وذلك لانه لم يصدر الى القوات امر بوقف المقــاومة ، بينما انتقلت القوات اليابانية فى كثير من المناطق الى الهجمــات

المضادة محاولة ايقاف هجوم القوات السوفييتية . ففى ١٤ آب (اغسطس) بالذات نشبت فى قطاع جبهة الشرق الاقصى الاولى معارك شديدة من اجل مدينة مودانتسزيان . وحشد العدو فى هذه المنطقة القوات الاساسية للجيش الخامس ، وكذلك احتياطى الجبهة الاولى ، وابدى مقاومة عنيدة اعتمادا على المنشآت التحصينية . وطوال يومين خاضت قوات الجيش الاول والجيش الخامس معارك حامية على مشارف مودانتسزيان ، فصدت الهجمات المضادة المتكررة لمشاة ودبابات العدو . وفى ١٦ آب (اغسطس) اخترقت هذه القوات دفاع العدو وعبرت نهر مودانتسزيان واستولت على المدينة . وفقد العدو فى المعارك على مشارف المدينة حوالى ٤٠ الف جندى وضابط قتيل.

وبعد احتلال مدينة مودانتسزيان شن الجيش الاول هجوما على هاربين ، بينما شن الجيش الخامس هجوما على غيرين . واستولى الجيش الخامس والثلاثون بقيادة الجنرال زاخفاتايف على مدينة بولى فأمن بذلك عمليات المجموعة الضاربة من الشمال . وتابع الجيش الخامس والعشرون بقيادة الجنرال تشيستياكوف هجوم قواته الاساسية السريع باتجاه فانتسين ودونهوا وغيرين ، بينما تابعت تشكيلات الجناح الايسر لهذا الجيش تحرير كوريا الشمالية .

ولدى هبوط قوات الانزال فى موانىء كوريا ابدى بسالة متناهية بحارة مفرزة الاستطلاع الـ ١٤٠ لدى هيئة اركان اسطول المحيط الهادى . وأمنت هذه المفرزة استطلاعات دقيقة وهبوط قوات الانزال الرئيسية فى سيسين . ومنح قائد المفرزة الملازم الاول ليونوف نجمة بطل الاتحاد السوفييتى الذهبية للمرة الثانية .

وكانت عملية الانزال فى سيسين اكبر عملية مستقلة اجراها اسطول المحيط الهادى فى فترة تحرير موانىء كوريا الشمالية . وادى الاستيلاء على سيسين الى الاخلال بخطوط مواصلات اليابان التى تربط جيش كوانتون بالدولة الاستعمارية (اليابان) عبر كوريا الشمالية ، واثر ذلك بدوره تأثيرا كبيرا على التعجيل باستسلام قوات العدو .

وفى ١٥ آب (اغسطس) وصلت قوات جبهة ماوراء البايكال فى كافة الاتجاهات الى سهل منشوريا الاوسط ، بينما تابعت القوات الرئيسية لجيش دبابات الحرس السادس الهجوم على موكدين وتشانشون . وفى قطاع جبهة الشرق الاقصى الثانية بدأت القوات اليابانية الانسحاب باتجاه هاربين .

وعزز اسطول المحيط الهادى مواقعه على سواحل كوريا الشمالية . وسيطر سلاح الجو السوفييتى كليا على اجواء المنطقة .

استسلام العدو

فى السابع عشر من آب (اغسطس) اصبح واضحا تماما ان جيش كوانتون منى بهزيمة تامة . فخلال تسعة ايام من العمليات الحربية تم تدمير وتشتيت حوالى ٣٠٠ الف من القوات اليابانية المرابطة فى المنطقة المحاذية للحدود . وفقد العدو حوالى ٧٠ الف قتيل ، وطوق قسم من قواته فى تحصينات الحدود ، اما القوات الباقية فقد انداحت بكل اضطراب الى اعماق منشوريا وكوريا . وبعد ان اقتنعت قيادة جيش كوانتون بعدم جدوى المقاومة وفقدت زمام ادارة القوات اضطرت الى اصدار امرها بوقف العمليات الحربية فى ١٧ آب (اغسطس) .

وكان التدمير الخاطف لجيش كوانتون امرا مفاجئا تماما بالنسبة للقيادة العسكرية الانكلواميركية . فالاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا كانت تأمل بان الحرب بين الاتحاد السوفييتى واليابان ستمتد الى امد طويل وستضعف الاتحاد السوفييتى وتهيىء الامكانية للاتفاق مع الاوساط الحاكمة فى اليابان .

ولغرض تحديد انتصار الاتحاد السوفييتى على اليابان والاستيلاء على رأس جسر فى اراضى منشوريا اصدر الرئيس الاميركى ترومان فى ١٣ آب (اغسطس) امره الى قائد الاسطول

الاميركى فى المحيط الهادى الاميرال نيميتس بان يحتل ميناء دايرين قرب بور ارثور «قبل ان يدخله الروس» . ولم يجرؤ الاميرال على القيام بهذه المغامرة ، فاعلن بان الاستيلاء على هذا الميناء يمكن ان يؤدى الى ما لا تحمد عقباه فى العلاقات مع الروس . ولم يرد فيما بعد تأكيد على ذلك الامر . فحكومة الولايات المتحدة الاميركية لم تخاطر بنسف وخرق التزامات التحالف .

واعتبارا من ١٨ آب (اغسطس) بدأت القوات اليابانية فى بعض المناطق الاستسلام الى الاسر . الا ان كثيرا من مجموعات العدو اما انها لم تعرف ببداية الاستسلام واما انها ماطلت فيه عمدا. وفى هذه الظروف اكتسبت سرعة الهجوم اهمية كبيرة خاصة . واتخذ قرار باستخدام الانزال الجوى لاحتلال المدن الكبرى . وصدر فى الوقت ذاته امر بانجاز دحر مجموعات العدو المحاصرة . ولم تنته المعارك الا فى ٢٠ــ٢٢ آب (اغسطس) . علما بان حامية عقدة المقاومة فى هوتو البالغ تعدادها ٢,٥ــ٣ آلاف جندى وضابط قد دمرت كليا بسبب رفضها القاء السلاح . وزحفت القوات الرئيسية للجبهات الى الامام بكل سرعة . ومن ١٨ الى ٢٤ آب (اغسطس) جرت عمليات انزال جوى فى مدن تشانشون وهاربين وغيرين وبيونغ يانغ ودالنى وبور ارثور وغيرها . ودخلت القوات السوفييتية اهم مدن منشوريا وكوريا الشمالية .

وفى وقت تحطيم القوات الرئيسية لجيش كوانتون فى القسم القارى خاضت القوات السوفييتية العمليات الحربية فى سخالين وجزر كوريل . وانيطت مهمة تحرير القسم الجنوبى من سخالين بفيلق المشاة السادس والخمسين من الجيش السادس عشر بقيادة الجنرال تشيريميسوف ، وبسفن وقطعات اسيطيل المحيط الهادى الشمالى بقيادة الاميرال اندرييف .

وكانت القيادة اليابانية فى سخالين قد انشأت لفترة طويلة قبل الحرب منطقة خاروميتوغ المحصنة والتى تشرف على الطرق المؤدية

من القسم الشمالى للجزيرة الى قسمهـــا الجنوبى . وكانت الجبال المغطاة بالغابات وتحصينات العدو الجبارة تعترض طريق القوات . وحتى السادس عشر من آب (اغسطس) ذللت قطعات فيلق المشاة السادس والخمسين مقاومة العدو الشديدة ، فطوقت حامية المنطقة المحصنة وشنت المعارك لدحرها . وفى تلك الاثناء بدأ انزال البحارة على الساحل الغربى . وتم دحر العدو بالجهود المشتركة . وحتى ٢٥ آب (اغسطس) تم نهائيا أسر بقايا مجموعة العدو فى جنوب سخالين .

وعند فجر ١٨ آب (اغسطس) بدأت القوات بقيادة الجنرال غنيتشكو وبالتعـــاون مع سفن وقطعـــات الاسطول بقيـــادة العقيد البحرى بونوماريوف بالانزال فى جزيرة سوموسو وهى اقصى جزيرة من جزر كوريل شمالا . وكانت قوات الانزال تضم قطعات فرقة المشاة الـ ١٠١ ووحدات البحارة وجنود الحدود .

وكان اليابانيون قد انشأوا على جزيرة سوموسو دفاعا قويا مضادا للانزال . فقد كان على الجزيرة ٥٨ منشأة خرسانية مسلحة بالمدافـــع والرشاشات وحتى ٤٠ كيلومترا من الخنادق المضادة للدبابـــات . واعدت لافـــراد القوات مخابىء تحـــت الارض ومستودعات للذخيرة . وكانت حاميـــة الجزيرة تتكون من ست كتائب تابعة للواء المشاة الثالث والسبعين ، وهى مسلحة بـ ٢٧٥ رشاشا و ٩٨ مدفعا و ٦٠ دبابة .

وابدى العدو مقاومة ضارية . ونشبت معارك شديدة من اجل المرتفع ١٧١ وهو نقطة ارتكاز هامة فى القسم الشمالى الشرقـــى من الجزيرة .

وحتى اواخر ٢١ آب (اغسطس) اخمدت مقاومة العدو . وحتى الاول من ايلول (سبتمبر) كانت كافة جزر سلسلة كوريل فى ايدى الجيش الاحمر .

وساهم بحارة اسطول المحيط الهادى مساهمة مرموقة فى

قضية الانتصار على العدو . وكان الاستيلاء على الموانىء والقواعد البحرية الحربية فى كوريا الشمالية والانزال فى سخالين الجنوبية وجزر كوريل قد لعبـــا دورا هاما جدا فى قمع وتدمير القوات اليابانية والتعجيل فى استسلامها .

وحتى اواخر آب (اغسطس) كانت القوات الاساسية للعدو فى القسم القارى وفى سخالين وسلسلة جزر كوريل قد كفت عموما عن المقاومة المنظمة . وفى ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٤٥ حيـــت موسكو الانتصار الذى تم احرازه فى الشرق الاقصى .

كانت حصيلة عمليات القوات المسلحة السوفييتية فى الشرق الاقصى هى الاندحار التام للقوات اليابانية واستسلامها . وبلغت خسائر العدو حتى ٧٠٠ الف جندى وضابط ، ومنهم حوالى ٨٤ الف قتيل و٥٩٤ الف اسير . ولم تستطع الخلاص من الأسر الا قوات الجبهة السابعة عشرة التى انسحبت الى ما وراء خط العرض ٣٨ فى منطقة كوريا . واستولت القوات السوفييتية على القسم الاكبر من معدات العدو الحربية .

وكان دحر الجيش الاحمر للقوة الضاربة الرئيسية لليابان الامبريالية ، نعنى جيش كوانتون ، وفقدان اهم قواعد اقتصادية فى منشوريا وكوريا قد اضطرا الحكومة اليابانية على توقيع صك الاستسلام دون قيد او شرط فى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ .

واعترف العالم بأسره بالمساهمة الحاسمة للاتحاد السوفييتى فى دحر اليابان الامبريالية . ففى يوم انتقال قواتنا الى الهجوم اعلن رئيس وزراء اليابان سودزوكى فى جلسة المجلس العسكرى الاعلى ان دخول الاتحاد السوفييتى الحرب « يجعلنا كليا فى مأزق لا مخرج منه ويجعل استمرار الحرب امرا مستحيلا » . وكتب القائد السابق للقوات الجوية الاميركية فى الصين « ان دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ضد اليابان كان عاملا حاسما عجـــل فى انهاء الحرب فى المحيط الهادى . . . » .

لقد ساعد اندحار اليابان الشعوب الصينى والكورى والفيتنامى فى انجاز نضال التحرر الوطنى المظفر ، وكان دافعا للنهوض العاصف الجديد لحركة التحرر الوطنى فى بلدان آسيا .

وكان الجيش الاحمر بانتصاره على القوات المسلحة اليابانية قد دافع عن كرامة الوطن واعاد اليه الاراضى الروسية الاصيلة — سخالين الجنوبيـــة وجزر كوريل التى اغتصبت فى الماضى غدرا . وكانت استعادة هذه الجزر قد حسنت كثيرا امكانيات تنظيم الدفاع عن الشرق الاقصى السوفييتى . فقد اصبحت للقوات البحريـــــة السوفييتية مخارج مأمونة مضمونة الى المحيط الهادى .

وابدى المحاربون السوفييت مهارة عسكرية عالية وبسالة وبطولة شاملة وحبا متفانيا لوطنهم الاشتراكى . وتقديرا للمآثر الحربية منح اكثر من ٣٠٨ آلاف جندى وضابط اوسمة وميداليات الاتحاد السوفييتى ، ومنح ٨٧ محاربا لقب بطل الاتحاد السوفييتى ، كما منح ٦ محاربين النجمة الذهبية للمرة الثانية . وفى ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ استحدثت بناء على مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى ميدالية «الانتصار على اليابان» .

ولقد وضع انتصار القوات المسلحة السوفييتية فى الشرق الاقصى حدا للحرب العالمية الثانية . وسجل الجيش الاحمر صفحة جديدة فى تاريخه المجيد .

الانتصار العظيم للقوات المسلحة السوفييتية

الحصيلة المجيدة للكفاح المرير

انتهت بالنصر التام للشعوب المحبة للسلام الحرب العالمية الثانية التى اعدتها الاوساط الحاكمة فى الدول الامبريالية الكبرى وشنتها المانيا الفاشية فى الغرب واليابان العسكريـــة فى الشرق . وطوال ست سنوات اهتزت الكرة الارضية من هدير المدافع وتفجر القذائف والقنابل وصرير جنازير الدبابات ، وكانت تستمع بارتعاب

الى عواء صفارات الانذار . وشملت الحرب كافة بلدان العالم تقريبا وجرت ملايين الناس الى المجزرة الدموية . وجرى الاشتباك الطاحن فوق سطح الارض وفى باطنهـــا وفوق سطـــح الماء وتحته وفى الاجواء . وتشققت مساحات هائلـــة على الارض بشكـــل خنادق وحفر ، وتغطت بآثار الحرائق والدمار . واضطر الشعب السوفييتى الى خوض الحرب طوال اكثر من اربـــع سنوات متحملا العبء الرئيسى للنضال ضد الفاشية ومقدما اكبر التضحيات . وها هـــو اخيرا السلام الذى طال انتظاره ، وها هى البشرية تعود الى العمل البناء المبدع .

ان فى دروس التاريخ عبرة لمن يفقهون . فالحرب قد جرت ووضعت اوزارها ليس بالشكل الذى اراده اسيـــاد الاحتكارات الرأسمالية . فهؤلاء الاسياد الموحدون فى حقدهم الطبقى على اول دولة فى العالم للعمال والفلاحين حاولوا بكافة السبل القضاء على هذه الدولة . فامبرياليو الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا ساعدوا على تغذية الفاشية فى المانيا وشجعوا شهيـــة الغـــزو والاغتصاب لدى العسكريين فى اليابان . وقد حرضوا باستمرار هذين البلدين اللذين هما اكثر البلدان عدوانية ضد الاتحاد السوفييتى محاولين عن طريقهما خنق اول دولة اشتراكية فى العالم وانقاذ النظام الرأسمالى من الهلاك ، واضعاف مزاحميهم فى الوقت ذاتـــه وازاحتهم من اسواق العالم .

الا ان الامور جرت على غير ذلك . فقد اتضح ان المانيـــا الفاشية واليابان العسكرية اكثر جشعـــا مما تراءى للبعض . اذ كانتا تنزعان الى السيطرة على العالم بأنفسهما ، ولم تكونا راغبتين فى اقتسام السلطة على العالم مـــع احد ما . ولغرض تحقيق هذه الاهداف قهرت المانيا فى البداية عددا من البلدان الرأسمالية ، ثم هجمت على الاتحاد السوفييتى . ووجهت اليابان ضربة الى الولايات المتحدة الاميركية .

وكانت الحرب التى فرضتها الفاشية الالمانية على الدولة السوفييتية اكبر اشتباك حربى للاشتراكية مع قوى الامبريالية الضاربة . وكانت هذه الحرب الجزء الحاسم الاهم فى الحرب العالمية الثانية . وبالنسبة للاتحاد السوفييتى كانت تلك حرب الشعب بأسره ، حربا تحررية عادلة . واصبحت حربا وطنية عظمى للشعب السوفييتى من اجل حرية واستقلال الوطن الاشتراكى ، من اجل الاشتراكية .

وكانت الحرب الوطنية ترمى الى تحقيق هدف نبيل هو الدفاع عن حرية واستقلال شعوب الاتحاد السوفييتى وتحطيم الفاشية الالمانية ونجدة شعوب اوروبا وآسيا فى نضالها من اجل التحرر من العبودية الفاشية والاستعمارية .

لقد كانت الحرب الوطنية العظمى اقسى واصعب حرب خاضتها بلاد السوفييت . ففى خضم الصراع الشديد الطاحن كان ابناء الشعب السوفييتى البطل وافراد قواته المسلحة بقيادة وتوجيه الحزب الشيوعى اللينينى قد دافعوا عن حرية واستقلال وطنهم ومكتسبات ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وانتهت الحرب الوطنية العظمى بالانتصار التام للاتحاد السوفييتى وقواته المسلحة . ودحرت الفاشية . واستسلمت دون قيد او شرط الجيوش الالمانية الفاشية المحطمة . وتم دحر اليابان العسكرية كذلك . ونزل العقاب الحق بمجرمى الحرب الرئيسيين وتم انقاذ الحضارة البشرية من طاعون الفاشية .

وبنتيجة انتصارات القوات المسلحة السوفييتية على المانيا الفاشية واليابان العسكرية توطدت مكانة الاتحاد السوفييتى فى العالم وتعززت سلامة حدوده فى الغرب والشرق . وتوحدت كليا اراضى جمهوريات بيلوروسيا واوكرانيا ومولدافيا التى جمعت شعوبها فى اسرة واحدة . وتحقق الحلم الذى راود هذه الشعوب منذ الازل . واستعاد الشعب الليتوانى مقاطعة كلايبيدا التى اقتطعتها

منه المانيا الفاشية قبل الحرب . وانضمت الى الاتحاد السوفييتى دائرة كينيغسبيرغ من مدينة كينيغسبيرغ (كالينينغراد حاليـــا) التى هى ميناء كبير على بحر البلطيق . وحسب معاهدة الصلح مـــع فنلندة استعاد الاتحاد السوفييتى منطقة بيتشينغـــا الروسية فى الشمال مع ميناء بيتشينغـــا الواقع على بحر بارينتس والذى لا تتجمد مياهه ، كما تم تثبيت الحدود الجديدة التى ابتعدت شمالى لينينغراد عند برزخ كاريليا . وفى الشرق الاقصى استعاد الاتحاد السوفييتى سخالين الجنوبيـــة وجزر كوريل التى امنت للاسطول السوفييتى مخرجا الى المحيط الهادى والتى تمثل قاعدة مأمونـــة للدفاع عن الحدود السوفييتية فى الشرق الاقصى .

لقد اتسم انتصار القوات المسلحة السوفييتيـــة فى الحرب الوطنية العظمى بأهمية تاريخية عالمية . فقد اثر هذا الانتصار اعمق التأثير على السير اللاحق لتطور المجتمع البشرى . فالقوات المسلحة السوفييتية عندما دافعت عن وطنها حلت مهمة ليست وطنية فقط . وان اساس وجوهر وطنية الشعب السوفييتى يكمنان فى ارتباطها الذى لا ينفصم مع الاممية الاشتراكية . وكانت من اعظم مهام الجيش الاحمر مساعدة شعوب اوروبا وآسيا فى تحررها من العبوديـــة والاضطهاد الفاشى . واذ نفذ الجيش الاحمر واجبه الاممى واعتمد على مساعدة شعوب اوروبا وآسيا لعب دورا حاسما فى تخليص شعوب النمسا والبانيا وبلغاريا والمجر والنرويج وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيـــا من الاحتلال الفاشى وساعد على تحريـــر شعوب البلدان الاخرى . وقدم الجيش الاحمـــر بدحره الفاشية الالمانية مساعدة الى شعب المانيا ايضا . فقد وضع اساس تكوين جمهورية المانيا الديموقراطية المحبة للسلام والتى سلكت طريق بناء الاشتراكية . وكان دحر الامبريالية اليابانية وتحرير شمال شرقى الصين وكوريا من الغزاة اليابانيين قد مهدا الظروف

لانتصار الثورة الشعبية والنظام الشعبى الديموقراطى فى الصين وكوريا الشمالية وفييتنام .

لقد اسفرت الحرب العالمية الثانية عن نتائج لم يتوقعها الامبرياليون . فقد هزت من الاساس كامل نظام الامبريالية وغيرت وجه العالم تغييرا جذريا . فبدلا من القضاء على الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم ، كما كان يحلم الامبرياليون ، اسفر انتصار القوات المسلحة السوفييتية عن تعزيز قوى الاشتراكية والديموقراطية فى العالم ، وعن اضعاف مواقع الامبريالية والرجعية . واتضح ان الامبريالية عاجزة عن قطع الطريق على تزايد نشاط القوى الثورية والتحولات الديموقراطية واقامة النظام الديموقراطى الشعبى فى عدد من بلدان اوروبا وآسيا . وخرجت الاشتراكية عن اطار بلد واحد . وتكونت المنظومة الجبارة للدول الاشتراكية .

ونتيجة لانتصار القوات المسلحة السوفييتية على جيشى المانيا الفاشية واليابان العسكرية تفاقمت بشدة ازمة نظام الامبريالية الاستعمارى العالمى . وانتشر على نطاق واسع نضال التحرر الوطنى لشعوب البلدان المستعمرة والتابعة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . وبعد عام ١٩٤٥ احرزت الاستقلال السياسى بلدان كثيرة كانت تعانى طوال القرون من العبودية الاستعمارية . واختار العديد من هذه البلدان اكثر طرق التطور تقدمية ، الا وهو طريق بناء الاشتراكية .

وساعد الكفاح ضد الفاشية والامبريالية على تنامى الوعى الطبقى لدى الشغيلة ، وزاد من سمعة ونفوذ الاحزاب الشيوعية والعمالية التى كانت المنظم والموحى والقائد الاكثر ثباتا وبطولة لمقاومة الفاشية وللنضال ضد المضطهدين الاجانب . وتجلى ذلك فى تزايد عدد الاحزاب الشيوعية والعمالية من ٤٣ حزبا فى عام ١٩٣٩ الى ٧٦ فى عام ١٩٤٦ .

مساهمة الجيش الاحمر الحاسمة

لقد تم احراز النصر على المانيا الفاشية واليابان العسكرية بالجهود المشتركة لجيوش دول الائتلاف المعادية للهتلرية ، وكذلك كافة الشعوب المناضلة ضد الغزاة واعوانهم . وساهمت مساهمة كبيرة فى قضية الانتصار على العدو المشترك شعوب الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا . والى جانب القوات السوفييتية خاضت المعارك الباسلة ضد الغزاة الفاشست التشكيلات العسكرية التابعة لبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا . ولدى دحر اليابان الامبريالية قاتلت الى جانب المحاربين السوفييت قوات الجيش الشعبى الثورى المنغولى وجيش التحرير الشعبى الصينى والانصار الكوريون .

الا ان ابناء الشعب السوفييتي وافراد قواته المسلحة هم الذين لعبوا الدور الحاسم فى انهاء الحرب نهاية مظفرة ، وهم الذين تحملوا عبء النضال الاساسى . وطوال الحرب كلها كانت الجبهة السوفييتية الالمانية هى الجبهة الرئيسية الحاسمة . وعلى مآل الصراع فى هذه الجبهة كان يعتمد مصير بلدان وشعوب كثيرة . وكانت هذه الجبهة انشط من جميع الجبهات الاخرى . وفيها تركزت اكبر كمية من قوات ووسائل الطرفين المتحاربين . ولا مجال لمقارنتها مع اى حدث جرى فى المناطق الاخرى من العالم من حيث حدة ونطاق الصراع واستمرارية العمليات الحربية بلا انقطاع وكمية الخسائر .

وطوال ثلاثة اعوام خاضت القوات المسلحة السوفييتية صراعا شديدا مع ائتلاف عدوانى قوى جدا للدول الامبريالية وفى مقدمتها المانيا الفاشية . وخاضت هذه القوات القتال وحدها وجها لوجه وبدون جبهة ثانية فى اوروبا ، وتلقت كامل شدة ضربات جيوش العدو . وفى هذه الفترة كان اكثر من ٧٠٪ من العدد الاجمالى

للقوات المسلحة الالمانية المحاربة موجودا فى الجبهة السوفييتية الالمانية .

وتكبد الاتحاد السوفييتى فى القتال ضد الفاشية اكبر عدد من التضحيات بالارواح واكبر كمية من الخسائر الماديـــة . فالقوات الهتلرية دمرت على الارض السوفييتية ١٧١٠ مدن واكثر من ٧٠ الف قرية وبلدة ونسفت واحرقت ٣٢ الف مؤسســـة صناعيـــة . وفقدت البلاد حوالى ٣٠٪ من ثرواتها الوطنية . وهلك اكثر من ٢٠ مليون مواطن سوفييتى فى سوح المعارك وتحت انقاض المدن والقرى وبرصاص الاعدام فى الاراضى المحتلة وتحت التعذيب فى معسكرات الاعتقال . ان اية دولة رأسماليـــة لم يكن بمقدورها الصمـــود لو تكبدت مثل هذه الخسائر الهائلة . اما الاتحاد السوفييتى فقد تحمل هذه المحنة الفظيعة واحرز النصر .

وبعد الحرب كتب الفيلدمارشـــال البريطانى مونتجمرى فى مذكراته يقول بشأن تقييم مشاركة الاتحاد السوفييتى فى الحرب : «حققت روسيا مأثرة حربيـــة عظمى ... فعندما كانت بريطانيـا والولايات المتحدة تستجمعان القوى كانت الجيوش الالمانية تحرق وتنهب وتقتل فى الاراضى الروسية مخلفة الدمار الفظيع والضحايا البشريـــة التى لا تعد ولا تحصى ... لقد تلقت روسيـــا فى الصراع القاسى لوحدها تقريبا مع الجيوش الهتلرية المهاجمـــة كامل شدة الضربة الالمانية وصمدت . اننـــا ، الانجليز ، لن ننسى ابدا مأثرة روسيا» .

ولم تفتح حكومتا الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا الجبهة الثانيـــة فى اوروبا الا فى حزيران (يونيو) ١٩٤٤ بعد ان اصبحت واضحة للعيان كليا هزيمة المانيا الهتلرية وشركائها . ولكنه حتى بعد ذلك كانت قوات العدو الرئيسية تشن العمليات الحربية ضد الجيش الاحمر. علما بانه قاتلت على الجبهة السوفييتية الالمانية اكثر قوات العدو قدرة على القتال وافضل معداته الحربية . اما الفرق التى ظلت

فى اراضى المانيا وفى البلدان المحتلة فقد كانت فى الواقع احتياطيا للعمليات ضد القوات السوفييتية . واضطر الحلفاء الى الاعتراف بان القوات الاساسية للجيوش الفاشيـــة شنت المعارك على الجبهـــة السوفييتية الالمانية . وبعد افتتاح الجبهة الثانية كتب شرشل فى رسالة الى ستالين بتاريخ ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ يقـــول : «انتهز الفرصة لكى اكرر غدا فى مجلس العموم ما قلته سابقا من ان الجيش الروسى بالذات هو الذى بقر بطن الآلة الحربية الالمانية ، وهو يحتجز الآن فى جبهته القسم الاكبر من قوات العدو بما لا يدع مجالا للمقارنة» . ومما يؤسف له ان شرشل اخذ فيما بعد يشوه دور الجيش الاحمر فى احراز النصر ويزوّر الوقائع التاريخية عمدا.

ومن الادلة الهامة على الدور الحاسم للاتحـــاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ان القسم الاساسى من القوات البرية والجوية لالمانيا الفاشية كان قد دمره الجيش الاحمر. فخلال سنوات الحرب تم على الجبهة السوفييتية الالمانية دحر ٦٠٧ فرق وتحطيم ١٦٧ الف مدفع و٤٨ الف دبابة وحتى ٧٧ الف طائرة واكثر من ١٦٠٠ سفينة حربية وسفينة نقل معادية . وفقدت المانيـــا الفاشيـــة فى الحرب ١٣٦٠٠٠٠٠ قتيل وجريح وأسير ، بمن فيهم ١٠ ملايين جندى وضابط على الجبهة السوفييتية الالمانية . بينمـــا دحرت القوات الانكلواميركية وأسرت فى شمال افريقيا وايطاليا واوروبا الغربية ١٧٦ فرقة معادية . وساهم الجيش الاحمر مساهمة حاسمة كذلك فى قضية الانتصار على اليابان الامبريالية حيث حطم القوة الضاربة الاساسية لدى جيشها البرى ــ جيش كوانتون .

هذه هى الحقـــائق التى تنثر ادراج الرياح المزاعم الكاذبـــة للمؤرخين الرجعيين الذين يحاولون التقليل من شـــأن دور الشعب السوفييتى وقواته المسلحة فى دحر ائتلاف الدول الفاشيـــة . ان البشرية التقدمية لن تنسى ابدا المأثرة العسكرية العظمى التى حققها المحاربون السوفييت ودورهم الحاسم فى انقاذ الحضارة من البربرية الفاشية .

تجلت القوى الجبارة للشعب السوفييتى المحب للحرية بكامل الاتساع فى الحرب الدموية القاسية . وكان بعض الساسة الاوروبيين الغربيين الذين لم يثقوا بمتانة النظام السوفييتى وقوة الشعب السوفييتى قد بنوا اكثر من مرة فى فترة الصراع العصيبة تقديراتهم وآمالهم على اضعاف الاتحاد السوفييتى وعلى المنافع التى سيحصلون عليها من وراء ذلك . الا انه لم تتحقق حسابات الاوساط الامبريالية التى قدرت بان الاتحاد السوفييتى سيعود بسبب هذه الحرب الى الوراء بعيدا فى تطوره وسيقع فى تبعية للبلدان الرأسمالية . فقد ابدى الشعب السوفييتى طوال الحرب رباطة جأش عظيمة وتفانيا وذلل كافة الصعوبات التى نجمت اثناء سير الحرب واحرز انتصارا تاريخيا عالميا .

ان انتصار الدولة السوفييتية فى الحرب ضد اكثر الدول الامبريالية رجعية هو نتيجة حتمية لمتانة وحيوية النظام الاجتماعى والحكومى الاشتراكى وافضلياته العظمى على النظام الرأسمالى . واتضح ان الدولة السوفييتية المبنية على اساس التحالف الذى لا ينفصم بين الطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين وعلى الصداقة بين الشعوب السوفييتية اقوى وامتن دولة فى العالم بأسره . ولم يكن النظام السوفييتى افضل شكل لتنظيم النهوض الاقتصادى والثقافى للبلاد فى سنوات البناء السلمى فحسب ، بل وافضل شكل لتعبئة كافة قوى الشعب للدفاع عن الوطن اثناء الحرب .

ومن المعروف ان المانيا الفاشية كانت تمتلك حتى فترة الهجوم على الاتحاد السوفييتى قدرة حربية هائلة : اقتصادا جبارا وجيشا هائلا يتحلى بخبرة خوض الحرب الحديثة . واستخدمت المانيا الفاشية الصناعة واغنى الموارد الطبيعية فى البلدان المستعبدة والتابعة لها . ونتيجة للهجوم المباغت لالمانيا الهتلرية

على الاتحاد السوفييتى استطاعت ان تستولى فى السنــة الاولى من الحرب على مناطق سوفييتية هامة من الناحية الاقتصادية . ونتيجة للخسائر الهائلة اضطرت بلاد السوفييت قبل عام ١٩٤٤ ان تخوض النضال فى ظروف غير ملائمة ، حيث لم تكن تتصرف تصرفا كاملا بقدرتها الاقتصادية ، وحيث تنتج الانواع الاساسيــة من الخامات (الحديد الصب والفولاذ والصفائح والفحم) بأقل مما تنتجه المانيــا الفاشية بـ ٣ ــ ٥ أضعاف .

وبالرغم من ذلك استطاع الاتحاد السوفييتى بفضل ميزات الاقتصــــاد الاشتراكى المبرمج والعمل المتفانى للشعب السوفييتى بأسره ان يؤمن اثناء الحرب نموا مستمرا لانتاج السلاح والتكنيك الحربى ، وان يتجاوز المانيا الفاشية من هذه الناحية .

ومن منابع الانتصار فى الحرب ارتفــاع معنويات المواطنين السوفييت الاحرار والتفـــاف الشعب حول الحزب اللينينى وحبــه لوطنه . وانعكست الوطنية السوفييتية الخلاقة فى بطولة المواطنين السوفييت الشاملة فى سوح القتال وفى الصناعة والزراعــة . وهب الشعب السوفييتى بأسره كرجل واحد للدفاع عن وطنه .

وكان من اهم شروط تحقيق النصر فى هذه الحرب العصيبــة جدا التنظيم الصائب لادارة الدولة وقيادة النضال المسلح . وامنت لجنة الدولة للدفاع برئاسة ستالين وحدة القيـــادة السياسيــة والعسكرية . وساعد تركيز السلطة كاملة فى هذه الهيئة على النجاح فى تعبئة جهود المنظمات الحزبية والسوفييتيــة والاقتصاديــة والعسكرية والثقافية وكافة الموارد الاقتصادية والبشرية لخوض الحرب وبلوغ النصر. وكانت الادارة العسكرية العليا بيد مقر القيادة العامة العليا الذى قاد القوات المسلحة بصلابة ومهــارة عن طريق هيئة الاركان العامة .

لقد كللت القوات المسلحة السوفييتية راياتهــا بمجد لن يذوى ابدا . وعرض المحاربون السوفييت امام العالم كله سماتهم

الخلقية والسياسية والعسكرية وبسالتهم وشجاعتهم التى لا نظير لها . واشاد الوطن باعمق الامتنان ببسالة ابنائه البررة . وتقديرا للمآثر فى الحرب منح اكثر من ٧ ملايين شخص الاوسمة والميداليات، ومنح لقب بطل الاتحاد السوفييتى السامى ١١٦٠٣ محاربين بمن فيهم ٨٦ امرأة . ومنح اكثر من ٢٢٠٠ شخص وسام المجد من كافة الدرجات . وتقديرا للعمليات الحربيـــة الناجحـــة الماهرة منحت ١٠٩٠٠ وسام لقطعات وتشكيلات الجيش والاسطول . ويشتعل لهيب شعلة المجد الخالدة عند ضريح الجندى المجهول قرب جدار الكريملين فى موسكو رمزا للمؤاســاة العظمى ورمزا للحب الذى لا ينطفئ وذكرى امتنان الوطن على المأثرة الخالدة التى حققها ابناؤه وبناته الشهداء فى سنوات الحرب .

ان العمل المتفانى للمواطنين السوفييت العمال والكولخوزيين والمثقفين والنساء والشباب فى المؤخرة دخل صفحات تاريخ البلاد الى جانب الكفـــاح البطولى للجيش الاحمر كمأثرة فريدة للشعب بأسره . وكان شعار الحزب «كل شىء من اجل الجبهة ، كل شىء مـــن اجل النصر !» قاعدة لنشاط المواطن السوفييتى وحياتـــه اليومية . وبفضل الجهود البطولية للشغيلـــة السوفييت تم طوال الحرب تأمين تزويد القوات المسلحة بكل ما تحتاج اليه ، وانتجت الصناعة معدات حربية تزيد بحوالى الضعفين عما انتجته المانيا الهتلرية . واعرب الوطن عن امتنانه على العمل البطولى فى سنوات الحرب بمنح اكثر من ١٦ مليون سوفييتى ميدالية «العمل المجيد اثناء الحرب الوطنية العظمى» .

وكانت حركة الانصار التى انتشرت على نطاق واسع فى مؤخرة العدو واتسمت بطابع جماهيرى منظم دعما كبيرا للجيش الاحمر . فالمواطنون السوفييت المندفعون بالمشاعر الوطنية العميقة والحقد الغاضب على الغزاة الفاشست خاضوا نضال الانصار المقدس المتفانى تحت قيادة المنظمات الحزبية السرية فالحقــوا بالعدو خســـائر

جسيمة وخلقوا امامه ظروفا لا تطاق فى الاراضى المحتلة . وناضل فى فصائل الانصار والمنظمات السرية اكثر من مليون محارب جسور .

ولقد تم احراز انتصار الشعب السوفييتى وقواته المسلحة بفضل النشاط التنظيمى والقيادى الهائل للحزب الشيوعى . فتحت قيادة الحزب ولجنته المركزية ونتيجة للنشاط الواسع والنضال البطولى للملايين من اعضاء الحزب استخدم الشعب السوفييتى بصورة تامة الافضليات الكبرى للمجتمع الاشتراكى لغرض احراز النصر فى الصراع الدموى المرير . ويصعب ان نجد معيارا يتناسب والدور العظيم الذى لعبه الحزب فى سنوات الحرب . فقد وجه الحزب الشعب وسلّحه ايديولوجيا وخلق لديه الثقة بالنصر وقاده الى النصر . وكان القسم الاكبر من اعضاء الحزب الشيوعى فى الصفوف الامامية للنضال المسلح ضد الفاشية . وكان الشيوعيون اول من سار الى الاقسام الاكثر خطرا فى العمليات الحربية ، وكانوا قدوة فى الخدمة المتفانية للوطن ، فالهموا كافة المحاربين لتحقيق المآثر البطولية . وفقد الحزب فى الجبهات اكثر من ٣ ملايين من افضل ابنائه . ورأى المواطنون السوفييت فى قيادة الحزب واحدا من المنابع الرئيسية للانتصار على العدو . وصدقوا الحزب كليا وكملوا صفوف الحزب على الدوام . وانخرط فى صفوف الحزب خلال سنوات الحرب ٥ ملايين مواطن سوفييتى . وكان الكومسومول الذى كان قسم كبير من اعضائه يخدم فى صفوف الجيش الاحمر مساعدا امينا للحزب . وتقديرا للخدمات البارزة للوطن فى سنوات الحرب الوطنية العظمى منح الكومسومول وسام لينين فى ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ . وكان من اهم شروط احراز النصر العمل الحزبى السياسى الهائل الذى مارسه الحزب الشيوعى فى صفوف الجيش والاسطول . فقد حملت الادارة السياسية الرئيسية والمجالس العسكرية للجبهات والجيوش والاساطيل والاسيطيلات والاقسام السياسية والمنظمات

الحزبية ومنظمات الكومسومول بلا كلل افكار الحزب الى الجماهير ونفذت سياسته فى القوات المسلحة ، وحسنت على الدوام طرق العمل الحزبى والسياسى فأمنت الحماس الوطنى الهائل وخلقت لدى القوات الصلابة والصمود فى الدفاع والحماس العالى فى الهجوم والتنفيذ الخلاق المبدع للمهام الحربية والتفانى وابداء البطولة الشاملة فى مكافحة اعداء الوطن . ولقد كانت المنظمات الحزبية ومنظمات الكومسومول فى الجيش والاسطول القوة الحاسمة التى عبأت افرادهما لتنفيذ المهام الحربية .

انتصار الفن العسكرى السوفييتى

لقد كان انتصار الجيش الاحمر فى الحرب الوطنية العظمى نتيجة لتفوق العلم العسكرى السوفييتى والفن العسكرى الذى هو جزء منه على العلم والفن العسكريين لدى الجيش الالمانى الفاشى والجيش اليابانى . ففى سنوات الحرب كان العلم العسكرى السوفييتى الذى راعى بصورة صائبة العوامل الاجتماعية والسياسية والمعنوية والعسكرية والجغرافية وغيرها قد حل بصورة نظرية وعملية قضايا تحديد اشكال ووسائل خوض النضال المسلح وبناء وتنظيم الجيش والاسطول والاستخدام الاكثر حكمة فى الحرب لكافة اصناف وانواع القوات المسلحة كما حل مسائل قيادة وادارة الكتل الضخمة من القوات والكميات الهائلة من التكنيك وتأمينها من كافة الوجوه .

وان التزايد المستمر للتزويد المادى والتكنيكى للجيش الاحمر وقدرته القتالية والتحليل الشامل الصائب للموقف العسكرى والسياسى وخصائص عمليات العدو الحربية وتعميم وهضم الخبرة الحربية المتعددة الجوانب من قبل الكوادر القيادية وابداء المبادرة الخلاقة التى لا تنضب والبسالة المتعقلة ــ كل ذلك كان هو العوامل الموضوعية التى استند عليها اتقان وتطوير الفن العسكرى السوفييتى .

ويحاول المؤرخون الرجعيون وخصوصا الجنرالات الهتلريون المهزومون ان يمجدوا فن القيادة لدى الجنرالات الفاشيين وان يقللوا بكل الوسائل من شأن الفن العسكرى السوفييتى . فهم يحاولون ان يثبتوا بان الجيش الالمانى الفاشى منى بالهزيمة نتيجة لجملة من العوامل غير الملائمة ـ مثل الاراضى الروسية الشاسعة والشتاءات القارسة والطرق السيئة واخطاء هتلر والخ . الا ان الحقيقة الحقة تتلخص فى ان الجيش الهتلرى الذى كان قادرا على شن الهجوم بصورة رئيسية فى الصيف فقط وفى الطقس الجيد فقط قد واجه القوات السوفييتية التى ابدت قدرتها على خوض العمليات الحربية فى اكثر الظروف تنوعا وتعقدا .

ولقد تم احراز الانتصار فى الحرب الوطنية العظمى بفضل التطوير المتناسق والاستخدام الحكيم لكافة اصناف وانواع القوات المسلحة السوفييتية طبقا لوظائفها وخصائصها العسكرية .

ووقع عبء الحرب الرئيسى على القوات البرية التى كانت تضم تشكيلات المشاة والتشكيلات المدرعة والميكانيكية وتشكيلات الانزال الجوى والمدفعية والخيالة . وكانت القطعات الخاصة ـ قطعات الاتصال وقطعات الهندسة والطرق وغيرها قد امنت ما تحتاجه العمليات الحربية لكافة اصناف القوات .

وكانت تشكيلات المشاة تشكل القسم الاساسى من القوات البرية . وبين المشاة السوفييت الاماجد خصائصهم القتالية السامية والقدرة على القتال فى اكثر الظروف صعوبة وحل المهام الحربية المعقدة بالتعاون مع قوات الدبابات والمدفعية وسلاح الجو . وكانت قوات المشاة السوفييتية قد تفوقت كثيرا على قوات المشاة الالمانية الفاشية من حيث الخصائص المعنوية والقتالية والقدرة على الصمود فى الدفاع والهجوم السريع وعبور الانهار ومهاجمة المدن .

وكانت القوات المدرعة والميكانيكية هى القوة الضاربة الرئيسية لدى القوات البرية . فقد كانت تتسم بشدة نيرانها ومناورتها العالية ووقايتها المدرعة الجيدة . وطوال الحرب كلها كانت الدبابات السوفييتية افضل الدبابات فى العالم من حيث خصائصها . وبفضل الزيادة المستمرة لعدد الدبابات والمدافع الذاتية الحركة ، واستخدامها المكثف فى الاتجاهات الرئيسية استطاعت القوات السوفييتية ان تخترق دفاع العدو فى فترات قصيرة وتتابع الهجوم السريع وتشطر او تطوق مجموعات العدو الكبيرة .

وكانت المدفعية تشغل مكانة هامة فى القوات البرية . فقد كانت هى قوتها النارية الضاربة الرئيسية ، وكانت ذات قدرة جيدة على المناورة فى ساحة القتال . وشق جنود المدفعية السوفييت البواسل الطريق امام المشاة والدبابات فى الهجوم وساعدوها بنجاح فى الدفاع ، فقد كانوا الوسيلة الرئيسية لمكافحة جحافل دبابات العدو .

ولعبت القوات الجوية دورا كبيرا فى كافة المعارك . فقد ركز الطيارون السوفييت جهودهم على الاتجاهات الرئيسية لعمليات القوات البرية والاسطول ، واصابوا اهم الاهداف فى الخط الامامى وفى الاعماق وخارج مدى اصابة نيران المدفعية ، وخاضوا بنجاح القتال ضد سلاح جو العدو وحافظوا بثبات على السيطرة على الاجواء منذ عام ١٩٤٣ . وخلال سنوات الحرب قام الطيارون الامجاد باكثر من ٣ ملايين طلعة فالقوا على العدو حوالى ٣,٥ ملايين قنبلة .

وانها لكبيرة جدا مساهمة افراد الاسطول البحرى الحربى فى قضية النصر . فالاسطول الذى قاتل بتعاون وثيق مع القوات البرية وسلاح الجو حمى بأمان الرحاب البحرية لبلادنا وغطى اجنحة القوات على البر ودافع عن المدن الساحلية والقواعد البحرية الحربية

ونقل بحارة الانزال ووجه الضربات الى سفن العدو . وخلال فترة الحرب اغرق البحارة السوفييت اكثر من ١٦٠٠ سفينة معادية . ونقل عبر البحار والبحيرات والانهار ٩,٨ ملايين شخص واكثر من ٩٤ مليون طن من الشحنات العسكرية والاقتصادية .

ونفذت الواجبات العسكرية بنجاح كذلك قوات الدفـــاع الجوى للبلاد . فجنود الدفـــاع الجوى غير الهيابين والطيارون المقاتلون حموا عن سلاح جو العدو بكل أمان المراكز الصناعيـــة والسياسية الكبرى فى البلاد والاهداف العسكرية الهامة ومواصلات المؤخرة والجبهة . وخلال فترة الحرب اسقط حماة الاجـــواء السوفييتية البواسل اكثر من ٧ آلاف طائرة معادية .

ولعبت هيئات المؤخرة دورا كبيرا فى تأمين ما احتاجه الجيش الاحمر لعملياته الحربية . فأمنت هذه الهيئات فى ظروف الرحاب الهائلة وانعدام الطرق على الاغلب كل ما احتاجته القوات المقاتلة لتحقيق النصر ، وانقذ شغيلة الطب الابطال حيـــاة الملايين من المحاربين السوفييت الذين عادوا لممارسة نشاطهم .

ان كافة انواع واصناف القوات التى كافحت بالتعاون الوثيق فيما بينها ساهمت مساهمة كبرى فى تطوير الفن العسكرى السوفييتى. وكانت السمـــات المميزة للفن العسكرى لدى الجيش الاحمر هى النشاط العالى والتوجيه الهادف والمرونة فى اختيار اشكال واساليب العمليات الحربية طبقا للظروف الملموسة فى الموقف العسكـــرى والسياسى فى الوقت المحدد .

واحرزت القوات السوفييتية مهارة كبيرة فى خوض العمليات الدفاعية . فاذا كانت تشكيلات كثيرة فى الفترة الاولى للحرب لم تصمد دائما امام الضربات الشديدة لدبابات العدو وطائراتـــه ، نتيجة لقلة عمق وكثافة القوات فى الدفاع ، فان هذه التشكيلات فيما بعد حلت هذه المهام بنجاح . وكانت السمة المميزة للدفاع هى تزايد نشاطه وثباته وصواب تحديده للاتجاهات المحتملة

لضربات العدو وتنظيم المقاومة العنيدة طبقا لها وتشكيل اكثر مجموعات القوات جدوى وبنائها على نحو عميق ، وتأمين التجهيز الهندسي الممتاز للمنطقة على عمق كبير . ولدى خوض الدفاع كانت تجرى بكل مهارة الضربات والهجمات المضادة والمناورة الواسعة بالانساق الثانية والاحتياطيات وكذلك بقوات ووسائل المناطق التى لم يهاجمها العدو .

ولقد كان الهجوم هو النوع الحاسم من بين انواع العمليات الحربية لدحر العدو فى سنوات الحرب . وكان الهجوم يتسم باتساع نطاقه ، حيث كان يشن على جبهة واسعة والى عمق كبير مع استخدام قوات غفيرة وكميات كبيرة من المعدات الحربية . وكان الهجوم يجرى عادة بقوات عدة جبهات وبالتعاون مع طيران الجبهة والطيران البعيد المدى والاسطول البحرى والاسيطيلات النهرية وقوات الانصار .

وكانت حتمية اهداف العمليات الهجومية قد ادت الى ضراوة المعارك التى اصبحت نتيجتها النهائية تحطيم مجموعات كبيرة من قوات العدو وتحرير اراضي وسكان البلاد من المحتلين الفاشست واخراج حلفاء المانيا الهتلرية من الحرب .

وكانت القوات المسلحة السوفييتية قد اتقنت على افضل وجه فن اعداد وخوض عمليات تطويق وتدمير مجموعات العدو الكبيرة . وكانت هذه العمليات فى الواقع تشكل اساس الاعمال القتالية للجيش الاحمر ، وكانت مساهمة هامة فى نظرية وتطبيق الفن العسكرى السوفييتى . وكانت عمليات التطويق الهائلة من حيث نطاقها قرب ستالينغراد وكورسون-شيفتشينكوفسكى وفى بيلوروسيا وفى منطقة ياسى وكيشينيف وبرلين انتزعت من العدو مجموعاته الاساسية وادت الى تغير حاسم فى الوضع على الجبهة لصالح القوات السوفييتية . وبالاضافة الى التطويق احرزت قوات الجيش الاحمر نتائج عسكرية وسياسية كبرى بتوجيه الضربات

الجبهوية العميقة ، مما ادى الى تجزئة جبهة دفاع العدو وشطر مجموعاته الكبرى وتحطيم كل مجموعة على انفراد .

ومن المنجزات الهامة للفن العسكرى السوفييتى تحسين اساليب تنظيم وخوض عمليات المطاردة على عمق كبير . وكان الدور الرئيسى فى المطاردة يعود للتشكيلات والجحافل المدرعة والميكانيكية . وكان اندفاع الزحف والجمع بين الهجوم الجبهوى والوثبة بطرق موازية لانسحاب العدو ، والدعم الجوى الجبار والتنظيم الجيد للتعاون بين اصناف القوات وتوجيهها ـ كل ذلك أمن احراز وتائر عالية بلغت فى اواخر الحرب بالنسبة لتشكيلات المشاة ٣٠ ـ ٤٠ كيلومترا فى اليوم ، وبالنسبة للتشكيلات المدرعة والميكانيكية حتى ٧٠ ـ ٨٠ كيلومترا .

وكان اجتياز الموانع المائية الكبرى رأسا مساهمة كبيرة فى تطوير الفن العسكرى السوفييتى . فقد علق العدو آمالا خاصة على الموانع المائية باعتبارها خطوطا طبيعية كان عليها ان توقف زحف الجيش الاحمر لامد طويل . فان ما سمى « بجبهة ميوس » و « السد الشرقى » و « خط مرجريت » كانت تستند على الموانع المائية . ومن المعروف ان نظريات فترة ما قبل الحرب كانت تعتبر عبور الانهار بعد تمهيد اولى طويل الامد الاسلوب الاساسى لاجتياز الموانع المائية . اما فى سنوات الحرب فقد عبرت القوات السوفييتية رأسا القسم الاكبر من الانهار العظمى مثل الدنيبر والدنيستر وفستول والاودر . وكان نجاح مثل هذا العبور قد امنته المطاردة السريعة وعمليات المبادرة الحاسمة من قبل المفارز الامامية القوية وعبور الانهار على جبهة واسعة واستخدام وسائل العبور النظامية بالاضافة الى مختلف الوسائل المبتكرة والتعزيز القوى لرؤوس الجسور المحتلة والسعى الى توسيعها ومتابعة الهجوم بأسرع ما يمكن .

وكان تأمين السرية فى اعداد الضربة وعنصر المباغتة واحدا

من الشروط الحاسمة لتحقيق النجاح فى الهجوم . فان المراعاة الصارمة لاسرار الحرب واستخدام اجراءات التمويـــه العملياتى وتضليل العدو بشأن زمان ومكان هجوم القوات الرئيسية كل ذلك أمن المباغتة فى توجيه الضربة . وكان هجوم القوات السوفييتية ليلا ، ذلك الهجوم الذى حققت هذه القوات كمالا كبيرا فى شنه قد صعق الفرق الفاشية الالمانية .

وتحسنت على الدوام اثنـــاء الحرب طرق ادارة القوات . وكانت السمات المميزة للادارة هى طرح المهام بكل وضوح ودقة مع مراعاة امكانيات كل صنف من القوات وفسح المجال واسعا امام مبادرة القادة والاركان السفلى والاتصال الدائم المباشر بين الرؤساء الكبار والقادة المرؤوسين ، والرقابة الفعالة المستمرة على التنفيذ مع المساعدة العملية الدائمة للمرؤوسين وتنفيذ الاوامر تنفيذا دقيقا والارادة الصلبة والاصرار لدى كافة مراتب القادة فى تذليل الصعوبات التى اعترضت طريق تنفيذ المهام الحربية .

ان التحسين والتطوير المستمرين للفن العسكرى السوفييتى هما نتيجة للنشاط المثابر الدؤوب وابداء المبادرة الخلاقة لدى كافة افراد القوات المسلحة . ولعب دورا كبيرا فى هذا التطوير مقر القيادة العامة العليا والاركان العامة وقادة الجبهات والجيوش وقادة التشكيلات والقطعات واركانها والمنظمون والقادة المباشرون للقوات السوفييتية فى العمليات والمعارك .

فى حراسة السلام



من الحرب الى السلم

وضع جديد ومهام جديدة

حل يوم النصر العظيم الذى طال انتظـــاره ، عيد الشعب السوفييتى وكافة الشعوب التى تحررت من النير الفاشى . وانقضى زمن المصائب .

فى الساعة الثانية عشرة من ليلة ٨ ايار (مايو) ١٩٤٥ اقترب الجنرال-فيلدمارشال كيتيل مـــن الطاولـــة فى مقر اركان القوات السوفييتية فى كارلسهورست بضاحية برلين ، وبحضور ممثلى القيادة العامة العليا للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا وقع صك استسلام كافـــة القوات المسلحة فى المانيا دون قيد او شرط . وجاب العـــالم كله بلمح البصر نبأ استسلام الرايخ الفاشى دون قيد او شرط .

وفى كافة المدن والارياف وكافة الوحدات العسكرية والسفن صدحت فى هذا اليوم الاغانى وتعالت هتافات الابتهاج والسرور . وكانت قوافل المواطنين تتوجه الى الساحة الحمراء فى موسكو بلا انقطاع . وكانت بلاد السوفييت مبتهجة بانتصارها . ففى كل مكان عقدت الاجتماعات الجماهيرية والحفلات الخطابية وقامت المظاهرات والمهرجانات المرحة العامة .

وفي ٢٤ ايار (مايو) ١٩٤٥ احيت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والحكومة السوفييتية حفلة استقبال كبرى في قاعة جرجس بقصر الكريملين الكبير تكريما لقادة قوات الجيش الاحمر . وحضر الحفلة اعضاء الحكومة وممثلو الجيش الاحمر والاسطول البحري الحربي وطليعيو الانتاج ومصممو السلاح السوفييتي الشهير وممثلو العلم والثقافة والادب . ورفع في هذه الحفلة نخب الشعب السوفييتي ، وحظي بتأييد حار في ارجاء البلاد بأسرها . فقد هنأ الوطن الام ابطاله الذين تكللوا بالمجد الخالد في المعارك قرب موسكو وستالينغراد وكورسك وفي اوكرانيا وبيلوروسيا وجمهوريات البلطيق وخارج حدود الوطن . وسلم في هذا اليوم وسام «النصر» الى القادة السوفييت الاماجد مارشالات الاتحاد السوفييتي جوكوف وكونيف وروكوسوفسكي وتولبوخين ومالينوفسكي .

وبعد شهر واحد ، اقيم في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ في الساحة الحمراء بموسكو عرض النصر تكريما للانتصار العظيم الذي احرزه الاتحاد السوفييتي على المانيا الفاشية . وشاركت في العرض افواج مختلطة من كافة جبهات الجيش المقاتل وكذلك ممثلو الاسطول البحري الحربي وقوات حامية موسكو .

وسارت افواج المنتصرين قرب ضريح لينين بخطى موزونة . وكانت ترفرف فوقهم بكل أنفة رايات القتال التي اقسموا عندها باخلاصهم للوطن والحزب . وحاربوا تحت هذه الرايات وانتصروا وقطعوا الطريق من موسكو حتى برلين .

وبعد مرور الافواج الجبهوية ، القى ٢٠٠ محارب تحت قرع الطبول عند قاعدة ضريح لينين ٢٠٠ راية من الجيش الالماني المهزوم . واضطجعت عند اقدام المنتصرين الرايات المشؤومة وعليها الصليب الفاشي المعقوف الاسود . وبعد ذلك دخلت الى الساحة الحمراء افواج جديدة من قوات حامية موسكو .

وفى ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٥ افتتح فى بوتسدام بضواحى برلين مؤتمر رؤساء حكومات الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا . واتخذ المؤتمر مقررات بشأن نزع الروح العسكرية والنازية فى المآنيا واعادة النظـــام فيهـــا على اسس ديموقراطية ، وبشأن جملة من المسائل الاخرى الرامية الى احلال السلام فى اوروبا .

واستقبلت البشرية التقدمية جمعاء مقررات مؤتمر بوتسدام بشعور من الارتياح العميق باعتبارها مقررات تؤمن السلام الوطيد والامن الشامل فى اوروبا وامكانية الانتقال الى العمل السلمى .

وكان الانتصار على المانيا الفاشية ومقررات مؤتمر بوتسدام قد هيأت للشعب السوفييتى امكانية الانتقال الى البناء السلمى . ومنذ الايام الاولى لحلول السلام مارس المواطنون السوفييت عملا هائلا لاعادة بناء حياة البلاد كلها فى جادة السلام .

وكان على القوات المسلحة فى الوضع الجديد ان تؤمن لشغيلة المدن والارياف امكانية معالجة الجراح التى خلفتها الحرب وممارسة العمل السلمى البناء بكل هدوء واستقرار . وكان يمكن حل هذه المهام بكمية اقل من القوات . وانتفت الحاجة الى الاحتفاظ بجيش عديد الملايين كما كان الامر فى زمن الحرب ، حيث كان الاتحاد السوفييتى فى اوائل ايار (مايو) ١٩٤٥ يمتلك جيشا تعداده ١١ مليون و٣٦٥ الف شخص .

وفى ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ اقرت الدورة الثانيـــة عشرة لمجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى قانونا بشأن تسريح المواليد الكبيرة الـ ١٣ . وبدأ التسريح فى ٥ تموز (يوليو) ١٩٤٥ وانتهى بصورة رئيسية فى مستهل عام ١٩٤٨ . وسرح من الجيش والاسطول عموما المكلفون من مواليد ٣٣ وجبـــة تجنيدية ، من بين الجنود والرقباء . وبلغ عدد المسرحين ٨,٥ ملايين شخص . وتسرح كذلك عدد كبير من الضباط . وهم بصورة

رئيسية اخصائيون فى الاقتصاد الوطنى ومعلمون واطباء وموظفون صحيون . وعاد الى العمل السلمى ٢٨٧ الف ضابط وجنرال . وفى عامى ١٩٤٥ــ١٩٤٦ سلم الجيش الى الاقتصاد الوطنى حوالى ١٥٠ الف سيارة واكثر من مليون حصان واكثر من ١٥٠٠ سفينة لمختلف الاغراض وكثيرا من الاموال والمعدات الاخرى .

وفى الوقت ذاته تم على نطاق واسع نقل القوات السوفييتية من البلدان الاجنبية الى اراضى الاتحاد السوفييتى . ففى ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ انسحبت القوات السوفييتية من شمال النرويج ، وفى تشرين الثانى (نوفمبر) من تشيكوسلوفاكيا ، وفى نيسان (ابريل) ١٩٤٦ من جزيرة بورنهولم (الدانمرك) ، وفى ايار (مايو) من منشوريا وشمال ايران ، وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ من بلغاريا ، وفى اواخر عام ١٩٤٨ من كوريا . وحتى عام ١٩٤٨ كان تعداد الجيش السوفييتى يبلغ ٢ مليون و٨٧٤ الف شخص .

واستقبل كافة ابناء الشعب السوفييتى وافراد الجيش السوفييتى قانون التسريح بشعور من الارتياح العميق . فقد كان مليئا بالعناية الحنونة بالمحاربين السوفييت المسرحين ، حيث نص على مساعدة فعالة فى تشغيلهم وفى حصولهم على اللوازم المنزلية وبناء المساكن .

لقد كان تسريح الملايين من افراد الجيش امرا ذا اهمية كبرى بالنسبة للدولة . فالتسريح قام بخطوة واسعة فى الانتقال الى حالة السلم . وقدم المسرحون مساعدة فى العمل البناء العظيم الذى شمل رحاب البلاد آنذاك .

وابدى الحزب والحكومة عناية كبيرة بالمحاربين الذين اصبحوا مقعدين بسبب الحرب . فالكثيرون منهم استلموا رواتب التقاعد وحصلوا على التسهيلات . وافتتحت فى البلاد مدارس مهنية ومختلف الدورات التى اتقن فيها المقعدون مهنا واختصاصات جديدة .

الا ان انتقال الجيش السوفييتى الى الحياة السلمية كان مرتبطا بتذليل صعوبات كبيرة . فان كافة الثكنات والمساكن والرحبات وحقول وميادين التدريب والمخيمات العسكرية والقاعدة التدريبية المادية كلها فى المناطق الغربية من البلاد قد دمرهـــا المحتلون الهتلريون . وكان على محاربى المناطق العسكريـــة ، هى مناطق لينينغراد والبلطيق وبيلوروسيا وكييف والكاربات واوديسا وشمال القفقاس ، ومنطقة موسكو لدرجة كبيرة ان يبنوا كل شىء من جديد . واضطرت قوات هذه المناطق فى البدايـــة ان ترابط فى البنايات المدمرة وفى الاقبياء الترابية بدون وسائل الراحة وبضيق شديد . الا ان بناء الثكنات وانشاء القاعدة التدريبية المادية لم يكونا ابدا المهمة الرئيسية . فجهود المحاربين الاساسية كانت موجهة كالسابق الى التدريب العسكرى والسياسى ومتابعة تعزيز الانضبـــاط وزيـــادة الاستعداد الحربى للوحدات والقطعـــات والتشكيلات . ولذلك ففى اليوم التالى لنهاية الحرب مباشرة طبق فى كافة الوحدات العسكرية نظام صارم للحياة اليومية وبدأ التدريب العسكرى والتثقيف السياسى .

وكان من الاجراءات التى استدعاها انتقال بلاد السوفييت وقواتها المسلحة الى حالة السلم حل لجنة الدولة للدفاع التى كانت تتركز فى ايديها حتى الآن كل السلطة العسكرية والمدنية . وتوقف كذلك عمل مقر القيادة العامة العليا . وانتقلت قيـــادة القوات المسلحة الى ايدى مفوضية الشعب لشؤون الدفاع ومفوضيـــة الشعب لشؤون الاسطول البحرى الحربى . وكان الاتحاد السوفييتى قد خرج من الحرب ليس منتصرا فقط ، بل ودولة قوية للغاية من الناحية العسكرية . واصبح الجيش الاحمر من الناحيتين الكميـــة والنوعية اقوى جيش فى العالم مزودا بأحدث الاسلحة والتكنيك ومتسما بالخصائص المعنوية والقتالية العالية لدى افراده وبالخبرة لدى قادته .

ونتيجة للانتصارات التاريخية التى حققتها القوات المسلحة السوفييتية تهيأت لعدد من دول اوروبا وآسيا امكانية الاطاحة بالاستغلاليين فى بلادها واقامة النظام الشعبى الديموقراطى . وتغير لصالح الاشتراكية تناسب القوى بين النظامين العالميين الاشتراكى والرأسمالى . ولم تتعزز مواقع الرأسمالية كما كان يحلم بعض اكثر الاوساط رجعية فى الغرب ، بل على العكس ضعفت كثيرا .

الا ان الحزب الشيوعى علم الشعب السوفييتى بان لا يتكبر ولا يتباهى بالنصر . وذكر الحزب الشعب بانه ينبغى بعد الانتقال الى العمل السلمى ان يكون على اهبة الاستعداد دوما وان يحفظ ، كحدقة العين ، القوات المسلحة والقدرة الدفاعية للبلاد ، وذلك لان الحكومات الامبريالية فى الغرب لا ترغب ابدا فى القبول بتزايد قوة الاتحاد السوفييتى .

ومن المعروف ان الولايات المتحدة الاميركية شرعت فى اليوم التالى لنهاية الحرب مباشرة فى بعث كافة القوى الفاشية العدوانية المعادية للاتحاد السوفييتى والتى لم يقض عليها فى العالم بأسره ، واخذت تحبط مقررات بوتسدام الرامية الى اشاعة الديموقراطية فى المانيا وتصفية النزعة العسكرية فيها ، وصارت تحمى الرجعيين اليابانيين ، كما اعلن ان القوى المعادية للاتحاد السوفييتى فى المانيا وتركيا واليونان واسبانيا هى حليفة للولايات المتحدة الاميركية . ولم يجر الاعتراف بالسلطة الشعبيــــة فى البلدان التى تحررت من الرأسمالية ، واعلن ان تصفية هذه السلطة هى انقاذ لشعوب هذه البلدان من «النير» الشيوعى .

واخذت الولايات المتحدة الاميركية على عاتقها دور «منقذة» النظام الرأسمالى ، واعلنت فورا عن نهجها الاغتصــــابى وسلكت طريق تشديد حدة التوتر الدولى . واستخدمت احتكارها للسلاح الذرى فاخذت تنتهج سياسة التحضير للحرب ضـــد الاتحــــاد السوفييتى . وقبل الحرب العالمية الثانيـــة كان جيش الولايات

المتحدة الاميركية من حيث تعداده يشغل المرتبة السابعة عشرة بين جيوش الدول البرجوازية ، بينما صار يشغل المرتبة الاولى بعد الحرب . وتوزع هذا الجيش فى ٦٠ بلدا من بلدان العالم . وليس من قبيل الصدفة ان اخذت الولايات المتحدة الاميركية تلعب دور الدركى الدولى والمركز القيادى للقوى المعادية للاتحاد السوفييتى . واعتبارا من عام ١٩٤٧ شنت الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الاميركية بدعم من بريطانيا وفرنسا «الحرب الباردة» ضد الاتحاد السوفييتى وبلدان الديموقراطية الشعبية ، الامر الذى يعنى عمليا سباق التسلح بلا حدود وانشاء القواعد الحربية الاميركية على طول حدود الاتحاد السوفييتى واصدقائه ، وكذلك تدبير الاحلاف العدوانية واعداد الحروب الدموية الجديدة .

وفى هذا الجو طرح الحزب والحكومة امام القوات المسلحة السوفييتية جملة من المهام الجديدة . فقد كان على الجيش وسلاح الجو والاسطول ، وهى فى حالة الاستعداد الحربى الدائم ، ان تقوم على اساس تعميم خبرة الحرب وتطور العلم والتكنيك بدراسة القضايا الاساسية للعلم العسكرى السوفييتى والفن العسكرى الذى هو جزء مكون له ، وتنظيم الاعداد الحربى والسياسى طبقا لمتطلبات الحرب الحديثة ، وان تحمى بكل يقظة عمل الشعب السوفييتى السلمى البناء وان تؤمن كليا مصالح الاتحاد السوفييتى .

لقد سار تطور القوات المسلحة السوفييتية فى فترة ما بعد الحرب على اساس النمو المستمر للاقتصاد والعلم والتكنيك فى الاتحاد السوفييتى وبلدان المعسكر الاشتراكى فى ظروف ازدياد الرفاهية المادية وارتفاع المستوى الثقافى للشغيلة ومتابعة تعزيز الوحدة السياسية والمعنوية والصداقة بين الشعوب . وكرس الحزب والحكومة اهتماما خاصا بتجهيز الجيش تكنيكيا بأحدث الاسلحة .

وفى آذار (مارس) ١٩٤٦ اقر مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى الخطة الخماسية الرابعة لبعث وتنمية الاقتصاد

الوطنى للسنوات ١٩٤٦ــ١٩٥٠ . ونصت الخطة على الانبعاث السريع قبل كل شىء للصناعة الثقيلة وصناعة بناء المكائن وانتاج الطاقة . وفى الوقت ذاته كان من اللازم بعث النقليات التى دمرتها الحرب والنهوض بالزراعة وتنظيم الانتاج وتزويد القوات المسلحة بأحدث المعدات الحربية .

ونتيجة للعمل البطولى جعل الشعب السوفييتى فى عام ١٩٤٨ الصناعة والزراعة تتجاوزان مستوى الانتـــاج فى فترة ما قبل الحرب .

وكانت الفترة من ١٩٤٦ الى ١٩٥٣ هامة ومثمرة للغاية فى تطوير القوات المسلحة السوفييتية . فخلال هذه الفترة اجريت تغييرات تنظيمية واستمرت اعادة التسليح التكنيكى للقوات البرية والجوية والاسطول ، وتكونت انواع جديدة من القوات المسلحة ، وعلى اساس دراسة وتعميم خبرة الحرب الماضية ومراعاة التغيرات فى تسليح وتنظيم القوات درست المسائل الاساسية لتنظيم وخوض العملية والمعركة التى يشترك فيها مختلف اصناف القوات . واعير الاهتمام خصوصا بالتطوير المتناسق لكافة انواع واصناف القوات المسلحة وذلك انطلاقا من دورها واهميتها فى الحرب الحديثة .

وانعكس ذلك كله فى الانظمة وكتب التدريب التى كانت خطوة هامة فى تطوير تاكتيك الجيش السوفييتى ، والتى تضمنت المسائل الاساسية لتنظيم وخوض معركة مختلفة الاصناف وصاغت اهم احكام الفن العسكرى السوفييتى .

واملت تغيرات الشروط فى اساليب الاعمال القتالية ضرورة متابعة زيادة الاعداد العملياتى والتاكتيكى والتكنيكى لقادة الجيش السوفييتى . وكان مطلوبا من افراد القوات المسلحة الاستعداد لخوض العمليات الحربية ضد عدو قوى جيد التسليح ولديه موارد تكنيكية وصناعية كبرى . وبهذا الخصوص تم تحسين نظام اعداد الكوادر العسكرية .

ان التجهيز التكنيكى والقدرة النارية للجيش هما الدليلان الرئيسيان على قوته وعلى القدرة العسكرية للدولة .

وكان من الضرورى حل مهمة اعادة التسليح باسرع ما يمكن . فالولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا لم تقلصا فى فترة مـا بعد الحرب جيشيهما الغفيرين ، بل دأبتا على تسليحهما بأحدث انواع الاسلحـة . فالجيش الاميركى ، مثلا ، استلـم قاذفات القنابل الستراتيجيـة الجديدة القادرة على حمل القنابل الذرية . وصـار يستلـم الصواريخ المجنحة متوسطـة المدى والتى لو اطلقت من القواعد الحربية الكثيرة حول الاتحاد السوفييتى لوجهت الضربات الذرية الى اعماق مؤخرته . اذن ، فقد واجهت بلاد السوفييت عملا جديا واسعا لاعادة تسليح القوات السوفييتية وتجهيزها تكنيكيا .

وتجلى تطور الاسلحة الصغيرة فى سنوات ما بعد الحرب فى صنع النماذج الجديدة من البنادق القصيرة المخففة ذات التعبئـة التلقائية والرشاشات القصيرة والرشاشـات الخفيفة والثقيلـة . وانطلاقا من ضرورة وجود رشاشات ثقيلة ذات وزن مخفف ولغرض تحسين مناورتها فى ساحـة القتال تخلى المصممون السوفييت عن النماذج القديمة من الرشاشات الثقيلة ذات التبريد المـائى وذات القواعد الثقيلـة . وجرت اعمال لتحسين الرشاشات الخفيفـة . ونتيجة لذلك تم فى عام ١٩٤٦ صنع الرشاش للسرايا « رب ـ ٤٦ » على اساس رشاش ديغتياريف الخفيف السابق . ويتميز الرشاش الجديد بسرعة كبيرة وتجمع الاطلاق . ووصلت للجيش السوفييتى الرشاشات القصيرة الجديدة من تصميـم كالاشنيكوف والمسدس الاوتوماتيكى من تصميم ستيتشكين والبندقية الصغيرة ذات التعبئة التلقائية من تصميم سيموتوف . واستلمت القوات رشاش العيار الكبير والرشاشات المضادة للجو والمخصصة لمكافحـة الطائرات

ومكافحة انزال العدو ولاصابة اهدافه الارضية المدرعة ولاصابة جنوده ووسائله النارية .

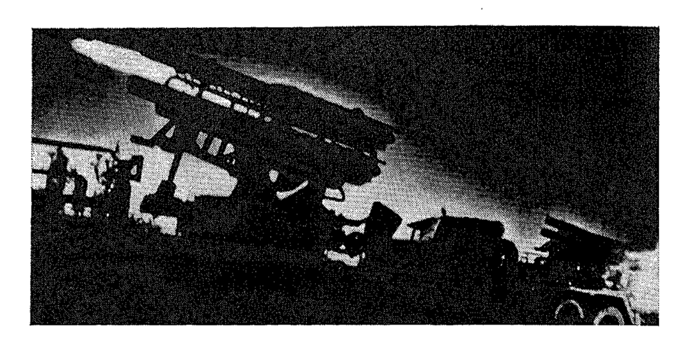
وساعد التسليح الجديد المشاة على تكوين كثافات كبيرة من نيران البنادق والرشاشات على مسافات حتى ١٠٠٠ متر واصابـة الناقلات المدرعة والسيارات واطقم وسائل العدو المضادة للدبابات .

واصبحت القوات البرية آلية كليا واكثر خفة وغير متأخرة فى ذلك عن قوات الدبابات . وتهيأت لها امكانية خوض الاعمال القتالية الخفيفة الحركة بوتائر عاليـة وتنفيذ العمليات على عمق يزيد بـ ١,٥ـ٢ مرة عما فى سنوات الحرب الوطنية العظمى .

وحدثت تغيرات كبيرة فى التسليح المدفعى . ويعود فضل كبير فى ذلك الى المصممين المدفعيين السوفييت غرابين وايفانوف وبتروف وشافيرين وغيرهم . وصارت القوات تستلم المدافع العديمة الارتداد المضادة للدبابات . وباستطاعة هذه المدافـع التى تتميز بقدرة كبيرة على الاصابة وبوزن غير كبير نسبيا ان تصاحب المشاة دوما فى ساحة القتال وان تستخدم بنجاح لمكافحة دبابات العدو . ووضع ضمن تسليح المدفعية المضادة للدبابات مدفع جديد قادر على اختراق صفائح الدبابات السميكة . واخذت تتوارد على مدفعية القوات مدافـع جديدة ذات مدى بعيد للرماية ومدافـع الهاون الجبارة .

وجرت تغيرات على المدفعية الصاروخية . فقد جرى استبدال مدافع «الكاتوشـا» الشهيرة بمدافع اكثر كمالا . وصنعت اجهزة صاروخيـة جديدة ذات مدى اطلاق ابعد . وتسلحت المدفعيـة المضادة للجو بمدفعين جديدين من عيار ٥٧ و ١٠٠ ملم والمدفع المجدد من عيار ٨٥ ملـم ، وهى جميعا تتميز بسرعة وارتفاع للاطلاق كبيرين .

وهكذا استلمت المدفعيـة ، بالاضافـة الى تجديد النماذج القديمة ، نماذج جديدة للمدافـع الميدانية والمضادة للدبابات

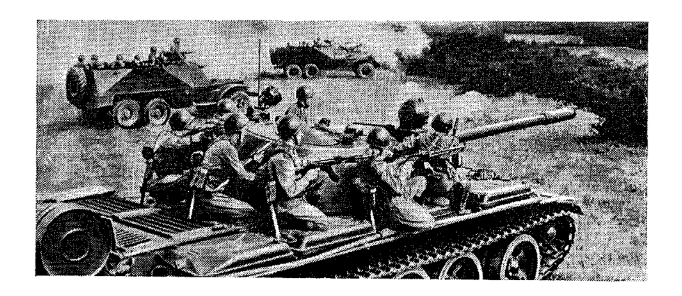


المدفعية الصاروخية تطلق «نيرانها» ليلا . تدريبات عام ١٩٦٣ .



«النفير» .

مطاردة «العدو» .





فى التدريبات التاكتيكية .

والمضادة للجو والصاروخية التى تتميز بقدرتها النارية الكبيرة وسرعة اطلاقها وبعد مدى الاطلاق . وكل ذلك هيأ للقوات امكانية اطلاق نيران المدفعية بصورة فعالة على طول عمق المنطقة التاكتيكيـــة لدفاع العدو ، وتأمين زج الانساق الثانية والاحتياطيات فى المعركة بالنيران ومساعدة هذه الانساق والاحتياطيات فى الاستيلاء رأسا على الخط الثانى وعلى المواقع المتوسطة وخوض القتال بنجاح ضد وسائل العدو المدفعية .

وكان حدثا مشهودا فى حياة القوات المسلحة فى هذه السنوات احراز نجاحات كبرى فى صنع وسيلة حربية جديدة هى الصواريخ الباليستيكية الموجهة . ففى عام ١٩٤٦ ظهرت فى الجيش صواريخ من طراز « ر ــ ١ » بعد ان اجريت التجارب عليها بنجاح . وبعد ثلاثة اعوام وصل الى الجيش الصاروخ المحسّن من طراز « ر ــ ٢ » الذى يتميز بسرعة اكبر وارتفاع تحليق اعظم بكثير من سابقه .

وحدثت تغيرات ليست اقـــل من ذلك فى تسليـــح القوات المدرعة . فقد بدأ استخدام الدبابة المتوسطة الجديدة « ت ــ ٥٤ » التى صممتها مجموعة من الاخصائيين تحت اشراف موروزوف . وهى دبابة تتميز بزيادة سمك صفائح التدريع وزيادة مدى العمل وقدرة كبيرة على الاجتياز وسرعة السير والتسليح المشدد . وصنعت للقوات الميكانيكيـــة ناقلات مدرعة ومدافع ذاتية الحركة مضادة للجو . وكانت هذه المدافع تتميز بخصائص اعلى مما لدى مثيلاتها فى زمن الحرب الماضية .

وتطورت القوات الخاصة تطورا كبيرا . فقوات الهندســة تجهزت بأجهزة جديدة ذات انتاجية اكبر فى العمل وبوسائل عبور جديدة . وحصلت قوات الاتصال على وسائل الاتصال المحسنــة كثيرا ومحطات لاسلكية من مختلف الاصناف والاغراض . وحصلت القوات الكيمياوية على وسائل جديدة للوقاية الكيمياوية . وحدثت تغيرات كبيرة فى تكنيك الجـــرارات والسيارات . وظهرت نماذج

جديدة من التراكتورات الساحبة والسيارات الخاصة وسيارات الشحن ذات القدرة الكبيرة على الاجتياز .

وانتقلت القوات الجوية الى استخدام الطائرات النفاثة . وكان ذلك يعنى فى الواقع تغيرا نوعيا جديدا فى سلاح الجو . وظهرت لدى سلاح جو المقاتلات طائرات «ميغ ــ ٩» و «ياك ــ ٩» ومن ثم «ميغ ــ ١٥» و«ميغ ــ ١٧» و «لا ــ ١٥» و «ياك ــ ١٧» و «ياك ــ ٢٣» التى تتجاوز سرعة طيرانها ١٠٠٠ كيلومتر فى الساعة . وكانت هذه الطائرات تتميز كذلك بمدى الطيران وارتفاع التحليق العملى وسرعة الارتفاع اكبر مما لسابقاتها . وفى سلاح جو الهجوم حلت محل طائرتى «ايل ــ ٢» و «ايل ــ ١٠» الاسطوريتين طائرة «ميغ ــ ١٥» النفاثة التى تتميز بسرعة ومدى الطيران بما يزيد بـ ٢ ــ ٢,٥ مرة عن سابقتها . واستلم سلاح جو القاذفات فى عام ١٩٤٨ قاذفة القنابل النفاثة الجديدة «ايل ــ ٢٨» التى تفوق قاذفات القنابل المكبسية من حيث سرعة ومدى التحليق بمرتين ، ومن حيث شحنة القنابل بثلاث مرات . وكانت «ايل ــ ٢٨» مسلحة بمدافع اقوى . واستلم سلاح جو النقليات طائرات «ايل ــ ١٢» و«ايل ــ ١٤» وهليكوبترات «مى ــ ١» و«مى ــ ٤» المخصصة لتنفيذ المهام الخاصة .

وامن استخدام المحركات النفاثة الشامل لسلاح جونا زيادة كبيرة فى سرعة وارتفاع تحليقات الطائرات وقلص وقت الارتفاع الى الاعالى القتالية وأمن حمولة اكبر بالقنابل واستمرارية ومدى التحليق . كما اشتد كذلك تسليح الطائرات بالرشاشات والمدفعية . واصبحت الطائرات مزودة بالمسددات الرادارية ووسائل التعارف والمحطات اللاسلكية القوية التى تساعد فى اقامة الاتصال بين الطائرات وقواعدها على طول امتداد التحليق . ونتيجة لهذه التحولات جميعا اصبح سلاح الجو السوفييتى سلاحا ممتازا حقا وقادرا على حل اية مهمة حربية . ويعود الفضل فى ذلك الى الكوكبة

المجيدة من المصممين البارزين ايليوشين وميكويان وياكوفليف ولافوتشكين وتوبوليف وميل وبيرييف وكليموف ولولكا ونوديلمان وريختر وغيرهم .

واستمرت في التحسن قوات الدفاع الجوى للبلاد . ففى عام ١٩٤٨ تحولت هذه القوات الى نوع مستقل من القوات المسلحة . ووصلت لتسليحها انواع جديدة من الطائرات والمدفعية الجوية ، وفى بداية الخمسينيات استلمت هذه القوات الصواريخ الجوية الموجهة . وتم تأمين المراقبة والانذار والاتصال بواسطة محطات لاسلكية رادارية قوية للاستكشاف وتوجيه الطائرات نحو الهدف . وكل ذلك ادى الى الزيادة المستمرة فى الامكانيات القتالية لقوات الدفاع الجوى فى البلاد وامن صد هجوم العدو جوا وتغطية اراضى الدولة السوفييتية وقواتها المسلحة .

وحدثت تغيرات هامة فى الاسطول البحرى الحربى الذى زود بصورة مشددة بالتكنيك الحربى الجديد والاسلحة الجديدة . ولنضرب مثالا على ذلك فنقول ان الحمولة الاجمالية للسفن الحربية التى بنيت فى عام ١٩٥٢ تجاوزت حمولة السفن المبنية فى عام ١٩٤٠ بـ٣,٥ مرات . وزودت الطرادات والمدمرات والزوارق النسافة وغيرها من السفن الحربية الجديدة باسلحة مدفعية وجوية والغام وطوربيدات تتسم بقوة اكبر مما سبق ، كما استلمت اجهزة ادارة اكثر كمالا وذات خصائص اعلى فى المناورة . واستلم سلاح جو الاسطول طائرات جديدة ، كما استلمت المدفعية الساحلية والمدفعية الجوية مدافع جديدة الطراز . واولى اهتمام خاص ببناء النماذج الجديدة من الغواصات التى تميزت بسرعة كبيرة فى السير تحت وفوق الماء وبالقدرة على الغطس الاسرع وطول وقت بقائها تحت الماء والعمل على بعد كبير عن قواعدها . وبدأ آنذاك صنع الغواصات الذرية .

وعمل كثيرا فى صنع السفن الجديدة وتسليحها ووسائل

قيادتهـــا العلمـــاء السوفييت شيمانسكى وبابكوفيتش وفلاسوف والكسييف وزودنيتسكى وأ . جوكوف وبالايـــان وكودريفيتش وغيرهم .

وخطت قوات الانزال الجوى خطوات كبيرة الى الامـــام فى تطورها . ففى حزيران (يونيو) ١٩٤٦ انفصلت هذه القوات عن القوات الجوية وصارت خاضعة مباشرة لوزير الدفاع . واستحدث منصب قائد قوات الانزال الجوى ، وتشكلت ادارة لهذه القوات . وعلى اســـاس بعض فرق المشاة تم تشكيل قطعـــات وتشكيلات المظليين والمنقولة جوا . وزودت هذه القوات بالاسلحة الصغيرة الاوتوماتيكية الجديدة وبالمدفعية ومدافع الهاون والوسائل المضادة للدبابات وللجو . واستلمت هذه القوات مدافع ذاتية الحركة (٥٧) ومدافع الـ٨٥ ملم ومدافع الهاون من عيار ١٢٠ ملـــم . وصنعت لانزال القوات طائرات شراعية ثقيلة ومظلات للشحنات . واخذت تستخدم الطرازات الجديدة من طائرات النقل والهليكوبترات .

ومع ان التقدم التكنيكى فى الاقتصاد الوطنى للاتحاد السوفييتى قـــد ساعد على تسليح الجيش وسلاح الجو والاسطول بانواع من السلاح والتكنيك الحربى اكثر كمالا ، فاننا لم نستطع آنذاك ان نحل المسألة الهامة جدا بشأن تغيير تناسب القوى والقدرة النارية فى الجيش لصالحنا ، وذلك لاننا لم نكن نملك آنذاك السلاح الذرى . واتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والحكومـــة السوفييتية كافة الاجراءات لصنع هذا السلاح فى اقصر وقت ممكن . وكان النجاح حليفنا . ففى اواخر الاربعينيات صنعت فى الاتحـــاد السوفييتى القنبلة الذرية ومن ثم القنبلة الهيدروجينية .

وادى اشباع الجيش بالاسلحـــة الجديدة والتكنيك الحربى الجديد والمهام الجديدة التى ظهرت فى الدفاع عن الوطن الى حدوث تغيرات تنظيمية كبيرة فى القوات المسلحة . ففى ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٤٦ تم ، بنـــاء على قرار مجلس مفوضى الشعب فى الاتحـــاد

السوفييتى ، توحيد مفوضية الشعب لشؤون الدفاع ومفوضية الشعب لشؤون الاسطول البحرى الحربى فى مفوضية واحدة هى مفوضية الشعب لشؤون القوات المسلحـــة التى سرعان مـــا سميت بوزارة القوات المسلحـــة . وفى شباط (فبرايـر) ١٩٥٠ قسمت وزارة القوات المسلحة الى وزارة الحربيـــة ووزارة الاسطول البحرى الحربى فى الاتحـــاد السوفييتى . وفى آذار (مارس) ١٩٥٣ جرى توحيدهما من جديد فى وزارة الدفاع فى الاتحاد السوفييتى . وكان ستالين حتى آذار (مارس) ١٩٤٧ مفوض الشعب لشؤون القوات المسلحة ومن ثم وزيرا لها . ثم حل محله الجنرال بولغانين ، ومنذ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ حتى آذار (مارس) ١٩٥٣ شغل منصب الوزير مارشال الاتحاد السوفييتى فاسيليفسكى .

وكانت القوات المسلحـــة آنذاك تضم القوات البرية والقوات الجوية والاسطول البحرى وقوات الدفاع الجوى وقوات الانزال الجوى . وكان قادة اصناف القوات وآمرو القوات الخاصة خاضعين لقادة انواع القوات المسلحـــة العامين او لوزير دفاع الاتحـــاد السوفييتى مباشرة . وكانت ادارة القوات فى اراضى البلاد متركزة فى المناطق العسكرية برئاسة قائد المنطقة وهيئة اركانها . وظلت القيادة العامة موجودة فى الشرق الاقصى مؤقتا . وتشكلت مجموعات من القوات فى اراضى المانيا والنمسا وبولونيا ورومانيا .

وفى شباط (فبراير) ١٩٤٦ تـــم لدى قادة انواع القوات المسلحة العامين تأسيس المجالس العسكرية ، كما تـــم تأسيس المجلس العسكرى الاعلى لدى الوزارة . وفى الوقت ذاتـــه تشكلت الادارات السياسيـــة لانواع القوات المسلحة . واصبحت الادارة السياسية الرئيسية هيئة توجيهية واشرافية بشأن مسائل العمل الحزبى السياسى فى كافة القوات المسلحة فى البلاد .

وجرت تغيرات تنظيمية كبيرة كذلك فى كل نوع من انواع القوات المسلحة . ففي القوات البرية مثلا اصبح الجيش المختلف

الاصناف اكثر قوة بسبب تقوية التكنيك الحربى فى فيالق المشاة ، واعادة تنظيم وتسليح مدفعية الجيش والمدفعية المضادة للدبابات والمدفعية الجوية ، وادراج فوج ثقيل للدبابات والمدافع الذاتية الحركة ضمن الجيش وغير ذلك من القطعات والتشكيلات الخاضعة للجيش . ونتيجة لتحويل القطعات والتشكيلات الى آلية متنقلة اكتسب الجيش المختلف الاصناف سرعة الحركة التى لا تقل عن سرعة حركة جيوش الدبابات فى فترة الحرب الوطنية العظمى . واصبح من الممكن بالنسبة لهذا الجيش تحقيق نجاح اكبر فى حل مهام اختراق دفاع العدو المستعد ، ومتابعة الهجوم بسرعة الى اعماق كبيرة وتطويق وتحطيم مجموعات العدو الكبيرة بسرعة وذلك بالتعاون مع الجيوش الاخرى .

وفى عام ١٩٤٦ تعرض فيلق المشاة الى اعادة التنظيم . فبدلا من ثلاث فرق مشاة صار هذا الفيلق يضم فرقتين للمشاة وفرقة ميكانيكية واحدة . وفضلا عن ذلك ضمت الى الفيلق قطعات المدفعية والمدفعية المضادة للدبابات وقطعات مدافع الهاون والقطعات المضادة للجو ، مما زاد من كمية المدفعية فى الفيلق بنسبة ٢١٪ ، وزادت الصلية النارية للفيلق من ٥ اطنان فى اواخر الحرب الى ٣٧ طنا فى عام ١٩٥٣ . فاذا كان لكل محارب فى الفيلق فى اواخر الحرب ٢ــ٣ حصانا بخاريا من قدرة المحركات ، ففى عام ١٩٥٣ اصبحت هذه الكمية ١٦ حصانا بخاريا .

وتغير كذلك تنظيم فرقة المشاة . فقد انضم اليها فوج المدفعية وفوج الدبابات والمدافع الذاتية الحركة وكتيبة مدفعية مضادة للجو (وفوج فيما بعد) وغير ذلك من القطعات . وتعززت الفرقة كثيرا بالسلاح الاوتوماتيكى والمدفعية والدبابات والمدافع ذاتية الحركة ، وانتقلت كليا الى استخدام قوة السحب الميكانيكية .

وتزودت الفرقة الميكانيكية بالناقلات المدرعة ، مما زاد كثيرا من شدة ضربة المشاة الآلية .

وعلى اساس جيوش دبابات الماضى تـــم تشكيل الجيوش الميكانيكية . وكان للجيش الميكانيكى مدفعيته الميدانية والجوية الخاصة به ومدافع هاون الحرس وقطعات الدراجات النارية وقطعات الهندسة وغيرها . وكان هذا الجيش يتميز بالسرعة الكبيرة فى الحركة والقدرة على المناورة ، وكان وسيلة جبارة فى يد قائد الجبهة لتطوير العملية .

وجرت تغيرات تنظيمية كبيرة كذلك فى المدفعيـــة وقوات الهندسة وقوات الكيمياء وغيرها من القوات الخاصة .

واستخدم التكنيك الحربى الجديد باكبر شكل من الحكمة فى التنظيـــم الجديد للقوات ، كما روعيت متطلبـات الفن العسكرى آنذاك .

وواجهت العلم العسكرى السوفييتى فى سنوات ما بعد الحرب مهام معقدة للغاية . فقد كان من الضرورى تعميم الخبرة الحربيـــة الغنية جدا التى تم الحصول عليها اثناء الحرب الوطنية العظمى . وعلى اساس هذه الخبرة ومع مراعاة التغيرات فى تسليح وتنظيـــم القوات كان يجب تأمين متابعة تطوير الفن العسكرى السوفييتى . ولذلك ففى عـــام ١٩٤٦ طلب مفوض الشعب لشؤون الدفاع فى الاتحاد السوفييتى بان تتدرب القوات على اساليب اعداد العملية والمعركة وتنظيم الزج بتشكيلات الدبابات والتشكيلات الميكانيكية الكبيرة فى الاختراق ، وطرائق تأمين استمرارية التعاون بين اصناف القوات فى كافة مراحل الاعمال القتالية وتنظيم المطاردة السريعة فى الهجوم وتوجيه الضربات المضادة فى الدفاع . وبذلك تم على اثر انتهاء الحرب الوطنية العظمى تحديد الاسس التنظيمية والمبادىء التخطيطية فى التحضير العملياتى والتاكتيكى للقادة والاركان والقوات ، وليس ذلك وحسب ، بل تم تعيين الخطوات الجديدة فى معالجة اهم قضايا الفن العسكرى .

وشغلت مكانة هامة في نظريـــة فن العمليات معالجة مسائل

تنظيم وخوض العمليات الهجومية والدفاعية . فقد كان من الضرورى فى العمليات الهجومية قبل كل شىء تحديد مهمات الجبهة (او الجيش) لجعلها تتناسب والامكانيات المتزايدة لدى القوات السوفييتية ونمو تجهيزها التكنيكى وانتقالها الى المكننة الآلية التامة . وروعى خلال ذلك عمق دفاع العدو .

تدريب وتربية المحاربين

كان تطور الفن العسكرى لدى الجيش السوفييتى مرتبطا ارتباطا لا ينفصم بالتدريب القتالى اليومى المتوتر للقوات وبالعمل الحزبى السياسى بين افراد الجيش والاسطول . وبينت خبرة الحرب ان الانتصارات احرزتها بسرعة اكبر تلك الوحدات والقطعات التى كان افرادها يتميزون بسمات قتالية وخلقية اسمى . وكان من الضرورى الاستمرار فى تنمية هذه السمات فى زمن السلم ايضا .

واهتمت وزارة دفاع الاتحاد السوفييتى بهذه المسائل اهتماما جديا . وابدت عناية خاصة بتحسين قوام كوادر الضباط ومتابعة استكماله . وكان من الضرورى ان يبقى فى الجيش الضباط الذين يتحلون بالخبرة الغنية والتخصص العسكرى الممتاز ، ولكنه كان من الضرورى فى الوقت ذاته تأمين جعل الكوادر فتية على الدوام . فقد كان على الجيش ان يضم قبل كل شىء الكوادر القادرة على تنفيذ اية مهمة فى اصعب الظروف .

وكان تدريب وتربية كوادر القادة ينطلقان من الموضوعة الاساسية القائلة بان الضابط السوفييتى هو حامل سياسة الحزب الى القوات وقائد التدريب القتالى والسياسى لافرادها ومنظم المعركة ومربى مرؤوسيه . ويبين تاريخ الحروب ان تجهيز الجيوش وحده ولو بأفضل الاسلحة والمعدات لا يجعل من هذه الجيوش قادرة

على القتال كليا . فالجيش يصبح كامل القدرة على القتال عندما يقود الوحدات والقطعات والتشكيلات ضباط قادرون على تنظيم التدريب القتالى والسياسى الشامل للمحاربين ويقودون عملياتهم بمهارة فى الميدان .

ولكنه لكى يستطيع الضباط ان يدربوا ويربوا مرؤوسيهم بنجاح ، عليهم ان يكونوا هم انفسهم متعلمين من كافة الوجوه ومتحلين بأفق سياسى وتكنيكى وثقافى واسع . وعليهم ان يدرسوا ويتعلموا هم انفسهم بمثابرة وانتظام .

ويعود الدور الرئيسى فى اعداد كوادر الضباط فى الاتحاد السوفييتى الى المؤسسات التعليمية العسكرية الثانوية والعليا . فعليها ان تعد للجيش والاسطول الاخصائيين العسكريين الذين تنطبق عليهم كافة متطلبات القتال الحديث . ولغرض تنفيذ هذه المهمة بنجاح اعيد النظر كذلك فى كامل نظام التعليم العسكرى والسياسى والتكنيكى فى سنوات ما بعد الحرب . واتخذت الاجراءات لمتابعة تعزيز المؤسسات التعليمية العسكرية بأساتذة محنكين . ولاعداد الكوادر الجديدة فى مجال التكنيك اللاسلكى افتتحت فى عام ١٩٤٦ اكاديمية التكنيك اللاسلكى المدفعية . وفى عام ١٩٤٧ تأسس المعهد العسكرى للتربية البدنية والرياضة ، وفى عام ١٩٥٣ تأسست اكاديمية قادة الاتصال واكاديمية قادة المدفعية العسكرية .

وساهمت مساهمة كبيرة خاصة فى اعداد كوادر الضباط فى فترة ما بعد الحرب المؤسسات التعليمية العسكرية العليا الشهيرة مثل اكاديمية فرونزه العسكرية واكاديمية لينين العسكرية السياسية واكاديمية دزيرجينسكى العسكرية للهندسة واكاديمية كالينين العسكرية للمدفعية واكاديمية مالينوفسكى للقوات المدرعة واكاديمية جوكوفسكى للهندسة الجوية العسكرية واكاديمية موجايسكى للهندسة الجوية العسكرية واكاديمية غاغارين الجوية العسكرية واكاديمية كويبيشيف للهندسة العسكرية والاكاديمية

البحرية العسكرية وغيرهـا ، وكذلك المدارس الثانوية ومدارس الهندسة والتكنيك . وحلت مهام كبيرة فى اكاديمية الاركان العامة التى هى مركز تعليمى وعلمى بارز للقوات المسلحة السوفييتية . فقد اعدت هذه الاكاديميـة كبار الضباط لتشكيلات وجحافل الجيش والاسطول .

والى جانب الاكاديميـات والمدارس العسكرية جرى اعداد الكوادر العسكرية فى دورات استكمال اعداد واعادة اعداد الضباط . وجرى العمل فى الدورات بصورة مثمرة خصوصا فى السنوات الاولى بعد الحرب . فقد تخرجت من هذه الدورات مئـات الضبـاط من مختلف الاختصاصات . ونتيجة لهذا العمل لم تشعر القوات المسلحة السوفييتية ابدا بنقص جدى فى عدد الضبـاط من مختلف المهن والاختصاصات .

وخلال سنوات ما بعد الحرب منح عدة آلاف من المحاربين الذين ابدوا بطولة وتفانيا اوسمة وميداليات الاتحاد السوفييتى . وفى عام ١٩٤٨ منح لقب بطل الاتحاد السوفييتى السامى الى اربعة من هؤلاء وهم الطيارون المجربون للطائرات النفاثة الجديدة : العقيد ايفانوف والرائـد ايفاشينكو والعقيـد فيودوروف والجنـرال ستيفانوفسكى .

لقـد بذل الجنرالات والاميرالات والضبـاط والرقبـاء والمساعدون والجنود والبحارة ويبذلون قصارى جهدهـم وكامل طاقاتهم فى استكمال اعدادهم العسكرى والسياسى . وهم يرفعون مستوى ثقافتهم التكنيكية ويمتلكون ناصية التكنيك الحربى الجديد والاسلحة الجديدة . وهم يدركون تماما ان مصير الحرب يقرره فى آخر المطاف اولئك الذين درسوا بكل تفصيل الشؤون العسكريـة والذين يمتلكون ناصية التكنيك وهم مستعدون لتذليل اية مصاعب من اجل النصر .

ثورة فى الشؤون العسكرية

نحو آفاق جديدة

فى اواخر عام ١٩٥٣ دشنت القوات المسلحة السوفييتية مرحلة جديدة فى تطورها . ففى هذه الاثناء بدأ ادخال السلاح النووى والصواريخ المختلفة الاصناف والاغراض الى الجيش وسلاح الجو والاسطول .

ومما لا شك فيه ان ظهور وسائل جديدة من حيث المبدأ للصراع المسلح اثر تأثيرا حاسما على بناء القوات المسلحة وعلى الفن العسكرى السوفييتى . فقد استدعت الحاجة اعادة النظر فى الآراء العسكرية النظرية بشأن طابع خوض الحرب فى المستقبل ووضع اشكال واساليب جديدة لاجراء العملية والمعركة فى ظروف استخدام سلاح الابادة الجماعية .

ان نمو الاقتصاد السوفييتى فى سنوات ما بعد الحرب هائل فعلا . فقد ازداد انتاج الانواع الهامة جدا من المنتوج الصناعى مثل الفولاذ والحديد الصب فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٦ بثمانى مرات تقريبا بالقياس الى عام ١٩٤٥ . وازداد انتاج الصفائح بحوالى تسع مرات ، والفحم باربع مرات ، كما ازداد انتاج البترول والطاقة الكهربائية بـ١٣ مرة . وتم فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٤ تدشين اول محطة كهربائية ذرية فى العالم . وفى الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ اطلق من اراضى الاتحاد السوفييتى اول تابع اصطناعى للارض فى العالم . وفى اواخر عام ١٩٥٧ انزلت الى المياه اول سفينة ذرية هى « لينين » . وفى اوائل نيسان (ابريل) ١٩٦١ بزغ فجر عصر الفضاء الكونى . ففى ١٢ نيسان (ابريل) تحقق اول تحليق فى العالم يقوم به انسان الى الفضاء الكونى .

وفى ميدان السياسة الخارجية بذل الاتحاد السوفييتى جهودا مثابرة لتنفيذ الاقتراحات التى طرحها بشأن نزع السلاح التام

الشامل ، وخاض نضالا لا يكل من اجل السلام فى العالم بأسره . الا ان الدول الامبريالية رفضت بعنـــاد هذه المقترحات وعززت على الدوام قواتهـــا المسلحة وخلقت بؤر الحرب الخطرة وانتقلت الى العدوان المباشر بين الحين والآخر فى هذه المنطقة من العالم او تلك . وكان الامبرياليون يدبرون خطط تحطيم المعسكر الاشتراكى واعادة النظام الاستعمارى المنهار واستعباد الشعوب .

وانطلاقا من الوضع الذى تكون حتى اوائل الخمسينيات وبناءا على وجود جيش كبير واحتياطى هائل من القنابل الذرية فى الولايات المتحدة الاميركية ، ونظرا لممارسة الولايات المتحدة الاميركيـــة التهويل والتهديد السافـــر بالهجوم الذرى على بلاد السوفييت كان ينبغى للحكومة السوفييتية ان تزيد تعداد القوات المسلحة الى ٥ ملايين و٧٦٣ الف شخص . وفى الوقت ذاته قام الحزب والحكومة بعمل هائل لصنـــع وتجريب نماذج السلاح الذرى والهيدروجينى لغرض الدفاع عن البلاد . ومن المعروف ان الحكومة السوفييتيـــة اعلنت فى عام ١٩٤٧ بان الاتحـــاد السوفييتى يمتلك سر السلاح الذرى ، وفى عام ١٩٤٩ اجرى اول تفجير تجريبى لجهاز ذرى . وسارت عملية استكمال انتاج وتكديس الذخيرة الذرية بوتائـــر سريعة . ففى آب (اغسطس) ١٩٥٣ جرت فى الاتحاد السوفييتى بنجاح قبل الولايـــات المتحدة الاميركية التجارب على احد انواع القنبلة الهيدروجينية . واحرز الاتحاد السوفييتى نجاحا كبيرا فى انتاج الصواريخ القـــادرة على حمل الشحنات الذرية والنوويـــة الحرارية الى اية بقعة على الارض .

ان النجاحات التى تم احرازها فى تطوير العلم والتكنيك ساعدت الصناعة الدفاعية السوفييتية على صنع الكميات اللازمة من انواع الاسلحة الجديدة ، وهيأت الامكانية لتقليص القوات المسلحة كثيرا دون الحاق ضرر بالقدرة الدفاعية للبلاد . وبهذا الخصوص اقر فى كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ «قانون التقليص الجديد الكبير للقوات

المسلحة» . ونص هذا القانون على ان لا يتجاوز تعداد جيش بلاد السوفييت ٢,٥ مليون شخص .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦١ انتهى كليا تسليح الجيش السوفييتى بالتكنيك الصاروخى النووى ، وهو التسليح الذى بدأ فى اواخر عام ١٩٥٣ . واصبح تحت تصرف قواتنا المسلحـــة سلاح جبار باستطاعته ان يحطم اى معتد .

وهذا الامر تطلبــه برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى الذى جاء فيه «ستعنى الدولة السوفييتية لكيما تكون قواتها المسلحة شديدة البأس ولكى تجد تحت تصرفها احدث وسائل الدفاع عن الوطن ــ الاسلحة الذرية والنووية الحرارية ، الصواريخ على اختلاف ابعاد فعلها ، لكى تحتفظ بجميع انواع الاعتدة والاسلحة الحربية على المستوى المطلوب» .

ولقد تم احراز كافة هذه النجاحات فى تجهيز الجيش والاسطول بأحدث انواع التكنيك الحربى والاسلحة بفضل العمل البطولى المتفانى للطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين وجهود العلماء والمهندسين السوفييت والتنفيـــذ الناجح لخطط الاقتصـــاد الوطنى . وان هذه النجاحات هى ثورة فى الشؤون العسكرية .

ونعنى بالثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية مجمل التغيرات الجذريـــة التى حدثت فى وسائل الصراع المسلح واساليب اجراء الاعمال القتالية وفى تنظيم القوات وطرائق تدريب وتربية افرادها . وقد استدعى الثورة فى الشؤون العسكرية قبل كل شىء الادخـــال الواسع للسلاح الصاروخى النووى والوسائل التكنيكيـــة الجديدة اللازمة لاستخدامه .

وفى الوقت الحاضر يشكل السلاح الذرى والنـــووى الحرارى اساس القدرة النارية والضاربة لدى القوات المسلحة السوفييتية . وان الوسيلة الرئيسية لايصال هذا السلاح الى اهدافه هى الصواريخ القادرة على قطع اية مسافة فى فترة زمنية قصيرة وتوجيه الضربة

القاضية الى العدو فى اية بقعة من بقاع الكرة الارضية . وقد تشكل نوع جديد تماما من القوات المسلحة ، نعنى القوات الصاروخية الستراتيجية . وتغيرت بصورة جذرية الانواع الاخرى من القوات المسلحة ـ القوات البرية وقوات الدفاع الجوى للبلاد والقوات الجوية والاسطول البحرى الحربى ، حيث جرت اعادة تنظيم جذرية مرتبطة بادخال السلاح الجديد .

وتطور السلاح النووى فى السنوات الاولى من وجوده باعتباره وسيلة ستراتيجية للصراع . ولذلك صنعت شحنات نووية بشكل قنابل ذرية ذات قدرة كبيرة جدا . ومن ثم بدأ صنع وتجريب الشحنات النووية ذات القدرة الصغيرة ، وبذلك وضعت بداية صنع الذخيرة النووية للاغراض التاكتيكية والتى يمكن استخدامها على مقربة مباشرة من القوات الصديقة فى ساحة القتال . وفيما بعد جرى تطور السلاح النووى فى اتجاه صنع انواع وقدرات للشحنات جديدة على الدوام .

ومن الخطوات الهامة للثورة فى الشؤون العسكرية استخدام الصواريخ باعتبارها افضل وسيلة لحمل الشحنات النووية . وتوجد الآن صواريخ ذات اغراض ستراتيجية وعملياتية-تاكتيكية وتاكتيكية . والصواريخ الستراتيجية قادرة على توجيه الضربات الى العدو فى اية بقعة على الكرة الارضية واصابة مشاريعه الصناعية ومطاراته وقواعده البحرية ومجموعات قواته الكبيرة وعقد الطرق ومحطات سكك الحديد . وان وجود الشحنات النووية التى تبلغ قدرتها بضع عشرات من الميغاطن (ملايين الاطنان) يهيىء امكانية اصابة اى هدف للعدو .

وقد ادى تطور العلم والتكنيك وتزايد الامكانيات الاقتصادية والحاجات الملحة الى حدوث تغيرات كبيرة فى السلاح الاعتيادى ايضا . فقد استمر تطور المدفعية والدبابات وسلاح الجو والاسلحة الصغيرة والتكنيك الحربى للقوات الخاصة .

وكان على التطور العاصف لوسائل الصراع المسلح ان يؤثر حتما وقد اثر بالفعل تأثيرا حاسما على تغير اساليب اجراء الاعمال القتالية . فان المفعول التدميرى الكبير للسلاح النووى وضرورة الوقاية منه تطلبا انتشار القوات فى ساحة المعركة . وصارت تحل بشكل مغاير مسائل تركيز القوات والوسائل فى اتجاه الضربة الرئيسية . واختفى خط الجبهة المتراصة الكاملة . وصارت القطعات والتشكيلات فى الظروف الجديدة تعمل فى اتجاهات منفصلة وطبقا لمبدأ «السير على انفراد والضرب معا» . ولذلك اكتسب اهمية خاصة التعاون الاوثق بين كافة اصناف وانواع القوات المسلحة فى حل مهامها . وطرحت النظرية العسكرية السوفييتية مسألة ضرورة توسيع نطاق العمليات فى الظروف الجديدة وتوسيع عرض مواجهة الهجوم وعمق العملية ووتائر الهجوم مع تقليص وقت اجراء العملية . وازداد دور المباغتة والتمويه ، وكذلك عامل الزمن . وسوف يقرر مآل المعركة فى اغلب الحالات فى غضون ساعات ، بل وحتى دقائق معدودة .

وابدت التغيرات الجذرية فى التسليح والتكنيك الحربى وفى تنظيم القوات واساليب اعمالها القتالية متطلبات عالية جدا من افراد الجيش السوفييتى . فافراد الجيش فى الحرب الصاروخية النووية سيضطرون الى مواجهة خسائر واسعة وتدميرات كبيرة وسيتعرضون الى مفعول كافة تأثيرات السلاح النووى والكيمياوى والجرثومى . وفى هذه الظروف لا يظل محافظا على ارادة النصر ولا يقاتل بحزم وبسالة وبروح من المبادرة وابداء الشجاعة والرجولة والبطولة الا المحاربون الذين يتحلون بايمان ايديولوجى ثابت وبادراك عميق للواجب العسكرى .

ولذلك بالذات فان كامل عمل القادة والهيئات السياسية والمنظمات الحزبية ومنظمات الكومسومول فى الجيش موجه نحو تربية الجنود والضباط والجنرالات بروح الانضباط العسكرى الحديدى والوعى السياسى العالى والاخلاص اللامتناهى للوطن والبسالة

والصمود والبطولة والاستعداد للتضحية بالنفس فى سبيل الشعب ومن اجل قضية الشيوعية .

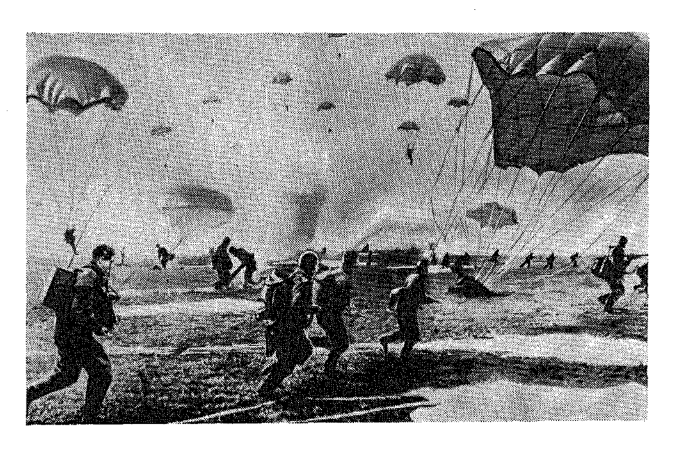
وتبين تجربة الحرب الوطنية العظمى ان اية قوة لا يمكنها ان تقهر المحارب الواثق من معتقداته الايديولوجية .

ولقد استدعى الثورة فى الشـؤون العسكريـة ذلك التطور العاصف للقوى المنتجة والعلم والتكنيك الذى اتاح امكانية صنـع وسائل للصراع جبارة جديدة . وغيرت هذه الثورة تغييرا جذريا طابع خوض الحرب فى المستقبل وطابع العمليات والمعارك وتركيب القوات المسلحة وطرق التدريب العسكرى والتربية لافراد الجيش والاسطول ، وحولت مسألة الحرب والسلام الى مسألة اساسيـة للسياسة الدولية والى قضية حياة او موت بالنسبة لملايين الناس ، وادت الى تغير طابع المذهب العسكرى والى نظرية جديدة مبدئيا فى الفن العسكرى .

المذهب العسكرى

اتسم التطـور العالمى فى فترة ما بعد الحرب بجملة مـن الخصائص . فقد ازدادت كثيرا القدرة الاقتصادية والعسكرية لبلاد السوفييت . ويواجه الاتحاد السوفييتى المعتدين ليس وحيدا ، بل مع اسرة البلدان الاشتراكية الشقيقة . وتغير تناسب القوى العام فى العالم لصالح الاشتراكية . وتجهـز الجيش السوفييتى بسلاح جبار جديد وبتكنيك حربى جديد . وكل ذلك تطلب اعادة النظر فى حل مسألة اتجاه بناء القوات المسلحة فى الظروف الراهنة وتأمين الدفاع المتين عن الدولة من العدوان الامبريالى . وبعبارة اخرى ، فقد كان من الضرورى وضع مذهب عسكرى جديد يستجيب للظروف الراهنة لتطور الاتحاد السوفييتى .

ان المذهب العسكرى السوفييتى هو بمثابة القانون الاساسى للدولة فى ميدان الدفاع عن البلاد . فهو يجب ان يكون مرنا ، وان



انزال المظليين فى مؤخرة «العدو» .

الاخوة الطبقية هى اخوة السلاح . عام ١٩٦٦ .



فى التدريبات المشتركة «فلتافا» .

يستجيب بسرعة لكل جديد يقدمه العلم العسكرى وتطبيق الصراع المسلح ، ويجب ان يراعى بكل دقة علمية كافة التغيرات فى العلاقات السياسية فيما بين الدول ، وفيما بين مجموعات الدول .

وللمذهب العسكرى جانبان : سياسى وتكنيكى . ويشمل الجانب السياسى مسائل الاهداف السياسية من الحرب فى المستقبل وطابع المهام الحربية للدولة فى الحرب التى يمكن ان يفرضها علينا المعتدون . وقد صاغ لينين هذا الجانب منذ تأسيس دولتنا . وحظيت الاحكام اللينينية الهامة بتطوير لها فى مقررات مؤتمرات الحزب الشيوعى . ولقد وقف الاتحاد السوفييتى دائما ضد الحروب الامبريالية الاغتصابية غير العادلة . وعلى العكس ، ايد دائما الحروب العادلة التحررية التقدمية .

ان الحرب فى المستقبل ، اذا استطاع الامبرياليون اشعال نيرانها ، ستكون اشتباكا مسلحا طاحنا بين النظامين الاجتماعيين المتناقضين ، وستكون صراعا بين الائتلافين ــ الاشتراكى والامبريالى ــ سيسعى فيه كل طرف الى بلوغ اكثر الاهداف حزما .

وقد جاء فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى ما يلى :

« ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والشعب السوفييتى بأسره سينبريان فى المستقبل ايضا ضد حروب الغزو على اختلافها بما فى ذلك الحروب بين الدول الرأسمالية ، والحروب المحلية التى تستهدف خنق الحركات الشعبية التحررية ، ويريان من واجبهما تأييد الشعوب المظلومة فى نضالها المقدس وحروبها التحررية العادلة ضد الامبريالية » * .

وان التغيرات التى جرت فى القسم السياسى من المذهب العسكرى فى سنوات ما بعد الحرب تتلخص فى انه بالرغم من عدم تحقق الانتصار الكامل للاشتراكية على الارض حتى الآن ومع بقاء

* « برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى » ، ص ٧٦ ، موسكو ، ١٩٦١ .

الرأسمالية فى قسم من العالم تظهر بنتيجة التناسب الجديد للقوى على الصعيد العالمى امكانية واقعية لاستبعاد الحرب العالمية من حياة المجتمع . ولذلك يخوض الحزب الشيوعى السوفييتى نضالا نشيطا من اجل التعايش السلمى بين مختلف الدول ، ومن اجل ضمان السلام الوطيد ، ومن اجل نزع السلاح التام الشامل . ويأخذ الحزب بنظر الاعتبار القوى المتزايدة دوما والمناضلة من اجل السلام .

والى جانب ذلك يأخذ القسم السياسى من المذهب العسكرى السوفييتى بنظر الاعتبار الجوهر الرجعى العدوانى للامبريالية وايديولوجيتها . وهو يأخذ بنظر الاعتبار كذلك ان خطر شن الامبرياليين لحروب الغزو الجديدة ضد البلدان الاشتراكية يزداد بصورة اكبر فى الظروف الراهنة . وتدل احداث السنوات الاخيرة بكل وضوح على ان الامبرياليين مستعدون للقيام باية استفزازات . ومن هذه الاحداث الحصار المسلح ضد كوبا فى عام ١٩٦٢ والحرب فى فييتنام والعدوان الاسرائيلى على الدول العربية المحبة للسلام ودسائس الامبرياليين فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ .

ويسير سباق التسلح فى الولايات المتحدة الاميركية على نطاق لم يعرف التاريخ مثيلا له . فخلال ٢٠ عاما بعد الحرب العالمية الثانية تجاوزت النفقات العسكرية فى الولايات المتحدة الاميركية نفقات العشرين عاما التى سبقت الحرب بـ٤٨ مرة .

واعتبارا من عام ١٩٥٠ قدمت الولايات المتحدة الاميركية الى الدول الاجنبية مساعدة عسكرية بمبلغ ٣٧ مليار دولار . وخلال هذه الفترة قدمت الولايات المتحدة الى مختلف البلدان ٧٠٠٠ طائرة مقاتلة و٢٠٢٧٩ دبابة واكثر من ٣,٥ ملايين بندقية . وقال عضو مجلس الشيوخ الاميركى فرانك تشيرتش فى جلسة المجلس «ان الحكومة الفيدرالية للولايات المتحدة الاميركية هى اليوم المصدرة الرئيسية للسلاح الى العالم» .

وتضم القوات المسلحة الاميركية الآن حوالى ٣,٥ ملايين شخص . بينما بلغ العدد الاجمالى لافراد القوات المسلحة لبلدان حلف الناتو فى عام ١٩٦٩ ، ٦,٦ ملايين شخص .

ويدل ذلك كله على ان الطبقة الاستغلالية التى تفقد قاعدتها مستعدة للقيام بأية مغامرة ، وذلك لانها لا تريد الاعتراف بهزيمتها فى المباراة مع النظام الاشتراكى الطليعى .

اما الجانب التكنيكى للمذهب العسكرى فهو مرتبط بادخال السلاح الذرى والنووى الحرارى الى كافة انواع واصناف القوات المسلحة ، وبظهور الصواريخ باعتبارها الوسيلة الاساسية لايصال هذا السلاح الى هدفه ، وبالتغيرات الثورية فى اساليب الصراع المسلح ، وفى الفن العسكرى السوفييتى ككل .

وكتب مالينوفسكى يقول ان جوهر المذهب العسكرى السوفييتى يتلخص باختصار فى « ان الحرب فى المستقبل ، اذا استطاع الامبرياليون ان يشعلوا نيرانها ، ستكون صداما مسلحا حاسما بين النظامين الاجتماعيين المتناقضين ، ومن حيث طابع الوسائل المستعملة ستغدو هذه الحرب حتما حربا نووية حرارية يصبح السلاح النووى فيها الوسيلة الرئيسية للاصابة ، وتصبح الصواريخ الوسيلة الاساسية لايصاله الى الهدف . وسوف تتميز هذه الحرب بضراوة لم يسبقها مثيل فى الصراع المسلح ، وبسرعة الحركة والمناورة العالية فى الاعمال القتالية وبانعدام الجبهات المتصلة المستقرة وانعدام الحدود بين الجبهة والمؤخرة وبالامكانيات المتزايدة لتوجيه الضربات المباغتة ذات القوة الكبيرة الى قوات البلدان المتحاربة والى مؤخراتها العميقة على حد سواء » .

وبسبب تغير وسائل الصراع ستتغير بداية الحرب ايضا . فالبداية يمكن ان تكون حاسمة ليس فقط بالنسبة لبدء الصراع المسلح ، بل وبالنسبة لنتيجته النهائية . فالحرب يمكن ان تنشب بدون فترة التهديد المعتادة ، ويمكن ان تشمل بغتة وفورا نطاقا

حازما شاملا . وان مثل هذه البداية من اكثر الامور اغراء بالنسبة للمعتدى ، وهى ، بالتـــالى ، اكثر احتمالا . ومن المعـــروف ان الاركانات العامة للدول الرأسمالية الكبرى تعلق آمالها فى خططها للحرب المحتملة ضد الاتحاد السوفييتى وبلدان المعسكر الاشتراكى على الهجوم النووى المباغت قبل كل شىء . ولذلك يعتبر المذهب العسكرى السوفييتى ان المهمة الرئيسية المباشرة للقوات المسلحة هى : ان تكون على استعداد قتالى دائم للصد الفورى المضمـــون لهجوم العدو المباغت واحباط خططه .

ان الحرب فى المستقبل لا بد وان تكون ذات نطاق قارى عالمى وان تكتسب طابعا اباديا لم يسبقه مثيل ، وان تؤدى الى افناء مئات الملايين من البشر وتحول بلدانا كاملة الى صحار موات . الا ان الصراع حتى النصر النهائى لا يمكن ان يقتصر على ضربـــات السلاح النووى . ولذلك فهو يمكن ان يمتد امدا طويلا ويتطلب توتر كافة قوى الجيش والبلاد عموما لاقصى حد ولاجل طويل . ومن البديهـــى ان النصر النهائى لا يمكن ان يتحقق الا بنتيجـــة العمليات المشتركة لكافة اصناف وانواع القوات المسلحة حيث تساهم فيها الجيوش الكبرى التى يبلغ تعدادها ملايين كثيرة .

ان المذهب العسكرى السوفييتى يتطلب اعداد قواتنا المسلحة والبلاد والشعب السوفييتى بأسره للحرب النووية .

ان حرب المستقبل ستكتسب منذ البداية طابع سرعة الحركة وسرعة الجريان . ولذلك تتلخص المهمـــة فى ان نكون مستعدين بدون اى ابطاء الى اكثر العمليات حزما وسعة وخطفا ومباغتة للعدو بكافة القوات والوسائل . وفى حالة اطالة امد الحرب يجب ان تكون لدينا احتياطيات بشرية ومادية مستعدة .

ويبدى المذهب العسكرى السوفييتى متطلبات كبيرة من اعداد القوات للحرب وتربية وتدريب افراد الجيش والاسطول . فمن الضرورى تدريب المحاربين على ما تتطلبه الحرب النووية الحرارية .

والى جانب ذلك ينبغي مراعاة امكانية خوض الاعمال القتالية بالسلاح العادى ، وكذلك امكانية تحول هذه الاعمال الى عمليات حربية يستخدم فيها السلاح الصاروخي النووى .

ان المذهب العسكرى السوفييتي يتسم بطابع اممى حقا ، وذلك لانه يستجيب لمصالح المعسكر الاشتراكى بأسره والبشرية التقدمية بأسرها ، وهو موجه ضد مشعلى الحروب وضد اعداء الحضارة .

الجيش السوفييتي في المرحلة الراهنة

لقد اكتسبت القوات المسلحة السوفييتية جملة من الخصائص الجديدة التى تميز المرحلة الراهنة من تطورها عن المراحل السابقة . فهذه القوات التى هى اداة بيد دولة الشعب بأسره اصبحت قوات الشعب بأسره بكل معنى الكلمة ، وهى مدعوة الى الدفاع ليس فقط عن اول بلد اشتراكى فى العالم - الاتحاد السوفييتي - بل والى ان تكون اساس الدفاع عن المعسكر الاشتراكى كله . وان متطلبات الدفاع عن السلام فى العالم بأسره هى التى حددت المغزى الاممى الحقيقى لرسالة هذه القوات . وفضلا عن ذلك فان الجيش السوفييتي حافظ على الخصائص التى اكتسبها منذ الايام الاولى لميلاده ، مثل الروح الثورية والاخلاص لمصالح الشعب والطابع المتعدد القوميات والخ .

وتناط الادارة العامة للقوات المسلحة فى البلاد بوزارة دفاع الاتحاد السوفييتي . وقد شغل منصب وزير الدفاع اعتبارا من آذار (مارس) ١٩٥٣ على التوالى مارشالات الاتحاد السوفييتي بولغانين وجوكوف ومالينوفسكى . واعتبارا من ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ عين لهذا المنصب مارشال الاتحاد السوفييتي غريتشكو . وترأس الاركان العامة فى سنوات ما بعد الحرب الجنرال انطونوف ومارشال الاتحاد السوفييتي فاسيليفسكى

والجنرال شتيمينكو ومارشالات الاتحاد السوفييتي سوكولوفسكي وزاخاروف وبيريوزوف . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ عين مارشال الاتحاد السوفييتي زاخاروف من جديد رئيسا للاركان العامة .

وتمارس الادارة السياسية الرئيسية للجيش السوفييتي والاسطول البحري الحربي توجيه العمل الحزبي والسياسي في القوات المسلحة السوفييتية . وترأس هذه الادارة طوال السنوات السبع التي تلت الحرب الجنرال شيكين ، ثم الجنرال كوزنيتسوف . ومن ١٩٥٣ حتى ١٩٦٢ شغل هذا المنصب الجنرال جلتوف ومارشال الاتحاد السوفييتي غوليكوف . واعتبارا من حزيران (يونيو) ١٩٦٢ شغل هذا المنصب الجنرال يبيشيف .

وانطلاقا من الظروف والمهام الراهنة تبنى القوات المسلحة السوفييتية على اساس مبدأ الجيش النظامي والمستعد للعمليات على الدوام . ومن حيث التركيب واشكال التنظيم تبنى هذه القوات طبقا لمتطلبات اساليب الاعمال القتالية ومتطلبات الفن العسكري السوفييتي ، وتتكون من خمسة انواع : القوات الصاروخية الستراتيجية وقوات الدفاع الجوي للبلاد والقوات البرية والقوات الجوية والاسطول البحري الحربي . ولكل نوع من القوات المسلحة اصناف من القوات .

ويستند تقسيم القوات المسلحة الى انواع على وظائفها الستراتيجية وعلى امكانية حل المهام الستراتيجية والعملياتية الكبرى بصورة مستقلة . وان تقسيم الانواع الى اصناف مرتبط بوجود اسلحة مختلفة ومعدات حربية مختلفة وبخاصية استخدامها في المعارك والعمليات .

وان ميلاد الصواريخ العابرة للقارات والتي اصبحت في يد قيادة الدولة بمثابة اقوى وسيلة للتأثير على سير الحرب عموما استدعى ضرورة تشكيل نوع جديد كليا من القوات المسلحة ،

وهو القوات الصاروخية الستراتيجية . واصبحت هذه القوات النوع الرئيسى للقوات المسلحة واساس القدرة الدفاعية لبلاد السوفييت . وكان قد عين لمنصب القائد العام للقوات الصاروخية الستراتيجية خلال هذه السنوات : كبير مارشالات المدفعية نيديلين ومارشالا الاتحاد السوفييتى موسكالينكو وبيريوزوف . واعتبارا من عـــام ١٩٦٣ عين لهذا المنصب مارشال الاتحاد السوفييتى كريلوف .

وتتميز الصواريخ الستراتيجية السوفييتية بمدى غير محدود فى الواقع وبقدرة على حمل الشحنات النووية الحرارية ذات القوة الهائلة ، والدقة الفائقة فى اصابة الهدف وسمات ممتازة لمســـار التحليق تجعل الضربات الصاروخية النووية امرا مباغتا لا مرد له ، كما تتميز بامكانية استخدامها فى اى فصل من فصول السنة وفى اى وقت من الليل والنهار وفى اية ظروف طقسية .

ان وجود هذه الصواريخ ادى الى حدوث تغير كبير فى الوضع الستراتيجى العالمى . فبظهور الصواريخ فى الاتحاد السوفييتى فقد عامل المكان اهميته السابقة . فاذا كانت الولايات المتحدة الاميركية المحتمية بالمحيطات والمسافة الشاسعة والتى تمتلك قواعد حربية على اراضى الغير تخطط سابقا لخوض الحرب على حساب حلفائها وتعتقد بان كافة الضربات الجوابية ستقع على بلدان اوروبـــا وآسيا ، فقد حلت الآن نهاية الحصانة النسبية للولايات المتحدة الاميركية . فان اراضى الولايات المتحدة الاميركية ستصبح مسرحا للعمليات الحربية منذ اللحظات الاولى للحرب اذا قامت .

ان السلاح الصاروخى النووى لا حدود له فى الواقع من حيث قوته التدميرية . ومن المعروف ان صاروخا واحدا ذا شحنة نووية جبارة يلفظ لدى الانفجار طاقة تفوق طاقة كافة المتفجرات التى استخدمت طوال سنى الحرب العالمية الثانية .

وتبين الصواريخ الستراتيجية الموجودة حاليا والتى تحمـــل شحنات نووية ذات قدرة مرتفعة وذات معادل ت ن ت قدره

٢٠ و٣٠ و٥٠ مليون طن واكثر ان تدمير دول كاملة لا يحتـــاج الا الى بضع قنابل هيدروجينية . ونذكر هنا ان شحنة واحدة ذات قوة قدرها ١٠٠ مليون طن من مادة ت ن ت تزيد قوتهـــــــا بـ ٥٠٠٠ مرة على قوة القنبلتين الذريتين اللتين القاهما الاميركان على هيروشيما وناجازاكى .

وتتميز الصواريخ السوفييتية بالدقة الفائقة فى اصابة الهدف . فهى قادرة على اصابة اى هدف وعلى اية مسافة بالاطلاقة الاولى . ويعتبر علماء بلدان كثيرة هذا الامر دقة اسطورية . وفضلا عن ذلك تتسم الصواريخ باحتمال كبير للوصول الى الهدف . وتعـــزى هذه الدقة الى الارتفاع الكبير والسرعة الهائلة لتحليق الصاروخ . فهو يقطع مسافة تزيد على ١٠ آلاف كيلومتر فى ٣٠ـ٣٥ دقيقة . ويزيد معدل سرعة تحليق الصواريخ الستراتيجية بعشرين مرة على سرعة المقاتلات الحديثة وبعشر مرات على السرعة الابتدائيـــــة لقذيفة المدفع . وتم احراز هذه السرعة بفضل القدرة الخيالية للمحركات الصاروخية التى تبلغ ٢٠ مليون حصان بخــــــارى . وللمقارنة نقول ان قدرة محرك احد الصواريخ الستراتيجية تتجاوز بثلاث مرات قدرة محطة براتسك الكهرمائية على نهر انغـــارا . ونظرا لعدم تعرض تحليق الصاروخ لاية اجهزة تكنيكية لاسلكية ارضية للعدو يمكننا القول بان صواريخنا الستراتيجية ستصل الى اهدافها المقررة بصورة لا مرد لها ومهما كان قويا دفاع العدو الجـــــوى .

وتتميز الصواريخ الستراتيجية السوفييتيـــة بجملـــة مـــن الخصائص الرائعة الاخرى . فهذه الصواريخ المعقدة جدا من حيث التركيب بسيطة فى الاستثمار ولا تحتاج الى وقت طويل لاعدادها للاطلاق ، ولها جهاز اطلاق غير معقد . ويمكن اطلاق هذه الصواريخ من مواقع الاطلاق الميدانية ذات التمويـــه الجيد وبدون اعداد المنطقة من الناحية الهندسية ، كما يمكن اطلاقها من الاجهـــزة

المتنقلة . والطريقة الاخيرة تزيد كثيرا من مجال ديمومتها وعدم اصابتها بالوسائل الستراتيجية التى يستخدمها العدو فى الهجوم . ومن الخصائص المهمة جدا للصواريخ كونها قابلة للاستخدام فى اية ظروف طقسية وفى اى فصل من فصول السنة او اى وقت من الليل والنهار .

وخلال الآونـــة الاخيرة تم اعداد وتحقيق تركيب تنظيمى متناسق للقوات الصاروخية ، وتحديد دورها ومهامها فى نظـــام الدفاع عن البلاد .

وتتميز القوات الصاروخية الستراتيجية بامكانياتها فى تأمين دحر اهم مجموعات العدو باسرع وقت ممكن . ولا تقتصر امكانياتها على ذلك ، فهى تستطيع فى الوقت ذاته تحطيم اهم مراكز اقتصاد العدو وتسبيب الخلل فى ادارة الدولة والادارة العسكرية . وتهيئ خصائص الصواريخ الحديثة امكانية استخدامها بصورة مباغتـــة كثيفة . ويساعد الاستخدام الكثيف للضربات النووية الحرارية ليس فقط على اخراج بعض الدول من الحرب بكل سرعة ومنذ بداية الحرب وخصوصا الدول ذات المساحـــة غير الكبيرة والغاصـــة بالسكان ، بل وعلى تدمير كافـــة ائتلافات العدو تدميرا حازما . ويتم احراز ذلك بامكانيـــة المناورة الواسعـــة جدا بالضربات الصاروخية النووية فى اى اتجاه وعلى مساحات هائلة وبدون تغيير مجموعات القوات خلال ذلك .

كل ذلك يدل على ان الجيش السوفييتى دخل مرحلة جديدة نوعيا من مراحل تطوره ، وهى مرحلة تتسم بالنمو الهائل للقدرة النارية والزيادة الكبيرة جدا للامكانيات القتالية .

وان تزويد القوات الصاروخية بأحدث الاسلحة طرح متطلبات عالية من افراد هذه القوات . فالجنود والرقبـــاء والضبـــاط والجنرالات فى القوات الصاروخية يستكملون على الدوام معارفهم ، وطرائق المناوبة الحربيـــة ويحتفظون بسلاحهم دوما فى حالـــة

استعداد حربى تام . وفى حالة اشعال الامبرياليين لنيران الحرب سينفذ هؤلاء المحاربون المهام المطروحة امامهم ، اى ان الصواريخ ستطلق فى الموعد اللازم وستوجه بكل دقة نحو الاهداف المحددة .
ان النوع الثانى من انواع القوات المسلحة هو قوات الدفاع الجوى للبلاد . وهى تتكون من قوات الصواريخ الجوية وسلاح الجو الحامل للصواريخ وقوات التكنيك اللاسلكى والقوات الخاصة . ويتشكل اساس قدرتها القتالية من صنفى القوات الجديدين نوعيا وهما قوات الصواريخ الجوية والمقاتلات الاعتراضية الحاملة للصواريخ . وقد صنع العلماء السوفييت وسائل ليس فقط لمكافحة الطائرات والصواريخ المجنحة ، بل ولمكافحة صواريخ العدو . وان قوات الدفاع الجوى بالتعاون مع قوات ووسائل الدفاع الجوى لدى القوات البرية والاسطول البحرى الحربى وجيوش بلدان معاهدة وارشو قادرة الآن على ان تنفذ بنجاح مهمتها الرئيسية الا وهى الحماية الامينة لاراضى بلدان الاسرة الاشتراكية من الضربات النووية ومن اية وسيلة لهجوم العدو . واعتبارا من ايار (مايو) ١٩٥٤ شغل منصب القائد العام لقوات الدفاع الجوى مارشالا الاتحاد السوفييتى غوفوروف وبيريوزوف والمارشال الجوى سودينس ، واعتبارا من تموز (يوليو) ١٩٦٦ مارشال الاتحاد السوفييتى باتيتسكى .
ان تجهيز قوات الدفاع الجوى للبلاد بوسائل صراع جديدة ، وقبل كل شىء بالصواريخ الجوية احدث الطفرة النوعية الجديدة فى تطور قوات الدفاع الجوى السوفييتية . وتضم قوات الصواريخ الجوية وحدات مسلحة بوسائل ذات مهام مختلفة ، بما فيها المقاتلات الاعتراضية البعيدة المدى والتى لا يقودها بشر . وهذه الطائرات قادرة فى الواقع على اصابة كافة الوسائل الحديثة للهجوم الجوى بابعد المسافات ، وبمختلف الارتفاعات الكبيرة والصغيرة وبسرعة تحليق تفوق سرعة الصوت . وتكمن خاصية استخدامها

فى انها غير متعلقة بفصل معين من فصول السنة ولا بساعة معينة من الليل والنهار ولا بالظروف الطقسية ولا بالتشويش اللاسلكى .

ان التكنيك الحربى لقوات الدفاع الجوى يتحسن بلا انقطاع . وتتسع آفاق مدى وصول الصواريخ الجوية فى الارتفاعات الكبيرة والصغيرة ، ويتزايد مدى وسرعة الاطلاق .

وحدثت فى السنوات الاخيرة تغيرات جذرية فى طيران الدفاع الجوى . فطيران الدفاع الجوى استلم المقاتلات الاعتراضية الحاملة للصواريخ والتى تفوق سرعتها سرعة الصوت والعاملة فى الارتفاعات الكبيرة والصغيرة ، بما فيها المقاتلات الاعتراضية البعيدة المدى . وهذه الطائرات قادرة على تحطيم الصواريخ المجنحة والطائرات الحاملة فى اية ظروف طقسية وعلى اى ارتفاع وبأية سرعة .

وتتميز الطائرات الحاملة للصواريخ فى قوات الدفاع الجوى للبلاد بقدرتها العاليـــة على المناورة . فهى تستطيع ان تركز جهودها بسرعة فى الاتجاهات الحاسمة وضد المجموعات الرئيسية من وسائل الهجوم الجوى لدى العدو . اما مدى مفعولها الواسع فهو يساعدها فى مكافحة هذه الوسائل على بعد يصل الى حدود انطلاقها .

ومن المعروف انه بقدر ما يتم اكتشاف وسائل الهجـــوم الكونى الجوى بصورة ابكر بقدر ما يتوفر لقوات الدفاع الجوى الوقت اللازم لصد هجوم العدو وبقدر ما تستطيع هذه القوات صد الهجوم بصورة افضل .

وتقوم قوات التكنيك اللاسلكى لدى قوات الدفاع الجوى بحل مهمة اكتشاف العدو فى الوقت اللازم والاشعـــار بظهوره . وهذه القوات مزودة بمختلف الاجهزة الالكترونية اللاسلكيـــــة الممتازة التى تهيئ الامكانية لاكتشاف وسائل الهجوم الكونى الجوى على مسافات بعيدة فى اى فصل من فصول السنة وفى اية ساعة من الليل والنهار بغض النظر عن الظروف الطقسية والتشويش اللاسلكى ،

ولتشخيصها وتحديد احداثياتها بدقة وتأمين اشعـــار القوات الصاروخية وسلاح الجو الحامل للصواريخ بالهدف المكتشف فى الوقت اللازم .

ان افراد قوات الدفاع الجوى يمتلكون على احسن ما يرام ناصية التكنيك الصاروخى الالكترونى اللاسلكى المعقد الحديـــث واساليب استخدامه فى القتال . وانتشر على نطاق واسع فى القوات التحضير المجموعى الذى يساعد على تدريب المحاربين والوحدات والقطعات تدريبا ممتازا .

ان قوات الدفاع الجوى على استعداد قتالى تام دوما . فهى قادرة على صد هجوم العدو الجوى فى اية لحظة . وان التكنيـــك الحربى الرائع الذى صنعه المواطنون السوفييت فى ايدى الجنود الماهرة هو درع امين يحمى اجواء الوطن من الاعداء .

وهناك تغيرات غير قليلة الآن فى اقدم نوع للقوات المسلحة واوسعها نعنى القوات البرية التى اعتبرت عن حق هى النوع الاساسى لفترة طويلة من الزمن .

فقد تحسنت هذه القوات ايضا على الدوام ولديها الآن كل ما هو ضرورى للنجاح فى خوض الاعمال القتالية عن طريق اصناف القوات الحديثة ومختلف انواع السلاح والتكنيك الحربى . وان ضرورة وجود قوات برية جبارة ضمن القوات المسلحة تنبع من المتطلبات الاساسية للعلم العسكـــرى السوفييتى الذى يعتبر ان الانتصار فى الحرب النووية القادمـــة ، اذا اشعـــل المعتدون الامبرياليون نيرانها ، سيتم تحقيقه فقط بالجهود المشتركـــة لكافة انواع القوات المسلحة . ومن البديهى ان الدور الحاسم فى بلوغ الاهداف الاساسية للحرب ستلعبه القوات الصاروخيـــة الستراتيجية . اما القوات البرية فسوف تنجز دحر مجموعـــات جيوش العدو البرية التى تنجو من الضربة النووية ، وستستولى على قواعده الحربية وتحتل اراضيه . وستقوم هذه القوات بالدفاع

عن اراضى البلاد من غزو جيوش المعتدى وقوات انزاله الجوى والبحـــرى .

ويدل حل المهام المذكورة اعلاه على ان القوات البرية هى فى الظروف الراهنة ايضا جزء هام من القوات المسلحة ، ولذلك فعليها ان تكون قوية ومتحركة بما فيه الكفاية ، وان تكون مسلحـــة ومنظمة جيدا .

واعتبار من آذار (مارس) ١٩٥٥ حتى آب (اغسطس) ١٩٦٤ ترأس القوات البرية على التوالى مارشـــالات الاتحـــاد السوفييتى كونيف ومالينوفسكى وغريتشكو وتشويكوف . واعتبارا من ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ الغى منصب القائد العـــام للقوات البرية ، واعيد من جديد فى خريف ١٩٦٧ . وعين لهذا المنصب جنرال الجيش بافلوفسكى .

ان القوات البرية الحديثة مزودة بالصواريخ ذات الاغراض العملياتية التاكتيكية ، وبالدبابات الجديدة والناقلات المدرعـــة والمدفعية الجديدة ذات المواسير والمدفعية الصاروخية ، والوسائل الجبارة المضادة للدبابات والمدافع ذاتية الحركة والوسائل المضادة للجو والمدافع الصاروخية ووسائل الادارة الممتـــازة . وتعتبر الصواريخ العملياتية التاكتيكية ذات الشحنات النووية القوة النارية الرئيسية للقوات البرية لدى دحر العدو . فهى قادرة على اصابة اية اهداف على بعد عدة مئات من الكيلومترات وعلى ايجـــاد الانعطاف الحاسم السريع فى الموقف الحربى . ان السلاح النووى والصواريخ العملياتية التاكتيكية والتاكتيكية فى قواتنا البرية هى وسائل حديثة لا تقل اهمية من الناحية النوعية والكمية عن اية صواريخ من هذا الطراز تمتلكها جيوش الدول الامبريالية .

ولدى القوات البرية آلاف كثيرة من الدبابات الممتـــازة المنتظمة فى قطعات وتشكيلات قوية سريعة الحركة . ان دباباتنا المتوسطة تفوق احدث الدبابات الاميركية والالمانية الغربية من

حيث سرعة الحركة والاجتياز ومدى العمل وقدرة التسليح ، وهى متمكنة من خوض القتال الموفق ضدها فى كافة انواع القتـــال . وتتميز قوات الدبابات بالمناورة العالية والتدريع الامين . وهى اكثر تحملا لمفعول تأثيرات الانفجارات النووية . وان قطعـــات وتشكيلات الدبابات قادرة على تحقيق مسيرات سريعة لمدى حتى ٥٠٠ كيلومتر بدون التزود بالوقود من جديد ، وتستطيع دخول المعركة رأسا وتوجيه الضربات الجبارة السريعة الى العدو .

ان قطعات وتشكيلات المشاة الآلية لدى القوات البريـــة مجهزة بالاسلحة الصغيرة الاوتوماتيكية الممتازة وبالوسائل الجبارة المضادة للدبابات وبالدبابات والمدفعية وغير ذلك من انـــواع الاسلحة . فهذه القوات العاملة على ناقلات مدرعة ذات قدرة كبيرة على الاجتياز تستطيع ان تقوم بمسيرات سريعة الى مسافات بعيدة وان تناور بمرونة فى ساحة القتال وان تتابع الهجوم بوتائر عالية على اثر الضربات النووية . وان وجود وحدات الدبابات لدى قطعات وتشكيلات المشاة الآلية قد زاد من قوتها الخارقة ومن قدرتهـــا النارية وحسّن قضايا ادارة القوات والتعاون فيما بينها فى المعركة .

ولدى القوات البرية مدفعية ممتازة فى حيث النوعية وآلية كليا ، وهى تتكون من المدافع الطويلة والهاوتزر والمدافع المضادة للدبابات ومدافع الهاون والمدفعية الصاروخية والقذائف الموجهة المضادة للدبابات والتى تؤمن اصابة اية دبابة للعدو على بعد بضعة كيلومترات .

وتوجد لدى القوات البرية وسائل الدفاع الجوى الخاصـــة بها والمزودة بالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والمدفعيـــة الجوية والوسائل التكنيكية اللاسلكية . وبالتعاون الوثيـــق مع المقاتلات تتمكن هذه القوات من تغطية مجموعات قواتنا وهيئات مؤخرتها بأمان ضد ضربات العدو من الجو .

ولقد ازداد فى الظروف الراهنة كثيرا دور قوات الانـــزال

الجوى . فعلى هذه القوات ان تعزز بسرعة الانتصار الذى يحرز بنتيجة الضربات النووية . وعندما تهبط هذه القوات فى اعماق مؤخرة العدو سيتوجب عليها ان تستولى على الاهداف العسكرية الحيوية الهامة والمناطق السياسية والادارية والاقتصادية وان تكون رؤوس جسور لنقل القوات الرئيسية . وستكافح قوات الانزال احتياطى العدو وستساعد القوات المهاجمة فى اجتياز الموانع المائية الكبرى وتخل بادارة قوات العدو وعمل مؤسسات مؤخرته .

وعندما تهبط قوات الانزال الجوى فى مؤخرة العدو تفتح هناك جبهة جديدة للعمليات الحربية ، علما بان عمق الانزال سيقاس بمئات بل وآلاف الكيلومترات عن خط الجبهة .

ولقد استدعى ادخال التكنيك الجديد متابعة تحسين تنظيم قوات الانزال الجوى واتقان الاساليب الجديدة لاجراء القتال واستكمال نظام تدريب وتربية افراد القوات . ويجرى التجنيد الى قوات الانزال الجوى على اساس اختيار افضل الشباب السوفييت . ويتميز جنود الانزال بالوطنية الخلاقة والتدريب القتالى العالى والانضباط والبسالة والشجاعة .

وتضم القوات البرية لدى القوات المسلحة السوفييتية كذلك قوات الهندسة الحديثة والقوات الكيمياوية وقوات الطرق وقوات الاتصال المجهزة بمختلف انواع التكنيك الجديد . ولدى هذه القوات القوى والوسائل الضرورية التى تتيح لها امكانية النجاح فى حل اعقد المهمات التكنيكية لتأمين الاعمال القتالية للقوات البرية وحمايتها من سلاح الابادة الجماعية . ولدى قوات الهندسة وسائل العبور الحديثة والآلات العالية الانتاجية لشق الطرق وحفر التربة . وهذه القوات قادرة على تأمين الاستطلاعات الهندسية وعبور الموانع المائية وتجهيز طرق المناورة وبناء مختلف المنشآت لحماية القوات .

وهيأت القدرة النارية والقوة الضاربة الهائلتان لدى القوات

البرية السوفييتية ، ومكننتها التامة وقابليتها فى الاستفادة بسرعة من نتائج استخدام الوسائل الستراتيجية النووية ـ هيأت الامكانية لاجراء العمليات على عمق كبير وبوتائر سريعة ومع اكثر الاهداف حزما . وان القوات البرية قادرة على ان تنفذ بنجاح فى اى وقت وبالاشتراك مع الانواع الاخرى من القوات المسلحة اية مهمة يطرحها عليها الوطن والحزب الشيوعى .

وستلعب قواتنا الجوية الباسلة دورا هاما جدا فى الصدام الصاروخى النووى المحتمل . فسوف تحطم هذه القوات وتدمر الاهداف العسكرية الهامة فى مؤخرة العدو وتدحر قواته الحية ومعداته على المسارح البرية والبحرية للعمليات الحربية ، وتساعد القوات البرية والاسطول البحرى فى اجراء العمليات والمعارك . وسوف يجرى سلاح الجو الاستطلاع الجوى ويقوم بانزال قطعات كبيرة فى اعماق مؤخرة العدو ويؤمن مناورة القوات على اى بعد وفى اقصر الآجال . ويقود القوات الجوية لدى القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى كبير مارشالات الجو فيرشينين .

وخلال السنوات الاخيرة توسعت كثيرا امكانيات القوات الجوية السوفييتية . فقد تغيرت بصورة جوهرية ملامح هذه القوات التى اصبحت جديدة نوعيا . واصبحت هذه القوات مزودة بالطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ، وبالطائرات حاملة الصواريخ والقادرة على العمل فى اى طقس وعلى تنفيذ المهمات القتالية على اى ارتفاع . واحتلت محل قاذفة القنابل الطائرة حاملة الصواريخ والقادرة على اصابة اى هدف من مسافة بعيدة ، بما فى ذلك الاهداف الثابتة والمتحركة فى البر والبحر . واصبحت صواريخ القوات الجوية من طراز «الجو ـ الارض» و«الجو ـ الجو» النوع الرئيسى لسلاح الطائرات حاملات الصواريخ والتى تفوق سرعتها سرعة الصوت والمقاتلات وقاذفات القنابل المقاتلة . وازدادت كثيرا سرعة وارتفاع التحليقات . فالطيار التجريبى موسولوف

حقق على طائرة «ى ـ ٦٦» فى عام ١٩٦١ سرعة تحليق قدرها ٢٥٠٤ كيلومترات فى الساعة وعلى ارتفاع ٣٤٢٠٠ متر ، كما حقق الطيار فيودوروف على طائرة «ى ـ ١٦٦» سرعة قدرها ٢٧٣٠ كيلومترا فى الساعة . ان الطائرة الحربية الحديثة هى تجسيد رائع للمنجزات التقدمية للعلم والتكنيك .

ولدى كثير من الطائرات الحديثة «ذاكرة» هى عبارة عن الاجهزة الحاسبة الالكترونية التى «تخبر» الطيار اثناء التحليق بالانحرافات عن الطريق المرسوم . وان الطائرة الحديثة تستطيع بواسطة اجهزة الرادار ان «ترى» على مسافة مئات الكيلومترات حتى عبر السحاب . وبسبب تغيير تراجع الجناح اصبح باستطاعة الطائرة الحديثة ان تحلق بسرعة صغيرة وبذلك توفر الوقود وتزيد من مدى فعلها ، واذا اقتضى الامر يطبق الجناحان فتتهيأ للطائرة امكانية زيادة سرعة التحليق الى ما يفوق سرعة الصوت بمرتين او ثلاث مرات . وتساعد العدادات الرائعة والاجهزة الاوتوماتيكية الطيار فى حل اعقد المهمات وفى اكثر المواقف تعقدا . وكل ذلك تطلب من الطيار الحديث ان يكون ليس مجرد طيار ، بل مهندسا . ولذلك فان الطيارين الحربيين فى اغلبية الوحدات هم الآن طيارون مهندسون ، واساطين حقيقيون فى معرفة عملهم . وتدل على ذلك الارقام القياسية العالمية ال٢١٦ التى ضربها طيارونا الابطال من بين ال٥٦٩ رقما المسجلة حتى الاول من كانون الثانى (يناير) ١٩٦٦ لدى الاتحاد العالمى للرياضة الجوية . وفى مطلع الستينيات افتتحت صفحة جديدة فى تاريخ الوطن ، نعنى غزو الفضاء الكونى . ويعود الى القوات الجوية فضل تدريب رواد الفضاء الكونى الذين هم من افضل مواطنينا . ومن بينهم غاغارين وتيتوف ونيكولايف وبوبوفيتش وبيكوفسكى ونيكولايفا ـ تيريشكوفا وكوماروف وبيليايف وليونوف وبيريغوفوى وشاتالوف وفولينوف وايليسييف وخرونوف وغيرهم .

ويشغل الاسطول البحرى الحربى كذلك مرتبة هامة جدا فى منظومة الدفاع عن الدولة السوفييتية . فان ذلك يستجيب لاهداف ومهمات تعزيز قدرة الاتحاد السوفييتى باعتباره دولة بحرية عظمى ينبغى ان تمتلك اسطولا حديثا . وخلال السنوات الاخيرة تم فى الاسطول تدشين عدد كبير من مختلف انواع السفـــن المزودة بالمحركات العاملة بالوقود النووى وبالاسلحة الصاروخية الجبارة .

وحتى عام ١٩٥٥ كان القائد العام للاسطول البحرى الحربى هو اميرال اسطول الاتحاد السوفييتى كوزنيتسوف ، واعتبارا من كانون الثانى (يناير) ١٩٥٦ اصبح اميرال اسطول الاتحـــاد السوفييتى غورشكوف قائدا عاما للاسطول .

وفى الظروف الجديدة يعتبر اسطول الغواصات الجبـــار بغواصاته القيادية الذرية الحاملة للصواريخ القوة الضاربـــة الاساسية للاسطول البحرى الحربى . فهذه الغواصـــات مزودة بالصواريخ الباليستيكية القابلة للانطلاق من تحت المـــاء وذات التحليق البعيد المدى ، وبالطوربيدات ذات التصويب التلقائى وغير ذلك من انواع التكنيك الحربى الحديث . وتجمع الغواصات الذرية بين السرعة الكبيرة للابحار فوق وتحت الماء وبين مدى الابحـــار غير المحدود فى الواقع . والدليل على ذلك اول رحلة فى التاريـــخ حول العالم قامت بها مجموعة الغواصات الذرية السوفييتيـــة . فبالرغم من تعقد الرحلة ـ حول اميركا الجنوبية وبين الكتـــل الجليدية العائمة والحقول المتجمدة فى مضيق درايك وفى ميـــاه المنطقة المتجمدة الجنوبية ـ قطعت هذه الغواصات حوالى ٤٠ الف كيلومتر دون ان ترتفع الى سطح الماء . واشتهـــر فى طول البلاد وعرضها اسم الغواصة الذرية «لينينسكى كومسومول» التى ذاع صيتها اثناء الرحلات الى القطب الشمالى تحت جليد المنطقـــة المتجمدة الشمالية .

وتتميز الغواصات الذرية الحاملة للصواريخ بخصائص قتالية

هامة مثل التخفى والمناورة العالية والقدرة الضاربة الهائلـــــة . وتستطيع الصواريخ البحرية العاملة بالوقود الصلب ان تنطلق من تحت الماء فتصيب بدقة كبيرة الاهداف البحرية والبرية الواقعــة على بعد مئات وآلاف الكيلومترات . وان السفن الذريـــة مزودة باحدث وسائل القيادة وبالاجهزة اللاسلكية الالكترونية والتى تهيىء امكانية « رؤية » البيئة المجاورة فوق سطح الماء وتحتـــــه ، واستخدام التكنيك الحربى باقصى حد من الفاعلية . وتتيح وسائل الاتصال لدى الغواصات الاتصال مع القيادة من اية نقطة لهذه الغواصات فى المحيط العالمى .

ان القوة الضاربة الهائلة لدى اسطول الغواصات السوفييتى تمتزج بقوة ضربات سلاح الجو البحرى المزود بالطائرات النفاثة والمسلح بالصواريخ من مختلف الاصناف والاغراض .

واستلم الاسطول السوفييتى فى السنوات الاخيرة سفنا حاملة للصواريخ جديدة نوعيا كانت قد صنعت طبقا لمتطلبات الحرب الصاروخية النووية الحديثة . وتمخر عباب البحار والمحيطـــات اليوم سفن حديثة مثل الطرادة الصاروخية « فارياغ » وحاملـــة الصواريخ « غريمياشى » وغيرهما . وتتطور بنجاح وسائل الدفاع المضاد للغواصات ، وتجهز مشاة البحرية بالتكنيك الحربى الجديد ، وتسلحت وحدات الاسطول الساحلية بالصواريخ ذات المدى الكبير .

وهكذا تغيرت بصورة جذرية نتيجـــة للثورة فى الشؤون العسكرية وسائل واساليب اجراء القتال وتنظيم القوات المسلحة وطرائق تربية وتدريب المحاربين السوفييت .

فان ٩٠ ٪ من الضباط والجنرالات والاميرالات اليوم حائزون على التعليم العالى او الثانوى . وان ٩٣ ٪ منهم اعضاء فى الحـــزب الشيوعى السوفييتى وفى اتحاد الشبيبـــــة الشيوعــــى اللينينى (الكومسومول) . ومما له دلالته البالغة ان تسعة من كل عشرة جنود وبحارة ورقباء ومساعدين حائزون على التعليم العالى او الثانوى او المتوسط .

وهيأ ملاك افراد القوات المسلحة السوفييتية هذا الامكانية لمجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى لكى يتخذ فى عام ١٩٦٧ قانونا جديدا « بشأن الخدمة العسكرية الالزامية العامة » حدد مدة الخدمة فى الجيش بعامين فقط . ويبذل الجنود من الجيل الفتى جهودهم لامتلاك ناصية الفن العسكرى .

ان المحاربين السوفييت المخلصين لوطنهم اخلاصا لا حدود له يطمحون كل الطموح الى التشرف بتبرير ثقة الحزب الشيوعى والشعب بهم ، وهم مستعدون دوما لتنفيذ واجبهم فى الذود عن الوطن السوفييتى .

فيمَ تكمن قوة الجيش السوفييتى ؟

فى الدور القيادى للحزب

يرتبط كامل تاريخ القوات المسلحة السوفييتية البطولى ارتباطا وثيقا لا ينفصم بنشاط الحزب الشيوعى . فالحزب برئاسة لينين اسس لاول مرة فى التاريخ قوات مسلحة جديدة نوعيا للدولة الاشتراكية ووضع اهم مبادئ بناء هذه القوات وطرق استكمالها وتحسينها وسار بها من نصر الى نصر .

وفى كافة مراحل حياة الدولة السوفييتية استرشد الحزب لدى وضع سياسته فى المجال العسكرى بتوجيهات المعلم والقائد العظيم لينين : « ... كونوا على اهبة الاستعداد وحافظوا على القدرة الدفاعية لبلادنا وجيشنا الاحمر كما يحافظ المرء على حدقة العين ... » . ولذلك سلك الحزب فور انتهاء الحرب الوطنية العظمى نهج تعزيز جبروت قواتنا المسلحة لتامين الذود عن مكتسبات الاشتراكية والسلم بين الشعوب .

ويتطلب الحزب الشيوعى من الكوادر العسكرية ان تدرك قوانين تطور الحرب الحديثة نظرا لظهور السلاح النووى الصاروخى

وان تبحث مسائل الفن العسكرى ومتابعة زيادة الاستعداد القتالى للقـــوات .

واعتبر الحزب القوات المسلحة دوما من اهم هيئات الدولـــة الاشتراكية ، حيث تنفذ وظيفة الذود عن مكتسبات الشعب الثورية دون تطاولات المعتدين الامبرياليين . وان قيادة الحزب للقـــوات المسلحة ليست عاملا عرضيا مؤقتا ، بل هى حتمية موضوعيـــة سارية المفعول دوما فى كافة مراحل البناء العسكرى . فان وجود وتطوير وتعزيز الجيش السوفييتى امر مستحيل بدون قيادة الحزب وبدون عمله التنظيمى والنظرى والتربوى . ويستدعى زيادة دور الحزب فى قيادة القوات المسلحة كذلك توسع المهمات الامميـــة المطروحة امام الجيش السوفييتى نظرا لتطور حركة التحرر الوطنى وتوسع نضال الشعوب فى سبيل السلام والديموقراطية والاشتراكية. وجاء فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى قوله : «ومع سائـــر الاحزاب الماركسية اللينينية ، يعتبر الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى من واجبه الاممى ان يدعو شعوب جميع البلدان لكـــى تحشد وتعبئ جميع القوى الداخلية ، وتعمل بنشاط ، وتمنع ، بالاعتماد على قوة النظام الاشتراكى العالمى تدخل الامبرياليين فى شؤون شعب اى بلد ينهض الى الثورة ، او ترد على هذا التدخل ردا حاسما ، وتحول بالتالى دون تصدير الثورة المضـــــــادة الامبريالى» .

وبقيادة الحزب فقط تستطيع قواتنا المسلحة ان تنفـــذ رسالتها التاريخية ، اى ان تكون عاملا جبارا للحفاظ على السلام وتوطيده وان تؤمن الحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة . وان كامل تاريخ الوطن السوفييتى يبين ان الجيشـــن السوفييتى والاسطول مدينان الى قيادة الحزب الشيوعى بقدرتهما التى لا تقهر وبالخصال الاخلاقية والسياسية والقتالية العالية وبالانتصارات على اعداء الوطن العديدين .

فى وحدة الجيش والشعب

تكمن قوة الجيش السوفييتى فى انه مرتبط الى الابد مع الشعب باواصر متينة لا تنفصم، فان وحدة الشعب والجيش هى من اعظم مكتسبات ثورة اكتوبر الاشتراكية . وان قيادة الحزب الشيوعى هى الشرط الرئيسى الحاسم لتعزز هذه الوحدة على الدوام . فالحزب يربط بين الشعب والجيش فكريا وتنظيميا بسياسة موحدة .

ان الحرب الحديثة يمكن ان تبدى متطلبات كبيرة ليس فقط من افراد القوات المسلحة ، بل ومن سكان البلاد جميعا . ولذلك فان وحدة الجيش والشعب والامكانيات التعبوية لدى الدولة السوفييتية وتنظيم الدفاع المدنى كل ذلك يكتسب فى الظروف الجديدة اهمية كبيرة متزايدة . وان اكثر من ثلاثة ارباع سكان بلادنا هم اناس ولدوا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ولا يعرفون الاستغلال الرأسمالى ولا الاضطهاد القومى ولا التفرقة العنصرية .

وتشكل بلاد السوفييت اسرة حقيقية للشعوب المتآخية فى نظام دولة موحدة . وان النظام السوفييتى الذى قضى الى الابد على العداء القومى وحد كافة امم واقوام بلادنا بعرى الصداقة والاخوة . ان وحدة الشعوب فى قضية الدفاع عن الاتحاد السوفييتى من الاعداء الخارجيين تؤمن تزويد القوات المسلحة بامدادات من كافة قوميات بلادنا . ويكمن مصدر جبار لقوة الدولة السوفييتية فى الصداقة الاخوية والتعاون المتبادل بين الشعوب .

لقد جسد الجيش السوفييتى دوما الصداقة العظمى بين كافة قوميات البلاد .

وفى سنوات الحرب العصيبة تجسد الارتباط بين الجيش والشعب فى سفر وفود الجمهوريات والاقاليم والمقاطعات الى الجيش

المقاتل ، وارسال الهدايا على نطاق واسع الى المقاتلين ، ورعاية المستشفيات ورعاية عوائل الجنود الذين توجهوا الى الجبهة ، وتبادل الرسائل والتوجيهات ، وجمع الحاجيات الدافئة للمحاربين والتبرع الى رصيد الدفاع عن البلاد . ومن المعروف أن تبرعات سكان الاتحاد السوفييتى لسد حاجات الجبهة كونت خلال اربع سنوات من الحرب مبلغا هائلا قدره ٩٤ مليارا و ٥٠٠ مليون روبل . وكان ذلك من اروع مظاهر وحدة الشعب والجيش .

ويستمر ارتباط الجيش بالشعب يتطور بلا انقطاع فى فترة ما بعد الحرب ايضا .

وافتتحت فى كثير من المؤسسات الانتاجية والدوائر الرسمية والسوفخوزات والكولخوزات والمدارس متاحف وغرف واجنحة تتحدث عن امجاد المحاربين . وتجرى فيها على الدوام لقاءات مع الذين شاركوا فى الحرب الاهلية والحرب الوطنية العظمى ومع الجنود والرقباء والضباط الذين يمارسون الخدمة العسكرية حاليا .

وتمارس دور الضباط فى الحاميات عملا واسعا فى مجال التلاحم بين الجيش والشعب . فهنا يلتقى العسكريون بالشخصيات الحزبية الحكومية وبالعلماء والمحاربين القدامى وطليعيى الانتاج الذين يتحدثون اليهم عن منجزاتهم فى العمل ، كما يتحدث العسكريون للشغيلة عن شؤونهم وعن الخدمة العسكرية . وتنظم حفلات خطابية مشتركة ومؤتمرات وامسيات للشبيبة .

وفى سنوات ما بعد الحرب يولى الحزب التدريب العسكرى للسكان اهتماما كبيرا بخاصة . ويجرى هذا التدريب فى المؤسسات الدراسية وفى المؤسسات الانتاجية وعن طريق المنظمات الاختيارية .

وعززت الجمعية الاختيارية السوفييتية لمساعدة الجيش وسلاح الجو والاسطول منظماتها القاعدية وتتقن العمل العسكرى التدريبى الجماهيرى والعمل الرياضى بين السكان . ويجرى على نطاق

واسع فى البلاد اعداد اعضاء هذه الجمعية والسكان جميعا للدفاع المضاد للجو والدفاع ضد الغاز ، وتدريب الشباب الذين لم يبلغوا سن التجنيد على الاختصاصات العسكرية الفنية والجوية والبحرية واعداد الجنود والرقباء والمساعدين الذين يشكلون احتياطى الجيش وسلاح الجو والاسطول وتحسين معارفهم وتدريباتهم .

ونتيجة لهذا العمل صارت القوات المسلحة السوفييتية تستلم امدادات من شباب اصحاء شديدى البأس وعلى مستوى جيد من الثقافة والتعليم الفنى ، وهى امدادات قادرة على امتلاك ناصية السلاح الحديث والتكنيك الحربى فى اقصر وقت .

ان الماركسية اللينينية تؤكد بان الجماهير الشعبية هى القوة الحاسمة فى تطور المجتمع . فالشعب هو الذى يخلق القيم المادية والروحية ويحقق الثورة ويخوض الحرب ولا يمكن ان يقهر ذلك الجيش المرتبط ارتباطا وثيقا بالشعب ، والمربى على الافكار التقدمية ، والعارف بانه يدافع عن اكثر الانظمة الاجتماعية والحكومية عدالة وطليعية . وذلك هو بالذات جيشنا السوفييتى لانه مجبول من صلب شعبه .

فى التعاون الكفاحى

ان الجيش السوفييتى قوى بتعاونه الكفاحى مع جيوش الدول الاشتراكية ، ذلك التعاون المستند على تماثل النظام الاجتماعى والحكومى ، وعلى وحدة الاهداف السياسية وعلى الايديولوجية الماركسية اللينينية الواحدة لدى شعوب هذه البلدان . ولهذا التعاون تاريخه الخاص وقد صهرته الدماء المراقة فى النضال المشترك ضد العدو المشترك . ففى سنوات الحرب الاهلية حارب فى صفوف الجيش الاحمر اكثر من ربع مليون شغيل اجنبى شكلوا ضمن هذا الجيش فصائلهم وسراياهم وكتائبهم وافواجهم الاممية . وفى سنوات الحرب الوطنية العظمى ساهمت فى المعارك الطاحنة

جنبـــا الى جنب مـــع القوات السوفييتيـــة تشكيلات الجيوش التشيكوسلوفاكى والبولونى والبلغارى والرومانى واليوغوسلافى .

وفى فترة ما بعد الحرب وجهت الاحزاب الشيوعية فى كافة البلدان الشقيقة جهودها نحو تطوير وتعزيز التعاون الكفاحى بين قواتها المسلحة معتبرة هذا التعاون ضمانة لسلامة كل دولـــة اشتراكية على حدة وسلامة المنظومة الاشتراكية ككل .

وكان من اهم الخطوات فى حل هذه المسألة عقد المعاهدات الثنائية فى اعوام ١٩٤٥ـ١٩٤٨ بشأن الصداقـــة والتعـــاون والمساعدة المتبادلة ، تلك المعاهدات التى اتسمت بطابع دفاعى . وبسبب تأزم الوضع الدولى فى اعوام ١٩٥٣ـ١٩٥٥ ازداد كثيرا اهتمام البلدان الاشتراكية بمسائل تعزيز القدرة الدفاعية .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٤ عقدت حكومات البلدان الاشتراكية اجتماعا فى موسكو ناقشت فيه مسائل الوضع الدولى واقرت بيانا جاء فيه «ان الدول المحبة للسلام مضطرة الى اتخاذ اجراءات لا تقبل التأجيل وذلك لمواجهة القوى العدوانية ... بالقوة الموحدة للدول المحبة للسلام من اجل تأمين سلامتها» . واعلن آنذاك انه فى حالة مصادقـــة الدول الغربية على اتفاقيات باريس التى تحولت المانيا الغربية طبقا لها الى بؤرة جديدة للحرب فى اوروبا فان البلدان الاشتراكية ستعقد معاهدة للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة وتنظم قوات مسلحة موحدة وتوحد قيادتها لكى تعزز قدرتها الدفاعية وتحمى عمل شعوبها السلمى .

وبالرغم من هذا التحذير صادقت الدول الغربية على اتفاقيات باريس . وردا على ذلك عقد فى وارشو فى ايار (مايو) عام ١٩٥٥ اجتماع جديد لقادة الدول الاشتراكيـــة ، حيث عقدت معاهدة وارشو بشأن الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة . وجاء فى هذه المعاهدة : «فى حالة وقوع اعتداء مسلح على واحدة او عدد من الدول الاعضاء فى هذه المعاهدة من قبل اية دولة او مجموعة من

الدول الاخرى ، فان كل دولة من دول المعاهدة تقوم فى ميدان تمتعها بحق الدفاع الذاتى الفردى او الجماعى واستنادا الى المادة ٥١ من ميثاق هيئة الامم المتحدة بتقديم المساعدة الفورية بصورة فردية او بالاتفاق مع الدول الاخرى الاعضاء فى المعاهدة الى الدولة او الدول التى تتعرض لهذا الاعتداء ، وذلك بكافة الوسائل التى تراها ضرورية بما فيها استخدام القوة المسلحة » .

ومنذ ذلك الحين اصبحت معاهدة وارشو اساســا للتعاون العسكرى ولامن البلدان الاشتراكية . واصبحت مهمات الدفاع عن كل بلد اشتراكى قضية جماعية للبلدان الاشتراكية كافة .

ان معاهدة وارشو مبنية على مبادئ المساواة فى الحقوق واحترام سيادة الدول وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى . وان وجود قوات احدى الدول فى اراضى دولة اخرى كليا يتم طبقا للاتفاق بين الطرفين . فان تعداد القوات السوفييتية المرابطة فى اراضى جمهورية المانيا الديموقراطية وبولونيا والمجر وكذلك وضعها القانونى محددان باتفاقيات خاصة .

ولقد ثبتت معاهدة وارشـــو وطورت علاقات الاخوة بين القوات المسلحة السوفييتية والقوات المسلحة فى كافة البلدان الاشتراكية . ويساعد التعاون الكفاحى فيما بينها على زيادة قدرتها الكفاحية وتلاحمها فى عائلة واحدة تربطها اخوّة السلاح .

واولى الحزب الشيوعى السوفييتى هذه المسائل دائما اهمية من الدرجة الاولى . فقد جاء فى تقرير اللجنة المركزيـــة للحزب الشيوعـــى السوفييتى الى المؤتمـــر الثالث والعشريـــن للحـــزب : «ان التعاون والتضامن هما واحد من المصادر الرئيسيـــــــة لقوة المنظومة الاشتراكية . وان تطوير وتعميق هذا التعاون يستجيبان للمصالح الجذرية لكل بلد على حدة وللمنظومة الاشتراكية ككل ، ويساعدان على رص صفوفنا فى النضال ضد الامبريالية » .

ان افراد جيوش بلدان معاهدة وارشو يتربون يوميا بروح الاممية . وتناقش قضايا التربية الاممية بانتظام فى اجتماعات المحاربين الحزبية والكوسموبولية . وتقدم الى افراد القوات السوفييتية المرابطة فى اراضى الدول الاخرى دروس سياسية بشأن نجاحات الشعوب فى بناء الاشتراكية ، وتحدث عن القوات المسلحة فى البلدان الاشتراكية . وتلقى صحف الجيش عندنا الاضواء على هذه المسائل بصورة واسعة . وغالبا ما تنظم للمحاربين جولات فى المعامل والمصانع والاستثمارات الزراعية الحكومية فى بولونيا والمجر والمانيا الديموقراطية . وكل ذلك يساعدهم فى ان يروا بام اعينهم تطبيق افكار الصداقة بين شعوبنا وثمار التعاون الاقتصادى بينها ، ويخدم القضية العظمى ، قضية تعزيز عرى الاخوّة .

وغالبا ما يتقابل جنودنا مع الشخصيات الحزبية والحكومية والاجتماعية والعلماء وطليعيى الانتاج والفنانين والرسامين فى البلدان الصديقة . ويستمعون الى خطب واحاديث قدامى المساهمين فى الحركة الثورية فى بولونيا والمجر وجمهورية المانيا الديموقراطية ، وكذلك الانصار ونشطاء المساهمين فى مكافحة الفاشية خلال الحرب العالمية الثانية . وتظل هذه اللقاءات عالقة فى اذهان الجنود لفترة طويلة .

ان اشكال تعزيز التعاون الكفاحى بين جيوش البلدان الاشتراكية متنوعة للغاية . ومن اهمها تبادل خبرة التدريب القتالى والسياسى ، والمساعدة المتبادلة وتدريبات القادة والاركان المشتركة ، ومناورات القوات . ويقيم المحاربون السوفييت اوثق العلاقات الودية والعملية مع الوحدات والقطعات المجاورة فى البلدان الاشتراكية .

ويتبادل القادة العسكريون والسياسيون خبر تدريب وتربية افراد القوات المسلحة ، وغالبا ما يستمعون الى تقارير بعضهم البعض حول مختلف الموضوعات ، ويدرسون خلال تبادل الزيارات

الدعاية الايضاحية وترتيب اجنحة تاريخ الوحدات العسكرية ، ويتبادلون اللوازم الدراسية والكتب والصحف والمجلات .

ويقضى كثير من ضباط وجنرالات جيوش البلدان الاشتراكية تدريبهم واعادة تدريبهم فى الاتحاد السوفييتى حيث يدرسون فى المؤسسات الدراسية العسكرية العليا . ويدرس ضباط وجنرالات هذه البلدان العلم العسكرى السوفييتى والتكنيك الحربى ويستكملون معارفهم ويطلعون اطلاعا واسعا على حياة المواطنين السوفييت وعلى مهمات البناء الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى .

وتتجلى مشاعر الاخوّة والتعاون وادراك وحدة وقوة جيوش بلدان معاهدة وارشو باسطع وجــــه فى التدريبات والمناورات المشتركة . ففى عام ١٩٥٨ جرت فى اراضى بلغاريا تدريبات مشتركة كبرى للقوات البلغارية والسوفييتية . وشاركت فى هذه التدريبات القوات البرية والبحرية والجوية . وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦١ جرت تدريبات الاركانات والقوات المسلحــــة الموحدة لكافة بلدان معاهدة وارشو . ولعبت هذه التدريبات دورا هاما فى وضع مفهوم موحد لطابع واساليب اجراء العملية والمعركة ، وفى وضع واستكمال المبادئ الاساسية للفن العسكرى الحديث . وفى خريف ١٩٦٣ جرت المناورات «الرباعية» التى شاركت فيها قوات الجيش الوطنى الشعبى لجمهورية المانية الديموقراطية والجيش السوفييتى والجيش الشعبى التشيكوسلوفاكى والجيش البولونى . وفى خريف ١٩٦٥ جرت بمشاركة هذه القوات تدريبات «هجوم اكتوبر» .

وفى ايلول (سبتمبر) ١٩٦٦ جرت فى اراضى تشيكوسلوفاكيا اكبر تدريبات اطلق عليها اسم «فلتافا» . وساهم فى هذه التدريبات الجيش الشعبى التشيكوسلوفاكى والجيش الشعبى المجرى والجيش الوطنى الشعبى لجمهورية المانيا الديموقراطية والجيش السوفييتى . وكانت هذه التدريبات فحصا جيدا للاستعداد الحربى للجيوش

وللخصائص القتالية للسلاح والتكنيك الحربى الجديد . ولنفس هذه الاغراض اجريت فى عام ١٩٦٨ تدريبات القادة والاركانات فى تشيكوسلوفاكيا وتدريبات «الشمال» للاساطيل البحرية التابعة للاتحاد السوفييتى وجمهورية المانيا الديموقراطية وبولونيـــا . وعرضت هذه التدريبات قوة التكنيك الحربى الحديث المتوفر لدى جيوش الدول الاشتراكية ، والنضوج العملياتى التاكتيكى للقـــادة والاركانات وتزايد المهارة الحربية لدى افراد هذه الجيوش . وفى مجرى حل المهمات العامة فى التدريبات المشتركة تم التعارف الاوثق بين محاربى البلدان الاشتراكية الذين تدربوا على التعاون فى القتال وازدادت الثقة وتوطدت اواصر الصداقة فيما بينهـــم وبينت التدريبات الاستعداد القتالى التام لدى القوات المسلحـــة للبلدان الاشتراكية لصد اى استفزاز من قبل الامبرياليين ولاحباط خططهم العدوانية . وتسهم جيوش البلدان الاشتراكيـــة على قدر مستطاعها فى القضية المشتركة ، قضية الدفاع عن المنظومـــــــة الاشتراكية العالمية . والدليل على ذلك المساعدة العاجلـــة التى قدمتها القوات المسلحة السوفييتية والبولونية والمجرية والبلغارية والالمانية الديموقراطية للشعب التشيكوسلوفاكى الشقيق فى الذود عن مكتسباته الاشتراكية .

ولقد تطور الجيش السوفييتى خلال الخمسة والخمسين عاما الماضية وتعزز باعتباره جيشا من طراز جديد ، جيش الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، تلك المكتسبات التى تتسم بأهمية تاريخية عالمية . وطوال كامل تاريخ هذا الجيش تأكدت صحة مبادئ البناء العسكرى التى وضعها لينين والحزب الشيوعى .

وطوال نصف قرن ونيف يقف الجيش السوفييتى ، عينـــا ساهرة ، فى موقعه الكفاحي المشرف ، حارسا بكل يقظة وانتباه حدود الوطن الاشتراكي المقدسة والعمل السلمي البناء لشعبنا .

وان كامل طريق هذا الجيش الكفاحى هو طريق النضال البطولى والانتصارات على اعداء الدولة السوفييتية العديدين . ومن جيل لآخر تنامت وتكاثرت التقاليد المجيدة للقوات المسلحة السوفييتية ، تلك التقاليد الحية ابدا ، تقاليد الاخلاص لمصالح الشعب والحزب وقضية الشيوعيـــة . ولقد حظى الجيش السوفييتى بمشاعر الحب والامتنان لدى شعوب الاتحاد السوفييتى وشغيلة البلدان الاشتراكية والبشرية التقدمية جمعاء ، بفضل خدمته المتفانية للوطن الاشتراكى وتنفيذه لواجبه الاممى .

ان الجيش السوفييتى حاليا قوة جبارة . فهو مسلح بافضل سلاح فى العالم . ويتطلب آلوضع الدولى الراهن ، اكثر من اى وقت مضى ، من القوات المسلحة اليقظة العالية والاستعداد الدائم لتنفيذ اية مهمة للحزب والحكومة تنفيذا لائقا .

وجاء فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب : «وساعدت الاجــراءات التى اتخذت فى السنوات الاخيرة على تعزيز قدرة القوات المسلحـــــة وقابليتها القتالية بصورة جوهرية . وليكن المواطنون السوفييت واثقين من ان قواتنا المسلحة المجيدة مستعدة في اية ساعة مـــن ساعات الليل والنهار ان تصد هجوم العدو من حيثما انطلق . ان كل من تسول له نفسه الاعتداء علينا يدرك جيدا انه سيتلقى ضربــة جوابية قاضية فى حالة شن هجوم صاروخى نووى على بلادنا» .

ان المحاربين السوفييت المغتنين بالخبرة القتاليــة الهائلــة والمجهزين بأحدث الاسلحة والمتسمين بأسمى الخصال الخلقيـــة والكفاحية يقفون بقيادة قوادهم المحنكين وفى الصفوف المتلاحمة لجيوش البلدان الاعضاء فى معاهدة وارشو قوة رهيبة للدفاع عن الاسرة الاشتراكيـــة والذود عن الحيـــاة الحـــرة لشعوب الدول الاشتراكية .

محتويات

«المجلة العسكرية السوفييتية»

«المجلة العسكرية السوفييتية» ـ شهرية مصورة مخصصة لفئة واسعة من القراء العسكريين . وهي تلقي الاضواء على المسائل النظرية والعملية للفن العسكرى ، وعلى خبرة بناء القوات المسلحة السوفييتية وتعليم وتربية افراد الجيش وسلاح الجو والاسطول ، وعلى قضايا التدريب العسكرى والسيكولوجيا العسكرية .

تنشر المجلة مختلف المعلومات عن حياة الجيش والاسطول السوفييتي ومواد عن منهج التدريب القتالي لوحدات مختلف اصناف القوات وعن استثمار وصيانة الآليات والاسلحة .

تهتم «المجلة العسكرية السوفييتية» اهتماما كبيرا بالتاريخ العسكرى ، وخصوصا تاريخ الحرب العالمية الثانية ، فتنشر مقالات عن اهم عمليات الجيش السوفييتي ومذكرات القادة العسكريين السوفييت ومقتطفات من نتاجات الادب العسكرى .

يجد القارئ على صفحات المجلة كذلك مواد مكرسة للقضايا الدولية ، وتقريظات وتعريفات بشأن الكتب العسكرية الصادرة في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاخرى .

ان كتاب المجلة هم من القادة العسكريين والجنرالات والضباط والعلماء والصحفيين والكتاب السوفييت البارزين .

تصدر «المجلة العسكرية السوفييتية» في موسكو عن دار نشر صحيفة «النجم الاحمر» باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية .

يمكنكم الاشتراك في «المجلة العسكرية السوفييتية» عن طريق اية وكالة تتعاطى توزيع المطبوعات الدورية السوفييتية في بلادكم .

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكـــــرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمـــة الكتاب وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١

موسكو ــ الاتحاد السوفييتي

Художественный редактор В. Ходоровский
Технический редактор В. Шиц

Подписано к печати 5.X.1972 г. Формат $84 \times 108^{1}/_{32}$.
Бум. л. $7^{3}/_{8}$. Печ. л. 24,72+1,89 п. л. вкл. Уч.-изд. л. 33,23.
Изд. № 13304. Заказ № 1174. Цена 2 р. 34 к.

Издательство «Прогресс»
Государственного Комитета Совета Министров СССР
по делам издательств, полиграфии и книжной торговли.
Москва, Г-21, Зубовский бульвар, 21.

Ордена Трудового Красного Знамени
Московская типография № 7 «Искра революции»
Главполиграфпрома Государственного Комитета
Совета Министров СССР по делам издательств,
полиграфии и книжной торговли.
Москва, пер. Аксакова, 13.

الجيش السوفييتى

وليد الثورة

الاسلاف

الجيش العمالى الفلاحى

السياسة العسكرية وحالة الحرب

★

الجيش يتقوى

استيعاب الخبرة المكدسة

اعادة بناء القوات المسلحة تكنيكيا

فى حراسة الوطن

★

فى الحرب الوطنية

عام ١٩٤١

عشية الاحداث الحاسمة

الانعطاف الجذرى

نهاية الاحتلال الهتلرى

الانتصارات الختامية فى اوروبا

فى الشرق الاقصى

الانتصار العظيم للقوات المسلحة السوفييتية

★

فى حراسة السلام

من الحرب الى السلم

ثورة فى الشؤون العسكرية

فيما تكمن قوة الجيش السوفييتى ؟